



# مجلة المجمع العلمي العراقي



# التدوين وظهور الكتب المصنفة

في العهد الإسلامي الأولي

الدكتور ضيف إجماع الكائن

رئيس المجمع العلمي العراقي  
استاذ بكلية الاداب — جامعة بغداد



إن ميزات نقل العلم بالسماع واعتماد التعليم على المحاضرات والاتصال الشخصي المباشر ، لا تعوض عن عيبهما الأساس في اعتماد المعرفة على الأشخاص ومدى نشاطهم ، مما يجعل المعرفة محدودة بالزمان والمكان، ويعرضها للزوال في حالة ركود النشاط البشري. فالتدوين لا غنى عنه في ضبط المعلومات وتخليدها مجردة عن الانسان الفرد . والكتابة هي أول وأحسن وسيلة لتسجيل الإنتاج الفكري ، وتيسير نقله الى المناطق المتباعدة في المكان، أو الى الأجيال الآتية ، وهي تمكن المرء من الاطلاع على النتاج الفكري المدون بصرف النظر عن جنس كاتبه أو أصله . فهي تساعد على جعل الأفكار والآراء أساس الصلة والارتباط بين الناس .

وللتدوين أثر كبير في التوجيه الفكري ، فهو ينقل الفكر من الأسلوب الخطابي الى الأسلوب الإنشائي ، وهذا يتطلب عناية خاصة في اتباع أساليب فنية خاصة في عرض الأفكار ، وكذلك في اختيار الكلمات ؛ فالمتحدث له حرية أوسع في الكلام ،

وقد تباح له الأغلاط النحوية أو استعمال الكلمات العامة السائدة في وسط محدود . أما في التدوين ، فإن الكاتب يستعمل عادة الكلمات المقبولة عند المثقفين ، وهذا يتطلب تثبيت مستوى معين من الكلمات ، أي توحيد اللغة وما يتبعها من تسجيل الكلمات والتمهيد لظهور المعاجم .

والفكرة الأساسية التي يقوم عليها التدوين هي التسجيل الكتابي لما يعتبر جديراً بالحفظ والبقاء ، أي تثبيت الأمور التي يراها الكتّاب أو الآمرون بالكتابة جديرة بالاهتمام ، وحرية بأن تورث للأجيال ، فالتدوين إذن تسجيل لما يعتبر جديراً بالبقاء والخلود، وهو الى حد ما تعبير عن فكرة الخلود وتطبيق لها .

وتختلف العناصر الجديرة بالتدوين والخلود باختلاف الأفراد والأمم ، وهذه العناصر قد تتغير بتغير الأزمنة ، تبعاً للمثل العليا الثقافية والحضارية التي يتبناها المدون والتي كثيراً ما تتبدل بعضاً أو كلاً ، فقد تهتم أمة من الأمم في زمن ما بالشعر الغنائي أو الحماسي ، أو بما يتعلق بالأخلاق والسياسة أو بالحياة المادية والمعاملات ، أو قد تركز اهتمامها على العلوم الانسانية او الطبيعية او الرياضية ، وقد تهتم في زمن ما بجانب واحد أو بعدة جوانب من الحضارة والثقافة ، وقد يستمر هذا الاهتمام مدة طويلة ، أو قد يقتصر على مدة محدودة ثم يتحول الى الاهتمام بجانب آخر .

وتتوقف الاستفادة من الكتابة على مدى استعمالها ، ويعتمد دورها في الحفاظ على التراث الفكري على مدى الحفظ المتقن المنظم للمدونات ، وهذا يتوقف على مواد الكتابة ، وعلى تنظيمها والعناية بصيانتها .

وللمادة التي تكتب عليها المدونات دور كبير في تخليد هذه المدونات ، ومن المعلوم أن مواد الكتابة متنوعة ، بعضها هش سريع الاندثار والفناء ، وبعضها صلب قوي يقاوم عوادي الزمن ؛ ولا ريب في أن أقواها وأثبتها هي الحجارة ثم الآجر المصنوع من الطين المفخور ، فاما الحجارة فقد كثر استعمالها في القديم ، وخاصة لتسجيل اعمال الملوك والحكام ، وكذلك شواهد القبور ، والواقع أنها لا تزال مستعملة حتى اليوم ، وإن كان استعمالها الحالي بنطاق محدود : ويرجع استعمالها الى قدرتها على البقاء وتحدي

عوامل الاندثار ، غير أن ثقل وزنها وكبر حجمها أدى الى بقائها في مكانها ، لصعوبة نقلها ، كما أن صلة ما يكتب عليها بالتيارات السياسية المتبدلة كانت من أهم عوامل تعرضها للهدم والتشويه بعد التبدلات السياسية العنيفة .

وللآجر ميزة على الأحجار في الكتابة ، اذ أنها اخف وزناً واسهل نقلاً وحفظاً ، كما أن الكتابة عليها أيسر ، ومن الممكن كتابة نصوص طويلة نسبياً على الآجر ، وبذلك يمكن اعتبار المكتوب عليها نواة الكتاب وأصله بالمعنى المفهوم في الوقت الحاضر ، اي كتابة مقدار كبير نسبياً من المعلومات عن موضوع واحد ، بصرف النظر عن دقته وتفصيله .

ومما يتصل بالآجر ألواح الطين ، وقد كثر استعمالها بصورة خاصة في الأماكن التي تقع عند الأنهار حيث يكون الغرين على ضفافه طبقات رقيقة تصلح عند جفافها للكتابة بالنقش او بالأحبار ، فتوفر بذلك مادة رخيصة تفيد المبتدئين بالتعلم ؛ وتحملنا ميزاته وسرعة تلفه على الاعتقاد بانه كان اوسع انتشاراً من البقايا القليلة المكتشفة منه حتى الآن .

وقد عم استعمال الآجر والطين في العهود البابلية والآشورية في العراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى ، وكثر استعماله في السجلات الرسمية وفي ضمن ذلك جبايات الضرائب ، وكذلك في تدوين المعارف والعلوم ، وآخر ما وصل إلينا من هذه الألواح يرجع الى القرن الأول الميلادي .

غير أنه توجد في المصادر العربية إشارات تدل على أن الطين ظل مستعملاً في العراق حتى أوائل العصر العباسي .

غير أن صغر حجم ألواح الآجر والطين يقضي بأن تكون النصوص المدونة فيها ، مهما كانت دقة خطها ، محدودة المقدار ، أي أنها تكون أقرب الى الصفحة منها الى الكتاب الذي يضم صفحات تيسر تدوين المعلومات الواسعة .

ومن مواد الكتابة التي كثر استعمالها منذ القرن الرابع قبل الميلاد هي القراطيس المصنوعة من أوراق نبات البردي الذي يكثر في مصر . وهي تتميز بخفة وزنها ومتانتها وسعتها حيث يمكن ان تلتصق عدة اوراق بعضها ببعض فتبدو كأنها ورقة واحدة قد يبلغ



طولها زهاء المترين، وبذلك يمكن أن تكتب عليها مدونات طويلة وتكتب بالمعنى المفهوم حالياً . والواقع أن كافة الكتب المطولة التي نعرفها ظهرت منذ أن عم استعمال البردي .

غير أن غلاء ثمن القراطيس ، وقلة كمياتها ، وانحصار إنتاجها بمصر أدى الى تحديد انتشارها . والواقع أنه مرت فترات في التاريخ لم يكن إنتاج مصر للقراطيس كافياً لسد حاجاتها ؛ كما أن توتر العلاقات السياسية بين مصر والدول الأخرى كان يهدد هذه الدول بحرمانها من القراطيس ، ولذلك عملت كثير من الدول الكبيرة في المشرق على الإقلال من استعمال القراطيس للكتابة ، وبذلك تحدد استعمالها كثيراً .

وقد استعملت الجلود في الكتابة ايضاً ، وأقدم أديم مكتوب اكتشف حتى الآن يرجع الى المئة الرابعة قبل الميلاد . وتتميز الأديم بمتانتها وخفتها ومقاومتها عوادي الزمن ، وكذلك بكبر حجمها وامكان ربط عدة اجزاء منها لتكون قطعة واحدة كبيرة يمكن أن تكتب عليها كتابات طويلة ؛ أي كتب بالمعنى المفهوم عندنا .

يتبين مما سبق أن مواد الكتابة التي توافرت في أقطار الوطن العربي مكنت من تدوين مدونات طويلة ومن ظهور الكتب . إلا أن غلاء أثمان هذه المواد وقلة المتوافر منها جعل الكميات المتداولة منها محدودة ؛ مما أدى الى قلة عدد الكتب والى اعتماد المعارف في نموها وازدهارها على المشافهة والسماع ، والى انتقال العلوم بالروايات .

غير أن قلة الكتب وكثرة الاعتماد على السماع لا يعني انعدام الحاجة الى الكتابة ؛ إذ أن التدوين مرتبط بالحضارة ، وهو ضرورة لازمة للحكام والإداريين لتسجيل المراسلات والمكاتبات التي تصدر منهم الى أقرانهم أو الى تابعيهم من الموظفين ، ولتسجيل الضرائب والجبايات ، فضلاً عن ضرورته للقضاة لتسجيل الأحكام والوثائق ، وهو ضروري أيضاً في حياة الأفراد في الشؤون التجارية والمعاملات المدنية وما تتطلبه من عقود ومكاتبات . لقد ورد في بعض المصادر ما يشير الى قلة عدد من يعرف الكتابة من العرب عند ظهور الإسلام ، فذكر ابن عبد ربه ان الإسلام جاء « ولم يكن من العرب من يكتب الأربعة عشر » (٢) . . وروى الواقدي أنه « دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب » (٣) وروى ايضاً « كان الكتاب بالعربية في الأوس

(٢) العقد الفريد ٢٤٢/٤ .

(٣) فتوح البلدان ٤٧١ طبعة دي غويه .

والخزرج قليلاً . . فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون»<sup>(٤)</sup> ويقول أيضاً « وكانت الكتابة في العرب قليلاً»<sup>(٥)</sup> ، وهو يذكر ان من كان يعرف العوم والرمي والكتابة يسمى كاملاً<sup>(٦)</sup> . ولا ريب في أن اعتبار الكتابة إحدى مقومات الكمال الثلاثة أمر معقول ، ولكنه قد يناقض الادعاء بقلة من كان يعرف الكتابة ، إذ أن التقدير الرفيع للكتابة يقتضي أن يكون عدد من يعرف الكتابة أكثر مما ذكره الواقدي ، علماً بأن نص الواقدي على ان العدد الذي ذكره لمن يعرف الكتابة مقتصر على مكة والمدينة ، وليس عاماً في كل العرب كما يدعي نص ابن عبد ربه .

إن الادعاء أن من كانوا يعرفون الكتابة (والقراءة) بين العرب عند ظهور الإسلام قليلون، تناقضه المعلومات المتزايدة التي توضح مدى تقدم الحضارة ، وتعقد الحياة العامة التي تقتضي توسيع انتشار الكتابة . كما أن هذا القول تنقضه الصورة العامة التي يكونها المرء من دراسة الآيات القرآنية ؛ فمن المعلوم أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ( النحل ١٠٣ ، الشعراء ١٩٥ ) وانه قرآن عربي غير ذي عوج ( الزمر ٢٨ ) . وهذا يظهر أن مفرداته وتعايره مما هو مألوف الاستعمال عند العرب ، وإن كثرة تردد كلمة « الكتابة » ومتطلباتها وما يتصل بها ، يمكن اعتبارها دليلاً على مدى انتشارها لا في مكة فقط ، وإنما في جزيرة العرب أيضاً .

أوجب القرآن الكريم كتابة بعض الوثائق والعقود كالدين ( البقرة ٢٨٢ ) وعقصة النكاح ( البقرة ٢٣٥ ) ومكاتبة الرقيق في تحريرهم ( النور ٣٣ ) ؛ وذكر من مواد الكتابة القلم ( القلم ١ العلق ٤ لقمان ٢٧ آل عمران ٤٤ ) والقرطاس ( الأنعام ٧ ، ٩١ ) والمداد ( الكهف ١٠٩ ) والرق ( الطور ٢ ) .

وذكر القرآن الكريم الكتاب المسطور ( الكوثر ١٢ الاحزاب ٦ الاسراء ٥٨ ) والألواح ( الاعراف ١٤٥ ) والسجل الذي يطوي الكتب ( الانبياء ١٠٤ ) والصحف

(٤) كذلك ٤٧٣ .

(٥) الطبقات لابن سعد ٣ - ١٣٦/٢ ، ١٤٢ .

(٦) ابن سعد ٣ - ١٣٦/٢ ، ١٤٢ ، ١٤٨ وانظر أيضاً فتوح البلدان ٤٧٤ .

( المسدثر ٥٢ ) ، كما ذكر الصحف الأولى ( طه ١٣٣ ، الأعلى ٢ ) و صحف موسى ( النجم ٣٩ ) ، و صحف ابراهيم وموسى ( الاعلى ١٩ ) كما ذكر أن القرآن الكريم كان في صحف مكرمة ( عبس ١٣ ) ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم « يتلو صحفاً مطهرة » ( البينة ٢ ) .

في القرآن الكريم ذكر فعل الكتابة بمعنى الامر في ٢٦ آية ، وفي المعنى الشائع لدينا في سبع آيات .

أما كلمة « كتاب » فقد وردت في القرآن الكريم في ٢٩ آية ، وورد ذكر « الذين أوتوا الكتاب » في ٣٢ آية ، ووردت كلمة « الكتاب » أو « الكتب » بمعنى الكتب المقدسة في الأديان السماوية في ٣٨ آية ، غير أن بعض الكتب المقدسة ذكرت باسمائها الخاصة ، فقد ذكرت التوراة والإنجيل في ثمان آيات ( آل عمران ٣ ، ٤٨ ، ٦٥ المائدة ٦٦ ، ٦٨ ، ١١٠ الأعراف ١٥٧ التوبة ١١ ) ، وذكر الإنجيل منفرداً في ثلاث آيات ( المائدة ٢٦ ، الفتح ٤٩ ، الخليل ٢٧ ) والتوراة منفردة في آية واحدة ( آل عمران ٤٨ ) . ووردت « البينات والزبر » في أربع آيات ( آل عمران ١٨٤ النحل ٤٤ فاطر ٢٥ المؤمنون ٥٣ ) وذكر الزبور الذي نزل على داود في آيتين ( النساء ١٦٣ ، الاسراء ٥٥ ) . وذكرت « صحيف ابراهيم وموسى » ( الأعلى ١٩ ) ، وأن ابراهيم أوتي الكتاب والحكمة ( النساء ٥٤ ) . والمقصود من الكتب في كل هذه الآيات مدونات واسعة في مجموعة واحدة ، أي أنها كتب بمفهومنا الحاضر . وقد ذكر ابن النديم ان التوراة مكونة من عدة اسفار (٧) . وقد وردت في القرآن الكريم كلمة « أسفار » ( الجمعة ٥ ) دون الإشارة الى أن السفر من أجزاء التوراة .

ووردت في القرآن الكريم كلمة « الكتاب » بمعنى القرآن الكريم في آيات كثيرة ، غير أنه ذكر باسم القرآن « بآل التعريف في ٥٩ آية ، وبدونها في عشر آيات . وذكرت قراءة القرآن في اثنتي عشرة آية ، وتلاوة القرآن في ١١ آية ، وتلاوة آياته في ٢٩ آية . ولا ريب في أن القراءة تعني التلاوة ، وكلاهما لا يشترط معرفة الكتابة . فمن المعلوم أن كثيراً من المسلمين ، والرسول نفسه ، لم يكن يعرف الكتابة ، وقد ذكر ذلك

(٧) الفهرست لابن النديم ص ٢٥ طبعة محمد تجدي .

القرآن الكريم بقوله : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لا رتاب المشركون » ( العنكبوت ٤٨ ) .

والقرآن الكريم مكون من آيات يبلغ عددها زهاء ٦٢٠٠ آية ، ويراوح طولها من كلمة واحدة الى ٩٥ كلمة وهي اطولها . وهو يحتوي على ١١٤ سورة تختلف في طولها ، وهي من حيث العموم متدرجة في الطول ، فأطول الآيات في أوله ثم تتدرج حتى إن السور الأخيرة مكون كل منها من نحو خمس آيات . ولكل سورة اسم متخذ من كلمة وردت في السورة .

وفي الكتب إشارات غير قليلة إلى استعمال الكتابة والتدوين عند ظهور الإسلام حتى عند القبائل وبين البدو<sup>(٨)</sup> ؛ ولا ريب في أن الكتابة كانت أعم استعمالاً وأكثر شيوعاً في المدن والمراكز التجارية الكثيرة المنبثة في شبه جزيرة العرب وخاصة في سواحلها ؛ وكذلك في مكة حيث ازدهرت التجارة والمعاملات المالية وكثرت المحالفات والمعاهدات مع الأفراد والقبائل . وان وصف القرآن الكريم أهل مكة بالأميين يقصد منه أنهم لم يكن لهم في دينهم الجاهلي كتاب يقدسونه ويعتمدون عليه في دينهم<sup>(٩)</sup> .

وقد ازدادت حاجة الرسول ( ص ) إلى التدوين والكتابة بعد الهجرة إلى المدينة حيث تأسست دولة الاسلام وأخذت تقارع خصومها وتعمل على التوسع بوسائل سلمية وعسكرية تطلبت القيام بمراسلات ومكاتبات وعقد اتفاقيات ومعاهدات ، إضافة إلى أن الآيات القرآنية تتابع نزولها ، فازداد المنزل من القرآن ، واقتضى الأمر تدوينه لحفظه مضبوطاً . وقد دفعت هذه الحاجة الرسول ( ص ) إلى حث المسلمين على تعلم الكتابة<sup>(١٠)</sup> . ويروى أنه فادى المشركين من أسرى بدر ، واطلق سراح من يعلم منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة<sup>(١١)</sup> . وقد استخدم الرسول ( ص ) عدداً من المسلمين لكتابة الوحي وآيات القرآن الكريم ، وللمكاتبات والمحالقات والاتفاقات .

(٨) انظر في ذلك : الدكتور ناصر الدين الاسد : مصادر الشعر الجاهلي ، الباب الاول ، ومحمد أحمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ص ٣٧٣ فما بعد .

(٩) أنظر تفسير الطبري ، طبعة محمد أحمد شاكر ٢٥٨/٢ .

(١٠) فتوح البلدان ٤٧٣ .

(١١) ابن سعد ٢ - ٤/١ .

ذكرت بعض المصادر اسماء عدد من هؤلاء الكتاب<sup>(١٢)</sup> ، واختلفت في عددهم ، فذكر بعضهم أنهم كانوا ٢٣ ، وذكر آخرون أعداداً أكبر ، وأوصل بعضهم العدد إلى ٤٣<sup>(١٣)</sup> وقد روت بعض المصادر ان كلاً من كتاب الرسول اختص بكتابة جانب محدد<sup>(١٤)</sup> غير أن هذا إن صح لا يعني انهم كانوا موظفين ثابتين ، أو أنهم كونوا « جماعة » متميزة ، وإنما كان استخدام كل منهم تبعاً للحاجة ، وليس بصورة دائمة ، وربما لم يكتب بعضهم إلا رسائل قليلة<sup>(١٥)</sup>

ولما توسعت الدولة الاسلامية بعد الفتوح ، ازدادت حاجة الدولة الى الكتابة لضمان الاتصال بين الخلفاء وولايتهم على الأقاليم . ومن المعلوم أن إدارة الإقليم كانت معقدة ، فقد كانت على الوالي واجبات واسعة في الإشراف على الشؤون الإدارية والمالية والقضائية . وكان الولاة مع صلاحياتهم الواسعة وصعوبة المواصلات خاضعين لأوامر الخليفة وتوجيهاته . ولم يكن للأفراد الذين يرسلهم الخليفة أحياناً لتبليغ أوامره الشفهية للولاة ، أثر كبير ، لأن إرسالهم كان مؤقتاً ، لذلك ازداد اعتماد الخليفة على المراسلات المكتوبة ، فكان لكل خليفة كاتب يدون الرسائل والكتب التي يرسلها . وقد أصبح للرسائل في العهد الأموي كاتب خاص في بلاط الخليفة<sup>(١٦)</sup> . ولعل كلاً من ولاة الأقاليم الرئيسة كان له كتاب رسائل أيضاً .

مركز تحقيق كاتبات علوم إسلامي

ثم إن تنظيم صرف العطاء للمقاتلة اقتضى إنشاء ديوان العطاء منذ زمن عمر بن الخطاب ، وكانت تحفظ في هذا الديوان سجلات بأسماء المقاتلة ومقدار عطاء كل منهم وتجهيزاته . وترتب سجلاتهم بحسب عشائرتهم ، وكذلك أسماء موالي كل عشيرة . وكان في مركز الخلافة وفي كل من الأمصار التي يستوطنها المقاتلة ويقوم فيها الوالي ديوان للجند والعطاء<sup>(١٧)</sup> ولما كان عمل هذا الديوان متصلاً بالعرب ، كانت سجلاته بالعربية<sup>(١٨)</sup> .

(١٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ١٢ .

(١٣) أنظر في ذلك : حسين نصار : نشأة الكتابة الفنية في الاسلام ٤٣ .

(١٤) الجهشيارى ١٢ ، التراتيب الادارية للكتاني ١/١٢٣ .

(١٥) أنظر في مكاتبات الرسول (ص) : الوثائق السياسية في عهد الرسول والخلافة الراشدة لمحمد حميد الله .

(١٦) أنظر مقالنا عن موظفي بلاد الشام في العهد الأموي المنشور في مجلة الابحاث م ١٩ ج ١ ، ١٩٦٦ .

(١٧) أنظر كتابي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ١٤٦ ، وأنظر مقالي : العطاء في الحجاز

مجلة المجمع العلمي العراقي م ٢٠ ص ٦

(١٨) الجهشيارى ٣٨ .

وكان الخراج من أهم موارد الدولة، وكان تنظيم مقداره وطرق جبايته معقدة، ويتبع أساليب استقرت بعد تجارب امتدت قروناً ؛ وهو يقتضي حفظ سجلات مفصلة بأسماء القرى ونوع الضرائب المفروضة على كل منها ومقدار جبايتها. ولما كانت معاملات الخراج متصلة بالفلاحين وتتطلب اتباع التقاليد القديمة ، تركها العرب بعد الفتوح إلى الكتاب القدماء الذين ظلوا يستعملون في سجلاتهم ، في ديوان الخراج ، اللغات المستعملة قبل الفتوح ، وهي الفارسية في المشرق ، والإغريقية في بلاد الشام ومصر . ثم ألزمتهم الدولة استعمال اللغة العربية ، فعربت دواوين الخراج في الشام والعراق ومصر في نحو سنة ٥٧٥هـ ، غير أن الكتاب ظلوا في وظائفهم ، كما أن أساليب عملهم لم تبدل . يقوم عمل الديوان على التدوين ، فكان ديوان الخراج يحفظ السجلات المفصلة عن أنواع الأراضي وجباياتها ، لتكون المرجع في تقرير الملكيات وفي مقدار الضرائب ، إذ أن إتلافها يؤدي إلى اضطرابات مالية ، ولهذا كانوا يحرصون على المحافظة عليها . والواقع أنه بالرغم من الاضطرابات والفتن الكثيرة التي حدثت في العراق ، وخاصة في مراكزه الإدارية الكبرى ، لم يرد ذكر حرق الديوان أو تدميره إلا في ثلاث حوادث متباعدة ، أولها على أثر ثورة عبدالرحمن بن الأشعث في سنة ٨٠هـ (١٩) والثانية إبّان حرب الأمين والمأمون في سنة ١٩٧هـ (٢٠) والثالثة في سنة ٣٨٣ (٢١) .

ذكر البلاذري وأبو يوسف ما يبين أهمية سجلات الدواوين في إقرار الملكيات : فقد ذكر أبو يوسف أن عمر بن الخطاب أصفى عشرة أصناف من الأراضي ، وجعل لها حكماً خاصاً « فلما كانت الجماجم أحرق الناس الديوان ، فذهب ذلك الأصل ودرس ولم يعرف » (٢٢) . وقال البلاذري في كلامه عن صوافي عمر : « ولم يزل ذلك ثابتاً حتى أحرق الديوان أيام الحجاج بن يوسف ، فأخذ كل قوم ما يليهم » (٢٣) .

وكانت حسابات الجباية تعرض مكتوبة على الملوك الساسانيين ، واستمر عرضها

(١٩) الخراج لأبي يوسف ، المطبعة السلفية ٥٧ . فتوح البلدان ٢٧٢ .

(٢٠) كتاب الخراج لقدامة ٢٣٧ .

(٢١) تاريخ الصابي المنشور ذيلاً على تجارب الامم ٣/٣٣٥ .

(٢٢) الخراج لأبي يوسف ٥٧ .

(٢٣) فتوح البلدان ٢٧٢ .



مكتوبة على الخلفاء والولاة بعد الإسلام ، فقد روى البلاذري عن ابن المقفع : « كانت الرسائل بحمل المال تقرأ على الملوك ، وهي تكتب في صحف بيض ، وكان صاحب الخراج يأتي الملك كل سنة بصحف موصلة قد أثبت فيها مبلغ ما اجتبي من الخراج وما أنفق من وجوه النفقات وما حصل في بيت المال ، فيختمها ويجريها . فلما كان كسرى أبرويز تأذى بروائح تلك الصحف ، وأمر أن لا يرفع اليه صاحب ديوان خواجه ما يرفع الا في صحف مصفّرة بالزعفران وماء الورد ، وان لا تكتب الصحف التي تعرض عليه لحمل المال وغير ذلك الا مصفّرة ، ففعل ذلك . فلما ولي صالح بن عبدالرحمن خراج العراق تقبل منه ابن المقفع بكور دجلة ، ويقال بالبهقباذ . ثم حمل مالا ، فكتب رسالته في جلد وصفّرها ، فضحك صالح وقال : أنكرت أن يأتي بها غيره ، يقول لعلمه بإمور العجم » (٢٤) .

وروى البلاذري أيضاً أن المدائني قال : « واخبرني مشايخ من الكتاب أن دواوين الشام إنما كانت من قراطيس ، وكذلك الكتب الى ملوك بني أمية في حمل المال وغير ذلك . فلما ولي أمير المؤمنين المنصور ، أمر وزيره أبا أيوب المورياني أن يكتب الرسائل بحمل الاموال في صحف ، وأن تصفّر الصحف . فجرى الأمر على ذلك » (٢٥) . ونظراً لما لوثائق الديوان من أهمية للدولة ولعاملات الناس ، كان حفظها ضرورياً ، كما أن كثرة موضوعاتها وتشعبها تتطلب تنظيمًا متقنًا ييسر حفظها ومراجعتها عند اللزوم .

وقد كتب عدد من القدماء والمحدثين عن تنظيم سجلات الدواوين العراقية وخاصة في المئتين الثالثة والرابعة ( أنظر مثلاً « كتاب الخراج وصناعة الكتاب » لقدامة بن جعفر ، وكتاب « البرهان في علوم البيان » لإسحاق بن إبراهيم بن سليمان ) ، كما توجد إشارات غير قليلة في بعض الكتب وخاصة في كتاب « الوزراء » للصابي ، و « تجارب الأمم » لمسكويه ، كما وصل إلينا عدد غير قليل من الكتب والرسائل والوثائق الصادرة من الخلفاء والولاة . ( أنظر في ذلك « الوثائق السياسية في عهد الرسول والخلافة الراشدة » لمحمد حميد الله ، و « جمهرة رسائل العرب » لأحمد صفوت ، و « الوثائق السياسية والإدارية » للدكتور محمد ماهر حمادة ، وانظر عن تطوراتها وأسلوبها « نشأة الكتابة

(٢٤) فتوح البلدان ٤٦٣ .

(٢٥) فتوح البلدان ٤٦٤ .

الفنية « للدكتور حسين نصار ) . ويلاحظ أن كل هذه الوثائق قصيرة نسبياً . ويبدو أنها كانت « أوراقاً » مجموعة ، ولم تكن كتباً بالمعنى المألوف لدينا .

ويتضح من كل ما تقدم أن الدولة كانت تعنى بالتدوين وحفظ الوثائق في دواوينها للاستعمالات « الرسمية » ، وأن هذه المدونات قد تسمى كتباً ، بمعنى مدونات مكتوبة ، وليس بالمعنى المفهوم عندنا .

يتضح مما سبق ان الكتابة كانت عند ظهور الاسلام مستعملة عند العرب عموماً ، وفي مكة والمدينة خصوصاً ، وأن الدولة الإسلامية عنت منذ بدايتها بالكتابة والتدوين وحفظ المكتوب المتعلق بإدارة الدولة ومالياتها خاصة . ويتضح أيضاً أن القرآن الكريم أشار الى عدد من أنواع وسائل الكتابة وأساليب التدوين ، ويتبين منه أيضاً أن الكتب بالمعنى المفهوم لدينا ، وخاصة الكتب المترلة ، كانت معروفة عند العرب ، وأن الرسول الكريم شجع المسلمين على تعلم القراءة والكتابة ، واستعمل الكتاب لكتابة الوحي والمراسلات والمواثيق والمعاهدات التي كان يعقدها .

غير أن الرسول الكريم اعتمد على المحادثات والمناقشات الشخصية والكلام الشفهي المباشر في توضيح مبادئ الإسلام ، ونشر الدعوة ، سواء قبل الهجرة في مكة ، أو في السنوات الاولى من الهجرة حين كان الإسلام لا يزال محدوداً في المدينة وأطرافها ، ومع أن كلام الرسول وسيرته هي عنصر أساس في توضيح مبادئ الدين ومعالمه ، وان سنته الرسول (ص) هي المصدر الثاني لمعرفة الإسلام ، فانه كان يعتمد على الرواية دون التدوين . وقد رويت عن تدوين أحاديث الرسول وسنته في حياته روايات متنوعة جمع كثيراً منها ابن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم وفضله » كما جمعها ونظمها وعلق على كثير منها الخطيب البغدادي في كتابه القيم « تقييد العلم » وعلق الأستاذ يوسف العيش الذي نشر كتاب الخطيب على هذه الأحاديث بذكر مظاهرها ، مما يجعل هذا الكتاب جديراً بأن يكون أساساً للبحث . وقد نشر خلال نصف المئة الماضية عدد غير قليل من الكتب عالجت الموضوع وكررت كثيراً من الروايات القديمة مع تعليقات وتفسيرات متباينة تبعاً لدوافع كتابها .

وما ذكره الخطيب يمكن الجزم بأن بعض أحاديث الرسول (ص) كتبت في



حياته وبمعرفته . وهذا يعنى ضمناً موافقته على تدوين أحاديثه . ومن هذه التي كتبت في حياته الاحاديث التي كتبها عبدالله بن عمرو بن العاص ، وكان يسميها الصادقة ، (٢٦) . وكان حفيده عمرو بن شعيب يحدث بها (٢٧) . ويذكر ابن الأثير أنها كانت تحوى ألفاً من الأحاديث النبوية « (٢٨) . وقد ضمن أحمد بن حنبل هذه الصحيفة مسنده (٢٩) .

ويذكر الخطيب أيضاً أن أبا بكر الصديق كتب فرائض الصدقة عن رسول الله (ص) (٣٠) ، وأن الإمام علياً دَوّن في صحيفة كانت معلقة في سيفه فيها أسنان الإبل وشي من الجراحات (٣١) .

وقد جمع همام بن منبه مئة وثمانية وثلاثين حديثاً نبوياً رواها عن أبي هريرة ، وسماها « الصحيفة الصحيحة » . وقد نقلها ابن حنبل في مسنده (٣٢) ، ثم نشرها محمد حميد الله خان مستقلة في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٣٣) .

وورد ذكر لصحف كتبها بعض الصحابة ، ومنهم سعد بن عباد الأنصاري ، وعبدالله بن أبي أوفى ، وأبو هريرة ، وأبو موسى الأشعري ، وجابر بن عبدالله ، وأبو سلمه الاشجعي (٣٤) .

وقد رويت عدة أقوال لعدد من التابعين كانوا لا يرون إباحة كتابة الحديث ، غير أنه روي بجانب ذلك أن عدداً من التابعين الذين كانوا يكتبون الحديث ثم يمحون ما كتبوه

(٢٦) تقييد العلم للخطيب البغدادي ٧٨، ٨٤-٨٦ وأنظر ابن سعد ٧-٢/٨٩ ، ٢-٢ / ١٢٥ .

(٢٧) تهذيب التهذيب للنووي ٤٨/٨ - ٤٩ .

(٢٨) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢٣٣/٣ .

(٢٩) مسند ابن حنبل ١٥٨/٢ - ٢٢٦ .

(٣٠) تقييد العلم ٨٧ .

(٣١) تقييد العلم ٨٨ ، وأنظر ابن سعد ٤٨٦/١ ، صحيح البخاري ٣٨/١ .

(٣٢) مسند ابن حنبل ٣١٢/٢ - ٣١٩ .

(٣٣) م ٢٨ ج ٢ - ٣ سنة ١٩٥٣ .

(٣٤) أنظر عن مواضع الإشارة الى هذه الصحف : بحوث في تاريخ السنة المشرفة للدكتور أكرم ضياء العمري : الطبعة الثانية ١٩٧٣ ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

بعد حفظه ، ومن هؤلاء عبدالله بن عمرو بن العاص ، وعاصم بن حمزة ، وهشام بن حسان ، وخالد الحذاء ، وحماة بن سلمة ، وسعيد بن أبي بردة <sup>(٣٥)</sup> وكذلك مسروق ، وابن شهاب ، ومحمد بن سيرين ، وإبراهيم التيمي ، ومنصور <sup>(٣٦)</sup> . ويذكر الخطيب أن بعض هؤلاء احتفظ بما دونه ، وأن غير واحد من المتقدمين كان إذا حضرته الوفاة أتلف كتبه ، أو أوصى باتلافها خوفاً « من أن تصير الى من ليس من أهل العلم فلا يعرف أحكامها ، ويحمل جميع ما فيها على ظاهره ، وربما زاد فيها ونقص ، فيكون ذلك منسوباً الى كاتبها في الأصل . وهذا كله وما أشبهه ، قد نقل عن المتقدمين الإحتراس منه » <sup>(٣٧)</sup> . ومن ذكر الخطيب أنهم أوصوا باتلاف ما دونوا إذا حضرته الوفاة محمد بن سيرين ، وطاووس ، وعبيدة السلماني ، وشعبة بن الحجاج ، وأبو قلابة الجرمي <sup>(٣٨)</sup> .

ومن مجموع الروايات التي تبيح كتابة الحديث وتحث عليه ، والتي تكره الكتابة ولا تقرها ، يمكن أن نستخلص أن كتابة الحديث النبوي أبيحت إبان المثة الأولى الهجرية بنطاق محدود جداً . وبصورة فردية ، ولأجل مساعدة المعنيين بحفظ الحديث على الحفظ ، وليس لجعل رواية الحديث معتمدة على المدونات . . وقد نسبت الى الكاهنين للتدوين مسوغات للكره ، وهي تتصل بالحديث ومكانته المتميزة وصلته الوثيقة بالدين والعقيدة ؛ غير أن التردد في قبول التدوين لم يكن مقتصرأ على الحديث ، وإنما امتد الى الميادين الأخرى للفكر ، فلا بد أن تكون دوافع أعم أثراً في اعتماد الحركة الفكرية على السماع والمشاهدة دون التدوين والكتابة . وقد أشرنا الى هذه الدوافع في مقالنا عن الرواية .

غير أن التطور الاجتماعي والفكري جعل النقائص والعيوب التي في نقل العلم والمعرفة بالسماع تطفئ على المنافع المستفادة منه . ومن المعلوم أنه بالرغم من اهتمام العرب قبل الإسلام بالأمور الأدبية والفكرية ، وبالرغم من استناد الإسلام على الفكر وحث

(٣٥) أنظر : المحدث الفاضل للرامهرمزي ٣٨٢ - ٣٨٤ .

(٣٦) تقييد العلم ٥٨ - ٦١ .

(٣٧) تقييد العلم ٦١ .

(٣٨) تقييد العلم ٦١ - ٦٣ .

القرآن على استعماله ، وأثره في توجيهه وجهات جديدة واسعة ، شغل العرب في العهود الأولى من الإسلام بالحروب والفتوح ، ووجهوا أكثر اهتمامهم الى توسيع رقعة الدولة وضبط الأمن والنظام فيها ، وعنوا بتنظيم الإدارة وبمعالجة المشكلات العملية في الحياة . وكان القائمون على ادارة الدولة وتوجيهها قد توافر فيهم الحس الصادق والفطنة السليمة ، وتفهموا أصول الإسلام وتشربوا بروحه ، فوضعوا نظاماً مطابقة للعدالة وروح الإسلام ، فكانت نظاماً مرضية . كما أن أصول الاسلام وعقائده كانت محددة واضحة في القرآن الكريم ، وكان الأحياء من الصحابة الذين رافقوا الرسول وتفهموا الدين كثيرين نسبياً ، لذلك كان العلم محدوداً في مادته وموضوعاته ، حرّاً في أساليبه ، قائماً على القرآن ودراسته . غير أنه على ممر الايام تزايدت القضايا التي واجهت المسلمين والأفكار التي برزت لهم ؛ كما أن استقرار الدولة وتناقص الفتوح وفر للعرب وقتاً كافياً دعمه توزيع الدولة العطاء والرزق عليهم فكفل لهم مصدر عيشهم وضمن لهم مستقبل حياتهم ، فتوجهوا إلى الاهتمام بالأمور الفكرية والبحث فيها ، وتوسعت معارفهم ، وتعددت ميادين اعمالهم ، وتنوعت آراؤهم وأفكارهم ، فأصبح من الصعب على ذاكرة الفرد استيعاب كل العلم وقضاياها ، وكان لابد من الاستعانة بالتسجيل .

إن هذا الازدهار الفكري الذي تجلّى بازدياد عدد الأفكار وعمقها ، وبازدياد عدد المهتمين بالفكر والمشتغلين به ، رافقه تعدد مراكز العلم في أقاليم الدولة الاسلامية . ومن المعلوم أن الإسلام استقر في المدينة حيث اسس الرسول الكريم دولته ، واتخذها قاعدة لنشر الإسلام وتوسيع دولته ، وألزم المسلمين الأولين الإقامة فيها ، وظل هذا الإلزام حتى فتح مكة . وظلت المدينة قاعدة الخلافة الإسلامية في زمن الثلاثة الأولين من الخلفاء الراشدين ، والمكان الأول الذي يقيم فيه أكثر الصحابة الذين عاشوا مع الرسول وتشربوا بروح الاسلام ، كما كانت المكان الذي تعرف فيه سنة الرسول ؛ وقد حفظ الخلفاء الأمويون والعباسيون للمدينة مكانتها ، وأولوا أهلها الإحترام ، وأغدقوا عليهم الهبات والعطاء ، واعتمدوا كثيراً على علمائها في توجيه الفكر في دمشق وبغداد اللتين أمّ كلاهما واستوطنهما عدد من هؤلاء العلماء ، فساعد ذلك كله على نشر علم أهل المدينة .

غير أنه سرعان ما ازدهرت الحركة الفكرية في عدد من المراكز الأخرى ، وخاصة في الكوفة والبصرة ودمشق وبغداد والفسطاط ، ثم في عدد من مدن خراسان . وقد اتسع العلم في هذه المراكز فلم يقتصر على ما اهتم به أهل المدينة من الفقه والحديث والتفسير ، وإنما امتد الى اللغة والنحو والأدب ، فضلاً عن علم الكلام ، والواقع ان هذه المراكز الجديدة تابعت الخط الفكري العام لأهل المدينة ، فأتمته ووسعته بالبحث والابداع وفي التصرف في نقل النصوص .

وقد أدرك بعض العلماء هذه التطورات وأثرها في جعل التدوين ضرورة ، فقال الراهرمزي بعد الفصل الذي كتبه عن كره كتابة الحديث « وإنما كره الكتاب من كره من الصدر الأول لقرب العهد وتقارب الإسناد ، ولئلا يعتمد الكاتب فيهمله أو يرغب عن تحفظه . فأما الوقت متباعد ، وآفة النسيان معترضة ، والوهم غير مأمون ، فان تقييد العلم بالكتاب أولى وأشفى » (٣٩) .

ولا ريب في أن الكتابة تحفظ العلم وتصوره ، وتمنع اندراسه وانتهائه بموت العلماء وفنائهم ، كما أنها لا تحصر العلم بالحفاظ وحدهم ، بل تمكن أي انسان كان من الرجوع اليه ما دام يعرف القراءة . وقد روي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : إن الكتابة تمنع دروس العلم وذهاب العلماء (٤٠) .

والتدوين ييسر نقل العلم والمعرفة الى أي مركز كان دون الحاجة الى الرحلة ، وبذلك يستطيع المرء الحصول على المعرفة عن طريق الكتب من غير أن يتجشم مشقات السفر ، كما أن الكتب تمكن العلماء من نقل أفكارهم عن طريق إرسال كتبهم دون الحاجة الى السفر . والكتابة تنقل العلم الى الحاضرين والآتين فهي مستودع الفكر وأداة خلوده ، كما انها تساعد على حفظ التقاليد واستمرار المؤسسات بطابعها الخاص المميز . ومن المعلوم أن الكتاب مطواع للإنسان ، يستعمله من شاء متى شاء وكيف شاء ، ويتصرف فيه دون أن يلقي على ذلك حساباً . وقد عبر الجاحظ عن ذلك ، أروع تعبير ، فقال « إنه نعم الذخر والعقدة هو ، ونعم الجليس والعدة ، ونعم النشرة والزهرة ، ونعم المشتغل والحرفة ،

(٣٩) المحدث الفاصل ٣٨٦ .

(٤٠) تقييد العلم ١٠٥ .

ونعم الأنيس لساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربية ، ونعم القرين والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل»<sup>(٤١)</sup> ، وقال أيضاً : «ولولا الكتب المدونة ، والاخبار المخلدة ، والحكم المخطوطة التي تحصن الحساب وغير الحساب ، لبطل أكثر العلم ، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس مفزع الى موضع استدكار ، ولو تم ذلك لحرمتنا أكثر النفع»<sup>(٤٢)</sup> ، وقال أيضاً : « والكتاب هو الذي يؤدي الى الناس كتب التدين وحساب الدواوين مع خفة نقله وصغر حجمه ، صامت ما أسكته ، وبلغ ما استنطقته ، ومن لك بمسامر لا يتديك في حال شغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ، ولا يحوجك الى التجميل له ، والتذمم منه ، ومن لك بزائر إن شئت جعل زيارته غيباً وورده خمساً ، وإن شئت لزمك لزوم ذلك ، وكان منك مكان بعضك »<sup>(٤٣)</sup> .

لقد أورد علماء الحديث تفاصيل عن تدوين الحديث النبوي وما يتصل به ، ونستطيع أن نرسم من هذه التفاصيل التطورات التي مر بها تدوين الحديث ، وهي عموماً تنطبق على كثير من العلوم الأخرى ، فهي دالة على تطور ظهور الكتب مهمة . ويمكن تلخيص هذا التطور بالقول إن القرآن الكريم أولى العلم تقديراً كبيراً ، وأنه دعا الى استعمال الحواس والفكر والعقل ، وإنه لم يمنع الكتابة ، وإنما أباحها وعدها واجبة في بعض الأحوال . ~~غير أن المسلمين عموماً تحاشوا التدوين وحذروا في أوائل العهد ، ثم ازدادت الحاجة فتزايد عدد المدونين ، وتغيرت بالتدريج نظرة الناس الى التدوين ، فأخذ الرضا عنه يحل محل النفور منه ، وقد روى هبيرة بن عبد الرحمن أن أنس بن مالك ( ت ١٠٨ ) كان يلقي عليهم مخلاة ويقول : هذه أحاديث كتبتها عن رسول الله ( ص ) ، وروى ثمامة أن أنساً كان يأمر بنيه أن يقيدوا العلم بالكتاب~~<sup>(٤٤)</sup> ، وكان الحسن البصري ( ت ١١٠ ) لا يرى بكتاب العلماء بأساً<sup>(٤٥)</sup> ، وأنه قال : « إن لنا

(٤١) الحيوان ٣٨/١ .

(٤٢) الحيوان ٤٧/١ .

(٤٣) الحيوان ٥١/١ وأنظر أيضاً الفهرست لابن النديم ١٦٠ ، المحاسن والمساوى ١٢/٢ - ١٥ جامع بيان العلم وفضله ٢٠٤/٢ .

(٤٤) المحدث الفاصل ٣٢٥ ، ٣٢٦ تقييد العلم ٩٥ - ٩٧ .

(٤٥) جامع بيان العلم ٧٤/١ .

كتباً نتعاهد بها»<sup>(٤٦)</sup>، وكان ابن شبرمة يحدث عن كتاب<sup>(٤٧)</sup>، وكان مجاهد يخرج كتبه للرواة فينسخون منها<sup>(٤٨)</sup> وكان عبد الأعلى بن عامر الثعلبي يحدث أحاديث يقول عنها سفيان الثوري: «كنا نرى أنها من كتاب»<sup>(٤٩)</sup>، ويقول يحيى بن سعيد القطان عن أحاديث سمرة: «سمعنا أنها من كتاب»<sup>(٥٠)</sup>.

وفي ازدياد تقدير العلماء للتدوين يروى عن ابن حنبل أنه قال: حدثونا، قوم من حفظهم وقوم من كتبهم، فكان الذين حدثونا من كتبهم أتقن»<sup>(٥١)</sup>، ويروى عن معاوية بن قرة أنه قال: «من لم يكتب العلم لم يعد علمه علماً»<sup>(٥٢)</sup>، وقال ابن أبي شيبة: «من لم يكتب عشرين ألف حديث إملاء لم يعد صاحب حديث»<sup>(٥٣)</sup>.

وقد قال الشعبي «الكتابة قيد العلم»، وكان مالك بن انس يوصي خالد بن خدّاش بكتابة العلم عند أهله، كما كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان: «كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط»<sup>(٥٤)</sup>.

وذكر الرامهرمزي عدداً من المحدثين الذين اخطؤوا في التحديث، ثم اصلحوا خطأهم بعد الرجوع الى الكتب، ومما ذكره: أن يحيى بن سعيد ظل ست عشرة سنة يحدث أن ابن عمر كان يجمع بين المغرب والعشاء إذا جدَّ به السير قبل ما يغيب الشفق، ثم نظرت في كتابي فاذا هو: بعدما يغيب الشفق»<sup>(٥٥)</sup>. وكان محمد بن عمر يصبر على مستمعيه أن يكتبوا ويقول: «لا والله لا أحدثكم حتى تكتبوه، أخاف أن تغلطوا علي»<sup>(٥٦)</sup>. ويذكر مروان بن محمد الدمشقي (ت ٢١٠هـ): «لا غنى لصاحب الحديث

(٤٦) المحدث الفاضل ٣٧، تقييد العلم ١٠١.

(٤٧) جامع بيان العلم ٧٦/١.

(٤٨) تقييد العلم ١٠٥.

(٤٩) طبقات ابن سعد ٢٣٣/٦.

(٥٠) طبقات ابن سعد ١١٥/٥.

(٥١) تقييد العلم ١١٢.

(٥٢) المحدث الفاضل ٣٧٢ جامع بيان العلم ٧٤/١ تقييد العلم ١٠٩.

(٥٣) المحدث الفاضل ٣٧٧.

(٥٤) جامع بيان العلم ٧٥/١.

(٥٥) المحدث الفاضل ٣٨٨.

(٥٦) المحدث الفاضل ٣٨٩ وانظر ايضاً: الكفاية في علم الرواية للخطيب ١٤٦.



عن صدق وحفظ وصحة كتب ، فاذا أخطأته واحدة وكانت فيه واحدة لم تضره ، إن لم يكن حفظ رجع الى الصدق وكتبه صحيحة لم يضره أن يحفظ » (٥٧)

إن كثيراً من هذا التدوين كان ملاحظات شخصية غرضها تذكير المدون بالعلم ومساعدته ، على الحفظ ، ثم تطور ذلك الى تدوين المعرفة لإفادة الآخرين منها .

وقد ذكرت المصادر أسماء عدد ممن عني بالكتابة والتدوين ، ووصفت كتاباتهم بأنها « كتب » ، وعدت بعض المحدثين كل من أشارت المصادر الى انه دون كتابة ، وأوردت آراءه أنه « مؤلف كتب » . وبذلك تعددت اسماء العلماء من صدر الإسلام ممن عد مؤلفاً للكتب . من أبرز هؤلاء المحدثين في هذا المضمار هو الأستاذ فؤاد سزكين الذي اندفع بحماسة يرد على جولدزيهر لإظهار أن تأليف الكتب كان مبكراً ، فذكر عدداً من علماء التفسير والحديث وعدّهم « مؤلفين » واعتمد في ذلك على كتب متأخرة تنسب الى هؤلاء العلماء « كتباً » أو « مقتبسات » (٥٨) علماً بأن الكتب المتأخرة لم تسم الكتب التي ألفها الأولون ، وأنها في كثير من الأحيان لم تذكر أن لهم مؤلفات .

ومن الصعب التمييز بين الكتب والمدونات الشخصية ، أي المعلومات والأفكار التي سجلها أصحابها للاستدكار وليس للاستعمال العام ، ومن المحتمل أن كثيراً من الكتب الأولى كانت مدونات شخصية غير منظمة دونها صاحبها ، أو أحد مستمعي محاضراته ، فاستفاد منها معاصروه ومن تلاهم وسموها كتباً ، ولا يبعد أن يكون بعضها مؤلفات متأخرة نسبها مؤلفوها الى المشهورين من المتقدمين ضماناً لرواج أفكارها .

ثم إنه لا يوجد حد مقرر لحجم الكتاب . فالكتاب هو في الأصل المكتوب بصرف النظر عن محتواه أو حجمه ؛ فرسائل الرسول (ص) والخلفاء كانت تسمى كتباً ، علماً بأنها كانت مختلفة في حجمها ، إذ أن بعضها لم يزد على بضع كلمات أو أسطر ، وبعضها قد يتجاوز مئة سطر ، وفي بعض هذه الكتب أو الرسائل ما يدل

(٥٧) المحدث الفاصل ٤٠٥ - ٦ .

(٥٨) تاريخ التراث العربي ٢٢٥/١ فما بعدها .

على زمن تدوينها ، كأن تكون لكتابتها علاقة بحادثة معروف تأريخها ، أو أن يدون عليها تاريخ الكتابة ، بعد أن أقر استعمال التقويم الهجري ، ويذكر في بعض هذه الكتب اسم الخليفة أو الوالي أو المؤلف للكتاب ، غير أن كثيراً من هذه الكتب لا يمكن تحديد زمن كتابته بدقة وضبط ، ويلاحظ أنه لم يصل إلينا من هذه الكتب بشكله الذي دون فيه أول مرة إلا آحاد . أما غالبيتها العظمى فقد وصلت عن طريق روايات المتأخرين لها .

سَمَت المصادر ، وخاصة ابن النديم وفؤاد سزكين ، عدداً ذكرت لهم كتباً ألفوها وتوفوا قبل التاريخ الذي نص عدد من العلماء أنه ظهر فيه التصنيف . وندرج فيما يلي من أشارت إليه المصادر ، علماً بأننا نعتقد أن كثيراً من هذه الاشارات غير دقيق ، وأن كثيراً مما سمي كتباً إن هو إلا روايات دونت للحفظ لا لتكون كتاباً مصنفاً ؛ غير أننا لا ندخل فيما ندرجه مجموعات الاحاديث النبوية الأولى التي ذكرنا من قبل أنها وصلت إلينا منذ زمن الرسول وهي ما كتبه الخليفة أبو بكر وعلي في أسنان الإبل والجراحات ، وصحيفتا عبد الله بن عمرو بن العاص وهمام بن منبه . كذلك لا ندخل كتب الرسول والخلفاء والولاة ، ولا الكتب التي كتبها عروة بن الزبير ، والزهري ، وسعيد بن جبير لبعض الخلفاء في بعض القضايا العلمية أو التاريخية التي طلب هؤلاء الخلفاء الإجابة عنها . وكذلك لا نتطرق الى ما كتب ودون للخلفاء من الشعر . فان هذه الكتابات وإن كانت « كتباً » أو « نواة كتب » ، إنما كتبت للحكام استجابة لطلبهم ، مما يجعل لتدوينها ظروفاً خاصة ، ويربطها بالحكام ، في حين أن بحثنا يركز على الحركة الفكرية عند الناس عامة دون الحكام الذين لهم ظروف خاصة وقدرات كبيرة قد لا تتوافر للناس .

ذكر ابن النديم عن أبي الحسن الكوفي : أن « أول من ألف في المثالب كتاباً زياد بن أبيه ، فانه لما طعن عليه وعلى نسبه ، عمل ذلك ودفعه الى ولده ، وقال : استظهِروا به على العرب فانهم يكفون عنكم » <sup>(٥٩)</sup> غير أنه لم ترد في الكتب الأخرى اشارة إلى هذا الكتاب ولا نقل عنه .

(٥٩) الفهرست ١٠١ .



وذكر حاجي خليفة أن وهب بن منبه جمع المغازي<sup>(٦٠)</sup>، وقد كشفت في هيدلبرج قطعة من السيرة منسوبة الى وهب ترجع الى سنة ٢٢٨ ، غير انه لا يمكن الجزم فيما إذا كانت هذه القطعة هي في الأصل مما كتبه وهب ، أم أنها من مروياته التي دونت بعده باكثر من مئة سنة ، إذ أن هذه القطعة تبدأ بهذا الإسناد: « اخبرنا محمد بن أبي بكر أبو طلحة ، ثنا عبد المنعم ، عن ابيه ، عن أبي الياس ، عن وهب »<sup>(٦١)</sup>.  
ويذكر ياقوت الحموي أن وهب بن منبه ألّف كتاب الملوك المتوّجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم<sup>(٦٢)</sup>، غير ان كرنكو يشك في ذلك ، لأن كتاب التيجان من ملوك حمير المطبوع في حيدر آباد هو من رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام<sup>(٦٣)</sup>.

وقد وصل إلينا كتاب عنوانه « أخبار عبيد بن شريّة »، وكان عبيد مقرباً من معاوية، وكان يروي له الاخبار، ونسب ابن النديم اليه كتابي الأمثال، والملوك الماضين<sup>(٦٤)</sup>، ويذكر ابن النديم أيضاً أن: « علاقة بن كثرّم له كتاب الأمثال نحو خمسين ورقة رأيته »، وأن « صحار العبدى له كتاب في الأمثال »<sup>(٦٥)</sup>.

وورد ذكر لصحيفة سويد بن الصامت وفيها حكمة لقمان<sup>(٦٦)</sup>.  
وذكر أبو عبيد أن « دغفلاً كان يكتب الأنساب ويدونها في الصحف »<sup>(٦٧)</sup> غير أن ابن النديم يقول أن دغفلاً « لا مصنف له »<sup>(٦٨)</sup>.  
ذكر ابن النديم في كلامه على الكتب المصنفة في تفسير القرآن الكريم « كتاب ابن عباس رواه مجاهد ، ورواه عن مجاهد حميد بن قيس ، وورقاء عن أبي

(٦٠) كشف الظنون ( رقم ١٢٤٦٤ ) .

(٦١) هوروفتر : المغازى الأولى ومؤلفوها ص ٣٤ - ٣٥ ترجمة حسين نصار .

(٦٢) ارشاد الاريب ٢٣٢/٦ .

(٦٣) انظر مقال كرنكو في مجلة الثقافة الاسلامية سنة ١٩٢٨ .

(٦٤) الفهرست ١٠٢ .

(٦٥) الفهرست ١٠٢ .

(٦٦) السيرة النبوية لابن هشام ٦٨/٢ الفائق ٢٠٦/١ .

(٦٧) النقائض ١٨٩/١ .

(٦٨) الفهرست ١٠١ .

نجيح عن مجاهد ، وعيسى بن ميمون عن ابي نجيح عن مجاهد « كما ذكر » كتاب تفسير عكرمة عن ابن عباس<sup>(٦٩)</sup> و « كتاب عكرمة عن ابن عباس » في نزول القرآن<sup>(٧٠)</sup> و « كتاب احكام القرآن للكلبي رواه عن ابن عباس »<sup>(٧١)</sup> .

وذكر ابن حنبل « أن في مصر تفسيراً عن ابن عباس رواه علي بن أبي طلحة ، وليس بكثير ان يرحل الى مصر من أجله »<sup>(٧٢)</sup>

ويروي ابن سعد بسند أن « موسى بن عقبة قال : وضع عندنا كريب حمل بعير ، أو عدل بعير ، من كتب ابن عباس ، قال فكان علي بن عبدالله بن عباس إذا اراد الكتاب كتب اليه : ابعث إلي بصحيفة كذا وكذا ، قال فينسخها فيبعث إليه باجدها »<sup>(٧٣)</sup> غير أن موسى بن عقبة لم يحدد فيما اذا كانت كتب ابن عباس هي مما ألفه او مما امتلكه كما انه لا يذكر مواضعها ، اي فيما اذا كانت في التفسير أم في علوم اخرى . ومن المعلوم أن لابن عباس مكانة متميزة في علم تفسير القرآن ، وقد نقل عنه كثير من المعتمدين المتأخرين كالبخاري والطبري<sup>(٧٤)</sup>

وقد طبعت عدة كتب بعنوان تفسير ابن عباس<sup>(٧٥)</sup> وذكرت بعض المصادر لابن عباس كتباً اخرى<sup>(٧٦)</sup> . غير أن إشارات أخرى تدل على أنه لم يخلف كتباً ، فيروي الخطيب أن ابن عباس قال « إنا لا نكتب في الصحف إلا الرسائل والقرآن »<sup>(٧٧)</sup> ويروي السيوطي عن ابن عبدالحكم أنه قال « سمعت الشافعي يقول : لم يثبت عن ابن عباس من تفسير الاشبيه بمائة حديث »<sup>(٧٨)</sup>

(٦٩) الفهرست ٣٦ .

(٧٠) الفهرست ٤٠ .

(٧١) الفهرست ٤١ .

(٧٢) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٢٣/٢ .

(٧٣) طبقات ابن سعد ٢١٦/٥ .

(٧٤) انظر المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن لجولدزيهر ص ٨٣ فما بعد ترجمة محمد يوسف موسى ؛ التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي ٦٥/١ فما بعد .

(٧٥) انظر عنها تاريخ الادب العربي لبروكلمان ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار

(٧٦) انظر عنها تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ١٨/١ - ٢٣ الترجمة العربية ، الطبعة الأولى

(٧٧) تقييد العلم ٤٣ .

(٧٨) الاتقان في علوم القرآن ١٨٩/٢

يروى ابن سعد أن سعيد بن جبير قال « ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى املأها ، وكتبت في نعلي حتى املأها ، وكتبت في كفي ، وربما أتيت فلم أكتب حديثاً حتى أرجع ، لا يسأله أحد عن شيء » ، وأنه قال « كنت آتي ابن عباس فأكتب عنه » وقال أيضاً انه « كان يسأل ابن عباس قبل ان يعمرى ، فلم يستطع ان يكتب معه ، فلما عمى ابن عباس كتب ، فبلغه ذلك ، فغضب »<sup>(٧٩)</sup> ويبدو أن هذه الكتابة في التفسير ، لان ابن سعد يروي « كان سعيد بن جبير يكره كتاب الحديث »<sup>(٨٠)</sup> ويروي ابن سعد عن ورقاء بن اياس قوله « رأيت عزرة يختلف الى سعيد بن جبير معه التفسير من كتاب ، ومعه الدواة يغير »<sup>(٨١)</sup> .

ويفهم من النصين الاولين ان سعيد بن جبير كان يدون معلومات من أقوال ابن عباس في التفسير ، ولعل المقصود بالكتاب الذي فيه التفسير هو الملاحظات المدونة ، وانها ليست من تأليف سعيد بن جبير ؛ وما يؤيد ذلك ما رواه ابن خلكان أن رجلاً « سأل سعيد بن جبير ان يكتب له تفسير القرآن فغضب وقال : لأن يسقط شقى أحب إلى من ذلك »<sup>(٨٢)</sup> .

يذكر ابن النديم في الفصائل الذي دونه عن كتب التفسير « تفسير الحسن بن ابي الحسن »<sup>(٨٣)</sup> ويذكر ابن خلكان أن عمرو بن عبيد له كتاب التفسير عن الحسن البصري<sup>(٨٤)</sup> ؛ ويروي ابن سعد عن حميد الطويل أنه أخذ كتب الحسن فنسخها وردّها اليه<sup>(٨٥)</sup> ويروي ابن سعد أيضاً عن سهل بن حصين أنه قال « بعثت الى الحسن بن ابي الحسن : ابعث اليّ بكتب أبيك ، فبعثت إليّ انه لما ثقل قال اجمعها لي ، فجمعتها له ، وما ندري ما يصنع بها ، فأتيته بها ، فقال للخادم استجري التنور ،

(٧٩) الطبقات لابن سعد ١٧٩/٦

(٨٠) كذلك ١٧٩/٦ .

(٨١) كذلك ١٨٦/٦ .

(٨٢) وفيات الاعيان في ترجمة سعيد بن جبير

(٨٣) الفهرست ٣٦ .

(٨٤) وفيات الاعيان ( في ترجمة عمرو بن عبيد ) ، وانظر سزكين ١٨٧/١ .

(٨٥) الطبقات لابن سعد ٧ - ١٧/١

(٨٦) كذلك ٧ - ١٢٧/١ .

ثم أمر بها فأحرقت غير صحيفة واحدة ، فبعثها إلى ، ثم لقيته بعد ذلك فاخبرنيه مشافهة بمثل الذي أخبر به الرسول (٨٦) .

يتبين من النص الثاني أن الحسن البصري كتب كتاباً في التفسير ، ومن النص الثالث أن كتابه في التفسير أحرق بعد وفاته ، غير أن النص الأول يظهر إن عمرو بن عبيد نقل من كتاب التفسير للحسن ؛ ويمكن التوفيق بين هذه الروايات بالقول إن الحسن ألف كتاباً في التفسير ، وإن الكتاب أحرق قبيل وفاته فلم يعد له وجود ، ولكن المعلومات التي احتواها تسربت إلى الناس عن طريق الروايات أو تدوين الملاحظات . وقد وصلتنا للحسن البصري الرسالة التي وجهها إلى الخليفة عبد الملك بن مروان (٨٧) .

ولا ريب في أن دراسة القرآن الكريم وتفسيره وما يتصل به حظى باهتمام كبير منذ القرن الأول ، وقد ذكر ابن النديم في الفهرست عدداً كبيراً ممن درس وألف في عدد من المواضيع المتصلة بالقرآن الكريم ، غير أنه لم يذكر سني وفاة كثير من هؤلاء العلماء أو أسماء كتبهم ؛ ولا ريب في أن عدداً منهم توفي بعد سنة ٢٠٠ هـ ، وهي السنة التي نتخذها أقصى حد زمني لدراستنا الحالية .

وقد ذكر الأستاذ فؤاد سزكين عدداً من المفسرين الأولين وذكر أسماء كتبهم (٨٨) وهم :

١ مجاهد المكي ( ت ١٠٤ هـ ) وتوجد من تفسيره نسخة مخطوطة في القاهرة كتبت سنة ٥٤٤ هـ .

٢ الضحاك بن مزاحم الهلالي ( ت ١٠٥ هـ ) بقيت من تفسيره نقول .

٣ عطية بن سعد العوفي ( ت ١١١ هـ ) نقل عنه الطبري ، وحصل الخطيب في دمشق على حق روايته .

٤ عطاء ( ت ١١٤ هـ ) نقل الطبري من تفسيره

٥ قتاده بن دعامة السدوسي ( ت ١١٨ هـ ) له عدة كتب منها : الناسخ والمنسوخ ، المناسك ، عواشر القرآن ، التفسير .

---

(٨٧) مجلة الاسلام (بالألمانية) ٢٢م سنة ١٩٣٣ وانظر ايضاً عنها : الحسن البصري للاستاذ احسان عباس ١٧٢ فما بعدها .

(٨٨) تاريخ التراث العربي : ١/١٨٥ فما بعدها .

ومن المواضيع التي حظيت بالاهتمام سيرة الرسول (ص). وقد ذكرت بعض المصادر أن عدداً من علماء صدر الاسلام ألفوا فيها كتباً ؛ ومن أول من ذكرت له بعض المصادر تأليفاً في السيرة هو عروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ) الذي يذكر حاجي خليفة انه « أول من صنف في المغازي »<sup>(٨٩)</sup> ، ويروي ابن سعد عن هشام ابن عروة بن الزبير ، أنه قال « أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له ، فكان يقول بعد ذلك : لأن تكون عندي أحب اليّ من ان يكون لي مثل أهلي ومالي »<sup>(٩٠)</sup> إن هذا النص يذكر كتب فقه عند عروة ، ولكنه لا يصرح باسم مؤلفها ، أو فيما اذا كانت مجرد ملاحظات مدونة أو أنها كانت كتباً بالمعنى المفهوم عندنا ، هذا فضلاً عن أنه ينص على أن هذه الكتب أحرقت. وقد نقل الطبري أجوبة كتبها عروة عن أسئلة كان الخليفة عبد الملك بن مروان قد وجهها اليه<sup>(٩١)</sup> ؛ فهي من قبيل المدونات والرسائل ، وليست كتاباً ، والواقع أنه لم يذكر أحد من الأقدمين أن عروة ألف كتاباً .

ومن ذكرت المصادر تأليفهم كتباً في السيرة هو محمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٤) ، وهو عالم من قریش كانت له صلة وثيقة بالخلفاء الامويين ، فيروي ابن عبد البر « كان أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب »<sup>(٩٢)</sup> ويقول أيضاً أن الزهري قال « أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترًا ، فبعثت إلى كل أرض عليها سلطان دفترًا »<sup>(٩٣)</sup> ؛ ويروي عنه انه قال « كنا نكره كتاب العلم حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء ، فرأينا ألاّ نمنعه أحداً من الناس »<sup>(٩٤)</sup> ، ويروي أن زوجته كانت تقول أن كتبه كانت أشد عليها من ثلاث ضرائر »<sup>(٩٥)</sup> ، ويلاحظ أن النصين الأولين لا يذكران عدد ما ألف من

(٨٩) كشف الظنون ٦٤٦/٥ ، وانظر : المغازي الاوّل ومؤلفوها ليويسف هوروفتزر ص ٢٠ فما بعد .

(٩٠) ابن سعد ١٣١/٥ ، جامع بيان العلم وفضله ٧٥/١ .

(٩١) نقل منها الطبري في تاريخه وأشار في بعض نقله الى انها ما كتبه عروة لعبد الملك . انظر تاريخ الطبري

١٧٧٠، ١٦٧٠، ١٦٣٦، ١٦٩٥، ١٦٣٤، ١٢٨٤، ١٢٣٤، ١٢٢٤، ١١٨٠/١

(٩٢) جامع بيان العلم ٧٣/١ ، ٧٦ .

(٩٣) جامع بيان العلم ٧٦/١ .

(٩٤) ابن سعد ٢ - ١٣٥/٢ ، جامع بيان العلم ٧٦/١ .

(٩٥) وفيات الاعيان لابن خلكان في ترجمة محمد بن مسلم بن شهاب الزهري .

كتب ، اما النص الثالث فلا يحدد ما إذا كانت الكتب التي اغاضت زوجته هي من تأليفه أم مما يمتلكه .

ذكر إسحق بن راشد أنه مر بيت المقدس فوجد كتاباً للزهري <sup>(٩٦)</sup> ونقل الطبري عن الزهري معلومات عن اسنان الخلفاء <sup>(٩٧)</sup> ؛ ويرى الدكتور عبدالعزيز الدوري ان المقتطفات التي وصلتنا عن الزهري تظهر أنه هو الذي صاغ سيرة الرسول (ص) بالشكل الذي نجده عند ابن اسحق <sup>(٩٨)</sup> ؛ غير أنه من الصعب الجزم بأن المعلومات التي نقلها الرواة عن الزهري في سيرة الرسول (ص) مقتبسة من كتبه ام من روايته ، علماً بان بعض الكتب تذكر انه لم يكن للزهري كتاب الا كتاب نسب قومه <sup>(٩٩)</sup> .

ومن المعنيين البارزين الاولين في كتابة السيرة هو موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ) ، وكان من الموثقين في كتابة السيرة ، فقد ذكر ابن معين « كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من اصح الكتب <sup>(١٠٠)</sup> » ؛ وكان مالك بن انس يوثقه في السيرة <sup>(١٠١)</sup> . وقد اقتبس منه عدد من مؤلفي السيرة ، وقد كشفت قطعة من كتابه في السيرة وطبعت مع ترجمة المانية سنة ١٩٠٤ <sup>(١٠٢)</sup> .

اما الشعر والادب ، فهناك من المواضيع التي حظيت باهتمام العرب منذ الأزمنة السابقة للإسلام ؛ وقد عنوا بتسجيلها منذ عهد المناذرة <sup>(١٠٣)</sup> ؛ ولا بد ان عنايتهم بها استمرت بعد الاسلام ، وكان بعض الخلفاء الامويين يوليها عناية خاصة ، ويروي ابن النديم « قرأت بخط ابي عبدالله بن مقلة : قال ابو العباس ثعلب : جمع ديوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها ، الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ورد الديوان

(٩٦) معرفة علوم الحديث للنيسابوري ١١٠ .

(٩٧) تاريخ الطبري ٤٢٨/٢ ، ١٢٦٩ .

(٩٨) « مؤرخوا الشرق الأوسط » أشرف على طبعه برنارد لويس وهولت ص ٤٦ ( بالانكليزية ) .

(٩٩) المحدث الفاصل ٣٨٦ الاغاني ٥٩/١٩ .

(١٠٠) التهذيب لابن حجر ٣٦٤ .

(١٠١) كذلك ٣٦٢ .

(١٠٢) انظر : المغازي الاولى ومؤلفوها ٦٩ فما بعد

(١٠٣) انظر الخصائص لابن جني ٣٩٢/١ ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٣٣ وانظر التفاصيل القيمة في كتاب مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الاسد .



الى حماد وجناد» (١٠٤) ويبدو ان هذا الديوان مجموعة غير منسقة لان ابن النديم يذكر « ولم نر لحماذ كتاباً ، وانما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب بعده » ، علماً بأن ابن النديم يذكر أن حماداً توفي سنة ١٥٦ (١٠٥)

## ( ٢ )

### ظهور التصنيف

#### تنظيم الكتب ونموها

يتبين من مجمل ما ذكرنا أن الحركة الفكرية نشطت منذ العهود الاسلامية الاولى ، غير أنها كانت تعتمد على الرواية والسماع والاتصال الشخصي ، ثم بدأ التدوين محدوداً وشخصياً لمساعدة الذاكرة في ضبط المعلومات ، وتدرّج التدوين فلم يعد شخصياً ، بل أصبح المدوّن يستعمله اشخاص غير المدوّن نفسه ، وتطور ذلك الى كتابة الكتب ، وكانت في عدة مواضع ، ولكن عددها محدود جداً ، ولم يصلنا منها واحد بالشكل الذي كتب فيه ، ولكن وصلتنا نقول ومقتبسات عن كثير منها ؛ ولذلك لا نستطيع الجزم بحجمها أو بتبويبها . ويلاحظ أن « الكتاب في اللغة اسم لما كتب مجموعاً » (١٠٦) بصرف النظر عن حجمه . والواقع أن كلمة الكتاب قد استعملت بهذا المعنى العام لوصف المدونات بصرف النظر عن مقدار المكتوب فيها ؛ فاطلقت على ما كتبه الرسول (ص) والخلفاء بصرف النظر عن حجمها ، فهي اقرب الى ما نسميه اليوم « رسالة » ثم اصبحت كلمة الكتاب تطلق حصراً على مجموعة المعلومات المدونة مجتمعة ولها حجم معين ، غير أنه لم توجد قاعدة ثابتة لتحديد حجم ما يسمى « كتاباً » ، فهي قد تتكون من صفحات قليلة ، او من مئات الصفحات . وقد ذكر ابن النديم عدد اوراق بعض الكتب ، فكان منها ما لا يزيد على عشرين صفحة ، ومنها ما يتجاوز الالف صحيفة .

(١٠٤) الفهرست ١٠٣ وانظر عن عناية الوليد بن يزيد بالكتب: ابن سعد ٢ - ٣٦/٢ .

(١٠٥) الفهرست ١٠٤ ؛ وقد جهد الدكتور ناصر الدين الاسد في اثبات خطأ نص ابن النديم ؛ ولكن يجدر ان نلاحظ انه لم ينكر احد وجود التدوين في وقت مبكر ؛ اما ما ظهر متأخراً فهو « التصنيف » اي الكتب المنسقة .

(١٠٦) لسان العرب ١٩٢/٢ .

وكان تيسير استعمال الكتاب الكبير يتطلب تنظيم معلوماتها وتصنيفها وتقسيمها .  
وقد حددت عدة مصادر زمن ظهور التصنيف ، وهو يرجع الى اواسط القرن الثاني  
الهجري ، وقبل ان نورد ما ذكرته المصادر في هذا الأمر لابد ان نذكر ان التصنيف  
يجب ان يسبقه ظهور المدونات الكبيرة الواسعة التفاصيل ، وكذلك استقرار الرضى عن  
التدوين واعتماد الناس على الكتب في النشاط الفكري والدراسة .

يقول أبو طالب المكي « كره كتب الحديث الطبقة الأولى من التابعين ، فكانوا  
يقولون : احفظوا كما نحفظ ، وأجاز ذلك من بعدهم ، وما حدث التصنيف الا بعد  
موت الحسن ( ت ١١٠ ) وابن المسيب ( ت ١٠٥ ) »<sup>(١٠٧)</sup> ويقول ابن النديم عن حماد الراوية  
( ت ١٥٦ ) « وانما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب بعده »<sup>(١٠٨)</sup> .

يروى الخطيب عن عبدالله بن احمد بن حنبل « قلت لأبي من أول من صنف  
الكتب ؟ قال ابن جريج ( ت ١٥١ ) وابن أبي عروبة ( ت ١٥٨ ) »<sup>(١٠٩)</sup> ، ويروي الذهبي  
عن ابن حنبل قوله أن ابن جريج « كان من أوعية العلم ، وهو وابن أبي عروبة أول  
من صنف الكتب »<sup>(١١٠)</sup> ، وهو يروي في مكان آخر من كتابه أن « حماد بن سلمة  
( ت ١٦٨ ) هو أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة »<sup>(١١١)</sup> ويذكر أيضاً أن  
« سعيد بن أبي عروبة هو أول من صنف الأبواب بالبصرة »<sup>(١١٢)</sup> ؛ غير أن الذهبي  
يذكر أن ابن داود ذكر أنه « لم يكن لحماذ بن سلمة كتاب الا كتاب قيس بن سعيد »<sup>(١١٣)</sup>  
وأن أحمد بن حنبل قال إن سعيد بن أبي عروبة « لم يكن له كتاب ، إنما كان  
يحفظ »<sup>(١١٤)</sup> .

وقد ذكر كل من علي بن المديني والرامهرمزي معلومات اوسع : فقد ذكر علي بن

(١٠٧) قوت القلوب ١/١٥١ .

(١٠٨) الفهرست ١٠٤ .

(١٠٩) تاريخ بغداد للخطيب ١٠/٤٠١ .

(١١٠) تذكرة الحفاظ ١/١٦٩ .

(١١١) تذكرة الحفاظ ١/٢٠٣ .

(١١٢) تذكرة الحفاظ ١/١٧٧ .

(١١٣) تذكرة الحفاظ ١/٢٠٣ .

(١١٤) تذكرة الحفاظ ١/١٧٧ .



المديني « نظرت فاذا الإسناد يدور على ستة ، يعني معظم الصحاح : فلاهل المدينة ابن شهاب ( ت ١٢٤ ) ، ولاهل مكة عمرو بن دينار ( ت ١٢٦ ) ، ولاهل البصرة قتادة ( ت ١١٧ ) ويحيى بن أبي كثير ( ت ١٣٢ ) ، ولاهل الكوفة أبو إسحق ( ت ١٢٧ ) والأعشى ( ت ١٤٨ )

ثم صار علم هؤلاء الستة الى اصحاب الأصناف ممن صنف .

فلاهل المدينة : مالك بن أنس ( ت ١٧٩ ) وابن إسحق ( ت ١٥١ ) ومن أهل مكة : عبدالله بن عبدالعزيز بن جريج ( ت ١٥١ ) وسفيان بن عيينة ( ت ١٩٨ ) ومن اهل البصرة سعيد بن أبي عروبة ( ت ١٥٨ ) وحماة بن سلمة ( ت ١٦٨ ) وأبو عوانة ( ت ١٧٥ ) وشعبة ابن الحجاج ( ت ١٦٠ ) ومعم ( ت ١٥٤ ) ومن أهل الكوفة سفيان بن سعيد الثوري ( ت ١٦١ ) ومن أهل الشام عبدالرحمن بن عمر الأوزاعي ( ت ١٥١ ) ومن أهل واسط هشيم بن بشير ( ت ١٨٣ ) ( ١١٥ ) .

وقال الرامهرمزي في أول الفصل الذي عنوانه « المصنفون من رواة الأمصار » :  
« أول من صنف وبوّب فيما أعلم :

الربيع بن صبيح ( ت ١٦٠ ) بالبصرة ، ثم سعيد بن أبي عروبة ( ت ١٥٧ ) بها ، وخالد بن جميل الذي يقال له العبد ( ت ؟ ) ، ومعم بن راشد ( ت ١٥٣ ) باليمن ، وابن جريج ( ت ١٥٠ ) بمكة .

ثم سفيان الثوري ( ١٦١ ) بالكوفة ( وحماة بن سلمة ( ت ١٦٨ ) بالبصرة ، وصنف سفيان بن عيينة ( ت ١٩٨ ) بمكة .

والوليد بن مسلم ( ت ١٩٤ ) بالشام .

وجريير بن عبد الحميد ( ت ١٨٨ ) بالري .

وعبدالله بن المبارك ( ت ١٨١ ) بمر وخراسان .

وهشيم بن بشير ( ت ١٨٣ أو ١٨٨ ) بواسط .

( ١١٥ ) كتاب العلل لعلي بن المديني ٣٩ - ٤٢ ؛ المحدث الفاصل للرامهرمزي فقرة ٦١٦ - ٦١٨ ؛  
تقدمة الجرح والتعديل للرازي ١٧ ، ١٢٩ ؛ تاريخ بغداد للخطيب ٤٠١/١٠ ؛ تذكرة الحفاظ

وصنف في هذا العصر بالكوفة ابن أبي زائدة ( ت ١٤٩ ) وابن فضيل ووكيع ( ت ١٩٧ ) .

ثم صنف عبدالرزاق ( ت ٢١١ ) باليمن ، وأبو قرّة بن طارق ( ت ٢٠٣ ) وتفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة ( ت ٢٣٥ ) بتكثير الابواب (١١٦) .

وقد ذكر كل من المدني والرامهرمزي سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة الذين ذكرهما ابن حنبل .

وقد انفرد ابن المدني بذكر مالك بن انس ، وابن اسحق ( من المدينة ) والأوزاعي ( من الشام ) وأبي عوانة ، وشعبة ( من البصرة ) .

أما الرامهرمزي فينفرد بذكر الربع بن صبيح من البصرة ، وخالد بن جميل من اليمن والوليد بن مسلم من الشام ، وعبدالرزاق وموسى بن طارق من اليمن .

ان كافة من ذكرهم علي بن المدني توفوا قبل انقضاء القرن الثاني الهجري ، وان نصفهم توفي في اوائل النصف الثاني من القرن الثاني ؛ ولا بد انهم قاموا بالتصنيف قبل وفاتهم ، اي في اواخر النصف الاول من القرن الثاني على الاقل .

أما الرامهرمزي فقد رتب المصنفين الأوائل الذين ذكرهم بثلاث مجموعات ، توفي أفراد الأولى في اوائل النصف الثاني من القرن الثاني ، وتوفي أفراد المجموعة الثانية في العقدين الاخيرين من القرن الثاني ، وتوفي افراد المجموعة الثالثة في أوائل القرن الثالث الهجري .

ويذكر الذهبي في كلامه عن الطبقة الخامسة عشرة ، وهي عنده بين سنتي ١٤٣-١٥٣ « وفي هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير ، فصنف ابن جريج التصانيف بمكة .

وصنف سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة

وصنف الأوزاعي بالشام

وصنف مالك الموطأ بالمدينة

وصنّف ابن اسحق المغازي

وصنّف معمر باليمن

وصنّف ابو حنيفة بالكوفة

وصنّف سفيان الثوري كتاب الجامع

ثم بعد يسير صنّف هشيم كتبه .

وصنّف الليث بمصر ،

وابن لهيعة

ثم ابن المبارك

وابو يوسف

وابن وهب (١١٧)

ولما كان كل من ابن المديني والرامهرمزي معيّنين بعلم الحديث وأهله ، فان قائمتيهما قصرت على المحدثين فحسب ، أما الذهبي فمع أن عنوان كتابه يدل على أن بحثه منحصر بالحفاظ ، إلا أن إهتمامه كان مركزاً بالدرجة الاولى على أهل الحديث منهم ، ولذلك نعتبر معلوماته مكملة لهما . اما ابن النديم فكان إهتمامه واسعاً وشاملاً لمختلف ميادين المعرفة ، ويلاحظ أن ابن النديم اورد ذكر هؤلاء الرجال تحت فصل عنوانه « فقهاء المحدثين » قاصداً في ذلك المهتمين بالحديث والفقه ، وهو بذلك يعبر عن الصلة الوثيقة بين الحديث والفقه ، باعتبار أن الحديث من الدعامات الأساسية للفقه ، وأن الانفصال بين هذين العلمين لم يكن في هذه المرحلة تاماً ؛ وتتجلى هذه الصلة بالاهتمام بالسنن أي ما ينبغي تطبيقه من أحاديث الرسول ، فهي تشمل التطبيقات العملية دون سيرته وشماله وحكمياته التي وان كانت قدوة للمسلمين الا ان بحثها أصبح أكثر اختصاصاً بأهل الحديث ، ولما كان إهتمام ابن النديم في هذا الفصل بالفقهاء والمحدثين ، فان قائمته كانت اوسع حيث شملت رجالاً آخرين لم يذكرهم ابن المديني والرامهرمزي والذهبي ، ثم إن إهتمام ابن النديم بالكتب دفعه الى أن يذكر أسماء مؤلفات هؤلاء العلماء ، يضاف الى ذلك أن كتاب الفهرست لابن النديم شامل لمختلف فروع المعرفة

(١١٧) تذكرة الحفاظ ١/١٦٠ .

وان المعلومات التي اوردها في مواضيع المعرفة لا تناقض الكتب الكثيرة التي اختصت بدراسة علماء فرع من الفروع ؛ ولذلك فقد اعتمدت عليه في تتبع التأليف والتصنيف في المواضيع الأخرى ، ومع ان دراستي في هذه المواضيع الأخرى لا تصل حد الاستيعاب الكامل ، الا أنها تكفي لاعطاء صورة واضحة عن تطور اساليب نشر المعرفة ومجراها الذي لا يختلف كثيراً عن مجرى علمي الحديث والفقه .

قام بالتأليف والتصنيف في مراحل الأولى علماء من عدة أمصار وأقاليم وخاصة من أهل البصرة ، والكوفة ، والمدينة ، ومكة ، واليمن ، والشام ، ومصر ، وقد أمّ عدد منهم بغداد واستوطنوها بعد تأسيسها ، غير أن عدداً منهم لم يعرف عنه أنه استوطن بغداد أو قدمها أو كانت له صلة وثيقة بخلفائها العباسيين . ومع أن بعض العلوم لقيت عناية خاصة في بعض الأمصار دون غيرها ، كالنحو في البصرة والكوفة ثم في بغداد ، الا أن كثيراً من العلوم الأولى ، وخاصة الحديث والفقه والتفسير نشطت دراستها ثم التصنيف فيها في أكثر من مصر واحد ، بل ان بعضها عثم كافة هذه الامصار التي سمّتها البارزة أن سكانها المهيمنين فيها هم العرب المسلمون ، وليس ذوي الثقافة الاغريقية أو الفارسية . فظهور التصنيف في هذه المراكز المتعددة لا بد وانه يرجع الى عوامل اثرها شامل وغير مقصور على منطقة دون غيرها .

لقد ذكرنا من قبل أن أبا طالب المكي ذكر أن التصنيف حدث بعد موت الحسن وابن المسيب<sup>(١١٨)</sup> اي بعد سنة ١١٠ هـ وأن ابن احمد بن حنبل يذكر أن أول ثلاثة مصنفين توفوا بين سنة ١٥١-١٦٨ هـ وان الرامهرمزي وابن النديم والمديني يذكرون المصنفين الأوائل ، واقدمهم توفي حوالي سنة ١٥٠ هـ ؛ وان ما ذكره يوافق ما ذكره الذهبي في تاريخه ، اما ما ذكره في التذكرة فهو اشمل حيث قال في آخر كلامه عن الطبقة الرابعة وهي الثالثة من تابعي التابعين «وشرع الكبار في تدوين السنن وتأليف الفروع وتصنيف العربية ؛ ثم كثر ذلك في أيام الرشيد ( ١٧٠ - ١٩٢ ) وكثرت التصانيف ، والفوا في اللغات ، واخذ حفظ العلماء ينقص ، ودوّنت الكتب واتكلوا عليها ، وانما كان قبل ذلك علم

(١١٨) قوت القلوب ١٥١/١ .

الصحابة والتابعين في الصدور ، فهي كانت خزائن العلم لهم رضي الله عنهم (١١٩) وهو يذكر في تاريخه عن الطبقة الخامسة عشرة وهي التي توفي اهلها بين سنتي ١٤٣ - ١٥٣ أن في زمنها « كثر تدوين العلم وتبويبه ، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وایام الناس ، وقبل هذا العصر كان سائر الائمة يتكلمون عن حفظهم او يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة » (١٢٠)

يتضح من كلام الذهبي ان التدوين شمل السنن ، والفروع ( الفقه ) والعربية ( النحو والصرف ) ، واللغة ، والتاريخ ، والأیام ، ولا ريب في ان التأليف اعتمد على التطور الفكري الواسع الذي حدث في العهود السابقة التي اعتمد فيها العلم على الرواية ، وان التأليف بدأ محدوداً في نطاقه ، ثم اتسع في أيام الرشيد . والواقع أن قائمة أسماء العلماء المتوفين في السنين الاولى من القرن الثالث ، وكلهم ممن نضج في هذه الفترة وكثير منهم ألّف كتباً متعددة ضخمة ، تظهر الازدهار العظيم الذي تجلى في عهد الرشيد ، وتشير الى أحد مبررات اعتبار عصره عصرًا ذهبيًا .

والواقع أن هذه الفترة لا تتميز بالافذاذ فحسب ، بل تتسم أيضاً بالعناية بعلوم مترابطة تكون هيكلًا فكرياً عربياً اسلامياً في اصوله ورجاله ، ومنسجماً بمظاهره ؛ وقد عبّر عن ذلك الذهبي بقوله في وصف هذه الحقبة « وكان في زمان هؤلاء خلائق من اصحاب الحديث ، ومن ائمة المقرئين كورش ، واليزيدي ، والكسائي ، واسماعيل ابن عبيد الله المكي القسط ، وخلق من الفقهاء كفقيه العراق محمد بن الحسن وفقه مصر عبدالرحمن بن القاسم ، وخلق من مشايخ القوم كشقيق البلخي ، وصالح المري الواعظ ، والفضيل المذكور ، والدولة لهرون الرشيد والبرامكة ..

ثم بعدهم اضطربت الامور ، وضعف أمر الدولة بخلافة الأمين رحمه الله ، فلما قتل واستخلف المأمون على رأس المائتين . . وبزغ فجر الكلام ، وعربت حكمة الاوائل ومنطق اليونان ، وعمل رصد الكواكب ، ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ، ولا يوافق توحيد المؤمنين ، وكانت الأمة منه في عافية » (١٢١)

(١١٩) تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٠

(١٢٠) تاريخ الاسلام للذهبي ٥/ ٥ .

(١٢١) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٨ - ٩

ان هذه السعة في الانتاج . والانسجام في البناء الفكري الذي اتسم به النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، تحملنا على اتخاذ مطلع القرن الثالث حداً زمنياً لدراستنا ، فلا ندخل فيها من توفي بعد سنة ٢٠٠ هـ علماً باننا ندرك مدى صعوبة وضع سنة معينة حداً للحقب الفكرية ، حيث ان كل المتوفين في السنوات الاولى من القرن الثالث هم من مظاهر او ثمرات الفترة التي سبقت هذا التاريخ

لا ريب في أن أبرز حدث في هذه الفترة هو تولي العباسيين الخلافة ( ١٣٢ هـ ) ثم تأسيس بغداد واتخاذها دار ملك للعباسيين ( ١٤٥ - ١٤٧ ) ؛ وقد يكون لتولي العباسيين الخلافة وتسيير الدولة اثر في تسريع وتوجيه الحركة الفكرية ، ولكن لا يمكن أن نرجع اليهم وحدهم ظهور التأليف والتصنيف ، لأن اوائل من قاموا به توفوا في اوائل مجيئ العباسيين وقبل ان يتضح اثرهم ، علماً بان الخلفيتين العباسيين الأولين ، وهما أبو العباس والمنصور ( ١٣٢ - ١٥٨ هـ ) اشغلا معظم وقتهما في القضاء على المعارضين المهتدين ، وفي تثبيت دعائم الحكم ، يضاف الى ذلك أن التأليف عمّ أمصاراً واقاليم لم تكن وثيقة الصلة بالخلفاء العباسيين ، كمصر واليمن . لذلك ينبغي ان نبحث في اسباب اخرى ذات اثر مفاجئ وعام في العالم الاسلامي ؛ واقتصر من هذه الاسباب على ذكر أهمية استعمال الورق في هذا الميدان فان أهميته واضحة ، وان هذه « الثورة الثقافية » قد تشير الى أنه بدأ يعم استعماله في هذه الفترة .

لقد ذكرنا من قبل أن الكتاب يتميز عن المدونات الاخرى بما يضم من معلومات كبيرة نسبياً ، وهذا يقتضي تنظيماً وتنسيقاً ييسر الافادة من قراءتها ؛ ولعل هذه السمة هي التي اتسمت بها المؤلفات التي ظهرت منذ اواسط القرن الثاني ووصفها كل من أحمد بن حنبل ، وابن المديني ، والرامهرمزي ، والذهبي .

وقد وصف الرامهرمزي هذا التطور الفكري بأنه « تصنيف وتبويب » فوصف من ذكرهم بأنهم « أول من صنف وبوب » وذكر أنه « تفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شبة بتكثير الأبواب وجودة التأليف وحسن التصنيف » (١٢٢) وذكر الذهبي أن « سعيد ابن أبي عروبة هو أول من صنف الابواب بالبصرة » (١٢٣) ، ويتبين من ذلك أن

(١٢٢) المحدث الفاصل ٨٩٢ .

(١٢٣) تذكرة الحفاظ ١٧٧/١ .



التبويب مرحلة متقدمة من مراحل التصنيف ، أي أن المعلومات لا تنسق فحسب (تُصنّف) وانما تجعل كل مجموعة ذات سمة تربطها ، قائمة بذاتها ، اي باباً خاصاً ويفهم من كلام الرامهرمزي أن التبويب متميز عن التصنيف ، وانه بدأ مبكراً على يد سعيد بن أبي عروبة ، غير أنه كان محدوداً ، وأن أبا بكر بن أبي شيبة تفرد بتكثير الابواب .

لقد كان أمام مؤلفي القرن الثاني الهجري نماذج من التصنيف والتبويب أظهرها الكتب الدينية وهي القرآن الكريم والتوراة . فأما القرآن الكريم فان عدد الكلمات فيه حوالي اثنتين وثمانين ألفاً ، وهو يتكون من مائة واربعة عشر سورة مختلفة الطول ، فبعضها طويلة جداً ، تبلغ عشرات الصفحات ؛ وبعضها قصير لا يتجاوز السطرين ، وكل سورة مكوّنة من عدد من الآيات بعضها مكون من كلمة واحدة ، وبعضها مكون من عدد كبير من الكلمات . وأطول الآيات هي الآية ٢٨١ من سورة البقرة وهي تتكون من اكثر من ٩٥ كلمة ؛ وهو بالإضافة الى ذلك مقسم الى ثلاثين جزءاً ، يتكون كل جزء من أربعة ارباع .

اما التوراة فكانت « خمسة اخماس » ينقسم كل خمس الى سفرين ، وينقسم السفر الى عدة فراسات ، ومعناها السورة ، وتنقسم كل فراسة الى عدة ابسوقات ومعناها الآيات » (١٢٤) .

ومن المحتمل ان العرب عرفوا تنظيم بعض الكتب الاغريقية بنصوصها القديمة او بترجمات السريانية او ترجماتها العربية التي كانت بواكيرها قد حدثت في هذا الوقت ايضاً . غير ان الكتب الاغريقية لا تتوفر لدينا بالشكل الذي كانت فيه عند بدء التصنيف عند العرب ، ومن المعلوم ان الترجمات العربية للكتب الاغريقية اتسعت في القرن الثالث الهجري ، وان كثيراً من هذه الكتب اعيدت او « أصلحت » ترجمتها حتى وصلت شكلها النهائي الذي وصفه ابن النديم في الفهرست والذي وصلنا لبعضها ، وهذا التطور يولد صعوبة في الحكم على ما اذا كانت التقسيمات التي نعرفها عن هذه المؤلفات هي اغريقية أصيلة ، أم من صنع المترجمين الذين ابدعوها او قلدوا الكتب العربية فيها . ونقدم فيما يلي الصورة التي تبدو مما ذكره ابن النديم عنها ، وقد اعتمدنا

في هذا القسم على الطبعة المصرية من الفهرست ، علماً باننا ندرك ان معظم هذه الكتب ظهرت في العربية بعد الفترة التي حددناها لدراستنا الحالية .

سمى ابن النديم غالبية ما ترجم من الاغريقية الى العربية « كتباً » وذكر ان بعض هذه الكتب كانت مكونة من عدة أقسام يسمى كل منها « مقالة » . ويختلف عدد المقالات التي تحتويها هذه الكتب فبعضها مكون من مقالة واحدة ، وبعضها من عدة مقالات . وقد اتبع هذا في كتب متنوعة المواضيع ككتب الطب لروفس ، وفيلفريوس (١٢٥) واوريباسيوس (١٢٦) وأبقراط (١٢٧) وجالينوس (١٢٨) وكتب الفلسفة والطبيعات لأرسطو (١٢٩) ، وكتب الطبيعة والرياضيات لأقليدس ، وارخميدس ، وأبولونيوس ، ومنالوس ، وبطليموس (١٣٠) . غير أن ابن النديم ذكر أن ذوريثوس « له كتاب كبير يحتوي على عدة كتب » (١٣١) .

وقد قسم عدد من الاطباء وعلماء الطبيعة والرياضيات العرب كتبهم الى مقالات ، فقد تكونت من عدة مقالات كتب كل من أبي معشر (١٣٢) وأبى محمد بن رافع (١٣٣) ويوحنا القس (١٣٤) والكوهي (١٣٥) وحنين بن إسحق (١٣٦) وقسطا بن لوقا (١٣٧) ويحيى بن سيرا فيون (١٣٨) والرازي (١٣٩) ومعظم كتب البوزجاني (١٤٠) غير أن عدداً من كتب

- 
- (١٢٥) الفهرست ٤٠٦  
(١٢٦) كذلك ٤٠٧ .  
(١٢٧) كذلك ٤٠١  
(١٢٨) كذلك ٤٠٢  
(١٢٩) كذلك ٣٤٨ - ٣٥٠  
(١٣٠) كذلك ٣٧١  
(١٣١) كذلك ٣٧٥  
(١٣٢) كذلك ٣٨٦  
(١٣٣) كذلك ٣٨٩  
(١٣٤) كذلك ٣٩٣  
(١٣٥) كذلك ٣٩٥  
(١٣٦) كذلك ٣٠٩  
(١٣٧) كذلك ٤١١  
(١٣٨) كذلك ٤١٢  
(١٣٩) كذلك ٤١٦  
(١٤٠) كذلك ٣٩٤



العلوم قسّمت الى فصول . وقسم البوزجاني كتابه في الحساب الى سبع منازل ، وكل منزلة الى ابواب ، وكل باب الى فصول (١٤١).

تحتوي قائمة ابن النديم في الفصل الذي عنوانه « فقهاء المحدثين » على أسماء خمسة وثلاثين ممن توفوا قبل سنة ٢٠٠ هـ ، منهم تسعة آلاف كل منهم كتاباً واحداً ، وتسعة آلاف كل منهم كتابين .

وقد ألف اثنا عشر منهم كتباً عنوان كل منها « السنن » ، وأربعة عنوانها « التفسير » وثلاثة عنوانها « المغازي » واثنان عنوانها « الموطأ » أما بقية الكتب فمعظمها في مواضيع متصلة بالفقه .

وقد فقدت معظم هذه الكتب الأولى ، ولم يبق منها الا مقتطفات او كتب في مواضيع محدودة ، كالكتب التي ألفها ابو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني . والكتاب الفقهي الشامل الوحيد الذي وصلنا كاملاً هو موطأ مالك بن انس ، وهو مكون من مقدمة واربعة وعشرين كتاباً يتراوح طولها بين صفحة واحدة ( كتاب العقيدة وكتاب كراء الارض ) وثلاث وستين صفحة ( كتاب الحج ) وقد نُظِم الموطأ على الترتيب التالي : الصلاة ، الوضوء ، الجنائز ، الزكاة ، الصيام ، الاعتكاف ، الحج ، الجهاد ، النذور ، الصيد ، العقيدة ، الفرائض ، النكاح ، الطلاق ، البيوع ، القراض ، كراء الارض ، الشفعة ، الاقضية ، العتاق والولاء ، المكاتب ، المدبر ، الحدود ، الاشربة ، العقول ، الدعاء للمدينة واهلها . ويشتمل كل كتاب على عدد من الروايات عن الرسول او الصحابة والتابعين فيما عملوه في موضوع الكتاب ؛ فمادته اقرب الى كتب الحديث ، ولكن تنظيمه متصل بميدان المعرفة التي يختص بها الفقه ، ولعلها تعبر عن اهتمامات الناس في ذلك ، وهو تنظيم ظل من حيث المبدأ متبعاً في تنظيم كافة كتب الفقه التالية ، وان كانت أدخلت تعديلات في تفاصيله ، كأن اعيد تنسيق بعض الأبواب وتسلسل تتابعها ، وضيفت فصول اخرى ، واعيد النظر في حجم بعض الاقسام ومقدار ما تحويه من مادة .

---

(١٤١) « ما يحتاج اليه العامل من علم الحساب » ؛ وقد طبعه الدكتور احمد سعيدان بعنوان « علم الحساب العربي »

ولا ادخل في بحثي هذا كتاب المدونة ، وهو كتاب فقهي ضخم وواسع ويضم معلومات واءاء واسعة ، ولكن الأقدمين لم يذكره له ، مما يجزم بان معلوماته من صنف الروايات التي ظلت تتناقل بالسماع حتى دونها بشكلها النهائي الفقيه التونسي اسـدبن الفرات (١٤٢)

كانت سيرة الرسول ومغازيه من أبرز المواضيع التي عني العرب بدراستها وتناقل أخبارها منذ أوائل العصر الأموي ؛ وتم تدوين بعض أخبارها منذ عهد الخليفة عبدالمـلك بن مروان (١٤٣) . وقد وصلتنا قطع من المؤلفات الأولى . غير أن أول كتاب شامل وصلنا هو « سيرة النبي ( ص ) » لمحمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥٠ هـ . والنسخة الشائعة الاستعمال حتى اليوم هي التي وصلتنا برواية زياد بن عبدالله البكائي كما عدلها محمد بن عبدالمـلك بن هشام الذي اختصر بعض ما فيها ، وخاصة في اقسامها الأولى ، كما أضاف اليها بعض القصائد ، وأشار الى بعض الأشعار غير الموثقة فيها ؛ والواقع أنه توجد روايات أخرى لسيرة بن إسحق تبلغ قرابة الأربعين (١٤٤) .

وكتاب « سيرة النبي ( ص ) » كما وصلتنا عن طريق ابن هشام مقسمة الى ثلاثة اقسام هي : المبتدأ ، والمبعث ، والمغازي . ويبدو أن ابن هشام لم يبدل في اختصاره هيكل الكتاب الذي ظل المعتمد الأساسي لمن جاء بعده حيث ظل الكتاب في السيرة يتابعون تنظيمه ويعتمدون على معلوماته مع بعض الاضافات أو الاختصارات وتباين صياغة العبارات ، وبالرغم من ان ابن اسحق أغفل جوانب مهمة من سيرة الرسول ( ص ) واعماله كنشر الدين وتوضيح العقيدة ، واعادة التوجيه الفكري والعقائدي ، وتثبيت وحدة الامة .

وقد ألف في فترة التصنيف التي نبحثها في هذا المقال ، عدد من العلماء في المغازي وسيرة الرسول (١٤٥) ؛ ولكن ابن ابي عدي لم يكن مخطئاً عندما قال « والذي تقرر عليه

(١٤٢) انظر في ذلك كتاب « مالك » للاستاذ امين الخولي ، وخاصة ص ٧٦١ - ٧٦٤

(١٤٣) انظر البحث الشامل الذي كتبه هوروفتز « المغازي الاولى ومؤلفوها » ترجمة حسين نصار ، وفيه عرض شامل لمن ساهم في تأليفها حتى اوائل القرن الثالث الهجري . وانظر ايضاً الفصل الذي كتبه

الدكتور عبدالعزيز الدوري عن تطور كتابة السيرة في كتاب « مؤرخو الشرق الأوسط »

(١٤٤) انظر المقدمة التي كتبها الفرد جيوم لترجمته التي نشرها للسيرة بالانكليزية .

(١٤٥) انظر عنهم الجدول رقم (٢) الملحق بهذا المقال

العمل ان ابن اسحق اليه المرجع في المغازي والايام النبوية » (١٤٦) .

ومن المواضيع التي ظلت تلقى العناية في هذه الفترة هو موضوع تفسير القرآن ، الذي بدأ الاهتمام به منذ اوائل العهد الاسلامي ، وتداولته الدراسات ورويت بعض المؤلفات فيه ؛ غير أن من أبرز الكتب المؤلفة فيه والتي وصلتنا هي تفسير مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ ، أي أنه من رجال هذه الحقبة . وقد ذكر الشافعي ان « الناس عيال على مقاتل في التفسير » (١٤٧)

والمفروض أن كتب التفسير تنظم على أساس واحد ، هو متابعة تنظيم السور والآيات القرآنية ؛ غير أنها تختلف في آرائها وفهمها ومعلوماتها الاضافية . والواقع ان التطور المهم الذي بدت مظاهره في هذه الفترة هو تأليف كتب في مواضيع خاصة من القرآن . فقد ألف يونس بن حبيب (ت ١٨٣) كتاب «معاني القرآن» (١٤٨) كما ألف الكسائي (ت ١٩٧) كتاباً بنفس العنوان (١٤٩) ، وكذلك كتب الرواسي شيخ الكسائي كتاباً بنفس العنوان (١٥٠) . والف مؤرج كتاباً في غريب القرآن (١٥١) .

اما في العربية والشعر والنحو فاننا نختم بحثنا بذكر الافذاذ الثلاثة : الخليل بن احمد (ت ١٧٠) مبدع العروض وواضع اساس المعاجم ، والكسائي الذي برز في عدة علوم عربية ، وسيبويه (ت ١٧٩) الذي كان كتابه في النحو الأساس الذي لم يتجرأ احد على عمل ما يفوقه . ان كثرة الابحاث عن هؤلاء الثلاثة تجعلنا نكتفي بالاشارة اليهم دون الدخول في تفاصيل عن دراستهم ؛ وهم شواهد على أن التصنيف منذ بدايته أظهر غزارة العلم وحسن التنظيم ، علماً بأنه ازدهر في الامصار العربية ، وقام على رجال اغلبهم من العرب ، وفي فترة سبقت الترجمة من الثقافات الاجنبية أو على الأقل قبل أن تثبت الترجمات ويظهر اثرها .

(١٤٦) تذكرة الحفاظ ١٧٢/١ ؛ وقد يكون من المهم مقارنة كتاب ابن اسحق بما كتبه البلاذري في الجزء الاول من انساب الاشراف ( طبع محمد حميد الله ) من حيث المصادر ونطاق البحث والهيكل .

(١٤٧) وفيات الاعيان ٥٦٧/٢

(١٤٨) الفهرست لابن النديم ٤٧

(١٤٩) الفهرست ٣٧ ، ٧٢

(١٥٠) نزهة الألباء ٥٠

(١٥١) الفهرست ٥٤

## جدول بالمؤلفين والمصنفين الأولين

(١)

رجال نسبت اليهم بعض المصادر تأليف كتب

وكانت وفاتهم قبل سنة ١٥٠ هـ

أولاً: في الامثال ، والتاريخ ، والانساب ، والسيرة ، والتفسير

سنة الوفاة	إسم المؤلف	اسم الكتاب
٦٠ ؟	صحار العبدي	الأمثال (١)
٦٣ ؟	علاقة بن كرشم	الأمثال ( نحو خمسين ورقة ) (٢)
٦٥	عبيد بن شرية	الأمثال ( وكذلك الملوك الماضين ) (٣)
٥٣	زياد بن أبي سفيان	المثالب (٤)
٦٥	دغفل	الأنساب (٥)
١٠٣	صالح بن عمران	غزاة ذات الابطيل (٦)
١١٤	وهب بن منبه	المغازي ، الملوك المتوجة (٧)
١٢٤	محمد بن شهاب الزهري	النسب (٨)
١٤١	موسى بن عقبة	السيرة (٩)
١٤٧	عوانة بن الحكم	سيرة معاوية وبني أمية (١٠)
٨٢	سعيد بن جبير	التفسير (١١)
١١٠	الحسن بن ابي الحسن	التفسير (١٢)

(١) الفهرست لابن النديم طبعة محمد تجديدي ١٠١

(٢) كذلك ١٠٢ ارشاد الاريب لياقوت ١٩٠/١٢

(٣) كذلك ١٠٥

(٤) كذلك ١٠١

(٥) كذلك ١٠١ النقائض ١٨٩/١

(٦) الفهرست ١٠٣

(٧) ارشاد الاريب ٢٣١/٧ وانظر هوروفنز: المغازي الاولى ومؤلفوها ٢٧ - ٣٦

(٨) جامع بيان العلم ٧٦/١ .

(٩) أنظر ما ذكرته عن كتبه في ص ٢٧ .

(١٠) الفهرست ١٠٣ ابن النديم « ويقال ان هذا الكتاب لمنجاب بن الحارث ( تـ ٢٣٠ هـ ) والصحيح

انه لعوانة .

(١١) هذا الاسم ومن يليه من مؤلفي التفسير ذكرهم سزكين : تاريخ التراث العربي

(١٢) انظر ايضاً الفهرست ٣٦ طبقات ابن سعد ٧ - ١٧/١ ، ١٢٧ .

التفسير	مجاهد	١٠٤
التفسير	الضحاك بن مزاحم	١٠٥
التفسير	عطية بن سعد	١١١
التفسير (١٣)	السدي	١٢٨
التفسير	عطاء	١٣٥
التفسير (١٤)	محمد بن السائب	١٤٦
التفسير	شبل بن عباد	١٤٨
السنن ، المسائل في الفقه (١٥)	مكحول	١١٦
الفرائض (١٦)	مغيرة بن مقسم	١٣٦
الفرائض (١٧)	ابن أبي ليلي	١٤٨

## (٢)

أسماء من ذكر علي بن المديني والرامهرمزي والذهبي أنهم أول المصنفين ومن ذكرهم ابن النديم في فصل الفقهاء المحدثين ، والمالكين ، وابي حنيفة وأصحابه العراقيين ، ممن ذكرت وفاتهم بين ١٥٠ - ٢٠٠ هـ وذكر أنهم ألفوا كتباً

سنة الوفاة	الاسم	المصدر (١٨) الكتب المؤلفة
١٥٠	أبو حنيفة	الفقه الأكبر ، العالم والمتعلم

(١٣) انظر ايضاً الفهرست لابن النديم ٥١

(١٤) انظر ايضاً الفهرست ٣٦ وانظر وفيات الاعيان ٥٦٧/٢

(١٥) الفهرست ٢٨٣

(١٦) كذلك ٢٨٢

(١٧) كذلك ٢٥٦

(١٨) تحاشياً للاطالة فان الارقام المذكورة في المصادر ترمز الى ما يلي

١ " كتاب العلل لعلي بن المديني .

٢ " المحدث الفاصل للرامهرمزي .

٣ " تاريخ الاسلام للذهبي ج ٦ ص ٥

٤ " الفهرست لابن النديم : فصل « الفقهاء المحدثون »

٥ " الفهرست لابن النديم : فصل « اخبار المالكين وما صنفوه من الكتب »

٦ " الفهرست لابن النديم : فصل « ابني حنيفة واصحابه العراقيين »

٧ " تذكرة الحفاظ للذهبي رجال الطبقة الرابعة

وقد اعتمدنا في قائمة كتب المصنفين على ما ذكره ابن النديم عند الكلام عنهم وأشارنا في الهامش الى

ما ورد ذكره في المصادر الاخرى .

الرد على القدريّة ، رسالة  
الى البستي ، العلم برأوبحراً

١٥٠ ابن جريج مكة ٧،٤،٣،٢،١ السنن ، الطهارة ،

الصيام ، الصلاة ، الزكاة

١٥١ محمد بن اسحاق المدينة ٧،١ السيرة والمبتدأ والمغازي ،

الخلفاء (١٩) المغازي ،

السنن (٢٠)

١٥٦ محمد بن عبد الرحمن

المدينة ٧،٤ السنن (٢١)

بن أبي ذئب

١٥٧ سعيد بن أبي عروبة الكوفة ٧،٤،٣،٢،١ السنن (٢٢)

١٥٨ زفر بن هذيل الكوفة ٥ — (٢٣)

١٥٩ الاوزاعي الشام ٧،٤،٣،٢،١ السنن في الفقه ،

المسائل في الفقه (٢٤)

١٦٠ شعبه بن الحجاج واسط ٧،١

١٦٠ الربيع بن صبيح البصرة ٢

١٦١ سفيان الثوري الكوفة ٤،٣،٢،١ الجامع الكبير ،

الجامع الصغير ، الفرائض

رسالة الى عباد بن عباد

الأرسوفي

(١٩) يذكر الذهبي ان ابن إسحق « مصنف المغازي » قال ابن ابي عدي : والذي تقرر عليه العمل ان ابن اسحق اليه المرجع في المغازي والايام النبوية « ( تذكرة الحفاظ ١٧٣/١ )

(٢٠) يقول الذهبي انه « كان اول من صنف باليمن » ( تذكرة الحفاظ ١٩١/١ ) ويقول عنه ابن سمره « له الجامع المشهور في السنن المنسوب اليه ، وهو اقدم من الموطأ » ( طبقات فقهاء اليمن ٧٤،٦٢ )

(٢١) يقول عنه الذهبي « ليس له كتاب » ( تذكرة الحفاظ ١٩٢/١ )

(٢٢) يقول عنه الذهبي « وهو اول من صنف الابواب بالبصرة » قال احمد بن حنبل لم يكن له كتاب ، انما كان يحفظ « ( تذكرة الحفاظ ١٧٨/١ )

(٢٣) اكتفى ابن النديم بالقول عن زفر بالقول « وله من الكتب » دون ان يذكر اسم الكتاب .

(٢٤) « قال ابو زرعة الدمشقي : كانت صنعتها الكتابة والترسل ، فرسائله تؤثر » ( تذكرة الحفاظ ١٧٨/١ )

سنة الوفاة	الاسم	المدينة او الاقليم	المصدر	الكتب المؤلفة
١٦١	زائدة بن قدامة	الكوفة	٤	السنن ، القراءات ، التفسير الزهد ، المناقب
١٦٥	حماد بن سلمة	البصرة	٧،٤،٣،٢،١	السنن (٢٥)
١٦٨	عبد العزيز الماجشون	المدينة	٧،٥	كتاب كبير (٢٦)
١٧٢	عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	المدينة	٧،٤	التفسير ، النسخ والنسخ
١٧٤	عبد الرحمن بن أبي الزناد	المدينة	٧،٤	الفرائض ، رأي الفقهاء السبعة من اهل المدينة
١٧٥	أبو عوانة	واسط	٧،١	— (٢٧)
١٧٥	الليث بن سعد	مصر	٧،٥،٣	التاريخ ، مسائل الفقه (٢٨)
١٧٦	عبد الملك بن محمد بن حزم	المدينة	٤	المغازي
١٧٩	مالك بن أنس	المدينة	٧،٥،٣،١	الموطأ ، رسالته الى الرشيد
١٨١	عبد الله بن المبارك	خراسان	٧،٤،٢،١	— (٢٩)
١٨٢	أبو يوسف	الكوفة	٧،٦،٣	الخراج
١٨٣	هشيم بن بشير	واسط	٧،٤،٣،٢،١	السنن في الفقه ، المغازي
١٨٣	يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الكوفة	الكوفة	٧،٤،٢،١	السنن (٣٠)
١٨٤	ابراهيم بن محمد	المدينة	٧	— (٣١)
١٨٨	عبد الرحمن بن مهدي	البصرة	٧،١	—

- (٢٥) ينقل الذهبي عن ابي داود انه ليس لحمد كتاب الا كتاب قيس بن مسعود ، ولكنه يذكر « قلت هو أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة » ( تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١ ).
- (٢٦) يقول الذهبي « قال احمد بن كامل له كتب مصنفه رواها عنه ابن وهب » ( تذكرة الحفاظ ٢٢٣/١ )
- (٢٧) يقول الذهبي « له كتب » ولم يسمها ( تذكرة الحفاظ ٢٣٦/١ - ٧ )
- (٢٨) يقول الذهبي عنه « امام حجة كثير التصانيف » ( تذكرة الحفاظ ٢٢٦/١ )
- (٢٩) يقول الذهبي عنه « دون العلم في الابواب والفقه وفي الغزو والزهد » ( تذكرة الحفاظ ٢٢٦/١ )
- (٣٠) يقول الذهبي عنه « كان صاحب تصانيف » ( تذكرة الحفاظ ٢٦٨/١ ).
- (٣١) يقول عنه الذهبي « عمل موطأ كبيراً لكنه ضعيف عند الجماعة » ( تذكرة الحفاظ ٢٤٧/١ )



١٨٨	محمد بن الحسن الشيباني	الكوفة ٧،٦،٤	( عدة كتب فقهية )
١٨٩	جرير بن عبد الحميد	الري ٧،٢	
١٩٣	إسماعيل بن علية	الكوفة ٧،٤	التفسير ، الطهارة ، الصلاة المناسك
١٩٤	الوليد بن مسلم	الشام ٧،٤،٢	السنن في الفقه ، المغازي (٣٢)
١٩٥	محمد بن فضيل الضبي	الكوفة ٧،٤،٢	السنن ، التفسير ، الصيام ، الدعاء
١٩٥	اسحق الأزرق	واسط ٤	المناسك ، الصلاة ، القراءات
١٩٧	عبد الله بن وهب	مصر ٥،٣	(٣٣)
١٩٧	وكيع بن الجراح	الكوفة ٧،٤،٢،١	السنن (٣٤)
١٩٨	سفيان بن عيينة	مكة ٧،٤،٢،١	له تفسير معروف (٣٥)



مؤلفون ذكرهم ابن النديم وذكر أسماء كتبهم وحدد وفاتهم بين ١٤٩ - ٢٠٠ هـ  
سنة اسم المؤلف مكان ذكرها في الفهرست روى اسم المؤلفات  
الوفاة

١٤٩	عيسى بن عمر الثقفي	٤٧	الجامع ، المكمل
١٥٠	مقاتل بن سليمان	٣٩، ٣٦	التفسير ، المتشابه
١٥٦	حمزه الزيات	٣٢	الفرائض ، قراءة حمزة
( زمن المنصور )	الفقعسي	٧٣	مآثر بني اسد
١٧٠	الخليل بن احمد	٤٨	العين ، النغم ، العروض ، الشواهد ، النقط والشكل ، فائت العين

(٣٢) يذكر الذهبي في تذكرته « صنف التصانيف والتواريخ ، له سبعون كتاباً » ( ٣٠٣/١ )  
(٣٣) يذكر الذهبي انه صنف موطأ كبيراً ( تذكره الحفاظ ٣٠٤، ٣٠٣/١ )  
(٣٤) يقول الذهبي « قال ابو داود ما روى لوكيع كتاب قط .. وقال احمد بن حنبل عايكم بمصنفات  
وكيع » ( التذكرة ٣٠٨/١ )  
(٣٥) اشار الذهبي الى تصانيف سفيان ( ٣١٣/١ ) وذكر ابن سمره « جامع سفيان بن عيينة » ( طبقات  
فقهاء اليمن ٧٤ )

١٧٠	أبو اليقظان	١٠٧	حلف تميم بعضها بعضاً ، اخبار تميم ، نسب خندف واخبارها ، النسب الكبير ، النوادر .
١٧٩	سيويه	٥٧	الكتاب
١٨٣	يونس بن حبيب	٤٧	معاني القرآن ، اللغات ، النوادر الكبير ، الامثال ، النوادر الصغير
؟	الرواسي	٥٧	أول من وضع من الكوفيين كتاباً : الفيصل ، التصغير ، معاني القرآن الاختيارات ، الأمثال ، العروض ، معاني الشعر
١٨٩	المفضل الضبي	٧٥	السمر ، الحراب واللصوص ، أخبار الجن
١٩٠	لقيط المحاربي	١٠٦	الانواء ، غريب القرآن ، جماهير القبائل المعاني
١٩٥	مؤرج السدوسي	٥٤	معاني القرآن ، مختصر النحو ، القراءات ، العدد ، النوادر الكبير النوادر الصغير ، مقطوع القرآن وموصوله
١٩٧	الكسائي	٧٢	النوادر حوالي (٣٠٠ ورقة) النوادر ، الطرق ، الابل ، خلق الانسان

# أصول الحكم عند العرب الجنوبيين

الدكتور هبّار عليّ

عضو المجتمع العلمي العراقي

يعود الفضل الى كتابات المسند في وقوفنا اليوم على بعض صفحات الحضارة عند العرب الجنوبيين قبل الاسلام . ولولا هذه الكتابات ، لما كان في إمكان المؤرخ التحدث عن أية ناحية من نواحي الحضارة عندهم ، لأن الموارد الإسلامية والروايات اليمانية لا تعرف شيئاً يذكر عن تاريخ العرب الجنوبيين البعيد عن زمن ظهور الإسلام ، ولا سيما في جوانب أصول الحكم والإدارة والتشريع ، والمعاملات ، وما شاكل ذلك . أما ما نقرؤه فيها من أمر الملكة بلقيس والتبابعة ، فمزيج من واقع قليل ، ومن خيال واسع ، ومن وضع أبعد هذا القليل التاريخي عن الواقع .

وتنتهي كتابات المسند المؤرخة ، في المئة السادسة للميلاد ، بسنة ( ٥٥٤ ) ، المقابلة للسنة « ٦٦٩ » من تقويم حمير ، ولم نعثر على نصوص مؤرخة يرجع تأريخها الى ما بعد هذا التاريخ . وتاريخ المئة السادسة بعد ، مهم جداً بالنسبة إلينا لأنه مقدمة لتأريخ الإسلام ، ومبدأ له ، وفهمه فهماً صحيحاً يساعدنا كثيراً على فهم عقلية العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في هذه الحقبة المتصلة بالإسلام .

وفي النصوص المكتشفة حديثاً نصوص ألقت بعض الضوء على الوضع السياسي الذي كان في عهد « ذي نُوَاس » ، وعلى تدخل الحبش في شؤون اليمن ، فصحت الروايات الواردة في الموارد الإسلامية عن هذا العهد ، وجاءت بأخبار لم تكن معروفة عن هذا العهد ، وسيتحفظ المستقبل بنصوص جديدة ولاشك ، قد تكشف عن أمور مجهولة من تأريخ العرب قبل الإسلام .

واكثر هذه الكتابات هي ، ويا للأسف ، في أمور شخصية ، ولذلك تحدد علمنا بأحوال الحضارة عندهم ، وتضطر المؤرخ أن يلتزم جانب الحذر في الحكم على جوانب هذه الحضارة ، لعدم تمكنه من الحصول على كتابات كاملة في موضوع معين من هذه الجوانب ، فنحن لا نملك اليوم كتابة في أصول حكم المكربين ، أو في أصول حكم الملوك ، ولا في كيفية إدارة الحكومات ، وفي تسلسل الوظائف في المناصب الإدارية أو المناصب العسكرية ، وإنما نملك نصوصاً جانبية ثانوية ، وردت فيها مصطلحات وعبارات لها صلة بهذه النواحي ، تمكّننا بفضلها من تكوين رأي في الحضارة في هذه البقعة المهمة من جزيرة العرب التي يتجمع فيها أغلب حضارة العرب قبل الإسلام .

هذا وأن من حسن حظنا أننا نملك اليوم نصوصاً تعود الى ما قبل الميلاد تفيد أن الذين حكموا حكومات العربية الجنوبية في أول أيامها كانوا يلقبون بلقب « مكرب » ، وأن « المكرب » ، أو المقرب الى الآلهة ، كان كاهناً وملكاً في آن واحد ، يجمع بيده السلطتين : السلطة الدينية والسلطة الزمنية ، فهو في منزلة البابتيسي « Patesi » عند الأكديين و « اشاكو » « Ischakku » في الآشورية <sup>(١)</sup> . فنظام الحكم إذن هو نظام « ثيوقراطي » في المصطلح الغربي المعبر عن السلطة التي تجمع في بنيتها بين الحكم الديني والحكم الدنيوي ، فكان المكرب هو المعبر عن ارادة الآلهة والناطق باسمها ، والقائم بإدارة بيوتها ، أي معابدها ، يتبعه في أداء عمله رجال دين أقل منه منزلة ، كما كان الحاكم الذي يحكم في أمور الرعية حكماً زمنياً .

وقد تلطفت هذه الكتابات علينا فأخبرتنا بأسماء عدد من المكربين في حكومات حضرموت وقتبان وسبأ كما تفضلت ببيان أن آخر مكرب حكم سبأ مثلاً ، كان المكرب « كرب ال وتر » « كرب ايل وتر » ، وذلك بورود اسمه متلقباً بلقب « مكرب » في نص ، وورود اسمه متلقباً بلقب « ملك » في نص آخر <sup>(٢)</sup> ، ولكنها لم تمنّ علينا بالأسباب التي حملت هذا المكرب على ترك لقبه هذا ، واختيار لقب ملك . ولعله فعل ذلك تقليداً للحكام الذين كانوا يحكمون في بقية حكومات العالم الأخرى ، وكانوا يلقبون أنفسهم بلقب ملك <sup>(٣)</sup> .

(١) الفصل ( ١٧٩/٢ ) .

H. Schmidt , Philosophisches Wörterbuch, S., 658.

(٢) الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ( ١٩٠/٥ ) ،

Ditlef Nielson, Handbuch., S., 119

Handbuch, S., 119. ,

(٣)

والعادة أن الملكية وراثية ، تنتقل من الآباء الى الأبناء ، ويتولاها الابن الأكبر في الغالب ، فإذا حكم هذا وتوفي انتقلت الى ابنه الأكبر ، وهكذا ، وبذلك يحرم إخوته الآخرون ، إلا إذا نص الأب الملك على خلاف ذلك . وقد انتهت إلينا كتابات عديدة ، وفيها أب يحمل لقب ملك ، ومعه ابنه يحمل هذا اللقب كذلك ، كما انتهت إلينا كتابات فيها اسم أب ملك ومعه أبنائه يحملون هذا اللقب كذلك ، كما انتهت إلينا كتابات يحمل فيها أخ وإخوته لقب ملك ، وقد يدل ذلك على اشتراك المذكورين في الكتابة اشتراكاً فعلياً في الحكم ، وقد يعني أنه مجرد لقب يشير الى أن حامله من أعضاء الأسرة المالكة . وقد يكون ذلك للتخفيف عن الملك بسبب من كثرة عمله أو من عدم تمكنه من القيام بأعمال الملك كلها ، لضعف شخصيته واستعداده ، أو لمرض ألمّ به ، أو لأن الملك أراد بذكرهم معه تدريبهم على أعمال الحكم ، حتى يكونوا قد خبروا أمور الملك إذا إنتقل الحكم إليهم ، مع بقاء الملك الأصل في عرشه ومكانه ، يمارس أعماله على نحو ما يريد <sup>(١)</sup> .

وقد ورد ذكر ملكين في بعض النصوص حكماً مشتركاً مع أنهما من أسرتين مختلفتين ، وعثر على نص في جبل « خضرة » ، ورد فيه اسم ملكين من ملوك قتيان حكماً معاً مع أنهما من أبوين مختلفين <sup>(٢)</sup> .

وقد اختفى ذكر هذه الظاهرة ، ظاهرة الحكم المزدوج أو المثلث ، في الأيام القريبة من الإسلام ، غير أن اللقب الملكي لم ينقرض ، إذ نراه في نص أبرهة الذي دونه في المئة السادسة للميلاد ، وفي نص « يوسف اسار » ، « مراهمو ملكن يسف اسار » وفي نص « سميفع اشوع ملك حمير » ، أي : « ملك حمير » <sup>(٣)</sup> .

ولم يصل إلينا نص من نصوص المسند فيه إسم ملكة حكمت في العربية الجنوبية . أما خارج العربية الجنوبية ، وخارج جزيرة العرب ، فقد وردت في الكتابات الآشورية وفي كتابات غيرها أسماء ملكات عربيات ، مثل الملكة « زبيبي » « زبيبة » ، التي دفعت الجزية الى الملك « تغلث فلاسر » ( تغلاتبلاسر الثالث ) ، « ٧٤٥ — ٧٢٧ ق.م. »

(١) Ryckmans, Le' Institution monarchique en Arabie méridionale avant l'Islam, Louvain, 1951, pp., 42 — 46, 151 — 153, 203, 223.

(٢) Qahtan, II, p., 261 .

(٣) لوندن ( ص ٩٠ وما بعدها )

تقريباً ، <sup>(١)</sup> والمملكة « سمسى » ، « شمسى » ، شمس التي ثارت على هذا الملك في السنة التاسعة من حكمه <sup>(٢)</sup> ، والمملكة « يا تيعه » « يتيعه » « يطيعه » ، في عهد « سنحريب » ، <sup>(٣)</sup> والمملكة « اسكلاتو » « Iskallatu » ملكة « ادومو » « Adumu » أي « دومة الجندل » في عهد « أسرحدون » <sup>(٤)</sup> ، والمملكة « تلخونو » ، وغيرهن . وكلنا قد سمعنا بخبر « الزباء » ملكة « تدمر » هذه الملكة الذكية ذات الحديث الطويل العريض عند أهل الأخبار .

كما سمعنا بخبر الملكة « ماوية » ، « Mauia » « Mavia » « Mawiya » الوارد ذكرها في الموارد اليونانية ولم يعرف أهل الأخبار من أمرها شيئاً ، وكانت تحكم عرب بادية الشام ، وتذكر هذه الموارد أن عربها كانوا من « السرسين » « Saracene » <sup>(٥)</sup> وأنها هاجمت الروم مراراً ، وقاتلت الإمبراطور « فالنس » « Valens » ، « ٣٦٤ - ٣٧٨ م » ، وحاول الروم عبثاً التغلب عليها بالقوة ، فلم يفلحوا ، واضطروا إلى ترضيتها ومصالحتها ، فهدأت الأحوال إلى حين <sup>(٦)</sup> .

نعم أشار القرآن الكريم إلى ملكة كانت تحكم سبأ في أيام سليمان ، وكانت تعبد للشمس <sup>(٧)</sup> ، وجاء في سفر الملوك الأول من التوراة حديث عن ملكة « شبا » <sup>(٨)</sup> ، أي سبأ ، ولكن القرآن الكريم لم يذكر اسمها ، وإنما المفسرون هم الذين ذكروا أن اسمها « بلقيس » ، ثم عاونهم أهل الأخبار فقصروا لها أباً وجعلوا لها نسلًا ، أخذوا الاسم من أساطير العرب الجنوبيين الممزوجة بأساطير أهل الكتاب ، وقد جاء في أسطورة أن أسمها « Naukalis » ، وسميت « ماكدا » « Makeda » في الروايات الحبشية ، إذ ادعى ملوك الحبشة في أيام تنصرهم أنهم من نسل سليمان من زوجته « ماكدا » ، التي هي ملكة سبأ <sup>(٩)</sup> ، ورووا القصص عن هذا الزواج ، الذي أخذه أهل الأخبار ،

(١) Musil, Hegazamy, p., 287, Deserta, P., 477.

(٢) الفصل ( ٥٧٨/١ ) .

(٣) Reallexicon, 1, S., 125, smith, , first Campaign of sennacherib, P., 62

(٤) الفصل ( ٥٩١/١ ) .

(٥) Die Araber, II, S., 328.

(٦) المشرق ، السنة العاشرة ، العدد ١١ ، حزيران ، ١٩٠٧ ، ( ص ٥٢٤ ) ،

Die Araber, II, S., 328, Socratés, Histo. Eccl., 4,36.

(٧) النمل ، الرقم ٢٧ ، الآية ٢٠ - ٤٥ .

(٨) الملوك الأول ، الإصحاح العاشر ، الآية ٢ - ١٠ ، ١٣ .

(٩) Shorter Ency. of Islam. P., 63.



فأضافوا إليه من خيالهم ما شأوا ، وقصوه مع ما أخذوه عن كعب الأخبار ووهب ابن منبه وغيرهما ممن أدخل الإسرائيليات بين المسلمين .

وهو قصص له جذور وأسس ، يعود الى أيام استيلاء العرب الجنوبيين على السواحل الإفريقية المقابلة لهم ، وسكناتهم هناك ، وتأسيسهم حضارة متقدمة بها ودولة هي دولة أكسوم .

وأنا لا أستطيع في الوقت الحاضر أن أبدي رأياً في النص ذي الرقم (١٣) الوارد في كتاب : « في تاريخ اليمن <sup>(١)</sup> » ، وفي الفقرة ٧ من عبارة « ولشرح مراتهمو ملك حلك ملكت حضرموت » ، ومعناها : « وحراسة سيدتهم ملك حلك ملكة حضرموت » وفي الفقرة : « ١١ » ، « ووكب اختهو ملك حلك بوسط بيتن شقر » ، ومعناها « وألقى أخته ملك حلك بداخل قصر شقر » ، ذلك لأن المؤلف لم يطبع مع صور الكتابة المستنسخة صورة منقولة بآلة التصوير عن الكتابة الأصل ، وليس من طبعي الكلام في أمر لا أقف على جميع جوانبه ، ولا يمكن في مثل هذه الحالات التثبت من صحة قراءة النصوص إلا بالرجوع الى الرؤية ، أي رؤية النص في أصله ، أو بالرجوع إلى الصور الواضحة له .

وقد ذهب « محمد عبدالقادر باقرية » الى احتمال كون الملكة « ملك حلك » بنتا للملك « علهان نهفان » ، وأختاً لشاعر أوتر « شعرم اوتر » ، كما يتضح ذلك من الفقرة « ١١ » من النص <sup>(٢)</sup> .

ولم أجد في النصوص أن الملوك كانوا يدعون النبوة ، أو التنبؤ باسم الآلهة ، وقد ذكر « بيستن » « Beeston » أن الملك « يصدق ال فرعم شرحعت » ملك أوسان ، كان يتنبأ ، وقدمت له الذبائح ليتنبأ لاصحابها ، وقد عثر على تمثال له في رداء رومي أو شامي ، فلعله لبسه تقليداً لحكام روما فيما يلبسون <sup>(٣)</sup> .

وقد ورد في نص أوساني أن شخصاً اسمه ابشم ذعم يدع ، قدّم الى سيده يصدق ال فرعم بن شرح عث ملك أوسان بن ودم ، تمثالاً من ذهب لهيكله « نعمن » « نعمان » ، لأن أباه ود أمر بذلك ، مما يشير الى أن هذا الملك كان يتمتع بصفة دينية

(١) تأليف مطهر علي الارياي ، شرح وتعليق على نقوش لم تنشر ، ٣٤ نقشاً من مجموعة القاضي علي عبدالله الكهالي ، صدر عن مركز الدراسات اليمنية ، ( ص ٨٠ ، ٨١ )

(٢) النص كهالي ( ١٣ ) ، فقرة : ( ١١ ) ، تاريخ اليمن القديم ( ١١٣ وما بعدها ) .

(٣)

لا نعرفها من قبل <sup>(١)</sup> ، غير أنني لا أستطيع أن أفهم من هذا النص الغامض أنه يدل على وجود شيء من الألوهية في هذا الملك .

ومملكة أوسان مملكة صغيرة ، وعلى شاكلتها في الصغر كانت مملكة « هرم » ، إذ كانت مدينة عليها ملك ، لها بعض الخصائص اللغوية التي تظهر على كتاباتها ، وكذلك كانت « كمنهو » ، في وادي مذاب ، مملكة صغيرة لا تزيد مساحتها على مئة كيلومتر <sup>(٢)</sup> ، وكذلك شأن مملكة « اربعن » ، وقد ورد اسم أحد ملوكها وهو : « نبط ال » <sup>(٣)</sup> .

وكان من عادة الملوك الإعلان عن تتويجهم ، والاحتفال بيوم التتويج والإفصاح عنه ، ويعبر عن ذلك بـ « هملقب » ، أي تلقب . لأن من عادة ملوك العرب الجنوبيين إتخاذ لقب لهم حين يعتلون العرش ، وقد انتهت إلينا جملة كتابات تحدثت عن احتفال ملوك حضرموت بـ « محفد انودم » ، « محفد انود » ، أي بحصن « أنود » ، عند تتويجهم <sup>(٤)</sup> ، في احتفال كبير بهيج يدعى إليه رجال الدين وكبار رجال الدولة والشعب ، وبغض الأجانب ، ويعلن عندئذ لقب الملك ، إشارة إلى توليه العرش . وتقدم الولايم الفنية الضخمة ، ويذهب الملك عند انتهائها إلى مواضع الصيد ، وللصيد عندهم مكانة روحية ، إذ يدخل في شعائهم الدينية ، مثل صيد عثر الذي لا نعرف اليوم من حاله شيئاً يذكر ، وهو صيد حصص بالآله عثر .

وللملوك ألقاب تذكرنا بالألقاب التي حملها العباسيون ، مثل المنصور ، والمهدي والرشيد والأمين والمأمون ، وهكذا ، وتلحق هذه الألقاب أسماء الملوك مثل « ينف » ، ومعناه : « النائف » ، أو « السامي » <sup>(٥)</sup> ، ومثل « يهنعم » ، و « ذرح » ، و « يهامن » ، و « يحز » و « يحضب » ، وغير ذلك .

وللملوك بيوت كبيرة يقيمون مع أسرهم بها ، ويحكمون منها مثل « بيتن غندن » أي قصر غمدان في لهجتنا ، و « بيتن سلحن » ، أي قصر سلحين ، وقد يكتبون الاسم وحده ، فيكتبون « سلحن » أو « غندن » ويراد بذلك دار الحكم ، ولقصر غمدان

(١) محمد عبدالقادر بافقيه ، تاريخ اليمن القديم ( ص ٣١ ) .

(٢) Qahtan, II, P., 260 .

(٣) احمد حسين شرف الدين ، تاريخ اليمن الثقافي ، ( ٥٨/٣ وما بعدها ) .

(٤) REP, VII, P., 418, Nr. : 4914, 4915, 4916 .

(٥) Qahtan, II, P.261.

كما نعلم مكانة كبيرة في كتب أهل الأخبار ، وهو قصر كبير من طبقات ، هدم في عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وقد تذكر قصور الملوك في نصوص القوانين والأوامر التي يصدرونها ، فيشار الى صدور القوانين من « غندن » « غمدان » أو « سلحن » ، « سلحين أو « وعلن » « وعلان » ، أو « ريدن » أي ريدان ، ومعنى ذلك أن هذه القوانين صدرت من دار حكم الملوك ، كما يستعمل في الوقت الحاضر عبارة : « صدر من قصرنا العامر » ، أو « صدر من قصر » .

ولم يكن ملوك العربية الجنوبية ملوكاً مطلقين لهم سلطان مطلق وحق إلهي في إدارة الدولة على نحو ما يريدون ، ولكنهم كانوا ملوكاً يستشيرون الأقبال والأدواء وسادات القبائل وكبار رجال الدين فيما يريدون عمله ، لاتخاذ قرار بشأنه . وهو نظام تقديمي فيه رأي ومشورة وحكم الشعب بالقياس إلى حكم الملوك المطلقين الذين حكموا آشور وبابل ومصر وإيران <sup>(١)</sup> نظام نبع من واقع أرض العربية الجنوبية ، المتمثل في شكل أرضه وفي طبيعة إقليمه وجوّه .

وترينا الكتابات المعينية أن ملوك معين كانوا مقيدين في حالات معينة بأخذ رأي مجلس عرف بـ « مسود » ، وبأخذ رأي المعابد أيضاً في المسائل المتعلقة بها ، مثل الضرائب ، فقد كانت للمعابد أوقاف وأملاك ، ولها حق جباية الضرائب زكاة لأموال المتمكنين حتى صارت موازية للدولة في الوارد والدخل <sup>(٢)</sup> ، وللدين أثر عميق في النفوس يجعلنا نتذكر الحديث : « الإيمان يمان والحكمة يمانية » .

ونجد في النصوص لفظة : « مرا » ، وتعني : « رب » والرئيس الأعلى ، وذلك تعبيراً عن « الملك » ، ويستعمل هذا التعبير كبار القوم . أمّا من دونهم فيستعملون مصطلح « ادم » ، أي « أوادم » بلهجة أهل العراق في الوقت <sup>(٣)</sup> الحاضر ، وتؤدي معنى « تبع » كما استعملوا مصطلح « عبد » ، التي تعني العبودية والخضوع .

وترد في النصوص المعينية لفظة « يثل » مع « معين » ، وكأن لها شخصية مستقلة ، تقابل شخصية « معين » ، و« يثل » هي « براقش » في متعارف الناس <sup>(٤)</sup> ، ففي بعض

A. Grohmann, Arabien, S., 128.

(١)

REP 2458, 2774.

(٢)

Kingship in ancient south Arabia, in Journal of Economic and Social History of the Orient, Vol., 15, ) 1972 ) , P., 265.

(٣)

(٤) باقيه ، تاريخ اليمن القديم ، ( ص ٣٤ ) .

النصوص : « ملك معن ويثل » ، أي « ملك معين ويثل » ، وفي نصوص « وكل آلهة معين ويثل » ، مما يدل على أن « يثل » لم تكن مندمجة في دولة معين اندماجاً تاماً ، وأنها كانت مثل بقية المدن ، وإنما كانت تتمتع بشيء من « الحكم الذاتي » .

ويظهر من الموارد العربية الإسلامية أن عدداً من الأقبال لقبوا أنفسهم بلقب « ملك » ، وقد زعموا أن « القيل : الملك من ملوك حمير ، يتقيل من قبله من ملوكهم ، أي يتبع طريقه في الحكم ، وجمعه : أقبال وقبول ، ومنه الحديث : إلى قيسل ذي رعين ، أي ملكها ، وهي قبيلة من اليمن تنسب إلى ذي رعين ، وهو من أدواء اليمن وملوكها . وقال ثعلب : الأقبال الملوك من غير أن يخص بها ملوك حمير » ، <sup>(١)</sup> و « قال ابن سيده : المقول والقيل الملك من ملوك حمير يقول ما شاء » <sup>(٢)</sup> ، وقال « أبو عبيدة : الأقبال ملوك باليمن دون الملك الأعظم ، واحداهم قيل يكون ملكاً على قومه ومخلافه ومحجره ، وقال غيره : سُمي الملك قبلاً لأنه إذا قال قولاً نفذ قوله » <sup>(٣)</sup> .

وجاء في بعض شعر امرئ القيس :

وماذا عليه إن ذكرت أوانيساً كغزلانٍ رملٍ في محارِبِ أقوال <sup>(٤)</sup>

والأقوال هنا أقرب إلى جمع أهل اليمن « أقول » ، جمع « قول » .

و « القول » هو « القيل » في النصوص المتأخرة ، ولا فرق بينهما ، والظاهر أن لفظة « القيل » دخلت المسند بتأثير العربية الشمالية على العربية الجنوبية .

أما أن « القيل » أو « القول » هو « الملك » في لغة حمير ، وأن الرسول كتب لـ « وائل ابن حجر ولقومه : من محمد رسول الله إلى الأقوال العباهلة ، وفي رواية إلى الأقبال العباهلة » ، وأن القيل الملك من ملوك حمير ، وأن الأقبال « ملوك باليمن دون الملك الأعظم » ، أو « الملك النافذ القول والأمر » <sup>(٥)</sup> ، فتفسير فيه تصرف ، لأن الملك ملك عند حمير وعند غيرهم من أهل العربية الجنوبية ، وأهل العربية الشمالية أيضاً . أما « القول » و « القيل » ، فدون الملك ، وأما تلقيب الأقوال أنفسهم ، أو تلقيب غيرهم لهم بلقب « ملك » ، فهو تلقيب متأخر ظهر قبيل الإسلام ، على سبيل التفخيم

(١) اللسان ( ٥٨٠/١١ ) ، ( قيل ) .

(٢) اللسان ( ٥٧٥/١١ ) ، ( قول ) .

(٣) اللسان ( ٥٧٦/١١ ) ، ( قول ) .

(٤) شرح الأشعار الستة الجاهلية ، للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليوسي ، ( ١٣٥ ) .

(٥) اللسان ( ٥٧٦/١١ ) ، ( قول ) .

والتعظيم ، وحين عمت الفوضى في اليمن وتَسَمَّر الأقيال والأذواء ، فاتخذوا من الألقاب ما شاؤوا .

وقد وصل إلينا بعض التشريعات ، وفيها نص على « مسود » ، وتفيد الإشارة إليه أنها سنت بعد موافقة المسود عليها <sup>(١)</sup> ، كما أشير الى المعابد في بعض التشريعات كالذي جاء في النص : « Rep 2774 » ، الذي صدر عند فرض ضرائب خصصت للمعبد ، ولكننا نملك نصوص قوانين لم يرد فيها ذكر « المسود » ، مثل القانون الذي صدر في موضوع زواج المعينين بأهل « ددن » « ديدان » <sup>(٢)</sup> ، كما نجد بعض القوانين وقد أشارت الى « معن » ، أي شعب معين ، ولم تشر الى « المسود » <sup>(٣)</sup> ، وقوانين أخرى جاء فيها ذكر : « فقضت » و « بتل » ، و « طبن » ، وهم جماعات من الملاكين ، دلالة على أن هذه القوانين قد صدرت بعد أخذ رأي هؤلاء الملاكين فيها ، وموافقتهم عليها ، وأنها اكتسبت موافقة الملك بعد موافقة هؤلاء عليها <sup>(٤)</sup> ، وأن الملوك كانوا يستشيرون في اصدار القوانين الجهات المختصة أيضاً التي سيمسها صدور القانون ، لكيلا يقع اعتراض منها أو تدمير بسبب صدور هذه القوانين .

وقد كانت هذه الهيئات نقابات في الواقع تألفت من جماعة اتحدت مصلحتها ، فتألفت على العمل الموحد ، وصار لها رأي مقبول مسموع ، يأخذ به الملك والأقيال ، فالحكم على هذا حكم يستند الى أخذ رأي الطوائف والجماعات ، وهو حكم شعبي لا نجد له مثيلاً عند غير أهل العربية الجنوبية في ذلك الزمن .

والمسود هو مجلس استشاري من سادة القوم وذوي الرأي ، وهو يحاكمي ما كان يقال له « دار الندوة » بمكة . وقد أشير اليه في عدد من الكتابات ، إلا أننا لا نملك نصاً فيه شيء من الشروط التي يجب أن تتوافر في عضو « المسود » أو عن أعمال « المسود » وواجباته وغير ذلك مما يتعلق به ، وهو مشابه لمجلس « هجبل » « الجبل » في مملكة لحيان ، إذ يتألف أعضاؤه من وجوه الناس وساداتهم <sup>(٥)</sup> . كما يشبه « سنات » تدمير ، أي مجلس « تدمير » المؤلف من وجوه المدينة ومن قادة الجيش ومن رؤساء قوافل التجارة .

(١) Grohmann, S., 128, REP 2771.

الحرف الثاني ليس بسين ولا بحرف زاي ، بل هو حرف مستقل بين الحرفين ، نرمز اليه بسين .

(٢) REP 2699.

(٣) REP 2952, Grohmann, S., 128.

(٤) REP 2952, Grohmann, S., 128 .

(٥) Caskel, Lihyansich, S., 109, No. : 71, 77, 87, , 91, JS41.

وقد نظر الى هذا المجلس نظرة تقدير واحترام ، فنعت بـ « مسود منعن » ، أي « المسود المنيع » ، أو « المسود المعظم »<sup>(١)</sup> ، وتقابل هذه الجملة جملة : « علي شان » ، أي « العليّ الشأن » ، و « العالي الشأن » التي كان اللحيانيون يطلقونها على مجلسهم تقديراً له وتعظيماً لشأنه ، ويظن أن لفظة « أسود » ، أي سادة ، كانت تطلق على أعضاء المسود تمييزاً لهم عن غيرهم من الناس ، ودلالة على التقدير والاحترام<sup>(٢)</sup> . ويظن أن لفظة « منوت » صلة بهذا المراد كذلك<sup>(٣)</sup> .

وفقد « المسود » مكانته بعد الميلاد ، بتغير الأوضاع السياسية في اليمن ، على أثر تزايد نفوذ الأقبال وتقليصهم سلطات الملوك واستيلائهم على الأرض ، فاستهانوا بأمر « المسود » وقدم أقبال « سمعى » مثلاً أنفسهم على « المسود » ، فذكروه بعد أسمائهم<sup>(٤)</sup> ، وقدم غيرهم أسماءهم عليه . ولما ازداد تدخل الحبشة في اليمن ، وتوسع تحالفهم مع بعض الأقبال وتحريضهم بعضهم على بعض ، وأخذ قادة الجيش يتدخلون في السياسة ، وصار الأعراب يستغلون هذه الفرص ، فزحفوا الى اليمن ، وأخذوا يتدخلون في شؤونها حتى صاروا قوة ، فاضطرّ الملوك أن يشيروا إليهم في لقبهم الرسمي : « ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم وطوادم وتهمتم » ، أي : « ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت واليمن وأعرابهم في الهضاب وفي التهامم »<sup>(٥)</sup> ، فتقلص بذلك نفوذ المسود كثيراً ، وقلّ ذكره في المساند ، ثم زال اسمه من الكتابات منذ المئة الثالثة للميلاد فما بعد ، فلم نعثر على اسمه في كتابات ما بعد هذا العهد .

وفي حديث للهمداني أنه كان « بأسفل المعافر قصر ذي شمر ، ويدخلون في قبالة حمير ، وكانت أقوالها تكون في كل عصر ثمانين قتيلاً من وجوه حمير وكهلان ، فإذا حدث بالملك حدث » ، كانوا الذين يقيمون القائم من بعده ويعقدون له العهد . وكان قيام الملك من قدماء حمير عن اجماع رأي كهّلان ، وفي الحديث عن رأي أقوال حمير فقط . وكانوا إذا لم يرتضوا بخلف الملك ، تراضوا لخيرهم ، وأدخلوا مكانه رجلاً ممن يلحق بدرجة الأقوال ، فيتم الثمانين قتيلاً ، ولم يكن هذا في حمير إلاّ مرّات

(١) Glaser 1150, Halevy 192, 199.

(٢) Caskel, Lihyansich, S., 109, Nr. : 71, 77, 87, 91, JS 41.

(٣) REP 3562, Grohmann, Arabien, S., 128

(٤) Glaser 1210.

(٥) الفصل ( ٢٣٠/٥ ) ،

Hartmann, Die Arab. Frage., S., 432.



يسيرة ؛ لأن الملك لم يكن يعدو آل الرائش ، إلا أن يُتَوَفَّى الملكُ وأولاده صغاراً ، أو يَكِلَ ، فَيُفَعِّلُ ذلك حتى يتدبّر في سواه من آل الرائش » (١) .

فهذا مجلس من مجالس الأقيال ، على حد قول الهمداني ينظر في أمور الملك ، وهناك مجالس أخرى ، مثل مجلس الثامنة « ثمنتين » المؤلف من ثمانية أشخاص كان يدير مدينة « هرم » ، « هرم » ، مع « ابلع هجرن » أي سادة المدينة ، وقد أصدر قانوناً « تنخيت تنخيو » لمعاقبة المخالفين والمستخفين بالقوانين في هذه المدينة ، الذين لم يراعوا حرمة مدينتهم ، ولا أمر إلههم « حلفن » « حلفان » ، الذي سيتزل بهم العقاب ويفرض عليهم الجزاء الذي يستحقونه (٢) . فنحن بإزاء مجالس بلدية تتولى إدارة المدينة ، في ذلك الزمن .

وأشير الى الملوك الثمانية ، أي الثامنة في القصيدة الحميرية ، ويظهر من جملة : « املك حمير » ، أي ملوك حمير (٣) ، أن حمير كانوا قد انقسموا على أنفسهم الى ملوك ، وهذا مما يؤيد رواية أهل الأخبار في تعدد ملوكهم .

وجاء في الكتابات القتبانية اسم مجلس هو « طبن » ، يظن أنه مجلس كبار الملاكين ، وذهب بعض العلماء الى أنه في منزلة « المسود » عندهم ، ويقابله مجلس « مسخن » عند السبئيين ، الذي يذكر في كتابات عهد « سبأ وذي ريدان » ، وأما مجلس « عهرو » المذكور في كتابات السبئيين منذ المئة الثانية قبل الميلاد فما بعدها ، فهو مجلس من طبقة « ذ اذر » ، وهم طبقة من الأشراف ليسوا من السبئيين بالضرورة ، وإنما هم حلفاء لهم ، ويعيشون (٤) بينهم وورد في كتابة أنه كان للفيشانيين الذين منهم جاء مكربو سبأ ، « عهرو » يجتمعون به لتداول الرأي (٥) .

واصطفى الملوك لهم حاشية من ذوي الرأي والعقل والتجربة ، جعلوها هيئة استشارية تقدم اليهم المشورة والرأي ، عرفت بـ « فقضت » ، و بـ « بتل » (٦) .

كما استشاروا كبار رجال الدين من درجة « رشو » و « شوع » ، وكان لرأي هؤلاء شأن كبير بالنسبة الى الملوك ، لما كان لهم من نفوذ وكلمة في المجتمع .

(١) الإكليل ( ١١٤/٢ ) .

Rhodokanakis, I, Stud. Lexi., S., 57.

REP 33904, 7, MM, S., 38.

Glaser 926.

Glaser 1606, Grohmann, Arabien, S., 128.

و « الطين » هم أصحاب الأرض والملوك ، بدليل أن أهل اليمن ما برحوا يطلقون لفظة « الطين » و « الطين » على مالك الأرض ، مما يؤيد أن « الطين » في المسند هم مٌلاك الأرض .

والقبيلة التي ينتمي اليها الملوك، هي نواة الدولة، ف « معن » أي قبيلة معين، هي نواة دولة معين، وسبأ نواة دولة سبأ ، وتعني لفظة « شعب » ، والجمع « أشعب » ، أي شعوب القبيلة المكونة للدولة وكل طبقاتها ومن انضم اليها ، ومن ارتبط بها بروابط سياسية واقتصادية وإن كانوا من قبائل أخرى ، أو غرباء عنها ، فالشعب لا يتكون عندهم من رابطة الدم والنسب حسَبُ ، وإنما النسب عندهم هذه الروابط المذكورة التي تجتمع في الارتباط بالإله الرئيس ، مثل وُدّ أو المقه أو عثر أو سن . وأقرب تعبير يمكن أن يعبر عن « شعب » ، هو تعبير « مِلّة » في الإسلام ، وعلى هذا فإن تعبير « شعب سبا » ، « سبا واشعبهمو » <sup>(١)</sup> ، أي : « سبأ وقبائلها » ، لا يعني رابطة دموية ، وقبيلة ينتمي أبناؤها الى نسب آباء وأجداد ، على نحو ما نفهم اليوم من معنى قبيلة ، وإنما المراد بذلك رابطة المصالح والانتماء الى الدولة ، أي رابطة مواطنة تجمع شمل جميع المواطنين بالدولة جمعاً روحياً ومادياً ، أي أن سبأ مثلاً تجمع السبئيين وغيرهم من الغرباء من أتباع حكومة سبأ ، الخاضعين لحكم هذه الحكومة ، والذين يدينون بالولاء لها ولأنظمتها ولقوانينها الروحية والمادية ، ويرتبطون معها بروابط اقتصادية وبالمصالح المشتركة. <sup>(٢)</sup> وتجدد في العربية الجنوبية قرى وطبقات نسبت كلها الى « شعب » ، لا نسباً يقوم على النسب الى الآباء والأجداد بل الى الموضع ، أو الى « بت » ، أي بيت ، يتألف من أحرار وعبيد وأجراء ، جمعت بين أهل البيت مصالح مشتركة من دينية واقتصادية وسياسية وضرائبية وغيرها <sup>(٣)</sup> .

ويختلف هذا المفهوم للنسب اختلافاً تاماً عن مفهوم النسب عند العرب الشماليين حيث يقوم النسب في عرفهم على الانتساب الى شجرة الآباء فالأجداد فأجداد الأجداد وهكذا ، وذلك لاختلاف طبيعة الحياة بين العريين ، فالعرب الجنوبيون قُطّان أرض

Grohmann, S., 122, REP, V, 2726. (١)

Rhodokanakis, der Grundsatz der öffentlichkeit in Sûdaralischen Urkunden, S., 42, ; 1945 ) , Bodevwirtschaft, S., 181. Handbuch, S., 119. (٢)

Handbuch, S., 119, Kingship in ancient south Arabian, in Journal of Economic and Social History of the Orient, Vol. 15, ; 1972 ) (٣)

ومزارع وقرى ، وأصحاب رعي مقيمون ، ومن هنا اختلفت طبيعة حياتهم عن حياة العرب الشماليين الذين تغلب عليهم حياة التنقل والانتجاع ، وقد أدرك ابن خلدون هذا الفرق ، حين تحدث عن النسب ، فذكر أن مضر إنما حافظوا على أنسابهم « لما كانوا أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعدوا من أرياف الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب » ، فبقيت « أنسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيها شوب . وأما العرب الذين كانوا بالتلول وفي معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان مثل لَحْصَم وجُدَام وغَسَّان وطَّي وقُضَاعَة وإيَاد فاختلفت أنسابهم وتداخلت شعوبهم ، ففي كل واحد من بيوتهم من الخلاف عند الناس ما نعرف »<sup>(١)</sup> .

وقد وقع النسابون في الإسلام في أخطاء فظيعة ، في تدوينهم أنساب القحطانيين ، لعدم قدرتهم على قراءة المسند والمزبر ، فتصوروا مثلاً لفظة « بن » التي هي حرف جرّ ، بمعنى « من » أنها في معنى « ابن » ، وبذلك صيروا أسماء مواضع أو آلهة مثل « تالب » إله هَمْدَان اسم رجل ، له آباء وأولاد ، ولهذا تجب إعادة النظر في الأنساب في هذا اليوم ، على وفقّ القراءات الحديثة لكتابات ما قبل الإسلام .

ثم إن كلمة « بن » ، أي « ابن » ، لا تعني في العربيات الجنوبية بالضرورة معنى « ابن » من أب وأم ، وإنما تعني في كثير من الأحيان قولنا مثلاً « هو ابن بغداد » ، أو « ابن البصرة » أو « ابن القرية » ، أو « ابن البادية » ، فهي تشير الى نوع من أنواع الحياة الاجتماعية ، لا الى نسب كما تصور ذلك « الهَمْدَانِي » وأمثاله في الإسلام . هذا ولم يصل إلينا نص في العربيات الجنوبية فيه شجرات نسب على نمط ما نقرؤه في تشجير أهل الأخبار لأنساب العرب قبل الإسلام .

وقد تنقسم القبيلة أقساماً ، أرباعاً أو أثلاثاً أو أنصافاً ، ورد « ثلث سمعي » ، أي « ثلث سمعي » ، ومعنى هذا أن ثلث هذه القبيلة قد كون وحدة له ، واستقل بعملٍ ما ، وهذا ما لا نجده في العربية الشمالية ، يحدث ذلك بسبب الأحوال السياسية والاقتصادية للقبيلة ، علماً بأن القبيلة في العربية الجنوبية ليست قبيلة نسب ، بل قبيلة تحالف وعقد ومحالفات لوجود مصالح مشتركة بين المتحالفين .

ويعبر عن المواطنة بلفظة « جوم » ، « كوم » أي قوم في مصطلحنا ، والرباط

(١) مقدمة ابن خلدون ( الفصل الثاني ، الفصل التاسع ) ، ( ص ١٢٩ وما بعدها ) ، ( طبعة بالأوفست لمكتبة المثنى ) .

الذي يربط شمل القوم هو الإله ، الذي يعبر عنه بجملة : « جوم عثر » ، و « جوم ود » و « جوم المقه » ، أي قوم عثر وقوم ود ، وقوم المقه ، والإله هو بمتزلة الأب الشفيق الرحيم بالنسبة إلى قومه الجامع لشملهم . وقد عبر عن هذه الأبوة الروحية بجملة «ودم ايم» ، و « ولد المقه » ، و « اولد عم » ، أي « ود أب » ، وود هو الإله ودّ إله مَعين الكبير ، و « أولاد المقه » ، « ولد المقه » وهم أهل سبأ ، و « أولاد عم » ، و « ولد عم » ، وهو تعبير يرد في نصوص قتبانية ، للدلالة على ارتباط الشعب بإلهه برابطة قوية عبر عنها بـ « حبلهم » ، أي « حبل » <sup>(١)</sup> ، يذكرنا بالآية الكريمة : « واعتصموا بحبل الله » <sup>(٢)</sup> وبالآية : « أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » <sup>(٣)</sup> . وقد تؤدي لفظة « كوم » عندنا معنى الأعداء والجماعة المعادية ، كما تؤدي معنى « قوم » . وتؤدي لفظة « خمس » معنى مواطنة في بعض الآراء ، وورد في نص معيني : « وكل الالت معنم ويثل وكل الالت ذ اخمسم واشعبيم » ، ومعناها : « وكل آلهة معين ويثل وكل آلهة المواطنين والقبائل » ، ويظهر أن المراد من لفظة « خمس » « خمس الحضرة ومن » اشعبيم « الأعراب » ، أي القبائل ، كما يظهر ذلك من عبارة : « خمسيهو وحميرم » ، أي « مواطنوها وحمير » ، والضمير يعود إلى سبأ ، كما أريد باللفظة نفسها جماعة من الفلاحين ، ينهضون للقتال حين تعلن الحرب . ويظهر أن المراد بلفظة « هوصت » الواردة في النص « هوصت بكل جوم » <sup>(٤)</sup> المِلَّة ، كما نقول : مِلَّة الإسلام ، والمثل والنحل .

وتؤدي لفظة « حور » معنى « سكان » مدينة ، فجملة : « حور هجرن » تعني « سكان مدينة » ، <sup>(٥)</sup> وأرى أنها بمعنى « حضري » و « حضر » كذلك ، لورودها بهذا المعنى في بعض النصوص في مقابل « أعرابي » ، و « أعراب » « أعرب » ، سكان البادية ، وقد فسرت بمعنى « مهاجرون » ، فـ « حور تمنع » بمعنى « المهاجرون بمدينة تمنع » ، <sup>(٦)</sup> وقريب من هذا المعنى قول علماء اللغة : « الحور : التردد » ، و « التحير » <sup>(٧)</sup> .

(١) Glaser 484, Skyyl, I, S., 68.

(٢) آل عمران ، الآية ١٠٣ .

(٣) آل عمران ، الآية ١١٢ .

(٤) Glaser 484

(٥) A.F.L. , Beeston, qahtan, II, P., 3.

(٦) المصدر نفسه ( ص ٤ ) .

(٧) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصبهاني ( ص ١٣٤ ) ، اللسان ( ٢١٧/٤ ) ، ( حور )

والإله في مقابل تعبد الناس له ، وتقديم النذور اليه ، يحمي ملته ، ويدافع عنها ، فهو « شيمم » « شيم » لهم ، أي مدافع وذاب عن أهله ، « أهل ود » ، أو « أهل المقه » ، أو « أهل عثتر » أو « أهل عم » ، فالشعوب هي شعوب الآلهة ، كما نقول : « أهل الله » وأهل الإسلام ، إذا قاتل أهله قاتل معهم ، ودافع عنهم ، ما داموا طائعين له ، أما إذا عصوا أمره ، وتهاونوا في تقديم النذور والذبايح اليه ، فهو منصرف عنهم ، يتركهم وحدهم نهياً لأعدائهم ، ومن هنا فسروا الهزائم بأنها عقوبة من الإله فرضها عليهم لإعراضهم عنه ، وهو تفسير ديني للتأريخ ، يرجع الهزائم والنكبات والحروب إلى انصراف الناس عن آلهتهم ، وعن تنفيذ أوامرها ، مما يدفع الإله عن الانصراف عن المنصرفين عنه ، وهو تفسير قديم جداً للتأريخ ما زال مألوفاً عند الآخذين بالتفسير الروحاني ، أي التفسير الديني للتأريخ ، وبه فسّر مؤرخو الكنيسة هزيمة الروم من بلاد الشام ومصر وتغلب المسلمين عليهم ، بأنه انتقام من الله ، لأنهم تركوا كنيسه ، وابتعدوا عنها الى الدنيا ، فعاقبهم بأن سلط المسلمين عليهم ، وبمثل هذا التفسير فسّروا تسلط نابليون على فرنسا ، أما الإسلام ، فإنه يربط المسببات بأسبابها في جميع الاحوال . والمجتمع العربي الجنوبي مجتمع متدين ، للمعبد الممثل للآلهة عليه نفوذ ، وحتى حكومته المدنية هي حكومة متدينية لا يعمل الملك فيها عملاً مهماً ما لم يكرسه للآلهة ، ويتبرك بذكرها في كتاباته . وينذر لها النذور كما يفعل ذلك سائر الناس ، كأن يرجو منها أن تهب له مولوداً ذكراً صالحاً صحيحاً في مقابل نذر يقدمه اليها .

وكان الملوك يخصصون للآلهة نصيباً مما يقع في أيديهم من فيء وأسرى ، ويكون هذا النصيب للمعابد التي يتعبد لها الملوك ، ويشرف عليها رجال الدين ، وبذلك كان للمعبد ارتباط متين بالسلطة التي تمجد آلهتها وتنسب اليها النصر .

وتشفى الآلهة من الأمراض ، وتشقى الأشقياء بانزال الأمراض بهم ، والأمراض عقوبة من الآلهة توقعها بالمخالفين ، وابتلاء ينزل بالمؤمنين لاختبار صبرهم وتحملهم في قبول المشقات ، وتقع كل هذه العقوبات في الدنيا ، ولذلك كانوا يتخوفون من وقوعها . أما بالنسبة الى معاقبة المجرمين بعد الموت ، فلا أعلم بورود نص فيه شيء عن ذلك ، وقد يعثر على نصوص فيها حديث عن ما بعد الموت .

وكانوا يذبحون الذبايح تقرباً الى آلهتهم في شهر « ذابهى » <sup>(١)</sup> ، ويظهر أنه



كان لهذا الشهر صلة بالناحية الدينية ، فهو مثل شهر « رجب » الذي كانت تهل فيه الذبائح قبل الإسلام .

ولهم في معابدهم شعائر ، فلا يجوز للحائض دخول المعبد ، إن لم تكن قد اغتسلت من الحيض وطهرت نفسها بالغسل ، كما لا يجوز للرجل دخول المعبد وهو جنب ، فلا بُدَّ له من الاغتسال من الجنابة ، ومن خالف أمر الآلهة ودخل المعبد نجساً ، فلا بد أن يدفع كفارة هذا الإثم . وقد عثر في خرائب معبد مدينة قديمة ساحلية في سلطنة عمان ، ظهر فيما ظهر فيها على محل « لمزاولة آداب الوضوء والاعتسال <sup>(١)</sup> » ومذبحين للقرايين ، ولوجود موضع الوضوء والاعتسال أهمية كبيرة بالنسبة الى دراسة الشعائر الدينية عند العرب قبل الإسلام .

وقد استمر ورود أسماء الآلهة العربية الجنوبية التي هي عبادة نجوم في النصوص الى ما بعد الميلاد ، ثم أخذ ورودها يقل تدريجياً ، كلما ابتعدنا عن الميلاد واقتربنا من الاسلام ، وذلك بسبب المؤثرات الجديدة التي دخلت اليمن ، وهي دخول اليهودية اليها ثم دخول النصرانية بعدها ، ودخول بعض ملوك حمير في اليهودية ، وقيام الأحباش الذين توغلوا في اليمن بنشر النصرانية فيها ، مستخدمين كل وسائل الإعلام في ذلك الوقت لجذب أهل العربية الجنوبية اليها ، وفي جملة ذلك جلب المبشرين العارفين بالنفسية العربية ، وبناء الكنائس الفخمة المزوقة ، للتأثير في نفوس من يدخل إليها ، وقد قام ببنائها بناؤون من الروم ، واستعملوا في زخرفتها « الموزائيك » والرخام الملون ، إلا أنها صارت هدفاً لغضب الوطنيين عليها ، الذين أبوا الابتعاد عن ثقافتهم القديمة ، وعن استقلالهم ، والدخول في استعمار الحبش .

وقد وردت نصوص ، فيها : « رحمن مراسمين وأرضن » ، أي : « الرحمن ربّ السماء والأرض <sup>(٢)</sup> » . ولكنها لا يمكن أن تفسر بأنها إقرار بالتوحيد ، أو تعني تهوّد أو تنصر أصحابها ، وإنما تشير إلى نوع من التوحيد الغامض الذي لا نعرف كُنْهه بعد ، وقد تأتي الأيتام بنصوص تكون لنا رأياً علمياً في ديانة أهل العربية الجنوبية بعد الميلاد . ولعلّ هذا من قبيل ما يسمى بـ « الحنيفية » في الإسلام .

(١) بافقيه ، تاريخ اليمن القديم ( ٥٥ وما بعدها ) .

(٢) Ja 541, REP 4069, 4107, CIH540, 81 — 82, CIH 5 43,1, Ry, 508 10 — 11, 509, 10, Ja 544, 547,



والذي أراه أن اضطراباً كان قد عَمَّ العربية الجنوبية من حيث الناحية الدينية بعد الميلاد ، ولا سيما في المئة الخامسة والمئة السادسة للميلاد ، فالمتهوده كانوا يسعون لنشر اليهودية ولتثبيت مركزها في اليمن ، والنصرانية يدفعها البيزنطيون والحبش إلى الأمام ، ويؤيدونها تأييداً قوياً ، على حين يقاومها الوطنيون ، لأنها ديانة فاتحين معادين للشعب وكذلك كان شأنهم مع اليهودية .

وفي وسط هذه الحيرة ، نقرأ اسم « الشمس » في كتابة من أواسط المئة السادسة للميلاد ، وفيها إشارة الى مذبح كرس للشمس<sup>(١)</sup> ، على حين اختفى من النصوص ذكر الآلهة الشهيرة ، التي كان يقدم اليها الملوك والأقيال والكبراء والقادة الذبائح وَيَقِفُونَ عليها الاوقاف لتساعدهم وتحسن إليهم ، فلا نجد فيها اسم « المقه » ، ولا اسم عثر ، ولا سين ولا ود ، ولا تالب ريام ، ولا الآلهة الأخرى التي يظهر أن الحظ قد خانها ، فبئسها عبّادها بعد الميلاد ، ولم يبق مَنْ يذكُرها وبذلك أصيبت القومية العربية الجنوبية وثقافتها بنكسة كبيرة ، وأخذت تموع وتختفي حتى ماتت هي ولغتها ونصوصها من نثر وشعر .

وللحكومة موظفون ، لا أستطيع ذكر ترتيبهم ودرجاتهم ، لعدم وجود كتابات تتحدث عن ذلك ، إنما أستطيع أن أذكر بعضهم ، مثل الكبراء ، فقد ورد « كبر ددن » ، أي كبير ديدان في نص معيني ، وورد « كبر تمنع » ، و « كبر ميفعت »<sup>(٢)</sup> ، وورد « كبر حضرموت » في نص أبرهة ، في جملة من وفّدوا على أبرهة بعد إتمامه سد مأرب<sup>(٣)</sup> ، وقد أُشِيرَ إلى كبير من كبار رجال الدين ، كما أُشير الى كبير تولّى إدارة مزارع الملك ، والى كبير كان عمله الإشراف على أعمال الصرف والإنفاق على الجيش ، وورد ذكر كبير كان يتولى رئاسة قبيلة ، فيتبين من ذلك أن الكبارة « كبرت » لم تكن وظيفة معينة ذات حدود مرسومة ، وإنما كانت مجرد رئاسة عمل . وقد تبين من بعض الكتابات أنها كانت وراثية ، كما في حالة « كبر خليل » كبراء خليل ، وفي نحو بداية الميلاد ازداد نفوذ الكبراء حتى صاروا طبقة متنفذة ذات ممتلكات واسعة ، قلّصت شيئاً فشيئاً من نفوذ المجالس والملوك .

Ry 527

(١)

لوندن ( ص ١٠٠ ) .

REP 4054, REP3951, Arabien, 130.

(٢)

Glaser 618

MM136

(٣) راجع السطرين ٨٦ ، ٨٧ من نص أبرهة

وظهرت بعد الميلاد « كباره » على الأعراب ، فنقرأ في النصوص : « كبر اعرب » .  
ومن مراتب الحكم مرتبة « القين » ، « قينن » ، والجمع « اقين » وأقيان . ولم يكن  
عمل القين محدداً ، فقد تولى بعضهم رئاسة دينية ، وتولى بعض إدارة أعمال ادارية ،  
وتولى آخرون قيادة الجيش ، وكان على سحر « رشو » وقين ، اسمه « تبع كرب » <sup>(١)</sup> .  
وأما « القول » ، فهو « القَيْل » في لهجتنا ، وقد كان له نفوذ كبير ، ولا سيما بعد  
الميلاد ، حتى لقب بعضهم نفسه بـ « ملك » عند ظهور الإسلام .

وأما الأذواء ، فإنهم أصحاب أملاك ، وقد عرفوا بأملأكهم ، ومنهم « ذ ث »  
« ذو ثات » ، الذي ذكره حسان بن ثابت في شعره بقوله :

« وفي هكر قد كان عزٌّ ومنعةٌ وذو ثات قيل لا يكلم قائله

أي أحداً من خدمه وخاصته ، وكان من الملوك الكُفاة » <sup>(٢)</sup> .

وترد لفظة « عقب » ، بمعنى « عاقب » <sup>(٣)</sup> ، و « العاقب » في عربيتنا ، « دون  
السيد ، وقيل : الذي يخلفه ، وفي الحديث : قدم على النبي ، صلى الله عليه وسلم ،  
نصارى نجران : السيد والعاقب ، فالعاقب من يخلف السيد بعده ، . . . وقيل : السيد  
والعاقب هما من رؤسائهم ، وأصحاب مراتبهم ، والعاقب يتلو السيد » <sup>(٤)</sup> .

ولدينا مصطلحات لا نعرف من أمرها شيئاً كثيراً في الوقت الحاضر ، مثل :  
« قبت » « قبات » ، يظن أنه بمعنى « نائب الملك » ، و « حفى هنفس » ، « حفى  
نفس » ، قد يراد به المشرف على الأعمال العامة مثل الري والبناء ، أو النظر في القضاء ،  
فهو بمنزلة الحاكم ، وله مساعدون « ربقه » ، « ربقهى » معن ، <sup>(٥)</sup> يساعده في  
التدوين وفي تنفيذ الأحكام .

وأما السمخض ، فهو مدير ، مثل « سمخضت ارض » أي مدير أرض . وأما الـ  
« ملوطن ملكن » ، فمعناها الإشراف على إدارة الأملاك ، وقد وردت في نصوص سبئية  
متأخرة .

ووردت في النصوص الحضرمية جملة : « اذن قنى ملك حضرمت » ، والظاهر

(١) المفصل ( ٢٧٧/٥ )

(٢) الاكليل ( ٣٣٨/٢ ) .

(٣) Mordtmann und Mittwoch, Sabaische Inschriften, Hamburg, 1931, S., 136. f.

(٤) اللسان ( ٦١٤/١ ) ، ( عقب ) .

REP 3310

أنها تعني إدارة أملاك ملك حضرموت ، بدليل أن معناها ؛ « آذن أملاك ملك حضرموت » ،  
أو « المشرف على أملاك ملك حضرموت » .

وترد لفظة « محرج » بمعنى : « سيد » و « متسلط » و « أمير » ، وفي تعبير  
عن مركز إداري لا نستطيع في الوقت الحاضر تحديده <sup>(١)</sup> ، ويذكر علماء اللغة أن  
« الحَرَج » الرجل الذي لا يَنْهزم <sup>(٢)</sup> ، فهل يكون لهذا المعنى صلة بـ « محرج » ؟

وفي الكتابات مصطلح « حشرو » أي الحَشْر ، واجبهم جمع الحشر للدولة ،  
وهم الذين يجمعون الناس للحروب والقتال ، ولإصلاح السدود ومكافحة الفيضان ،  
وما شابه ذلك ، والذين يُحشرون هم من الطبقة الدنيا من الناس ، ممن لا يملكون شيئاً ،  
يأخذهم الحاشر بالقوة ، ولسوء الأحوال في هذا الحشر كانوا يلجؤون الى الهرب .

وهناك حشر آخر ، هو حشر الضرائب ، أي جمع ما يكون للحكومة من نصيب  
مفروض في الحاصل . وهو حشر مكروه أيضاً ، لما في ذلك من جهد دون ثمن ولا مقابل .  
ويقال لجامع الضرائب « نحل » كذلك ، وأما وظيفته فهي « نحلت » .

وتؤخذ الضرائب ، التي هي بعض واردات الحكومة والملك من العشور ومن الصفقات  
التجارية التي كان يتاجر بها الملوك ومن غلة مزارعهم والأرضين الخاضعة لهم ، ومن  
أموال إيجار أرض الدولة للمؤجرين ، وتؤخذ من ملك ولا للأسف قوائم بحدود الضرائب  
التي كانت تفرض على التجار ، أو على أصحاب الأرض ، لعدم ورود شيء من ذلك  
في الكتابات .

وما يؤخذ من الضرائب نقداً يعبر عنه بـ « ورَقم » . وأما ما يؤخذ عينا ، فيقال له :  
« دعم » . وأما المحصول المستولى عليه فيقال له : « رزم » .

ولم يكن من حق الفلاح حصاد زرعته دون إشراف من المسؤولين عليه ، وكانت  
الضرائب تقدر والمحصول لم يجمع بعد . وللحكومة مخازن تخزن فيها ما تأخذه  
من حاصل عيني ، تدخر منه للحاجة ، وتعرض الفائض في الاسواق المحلية والعالمية  
 للبيع ، فالحكومة حكومة حكم وتاجرة سوق ، تبحث عن الربح مثل أي تاجر من التجار .  
ومن الضرائب المعروفة عندهم : « ضريبة السوق » ، وتسمى : « شتقف » ، تؤخذ  
من معاملات البيع والشراء التي تتم في الأسواق <sup>(٣)</sup> ، يجمعها « صاحب السوق » .

CIH621,6,

(١) لوندن ( ٨٣ ) ،

(٢) اللسان ( ٢٣٤/٢ ) ، ( حرج ) .

qahtan, I, P., 5.

(٣)

وقد عثر على عدد من النقود ، من جملتها نقد ضربت عليه اسم ضاربه ، وهو الملك « اب يشع » من ملوك مَعِين . وقد ضرب على نمط « دراخما » ، عليها صورة ملك جالس على عرشه ، وقد وضع رجله على عتبة ، وهو حليق الذَّقْن متدلّ شعره صفائراً ، وقد أمسك بيده اليمنى وردة أو طيراً ، وأمسك بيده اليسرى عصا طويلة ، ويعود تأريخ هذه القطعة الى المئة الثالثة أو المئة الثانية قبل الميلاد <sup>(١)</sup> .

والحرب هي « ضر » ، وضرر في اللهجات اليمانية . وأما لفظة « غزو » ، فتعني الخروج لمحاربة العدو ، و « غزت » هي غزاة وغزوات في لهجتنا ، والإغارة هي « هغرو » و « هغر » في العربية الجنوبية ، وتعني لفظة « حرب » معركة ومحاربة في لهجتنا ، ولكثرة ممارسة العرب الجنوبيين للقتال ، كثرت في لهجتهم مصطلحات الحرب .

والجيش العربي الجنوبي هو أحسن حالاً ، وأكبر عدداً وأحسن تنظيمًا من جيوش الأعراب . ولكنه لم يكن على مستوى الجيوش النظامية مثل جيشي الروم والفرس ، فلم يتمكن من الوقوف أمام جيش « أوليوس غالوس » الذي زحف على العربية الجنوبية سنة « ٢٥ » قبل الميلاد ، وقد ذكر « سترابو » واصف الحملة وأحد رجالها وصديق القائد ما لاقاه الروم من مصاعب السفن ، ومن العطش والحر خاصةً ، وذكر مع كل ذلك أن جيش سبأ كان شتاتاً ، ولم يكن يحسن الحرب النظامية المنظمة ، كما أشار الى ضعف أسلحته ، وعدم وجود سلاح جيد متطور عنده كسلاح الروم ، وعدم وجود خبرة وتدريب له على القتال .

وسبب ذلك في نظري أن العربية الجنوبية كانت مشتتة ، والحكام وسادات المدن والقبائل كانوا يترعون الى الاستقلال ، وعدم الخضوع لسلطة واحدة حاكمة ، ومصالحهم الذاتية تشجعهم على ذلك ، ولم يكن للملوك جيوش كبيرة منظمة مدربة ذات أسلحة متطورة ، وهم كما يظهر من الكتابات في قتال مع الأقبال وسادات الناس الذين كانوا يتطاولون على الحكومة ، وكانوا إذا حاربوا حاربوا بعساكر لا تريد القتال ، وانما هي مدفوعة إليه دفعاً ، إذ لا مصلحة لها به ، فهم بين « ساوالت » أي مقاتلين أجبرهم سادتهم الساوالة على التوجه للجهة وبين « اجرم » أي أجراء ، وبين « آدم » و « آدم

George Francis Hill, Catalogue of the Greek Coins of Arabia Mesopotamia (١) and Persia, London, 1922, P., LXXXII.

ارضن « أي خدم ، حُشروا للحرب . وأية فائدة يرجوها الأدم من الحرب ، ولهذا كانوا لا يستبسلون في القتال ، ولا يقاتلون إلا مُكْرَهِينَ .

والجيش هو « خمس » في العرييات الجنوبية ، والجمع « اخمس » واللفظة معروفة في عربيتنا <sup>(١)</sup> ، ويذكر علماء العربية أن الخميس : الجيش العظيم ، « والجيش الجرار ، وقيل : الخشن ، وفي المحكم سُمي بذلك ، لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة ، والساقة ، وهذا القول الذي عليه أكثر الأئمة . وقيل : سُمي بذلك لأنه يخمس فيه الغنائم ، ثم نقله ابن سيده ونظر فيه شيخنا قائلاً : بان التخميس للغنائم أمر شرعي ، والخميس موضوع قديم <sup>(٢)</sup> » ، واللفظة عربية قديمة ، ومن هنا وقع علماء العربية في هذا الاختلاف .

وللملك جيشه ، كما أن للأقيال عسكرهم <sup>(٣)</sup> . وإذا أعلن الملك حرباً ، فعلى أتباعه تقديم أنفسهم وعساكرهم إليه ، وعلى الـ « ساولت » « الساولة » تقديم ما اتفق عليه من المقاتلين والحبوب الى الملك ، وهم طبقة من أصحاب الجاه استأجرت ملكاً من أملاك الملك مقابل اتفاق بتجهيز الملك بعدد يتفق عليه من المقاتلين وبمقدار من الغلة .

ويشرف على القتال قائد يعرف بـ « مقتوي » ، « مقتوى ملكن » ، ووردت لفظة « مقتوت » ، أي مقتوية ، بمعنى ضابطة ، وقد فسرها بعض الباحثين بـ « كاهنة » . والظاهر أن المُقْتَوِينَ كانوا طبقة ممتازة من القادة يعينهم الملك من بين خيرة رجاله ومن الأقيال وسادة القبائل الذين عرفوا بسداد الرأي في الحرب .

ويتبين من النص : « Ry 513 - 515 » ، أن « المقتوى » والجمع « مقتت » ، بمعنى محارب ، وفئة من الأعيان يحاربون مع الملوك ، فهم قادة الملك ، ويعبر عنهم بـ « مقتو ملكن » ، ولم يرد ؛ « مقتو شعبن » ، أي قائد الشعب <sup>(٤)</sup> .

وجاء في تاريخ الطبري أن أبا بكر كتب الى « عتاب بن أسيد » عامله على مكة : « أن اضرب على أهل مكة وعملها خمسمائة مُقَوٍّ ، وابعث عليهم رجلاً تأمنه » <sup>(٥)</sup> ، ويظهر أن اللفظة « مقو » هذه صلة بلفظة « مقتوى » ، وقد جاء في كتب اللغة : « ورجل

(١) البطليوسي ، شرح ( ٢٣١ ) .

(٢) تاج العروس ( ١٤٠/٤ ) ، ( خمس ) .

(٣) « أخمسهو مايكم وقيلن » بمعنى « جيوشهم الملكية وجيوش الأقيال » . REP, 3904, 4.

(٤) لؤنين ( ص ٨٤ ) .

(٥) الطبري ( ٣٢٢/٣ ) ، ( ١٩٨٨/١ ) وما بعدها .

مُقَوٍ : ذو دابة قوية ، وأقوى الرجل ، فهو مقوٍ إذا كانت دابته قوية . . . وفي الحديث أنه قال في غزوة تبوك : لا يخرجن معنا إلاَّ رجل مُقَوٍ أي ذو دابة قوية « (١) » ، فالمقتوي إذن محارب فارس ، و « مقتو ملكن » ، بمعنى : « فارس الملك » ، أي من فرسان الملك .

وورد في معلقة : « عمرو بن كلثوم » ، ما يفيد أن « المقتوين » الأتباع والخدم والمحاييج والأجراء ، والمقتوي : الخادم ، والمحتاج ، فهو يقول :

تَهْدَدْنَا وَأَوْعَدْنَا رَوِيداً متى كُنَّا لَأَمِكْ مَقْتَوِينَا (٢)  
قال بعض علماء العربية : « قال شمر : و يروى بيت ابن كلثوم :  
متى كُنَّا لَأَمِكْ مَقْتَوِينَا

أي متى اقتوتنا أملك فاشترتنا » ، وال « مقتوى » في المسند من القوة ولا صلة لها بالتعامل والشراء ، وبالأتباع والخدم ، بل هي قيادة ورئاسة جيش ، « قال رؤبة :  
وقوة الله بها اقتوينَا » (٣)

ودون المقتوى درجة « قسدن » ، أي « القاسد » ، وقد وردت اللفظة في نص  
أبرهة » ، وتعني لفظة « اسود » معنى ضابط كذلك .  
وذكر علماء العربية في تفسير « قسد » أن « القِسْوَد : الغليظ الرقبة القوي ،  
وأنشد :

ضخَمَ الذَّفَارِي قَاسِياً قَسُوداً (٤) .

ويتناسب هذا المعنى مع معنى « قسد » في العرييات الجنوبية ، التي تعني درجة  
من درجات سادة الجيش ، أو الإدارة ، والظاهر من خلو كتب اللغة من إيراد غير  
ما ذكرت عن لفظة « قسد » ، أنهم لم يكونوا على علم بهذه اللفظة اليمانية .  
وقيل إن « القسدن » طائفة كانت منزلتها بين الأشراف ورقيق الأرض ، أو أنهم  
ملاك ، وكانوا يكلّفون الخدمة العسكرية . ويدفعون خراج أرضهم ، عدا الخدمة  
العسكرية .

(١) لسان العرب ( ٢٠٧/١٥ ) ، ( قوا ) .

(٢) شرح القصائد السبع المشهورات ، شرح أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ( ٨١١/٢ ) ، تحقيق :  
أحمد خطاب .

(٣) اللسان ( ٢٠٧/١٥ ) وما بعدها ) ، ( قوا ) .

(٤) اللسان ( ٣٥٣/٣ ) ، ( قسد ) ، تاج العروس ( ٤٦٦/٢ ) ، « القسود » .



وأما لفظة « قدم » والجمع « أقدم » ، فتؤدي معنى قائد ، بمعنى قائد يقود قطعة جيش ، وذلك كما يفهم من النص « Ja 547 , 2 » ، والنص « Ry 506, 5 » ، كما تؤدي معنى : رؤساء ، وذلك كما في هذا النص : « عليهمو علهن ملك سبأ وخميس واعرب ملك سبا ذحيم وقتبن وأقول وأقدم واشعب ملك حبشت » وتفسيرها : « من نصيبهم لعلهان ملك سبأ ، ولقبائل ملك سبأ وأعرايه ذوحي ، وقتبان وأقيال ملك حبشة ورؤساؤه وقبائله » <sup>(١)</sup> ، فـ « أقدم » ، هم المقدمون على الناس ، والسادة في القوم . وسند الحكومات في واردها ، الأرض والماء ، ولا سيما الأرض الخصبية ، وفي الأرضين الواسعة ذات الماء نشطت الملكيات التي توقف سلطانها ونفوذها على دخل أرضها ، وقد كان ملوك العربية الجنوبية من كبار أصحاب الأرض ، فمن الزراعة استمدوا غناهم بالدرجة الأولى كما كانوا يتاجرون في الأسواق المحلية وفي الأسواق العالمية ، وكانوا يؤجرون أرضهم مقابل أجر يقال له : « نحل » في لهجتهم <sup>(٢)</sup> ، والذي يؤجر هذه الأرض هو من كبار الناس بالطبع ، يقومون باستغلالها بأنفسهم ، أو بتأجيرها لمن هم دونهم ، ولهم فروق السعيرين .

والنحل في عربيتنا العطاء بلا عوض ، والنحلة : مهر المرأة وفي التزويل العزيز : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » <sup>(٣)</sup> ، قيل : نحلة بمعنى فريضة ، وقيل : ديانة ، وقيل ديناً ، وقيل : هبة ، وأنحله ماء : أعطاه <sup>(٤)</sup> . ولهذه المعاني صلة بالمعنى المذكور . ويقال للأرض التي تسقى بماء المطر : « امطرن » <sup>(٥)</sup> ، فهي تسقى بغير جهد ولا عناء ، ولهذا اختلف خراجها عن خراج الأرض التي تسقى بمياه الآبار ، أو من النهيرات والعيون .

والمطر هو المصدر الأول للري في اليمن ، وعليه حياتهم ، ولهذا عُنوا كثيراً بأمور الاستفادة منه ومن الينابيع ، فأقاموا السدود ، ومنها سد مأرب الشهير ، الذي تهدم قسم منه فأصلح في عهد أبرهة ، وهو رمز اليمن ومن أشهر معالمها المذكورة حتى اليوم .

(١) دكتور خليل يحيى نامي ، نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها ، القاهرة ( ١٩٤٣ م ) ، ( ص ٩٣ ، ٩٥ ) .

Osiander 35

(٢)

(٣) النساء : الآية : ٤ .

(٤) تاج العروس ( ١٢٩/٨ ) ، ( نحل ) .

Saba., 212, 6.

(٥)

وفي الكتابات مصطلحات كثيرة من مصطلحات الري ، وفي الكتابات المعينية مصطلح « اطنو » و « اهل طبتن » ، ويراد به جماعة مهمتها النظر في شؤون الري بتوزيع الماء على وفق الحق والعدل <sup>(١)</sup> ، وقد عهد ذلك إلى موظفين ، عهد اليهم أمر مراقبة السدود ، والإشراف على الأبواب المتحكمة في تقسيم الماء .

ولأهمية الماء ولكونه أصل الحياة من الناحية الاقتصادية في العربية الجنوبية ، وضع الملوك والأقيال وأهل « طبن » أناساً عهدت اليهم مهمة توزيع الماء في المزارعين بالعدل والقسط المستقيم ، وفي « لحج » يكون شيخ الوادي هو المسؤول عن توزيع الماء في المزارعين حتى اليوم <sup>(٢)</sup> .

وعلى ضفاف الأودية ومواضع سقوط المطر ، قامت الحضارة في العربية الجنوبية ، إذ لا أنهار كبيرة فيها ، وإنما فيها عيون ونهيرات منابعها الأمطار النازلة على الجبال في موسمي المطر .

وما يفتح من أرض يسجل باسم الدولة الفاتحة ، وتكون رقبته بيد الملك ، فاذا فتحت جيوش سبأ أرضاً ما سجلت باسم سبأ ، وتكون في الواقع ملكاً للملك ، يستغله بنفسه ، أو يؤجر ما يشاء منها ببدل يقال له ؛ « ثوبت » ، أو يبيع منها ما يريد ببيع « شامت » .

ويضاف الى أرض الفتح ، اشتراء الملوك أرضين من أصحابها ، بمن عليها من ناس وحيوان وزرع ، وتعمل في استغلال الأرض طبقة من عبيد الأرض تكون ملتصقة بها ، تباع وتشتري معها ، وتنقل هذه العبودية الى الأبناء .

وقد ملك الأقيال ألوفاً من الرقاب ، هم وأبنائهم ملك لرب الأرض . ولما جاء الاسلام ، حرر بعضهم آفاقاً من العبيد كانوا رقيقاً لهم ، ليس لهم حق التصرف بأنفسهم ، لأن هذا الحق ، ومنه حق المحافظة على النفس ، هو من حق سيد العبد .

وقد وصلت إلينا قوانين على جانب كبير من الأهمية في تنظيم التجارة أو الزراعة أو الري ، وفي العقوبات ، أصدرها الملوك أو السادة أو المجالس . وقد افتح الملك « شهر هلال بن ذرا كرب » ملك قناب ، أحد قوانينه التي أصدرها في تنظيم الزراعة بعبارة : « حلکم سحر و حرج » ، ومعناها : « قانون أمر به وأصدره » ، ثم ذكر ما

(١) Halevy 174, 520, 521, Grohmann, S., 131.

(٢) Kingship in ancient South Arabia, in Journal of Economic and Social History of the Orient, Vol., 15, (1972) P., 263.

أمر به ، ثم ختمه بعبارة : « ول يفتح حجدن ذمحرن بخو خلفن ذسدو ورخس دعم  
خرف ابعل بن شحرز قدمن وتعلمای يد شهر » ، ومعناها : « ولينقش هذا القانون كما  
هو على باب ذي سدو . صدر بشهر ذي عم في السنة الأولى من أبعل من آل شحرز ،  
ووقعته يد شهر » (١) .

ونجد في القانون جملاً تحدد أوقات تسديد الضرائب للحكومة تحديداً دقيقاً وتعين  
مقادير ما يدفع ، بمصطلحات قانونية دقيقة تدل على رقي التقنين وأصول التشريع عند  
العرب الجنوبيين (٢) .

وترد لفظة « حج » بمعنى قرار ، وأمر ، وقانون (٣) ، وبمعنى : على وفق أمر ،  
أو على وفق قرار ، كما في هذه الجملة : « وبحج سطر دمر وقه » ، ومعناها : « وعلى  
وفق قرار دمر وقه » (٤) .

وتذيل القوانين بألفاظ قانونية تشير الى اكتسابها الصفة الرسمية الآمرة بالتنفيذ ،  
مثل لفظة « مثبت » التي تقوم مقام لفظة « صدر » في قوانيننا الحالية في العراق ، أو  
« نفذ » أو ثبت وذلك بعد موافقة المسود عليه ، وتقابل هذه اللفظة لفظة « براي » ، « برأي »  
المستعملة عند اللحيانيين ، حيث يكتب : « براي هجيل » ، أي برأي المجلس (٥) ،  
كما ترد لفظة « جزم » بمعنى الجزم والبت ، أي أن الملك قد بت فيه وجزمه .

وتكتب في آخر القانون أحياناً ومع اسم الملك لفظة « يدهو » أو « وتعلمى يدهو » ،  
أي « ووقعته يده » ، أو « تعلمه ذات يدن » ، أو « تعلمه يدن » ، تعبيراً عن معنى أن  
الملك قد أصدر هذا القانون وختمه بخاتمة وبيده ، فهو قانون شرعي .

وقد يذكر في القانون قصر الملوك ، إشارة الى أنه صدر من مقر عمله ، كأن يذكر  
اسم « بت سلحن » ، أي « قصر سلحين » ، أو « بت غندن » ، أي قصر غمدان ،  
أو « بت وعلن » ، أي « بيت وعلان » وهكذا . وفي ذكر القصر دلالة على أنه أمضي  
وتمت الموافقة عليه في دار الحكم .

(١) Glaser 1396, = 1610, SE 83, Rhodokanakis, Katab., II, S., 5. f.

(٢) A. F. L. Beeston, qahtan, studies in old South Arabian Epigraphy,  
Fascicule, I, the Mercantile code of qahtan , 1959,

M. Hôfner, Die Inschriften der Suedarabischen expedition,  
II, in WZKM, 42, 1935, S., 47. f, Beeston, Sabeen Inscriptions, P., 110  
REP 4337, Helfritnz, Land ohne Schatten, Leipzig, 1937 ,

(٣) دراسات يمنية ، الجزء المذكور ( ص ٧٩ ) .

REP 3948,2, (٤) دراسات يمنية ، الجزء المذكور (٧٩)

Rhodokanakis, Stud. Lexi., II, S., 85. (٥)

وللتشريع العربي الجنوبي طابع خاص وفلسفة طريفة ، فالقانون فيه قانون مدني ، يحدد بالحدود التي ترسمها المجالس ، أو التي يأمر بها الملوك ، ولكنه قائم على ركيزة دينية ، ذلك أن القوانين وإن كانت بشرية من صنع الإنسان ، إلا أنها تمثل إرادة الآلهة ومشيتها في التقنين وفي وجوب العمل بالقوانين ، لذلك يكرسونها باسم الآلهة في الغالب ، ويهدد المخالف بالعقوبات « سعدبم » أي العذاب ، لأنه ارتكب مخالفة أو جريمة « خطات » ، « خطيئة » ، فالمخالف يعاقب اذن بعقوبتين العقوبة المنصوص عليها في القوانين ، والعقوبة التي تفرضها الآلهة على البشر ، من إنزال المرض به ، أو الفاقة ، أو العقم ، أو الإفلاس ، وما شاكل ذلك من عقوبات ، فضلاً عن العقوبة التي يفرضها المعبد على المجرمين ، لمخالفتهم أوامر آلهتهم ، ومن هنا صار الرادع القانوني أقوى في قوانين العربية الجنوبية من الرادع القانوني عند غيرهم ، ومنهم العرب الشماليون .

وفي جملة قوانين العربية الجنوبية أن ابن الجارية الذي يعترف به أبوه ولدأ له ، يكون ولدأً شرعياً ووريثاً له ، <sup>(١)</sup> وهم في ذلك على سنة العرب الشماليين أيضاً في ابن الجارية . ويعبر عن الولد الذي يولد من أب حرّ ومن أم جارية بلفظة « مجن » <sup>(٢)</sup> .

ومجتمع العربية الجنوبية مجتمع طبقي ، سواده طبقات ، وعاليه طبقات ، ووسطه طبقات كذلك ، وفي الكتابات ألفاظ كثيرة ، هي أسماء مجتمعات في داخل المجتمع ، يظهر منها أن الانسجام بينها كان ضعيفاً ، وأن الوحدة الاجتماعية لم تكن متينة بينها بسبب انتفاء التوازن في مصالح الطبقات ، وهذا مما سبب تفكك المجتمع وتفتته ، وانقسامه طوائف « كبارات » وأذواء ، نعتوا أنفسهم ملوكاً يسرت للحبش ثم للفرس احتلال اليمن .

فقد كان في اليمن فقراء معدمون مملوكون ، على حين كان فيها متخمون يملكون الآف العبيد ، وفي أخبار الإسلام أن بعض أصحاب الاقطاع حين أسلموا كانوا يملكون آلافاً من رقيق الأرض ، ساقوهم معهم ، فلمّا كلّّمهم الصحابة في أمرهم أعتقوهم . هذا « حمرة بن أبيقع » الهَمْداني ، هاجر في زمن عمر الى الشام ، ومعه أربعة آلاف عبد ، فأعتقهم كلّهم ، فانتسبوا في هَمْدان <sup>(٣)</sup> ، ولدينا أمثلة كثيرة من هذا القبيل ،

(١) لوندن ( ص ٨٤ وما بعدها ) .

(٢) Ry 512, 1, 572, REP 3904, 15 .

(٣) الإصابة ( ٣٧٩/١ ) ، ( ١٩٩٩ ) .

تظهر أن أصحاب الأرض في العربية كانوا يملكون آلافاً من العبيد ، يقومون بالأعمال كافة ، ومنها حماية سيدهم والدفاع عنه .

وتدل جملة : « حرم . وأجرم ومشكم وضبر وفقضم » الواردة في نص معيني <sup>(١)</sup> ، تحدث عن تقديم ذبائح الى آلهة معين قدمت باسم هؤلاء المذكورين في الجملة ، على أنها تتحدث عن طبقات كونت مجتمع معين . ف « حرم » بمعنى الأحرار ، وهم أعلى طبقات المجتمع ، و « أجرم » هم الأجراء الذين يقومون بمختلف الأعمال مقابل أجر يدفع لهم . وأما « مشكم » ، فمن الصعب الحديث عن المراد من هذه اللفظة ، ولم تسعفنا كتب اللغة بشئ عنها . وقد ورد في نص « كبرهمو مشكم » ، أي « كبرهم مشك » ، ويدل ذلك على أن « مشكم » هو اسم علم ، وقد ورد في عربيتنا « مشكان » . اسم علم لرجال <sup>(٢)</sup> وأما « ضبر » ، فلا نعلم المراد منها ، وإن كان ذكرها في هذه الجملة يدل على أن المراد بها طبقة من طبقات المجتمع المعيني ، وفي كتب اللغة : « الضبر : الجماعة يغزون على أرجلهم » و « الجماعة يغزون » ، ومنه قول « ساعدة بن جؤيثة الهذلي » :

بيناهم يوماً كذلك راعهم ضبراً ، لباسهم القثير مؤلّب

القثير : مسامير الدروع ، وأراد به هاهنا الدروع ، كما ذكر أن « الضبور » الدبابات التي تقرب للحصون لتنتقب من تحتها ، الواحدة ضبرة <sup>(٣)</sup> ، وإذا أخذنا بهذا المعنى ، أمكن القول إن « ضبرم » تعني جماعة من جماعات المقاتلين في معين .

وأما « فقضم » ، « فقض » ، فلم أجد في كتب اللغة تفسيرها ، وقد وردت اللفظة في نص قتباني يفيد أنها تعني طبقة من طبقات المجتمع <sup>(٤)</sup> .

ولأحرار المجتمع المكانة والسيادة في المجتمع ، وهم أرفع شأناً من الطبقات التالية لهم ، حتى إنهم كانوا لا يسمحون لمن ليس حرّاً من تبع الأسرة بالدفن في مقابرهم . لأن مقابر الأحرار للأحرار ، فنجد في نص مقبرة أنها خصصت بأحرار وحرّات الأسرة

(١) نقوش خربة معين ، خليل يحيى نامي ، القاهرة ( ١٩٥٢ م ) ، ( ص ٥ وما بعدها ) .

(٢) Halevy 195, 243,

خربة ( ٢٧ ) ، راجع تاج العروس مادة « مشك » .

(٣) اللسان ( ٤٨٠/٤ ) ، ( ضبر ) .

Glaser 1606, 16

(٤) خربة معين ( ص ٨ )

« لقتبرم بهو كل احرر وحررتو بتهو »<sup>(١)</sup> ونجد مثل هذه العبارة في نصوص أخرى « لقتبر بس احرر وحررت »<sup>(٢)</sup> .

وقد أشير في نص إلى « اقولن » و « مراس » و « شعبن » و « تسبانن » و « اعربن »<sup>(٣)</sup> و « اقولن » ، هم الأقبال ، و « مراس » ، هم الرؤساء ، أصحاب السيادة ، و « شعبن » ، هم « الشعب » ، والجمع « اشعب » ، و « تسبانن » المحاربون ، و « اعربن » هم الأعراب ، ففي هذا النص إشارة الى طبقات المجتمع في ذلك الحين ، وفيه ذكر الدور البارز الذي حصل عليه الأعراب في العربية الجنوبية .

ولا يراد بـ « شعبن » هنا ما يفهم من لفظة القبيلة في عربيتنا ، وانما يقصد بها « قوم » جمعت بينهم الأرض والاسلوب العام للعمل ، والمصلحة العامة ، فيهم الاقبال والرؤساء والأحرار والأجراء ، والتجار وأصحاب الحرف ، وكل هؤلاء يكونون « اولد شعبن » ، أي أبناء القوم ، وأبناء الشعب ، بمعنى المواطنة ، التي تعني النسب ، ومفهوم القبيلة العربية الجنوبية ، يختلف كل الاختلاف عن مفهوم القبيلة في مفهوم العرب الشماليين .

وفي نصوص المسند مصطلحات سياسية ، تدل على دقة في التفكير السياسي ، وفي تعامل حكومات اليمن مع الدول الأجنبية ، أطلقت لفظة « محشكت » مثلاً على السفير فوق العادة الذي يرسل إلى دولة صديقة مقربة ، وهي من الأصل الذي منه « حشكت » بمعنى زوجة ، فهي تعبير عن رابطة سياسية قوية متينة ، على حين أطلقت لفظة « تنبلت » على سفراء الدول الكبرى التي ليست لها صلات ودية قوية معها ، واطلقت لفظة « رسل » ، بمعنى « رسول » و « رسل » على من يفد اليهم من حكومات غير كبيرة أو سادات القبائل ورؤساء الناس . وقد أطلق نص أبرهة الشهير لفظة « محشكت » على سفير الحبشة وعلى مبعوث الروم اليه ، ولفظة « تنبلت » على مبعوث « ملك فرس » أي : ملك فارس ، إليه ؛ ولفظة « رسل » على مبعوثي « مذرن » أي المنذر ملك الحيرة و « حرثم بن جبلة » ، أي الحارث بن جبلة ، ورسول أبي كرب بن جبلة ،<sup>(٤)</sup> لأنهم دون الروم والفرس في المكانة وفي العرف السياسي .

(١) دراسات يمانية ، جزء ٢ مارس ١٩٧٩ ، مجلة ( ص ٤٨ ) .

(٢) المصدر نفسه ( ص ٥٢ ) .

REP 4069, 4.

(٣) لوندن ( ٧٣ ) .

(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، ١٩٥٦ م ، ( ص ٢٠٦ ) .

CIH 241, Glaser 618.



وللمعابد إدارة منسقة منظمة تشرف على خدمتها وعلى الاتفاق على رجال الدين ، من الضرائب المفروضة على الناس ، ومن النذور والصدقات التي تقدم إليها ، وكان « المكرب » « المقرب » الرئيس الأعلى للمعابد في أيام المكربين . فلما تحول المكربون إلى ملوك ، اختفى هذا اللقب ، وظهرت ألقاب أخرى عبرت عن الرئاسة الدينية ، مثل « رشو » ، و « شوع » ، و « أفكل » ، المرادفة للفظ « ابكلو » « Apkallu » في الأكادية <sup>(١)</sup> .

وتشرف على إدارة المعابد ، وعلى جمع الضرائب والعشور والصدقات والنذور في قتبان ، جماعة عرفت بـ « اربى » <sup>(٢)</sup> ، فهم بمنزلة دوائر الأوقاف في الزمن الحاضر ويظن أن مصطلح « امنهت » ، « اهل امنهت » ، يشير الى الاشراف على المعابد ، ويقابله « امنهت ذ عثر » في القتبانية ، وقد تولت هذا المنصب المرأة كذلك .

وفي مقابل الدخل الكبير الذي كان يصل الى المعابد ، قامت إلى جانب إنشاء المعابد وتجديدها بأعمال تعد من صميم أعمال الحكومة ، مثل إنشاء الطرق والأبنية العامة ، وتقديم الحبوب والغلات أيام الحاجة والمجاعة .

وترد لفظة « أمنهت » ، « أمنه » ، بمعنى « الأمناء » أو الوكلاء في عدد من النصوص ، فقد كان للملوك أو للمعابد « امنهت » ، أي أمناء ، أو وكلاء ، أو مشرفون على عملٍ ما <sup>(٣)</sup> .

وترد في المسند لفظة « قهلت » ففي بعض النصوص : « قهلت عثر » <sup>(٤)</sup> ، ويفهم من هذا التعبير أن المراد به « ملة عثر » ، أو « نحت عثر » ، أي جماعة وتبع منتمون إلى الإله « عثر » أو أي إله آخر . أما « القهل » في عربيتنا فـ « كالقره في كشف الإنسان وقدر جلده ، ورجل مُتْقَهْل : لا يتعهد جسده بالماء والنظافة » ، ورد في الشعر :  
من راهب مُتَبَتِّلٍ مُتْقَهِّلٍ صَادِي النّهار ليلته متهجّد

والتقهّل أيضاً شكوى الحاجة ، وراثثة الملابس والهيئة . <sup>(٥)</sup> فهل يفهم من هذا التفسير أن « قهلت » جماعة من الزهاد و « المتصوفة » و « الدراويش » ، تركوا الدنيا ، وابتعدوا

Grohmann, Arabien, S., 248.

(١)

Grohmann, S., 249 ,

(٢)

qahtan, II, P., 12.

(٣)

CIH 973, 6 — 7, REP 2967, 3003, REP 2975.

(٤)

(٥) اللسان ( ٥٧١/١١ ) ، ( قهل ) .

عنها ، وتنسكوا لعبادة عثر أو أي إله آخر؟ أو انهم مجرد « ملة » و « نحلة » ، ولا صلة لها بالتقشف ؟

ويعبر عن المعبد بلفظة « بت » أي « بيت » في العربيات الجنوبية ، وقد تخصصت بعض المعابد بالتنبؤ ، أي إنباء الناس عن أمور تهمهم ، وذلك مقابل حُلُون يقدم الى الكهنة . وقد اشارت الموارد الاسلامية الى هذا التنبؤ كذلك ، وسمت ما يقدم الى الكاهن في مقابل تكهنه : « حُلُون الكاهن » ، فالآلهة لا تتكلم إن لم يقدم اليها الحُلُون . ويعبر عن الهبات والندور التي تقدم الى الآلهة بلفظة « كبودت » و « اكرب » . وفي هذه اللفظة الثانية معنى التقرب ، ويعبر عن هذا التقرب الى الآلهة بعبارات ملائمة ، مثل : « يوم وهب » ، أي يوم وهب للآلهة أو للمعبد ، وعلى الناذر الوفاء بنذره وإلا صار ديناً برقبته ، كما يظهر ذلك من جملة : « دينس عثر » ، أي « دين عثر »<sup>(١)</sup> ، إن لم يف به أنزل الإله عقوبته به .

ومنذ المئة الأولى قبل الميلاد ظهرت في العربية الجنوبية قوة لم يكن لها ذكر في نصوص المسند القديمة ، ثم ازداد ذكرها بعد الميلاد ، وقوي نفوذها الى ظهور الاسلام هي قوة « عربم » « عربن » أي الأعراب ، وفي ذكرهم دلالة على أنهم كانوا لأنفسهم طبقة خاصة في طبقات المجتمع ، لم تشتغل بالأرض وترتبط بها ، وإنما كانوا أهل بدو على النحو المفهوم من لفظة « أعراب »<sup>(٢)</sup> .

ومصدر هؤلاء الأعراب من العربية الوسطى من الحجاز ونجد ، اندفعوا الى الجنوب ، منتهزين فرصة انشغال أهل العربية الجنوبية بالتقاتل فيما بينهم ، فتسللوا إليها ، وانشغلوا معهم في خصوماتهم ، حتى صاروا قوة كبيرة ، أقاموا عليهم زعماء عرفوا بـ « كبر اعرب » ، أي « كبير الاعراب » و « كبراء الأعراب » ، كان لبعضهم شأن كبير في سياسة العربية الجنوبية ، مثل « سعد تالب يتلف بن جدنم » ، « سعد تالب يتلف بن جدن » ، « من جدن » ، « كبر اعرب ملك سبا وكدت ومذحجم وحرمة وبهلم وزيدال وكل اعرب سبا وحمير وحضرمت ويمنت »<sup>(٣)</sup> ، أي « كبير

Rhodokanakis, Studi. Lexi., II, S., 58. (١)

Kingship in ancient south Arabia, in Journal of Economic and Social History of Orient , Vol., 15 ; 1972; , P., 257. (٢)

Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilqis, P., 169, Jam 665. (٣)

مطهر علي الأرياني ، في تاريخ اليمن ( ١٦٤ وما بعدها ) ، زيد بن علي عنان ، تأريخ حضارة اليمن القديم ، ( ص ٢٨٥ ) .

أعراب ملك سبأ وكيندة ومذحج وحريم « حرم » « حرام » ، وباهل ، و « زيدايل » وكل أعراب سبأ وحمير ، وحضر موت ، وزيدايل <sup>(١)</sup> ، وكان كبيراً على كل أعراب مملكة سبأ وحضر موت ويمنت ، فله في المملكة إذن نفوذ كبير ، ولا بد أن يكون ذا شخصية قوية ، إذ ليس من السهل تولي أمر الأعراب ، لتنافرهم ، ولانتهازهم الفرص للتوثب على الحكومة ، لعدم نزوعهم الى الطاعة لغير القبيلة ، والخضوع للانضباط ، ثم إنهم قد ينقلبون على من يحكمهم في الحرب ، إذا شاهدوا الغنائم ، إذ ينفرون اليها ، وقد يؤدي ذلك الى هزيمة بعد غلبة . وقد ينقلبون على الحكومة وينهبون ما يجدونه أمامهم إذا ما وجدوا الغلبة للطرف الآخر ، وقد ينضمون اليه . فلا بد لمن يحكم الأعراب ، ويريد ضبطهم ، من معرفة عقليتهم ، ومراجعتهم على وفق نفسيتهم هذه .

ويلاحظ أن النصوص ميزتهم عن الحميريين ، أو عن السبئيين ، وعن الشعوب العربية الجنوبية الأخرى ، مما يدل على أنهم كانوا يعدّون الأعراب أشبه بطبقة خاصة ليست لها صلة بالقبائل العربية الجنوبية ، وكون الأعراب أنفسهم مجتمعاً خاصاً يمثل حياتهم التي تعودّوها من حيث الخروج على الطاعة ، والصراع فيما بينهم ، ومهاجمة الحضرة <sup>(٢)</sup> .

ولبروز هذه القوة أضيفت إليهم إلى اللقب الرسمي للملوك ، فصار اللقب : « ملك سبأ وذريدن وحضر موت ويمنت واعربهمو طودم وتهتم » . والظاهر أن « أبا كرب اسعد » ، المعروف عند أهل الأخبار بـ « اسعد الكامل » هو أول من اتخذ هذا اللقب <sup>(٣)</sup> ، وقد أشير الى اهميتهم في النص : « Ry 507 » ، حيث ورد : « وكل اقولن واعربن وتسباتن » ، أي « وكل الأقبال والأعراب والمحاربين » .

وقد أدخلت هذه الأعراية الخلق الأعرابي المعروف عنهم ، من الغزو والغارات ، فكانوا يغزون بعضهم بعضاً ، ويتحالفون بعضهم على بعض ، فزادوا وبال اضطراب الأمن في العربية الجنوبية ، وصار أهل المحاجر والقرى والمصانع يهابونهم ، ويتقون غزوهم ، وسلبهم ما يجدونه عندهم غنيمةً وفيئاً ، واضطر أهل العربية الجنوبية ،

REP 4031, 2, Sabaeen, P., 170.

(١) راجع عن « سعد تالب » .

(٢) لوندن ( ٨٩ ، ٩٦ ) .

(٣) أ . ج . لوندن ، بلاد العرب الجنوبية في المئة السادسة ، ( الجمعية الروسية الفلسطينية ، المجموعة الفلسطينية ) ، إصدار ( ٨ ) ، ( ٧١ ) ، دار نشر أكاديمية الاتحاد السوفيتي ، موسكو - ليننغراد ، ( ١٩٦١ ) ، ( ص ١٣ ) .

الذين وصل زحف الأعراب اليهم ، أن يجاوروا الأعراب بعقد أحلاف معهم ، أو بمداهنتهم بالرشاوى والهدايا ، وبالتحالف فيما بينهم على طريقة الأعراب لمجابتهم بسلاحهم الذي استعملوه في زحفهم من الشمال نحو الجنوب .

كذلك أثرت الأعرابية في السنة العرب الجنوبيين ، فظهرت الألفاظ العربية الشمالية في المساند ، كما أثرت في صرف اللهجات العربية الجنوبية ، ونحوها وربما أثرت في شعرهم كذلك ، وهو موضوع لا نستطيع التبسط فيه ، لعدم وجود أدلة محسوسة ملموسة عنه في أيدينا في الزمن الحاضر .

ومن القبائل الأعرابية : « كدت » ، وهي « كندة » ، و « مذحج » ، و « ثعلبت » ، أي « ثعلبة » ، وقبائل أخرى <sup>(١)</sup> . ويلاحظ من الكتابات أن هذه القبائل وغيرها ، كانت في العربية الوسطى ، وقد قدمت منها الى الجنوب ، واستوطنت في العربية الجنوبية ، وهذا يناقض ما تعارفه أهل الأخبار من عد هذه القبائل في مجموعة القبائل القحطانية ، ومن إدخال نسبهم في سلسلة نسب العرب الجنوبيين .

ومن هنا ذهب بعض العلماء الى أن السبطين مثلاً ، وكذلك المعينين وغيرهم ، إنما هاجروا من العربية الشمالية الى اليمن ، فأصل أهل العربية الجنوبية اذن من العربية الشمالية وهو رأي يناقض ما يذهب اليه أهل الأخبار عن هجرة الغساسنة والمناذرة والقبائل القحطانية من اليمن الى الشمال <sup>(٢)</sup> .

هذه صورة مصغرة عن أصول الحكم أو طريقته عند العرب الجنوبيين ، رسمتها اعتماداً على المصطلحات التي رجعت اليها في الكتابات ، يتبين منها أن الحكومة في العربية الجنوبية حكومة حضرية متطورة ، نبعت من طبيعة الأرض التي ظهرت فيها ، وهي صورة أرجو أن تكون موفقة في التصوير .

(١) أ . ج . . لوندن ، بلاد العرب الجنوبية في المئة السادسة الميلادية ، ( موسكو ١٩٦١ ) ، ( ص ١٨ )

(٢) بافقيه ، تأريخ ( ٥٩ ) .

## عبدالله بن عبد الملك بن مروان

فاتح حصن سنان (١) وطرندة (٢) والمصيصة (٣) من بلاد الروم

### اللواء الركن محمود سبت خطاب

#### نسبه وأيامه الاولى

هو عبدالله بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي (٤).

أبوه : عبد الملك بن مروان بن الحكم أمير المؤمنين .  
وأمه : من أمهات الأولاد (٥) ، ويريدون بتعبير أمهات الأولاد : الجواري والاماء اللواتي ولدن لمواليهن ذكرانا .

نشأ عبدالله وترعرع في ظروف ملائمة كل الملاءمة لاستكمال مزاياه الشخصية، فأبوه خليفة من أبرز خلفاء بني أمية إن لم يكن أبرزهم كفاية وعلماً وحزماً وإدارة وسياسة

(١) حصن سنان : حصن في بلاد الروم ، انظر معجم البلدان ( ٢٨٥/٣ ) و ( ١٤١/٥ ) ، ولم يرد ذكر لموقعه في المصادر الجغرافية القديمة المتيسرة لدينا ، ومن دراسة اتجاه فتوح عبدالله بن عبد الملك ، نجد أن الحصن في منطقة ( ملطية ) .

(٢) طرندة : مدينة تبعد عن ( ملطية ) ثلاث مراحل داخلية في بلاد الروم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٤٦/٦ ) .

(٣) المصيصة : مدينة على شاطئ نهر ( جيحان ) من ثغور الشام ، بين ( انطاكية ) وبلاد الروم وتقارب ( طرسوس ) ، وكانت ذات سور وخمسة أبواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٨٠/٨ ) والمسالك والممالك ( ٤٧ ) وآثار البلاد وأخبار العباد ( ٥٦٤ ) ، وكانت تسمى : ( Mapsuestia ) .

(٤) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد ( ٢٢٣/٥ ) وتهذيب الأسماء واللغات ( ٢٠٩/١ ) وجمهرة أنساب العرب ( ٨٩ ) وفوات الوفيات ( ٣١/٢ ) وقادة فتح المغرب العربي ( ٩٥/٢ ) .

(٥) الطبري ( ٤٢٠/٥ ) وابن الأثير ( ٥١٩/٤ ) والنجوم الزاهرة ( ٢١١/١ )

وقيادة ، وظروفه الإدارية والعسكرية لا تخلو من مشاكل صعبة تُعيّن على التعلّم النظري والتدريب العملي .

وكان التعليم النظري لاستيعاب العلوم المتيسّرة السائدة حينذاك ميسوراً لبني أمية وغيرهم من الناس ، إذ كان العلماء والشيّوخ وقتذاك يعتبرون التعليم والتعلّم من أجلّ العبادات ، والفرق الوحيد بين أبناء الخلفاء وغيرهم من الناس ، هو أنّ أبناء الخلفاء يتلقّون العلوم على جهازة العلماء والشيّوخ ، لذلك نشأ في عاصمة الخلافة ( دمشق ) ليتعلّم علوم القرآن الكريم ويروي الحديث النبوي الشريف ، ويدرس التاريخ والسير وأيام العرب قبل الإسلام وبعده ، ويتقن علوم اللغة صرفاً ونحواً وبلاغة وعروضاً ، ويتلقّى فنون الأدب الرفيع شعراً ونثراً ، ويتعلّم الحساب والهندسة وتقويم البلدان .

كما أنّ التدريب العملي بالممارسة كان ميسوراً له في الأمور الإدارية والسياسية ، فهو إلى جانب الخليفة المرجع الأعلى لتصريف تلك الأمور ، كما أنه إلى جانب الحاكمين من بني أمية ، يرى ويسمع كيف تعطي القرارات الخطيرة وكيف تُصرّف أمور الدولة . كما تدرّب عملياً على الفنون العسكرية : ركوب الخيل ، والرمي بالسهام ، والضرب بالسيوف والطنن بالرمّاح ، والسباحة ، وتحمل المشاق سيراً على الأقدام إلى مسافات طويلة في أيام متعاقبة وفي ظروف جوية قاسية ، والحرمان من الطعام والشراب مدة مناسبة وتناول الطعام الخشن والماء العسِر ، وهو ما نطلق عليه في التعبيرات العسكرية المحدثّة : التدريب العنيف .

ولكن هذا التدريب العسكري العملي لا يكفي ، لأنه تدريب فردي ، فلا بدّ من تلقي التدريب الإجمالي ، وهو ممارسة الجهاد جندياً وقائداً ، في ساحة القتال ، ليطبق ما تعلّمه من فنون عسكرية عملية فرداً ، على القتال تطبيقاً عملياً ، وهذا ما نطلق عليه اليوم : تطعيم المعركة ، إذ لا فائدة من التدريب الفردي إلاّ إذا طُبّق عملياً في التدريب الإجمالي ، وأفضل أنواع التدريب الإجمالي هو القتال الفعليّ .

وكما تدرّب على الفنون العسكرية العملية ، تدرّب على الفنون العسكرية النظرية : أساليب القتال ، والقضايا التعبوية ، واختيار المعسكرات ، وطرق الدفاع والهجوم والانسحاب والمطاردة ، ومعالجة الأمور العسكرية في الميدان ، والقضايا الإدارية .

وقد طبق الفنون العسكرية النظرية عملياً في ميدان الجهاد ، وبذلك جمع التدريب الفني النظري والعملي ، ووضع معلوماته العسكرية في حيّز التنفيذ .



ولعلّ مما زاد في فرص تعليم وتدريب عبدالله ، أنه تلقى علومه وتدريباته في كنف والده أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان ، بعد استقرار ملكه في الدولة الإسلامية واستعادة ( الوحدة ) الشاملة لهذه الدولة سنة ثلاث وسبعين الهجرية <sup>(١)</sup> ( ٦٩٢ م ) ، إذ قضى على الخوارج في ( البَحْرَيْن ) ، وأعاد بناء ( الكَعْبَةِ ) المشرفة بمكة المكرمة على ما كانت عليه قبل ثورة عبدالله بن الزبير العارمة ، فانطلقت الجيوش الإسلامية للفتح وإعادة المناطق المفتوحة إلى الدولة والتي انتفضت في بلاد الروم وإيران وفارس والسند وإفريقية ، وكان من ثمرات استعادة ( الوحدة ) الشاملة أن أعادت الدولة الإسلامية بقيادة عبدالملك بن مروان - بعد ما عاناه من فتن داخلية واضطرابات وحروب أهلية ومشاكل واعتداءات خارجية - كامل سيطرتها على ما فتحه الخلفاء الأولون قبل عبدالملك ، وضم إلى الدولة فتوحاً جديدة ، بعدما كان عبدالملك يدفع الأناوة لإمبراطور ( القُسْطَنْطِينِيَّة ) منذ توليه الخلافة إلى استعادة ( الوحدة ) الشاملة ، وكان يدفعها للروم أيام الفتن والحروب الداخلية والاضطرابات والمشاكل الأهلية <sup>(٢)</sup>

وقد تربى عبدالله في كنف أبيه بعد استعادة ( الوحدة ) الشاملة للدولة الإسلامية في جوٍّ كله استقرار وأمن ودعة وبناء علمي وإداري وسياسي وعسكري ، في بداية العصر الذهبي لحكم بني أمية في ( الشام ) ، برعاية والده الحبيب العالم الأديب القائد الفاتح الداهية المتمرس ، فأفاد عبدالله من رعاية والده في وقت تفرّغ فيه عبدالملك لرعاية شئونه الخاصة أكثر من السابق - يوم كان في دوامة الاضطرابات والقلق والمشاكل والفتن والحروب ، وبقي يحظى بالرعاية الأبوية والعائلية الكاملة قائداً وإدارياً ، حتى توفي عبدالملك سنة ست وثمانين الهجرية <sup>(٣)</sup> ( ٧٠٥ م ) ، فأرسي عبدالملك أسس شخصية ابنه عبدالله على أسس رصينة ، تلك الأسس التي كانت عبارة عن : الدين والتفقه فيه ، والعربية وإتقان علومها ، والسياسة وممارسة قضاياها ، والإدارة وحلّ مشاكلها والعسكرية والتدريب على متطلباتها ، وبذلك أصبح عبدالله قائداً متميزاً وإدارياً محنكاً. لقد تهيأ لعبدالله العلم المكتسب والتجربة العملية ، فأنت ثمراتها في مناصبه التي تولّاها قائداً وإدارياً .

- (١) انظر تفاصيل استعادة الوحدة الشاملة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي ( ١٠٩/٢ - ١١٧ ) .  
(٢) ابن خلدون ( ١٥٢/٣ ) ، وانظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي ( ١١٣/٢ - ١١٤ ) .  
(٣) تاريخ بغداد ( ٢٩١/١٠ ) وتاريخ الخميس ( ٣١١/٣ ) والعبر ( ١٠٢/١ ) وشذرات الذهب ( ٩٧/١ ) والمعارف ( ٣٥٧ )

## في توطيد الامن الداخلي

كان من أهم واجبات الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن تولى (العراقيين) : العراق والمشرق سنة خمس وسبعين الهجرية <sup>(١)</sup> (٦٩٤ م) ، هو : القضاء على الفتن الداخلية في العراق وفي بلاد المشرق الإسلامي المفتوحة ، واستعادة البلاد المفتوحة التي انتفضت على الدولة الإسلامية ، وفتح بلاد جديدة .

ومضى الحجاج ينفذ هذه الواجبات بحزم وعزم وإقدام ، وكان (رتبيل) مصالحاً ، يؤدي الخراج وربما امتنع منه <sup>(٢)</sup> ، فأراد الحجاج أن يصفى الحساب جذرياً بين الدولة وبين (رتبيل) ، فأمر والي (سجستان) <sup>(٣)</sup> سنة تسع وسبعين الهجرية <sup>(٤)</sup> (٦٩٨ م) أن يناجزه ، ولكنه اندحر أمام قواته متكبداً خسائر فادحة في الأرواح والأموال <sup>(٥)</sup> .

ولم يكن الحجاج ليسكت على اندحار قوة من قواته في إحدى الجبهات ، لذلك عزم على أن يلقن (رتبيل) في عقر داره درساً قاسياً لا ينساه أبداً ، فاستأذن عبد الملك ابن مروان في تسير الجيوش إلى (رتبيل) ، فلما أذن له بذلك ، عكف الحجاج على تجهيز الجيش ، فجعل على أهل (الكوفة) عشرين ألفاً ، وعلى أهل (البصرة) عشرين ألفاً ، وجدّ في ذلك جدّاً لا هوادة فيه ، وأعطى الناس أعطيائهم كاملة ، وأنفق فيهم ألفي ألف سوى أعطيائهم ، وأنجدهم بالخيال الرائقة والسلاح الكامل ، وأعطى كل رجل يُوصَف بشجاعة وغناء ، وأمر على الجيش بعد الفراغ من اعداده عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث <sup>(٦)</sup>

وسار عبد الرحمن على رأس جيشه ، وأحرز نصراً مؤزرًا على (رتبيل) ، فكتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه وبما يريد أن يعمل <sup>(٧)</sup> .

(١) العبر (٨٥/١) وشذرات الذهب (٨٣/١) .

(٢) ابن الأثير (٤٥٠/٤) .

(٣) سجستان : اسم منطقة واسعة بينها وبين (هراة) عشرة أيام أو ثمانون فرسخاً ، وهي جنوبي (هراة) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧/٥) ، وانظر حدودها في المسالك والممالك للاصطخري (١٣٨) وفيه : أن (سجستان) بفتح السين ، وانظر : آثار البلاد وأخبار العباد (٢٠١) .

(٤) الطبري (٣٢٢/٦) وابن الأثير (٤٥٠/٤) .

(٥) انظر التفاصيل في الطبري (٣٢٢/٦ - ٣٢٤) وابن الأثير (٤٥٠/٤ - ٤٥١) .

(٦) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي ، انظر جمهرة أنساب العرب (٤٢٥) ، وهو من أبطال العرب وأشرفهم وقادتهم وولاتهم .

(٧) انظر التفاصيل في الطبري (٣٢٦/٦ - ٣٢٩) وابن الأثير (٤٥٤/٤ - ٤٥٦) .

وهناك روايات أخرى في ارسال عبدالرحمن لامكان لها لانها خارجة عن نطاق الحديث عن سيرة عبدالله بن عبدالمملك .

وكان عبدالرحمن يرى أن يتركوا التوغّل في بلاد ( رُتْبِيل ) حتى يعرفوا طريقها ويجبوا خراجها ، وكتب بمجمل خطته هذه الى الحجاج .

ولكن الحجاج رفض خطة عبدالرحمن ، وأمر عبدالرحمن بالوغل في ارض (رتبيل) وهدم حصونهم وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم .

ودعا عبدالرحمن الناس وقال لهم : « أيها الناس ! إني لكم ناصح ولصالحكم محبّ ولكم في كلّ ما يحيط بكم نفعه ناظر ؛ وقد كان رأيي فيما بيني وبين عدوي بما رضىه ذوو أحلامكم وأولو التجربة منكم . وكتبتُ بذلك إلى أميركم الحجاج ، فأتاني كتابه يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الولوج بكم إلى أرض العدو ، وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم ، أمضي إذا مضيت وأبى إذا أبيتم » .

ونار إليه الناس وقالوا : بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع !!

ووثب الناس الى عبدالرحمن فبايعوه على خلع الحجاج ونفيه من أرض العراق ، وعلى النصرة له ، ولم يذكر عبدالملك .

وعاد عبدالرحمن إلى العراق بمن معه ، فلما بلغ ( فارس )<sup>(١)</sup> اجتمع الناس بعضهم إلى بعض وقالوا : إذا خلعنا الحجاج عامل عبدالملك ، فقد خلعنا عبدالملك .

واجتمعوا إلى عبدالرحمن وخلعوا عبدالملك إلا قليلاً منهم ، وبايعوا عبدالرحمن ، وكانت بيعته : « نبايع على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم وجهاد المحلّين » .

ولما بلغ الحجاج خلعه كتب إلى عبدالملك بخبر عبدالرحمن ويسأله أن يُعجّل بعثة الجنود إليه ، ثم سار الحجاج حتى نزل ( البصرة ) .

(١) فارس : ولاية واسعة وإقليم فسيح ، أول حدودها من جهة العراق ( أرجان ) ، ومن جهة كرمان ( السرجان ) ومن جهة ساحل بحر الهند ( سيراف ) ، ومن جهة السند ( مكران ) ، وقصبتها ( شيراز ) ، وفي هذه الولاية من امهات المدن المشهورة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٢٤/٦ ) وتقويم البلدان ( ٣٢١ - ٣٣١ ) والمسالك والممالك للاصطخري ( ٦٧ - ٨٤ ) والمسالك والممالك لابن خرداذبة ( ٤١ و ٤٣ ) ومختصر كتاب البلدان ( ١٩٥ - ٢٠٥ ) والأعلاق النفيسة ( ١٠٦ ) وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ( ٤٢٠ - ٤٥٩ ) . وكتاب صورة الأرض ( ٣٣٤ - ٢٧٣ ) .

وجهز عبد الملك الجند إلى الحجاج ، فسار الحجاج من ( البصرة ) إلى ( تَستَر )<sup>(١)</sup> وقدم بين يديه مقدمة إلى ( دُجَيْل )<sup>(٢)</sup> ، فلقني عنده خيلاً لعبد الرحمن ، فانهزم أصحاب الحجاج بعد قتال شديد ، وكان ذلك يوم الاضحى سنة إحدى وثمانين الهجرية ( ٧٠٠ م ) .

فلما أتى خبرُ الهزيمة الحجاج ، رجع إلى ( البصرة ) ، ثم أقبل حتى نزل ( الزَّوِيَّة )<sup>(٣)</sup> وترك ( البصرة ) لأهل العراق ، وفرّق في الناس مئة وخمسين ألف ألف درهم .

وأقبل عبد الرحمن حتى دخل ( البصرة ) ، فبايعه جميع أهلها : قرأؤها وكهولها على قتال الحجاج ومن معه من أهل ( الشام )<sup>(٤)</sup>

وخسر عبد الرحمن معركة ( الزَّوِيَّة ) ، فقصده ( الكوفة ) ، واستقرّ بها ، فاجتمع إليه الناس ، وقصده أهل ( البصرة ) .

وسار الحجاج من ( البصرة ) إلى ( الكوفة ) لقتال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فنزل ( دَيْرُ قُرَّة )<sup>(٥)</sup> ، وخرج عبد الرحمن من الكوفة ، فنزل ( دَيْرُ الجَمَاجِم )<sup>(٦)</sup> .

وتفانم أمر عبد الرحمن واستشري خطره ، فقال عبد الملك بن مروان وأهل ( الشام ) « إن كان يُرضى أهل العراق نزع الحجاج عنهم نزعناه ، فإنّ عزله أيسر من حربهم ، ونحقق بذلك الدماء ، فبعث عبد الملك ابنه عبدالله وأخاه محمد بن مروان بن الحكم ، وكان محمد بأرض ( المَوْصِل ) » ، إلى الحجاج في جند كثيف ، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الحجاج وأن يسجريا عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل ( الشام ) ، وأن يتزل عبد الرحمن بن محمد أي بلد شاء من بلد العراق ، فاذا نزله كان والياً عليه ما دام حياً وعبد الملك خليفة ، فان أجاب أهل العراق إلى ذلك عزلا الحجاج

(١) تستر : أعظم مدينة بخوزستان ، وهي تعريب شوشتر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٨٦/٢ ) والمسالك والممالك للاصطخري ( ٦٤ ) وآثار البلاد وأخبار العباد ( ١٧٠ ) .

(٢) دجيل : نهر بالأهواز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٤١/٤ - ٤٢ ) .

(٣) الزاوية موضع قرب البصرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٧١/٤ ) .

(٤) انظر التفاصيل في الطبري ( ٣٣٤/٦ - ٣٤١ ) وابن الأثير ( ٤٦١/٤ - ٤٦٦ ) .

(٥) دير قرة : دير بازاء دير الجماجم ، وهو ملاصق لطرف البر ، ودير الجماجم مما يلي الكوفة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ١٦٢/٤ ) .

(٦) دير الجماجم : دير بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها ، على طرف البر للسالك إلى البصرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ١٣١/٤ - ١٣٢ ) .

عنها وصار محمد بن مروان أمير العراق ، وإن أبى أهل العراق قبول ذلك ، فالحجّاج أمير الجماعة ووالي القتال ، ومحمد بن مروان وعبدالله بن عبدالمملك في طاعته .  
وحاول الحجّاج أن يعيد عبدالمملك بن مروان النظر في عزله ، فأبى عبدالمملك إلا عرض عزله على أهل العراق .

وخرج عبدالله بن عبدالمملك الى جموع أهل العراق وعلى رأسهم عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : « يا أهل العراق ! أنا ابن أمير المؤمنين ، وهو يعطيكم كذا وكذا . . . » .

وخرج محمد بن مروان فقال : « أنا رسول أمير المؤمنين ، وهو يعرض عليكم كذا وكذا . . . » .

فقال أهل العراق : نرجع العشيّة .

واجتمع أهل العراق عند ابن الأشعث ، فقال لهم : « قد أعطيتكم أمراً ، انتهزكم اليوم إتياء فرصة ، وإنكم اليوم على النصف ، فإن كانوا اعتدوا عليكم يوم (الزاوية) ، فأنتم تعتدون عليهم بيوم (تُسْتَر) ، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء لقوم هم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون ، فوالله لا زلتهم عليهم جرّاء وعندهم أعزاء أبداً ما بقيتم إن قبلتم » .

ووثب الناس من كل جانب ، فقالوا : إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في الضنك والمجاعة والقلة والذلة ، ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرخيص والمادة القريبة ، لا والله لا نقبل !

وأعاد أهل العراق خلع عبدالمملك ثانية ، فقال عبدالله بن عبدالمملك ومحمد بن مروان للحجّاج : « شأنك بعسكرك وجندك ، واعمل برأيك ، فانا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع » ، فقال : « قد قلتُ إنه لا يُراد بهذا الأمر غيركم » ، فكانا يسلمان عليه بالامرة ويسلم عليهما بالامرة أيضاً .

وجعل كل من الحجّاج وابن الأشعث قواته على تعبثه : ميمنة ، وميسرة ، والخيالة . والرجالة ، والقلب ، وجعلا على كل تشكيل من تشكيلات القتال قائداً مسؤولاً ، وجعل ابن الأشعث على القراء - وهم علماء المسلمين وفقهاؤهم ومحدثوهم - قائداً .

واخذ الطرفان يتزاحقان كل يوم ويقتتلان ، وأهل العراق تأتيهم موادّهم التموينية

من ( الكوفة ) وسوادها ، وهم في خصب ؛ وأهل الشام في ضنك شديد ، قد غلت عليهم الأسعار وفُقدَ عندهم اللحم كأنهم في حصار .

وكان أشد الناس ثباتاً واستبسالاً القراء من أصحاب ابن الأشعث ، وكانوا قد ألّفوا كتيبة منهم هي كتيبة القراء ، فعبأ الحجاج لكتيبة القراء ثلاث كتائب ، فحملوا على القراء ثلاث حملات : كل كتيبة تحمل حملة ، فلم يبرحوا وصبروا <sup>(١)</sup> ، وحملوا على كتائب الحجاج حتى أزالوها وفرّقوها ، ثم تقدّموا حتى واقعوا صفّهم فأزالوه .

واستمر الاقتتال بين الإخوة مئة وثلاثة أيام ، فقد كان نزول عبدالرحمن بن محمد ابن الأشعث ( دير الجماجم ) لثلاث مضيّن من ربيع الأول ، وكانت الهزيمة لاربع عشرة مضيّن من جمادى الآخرة ، حيث انتصر الحجاج على ابن الأشعث بعد قتال مدير مرير <sup>(١)</sup> .

وعاد محمد بن مروان إلى ( الموصل ) ، وعاد عبدالله بن عبد الملك إلى ( الشام ) ، ورجع الحجاج إلى ( الكوفة ) .

وأتى عبدالرحمن ( البصرة ) فاجتمع إليه من المنهزمين جمع كثير ، وبايعه خلق كثير على الموت ، فاجتمعوا بـ ( مَسْكِن ) <sup>(٢)</sup> ، ولكن قواته انهزمت أمام قوات الحجاج <sup>(٣)</sup> .

وبدأت مطاردة قوات الحجاج لفلول ابن الأشعث ، فقاتلت قوات ابن الأشعث في انسحابها بمواضع كثيرة ، حتى وصل ابن الأشعث ( رُتَيْيل ) <sup>(٤)</sup> ، وأخيراً مات أو قتل في إختلاف كثير بالروايات ، فانتهدت حروب داخلية طاحنة ، تكبد فيها الطرفان خسائر لا تُعدّ ولا تُحصى <sup>(٥)</sup> .

وقضى ابن الأشعث نحبه سنة خمس وثمانين الهجرية <sup>(٦)</sup> ( ٧٠٤ م ) .

(١) انظر التفاصيل في الطبري ( ٣٤٢/٦ - ٣٥٠ ) وابن الأثير ( ٤٦٧/٤ - ٤٧٢ ) ، وانظر ابن خلدون ( ١١٠/٣ ) والبدء والتاريخ ( ٣٦/٦ ) والتنبيه والأشرف ( ٢٧٢ ) .

(٢) مسكن : موضع قريب من ( أوانا ) على نهر ( دجيل ) عند دير ( الجائليق ) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٥٤/٨ ) ، وأوانا : بلدة من نواحي ( دجيل ) بغداد بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٦٦/١ ) ، اقول : وهي بالقرب من ( سمكة ) أو ( الدجيل ) الحالية ، والمكان معروف .

(٣) انظر التفاصيل في الطبري ( ٣٦٦/٦ - ٣٦٩ ) وابن الأثير ( ٤٨٢/٤ - ٤٨٣ ) .

(٤) انظر التفاصيل في الطبري ( ٣٦٧/٦ - ٣٨٣ ) وابن الأثير ( ٤٨٤/٤ - ٤٩٤ ) .

(٥) انظر التفاصيل في الطبري ( ٣٨٩/٦ - ٣٩٣ ) وابن الأثير ( ٥٠١/٤ - ٥٠٢ ) .

(٦) الطبري ( ٣٨٩/٦ ) وابن الأثير ( ٥٠١/٤ ) .



وكانت عودة عبدالله بن عبد الملك إلى ( الشام ) بعد انتصار الحجاج على ابن الأشعث في معركة ( دير الجماجم ) الحاسمة سنة ثلاث وثمانين الهجرية ( ٧٠٢ م ) ، وكان قد قدم إلى العراق سنة اثنتين وثمانين الهجرية ( ٧٠١ م ) .

ولستُ بصدد البحث عن أسباب ثورة ابن الأشعث ، ولا بصدد الحديث في أسباب تهافت أهل العراق على الاقبال عليها والمشاركة فيها ، ولا بصدد تعداد نتائجها القريبة والبعيدة وأثرها في الدولة ، ولا بصدد إبراز أسباب انتصار الحجاج على ابن الأشعث ، فمكان كل هذه الدراسات والبحوث في الحديث عن هذا الاقتتال بين الاخوة ، مما أدى الى تعميق العداوة بين القبائل العربية التي كانت مادة الفتح وأساسه ، وعجل في نهاية بني أمية وتغلب العنصر الأعجمي على العنصر العربي .

ولكن ما أردته من إبراز أهم معالم هذه الثورة ، هو إظهار أثر عبدالله بن عبد الملك فيها وتأثيرها فيه .

وهدفني من تسليط الأضواء على أهم معالم الاقتتال بين الإخوة في هذه الثورة ، هو إظهار أهمية الواجب الذي حمّله عبدالله في تلك الأيام العصيبة التي كادت تعصف بالدولة عصفاً .

إنّ عبدالله لم يكن قائداً في المعارك التي خاضها الحجاج ، ولكن الحجاج لا يغفل عبدالله في مجال الرأي ورسم الخطط ودعم قوات الحجاج مادياً ومعنوياً .

أما الدعم المادي ، فمن الواضح أنّ عبد الملك حشد طاقاته المادية لإحراز النصر ، وقد كان للمال وهو عصب الحرب أثر حاسم في هذا النصر ، لأنّ أكثر المقتلين من الطرفين كان يهتم بمتطلبات جيبه أكثر من اهتمامه بمتطلبات قلبه .

أما الدعم المعنوي ، فوجود ابن الخليفة بين المقتلين يؤثر في المعنويات تأثيراً كبيراً : يرفع معنويات الحجاج وقواته ، ويزعزع معنويات ابن الأشعث ورجاله .

وكما أثر عبدالله في المعارك ونتائجها ، فقد أثرت فيه شخصياً : أغنت تجاربه في القيادة وإدارة القتال وفي معرفة الطبيعة البشرية للمقاتلين ومعرفة طاقاتهم وكفاياتهم كما وضعت معلوماته العسكرية في محك التطبيق العملي ، وجعلته يعيش المعارك بما فيها من صعوبات ومشاق ومآسٍ ، وهو ما نطلق عليه اليوم في المصطلحات العسكرية الحديثة : تطعيم المعركة .

## في ميدان الجهاد

١ - في سنة اثنتين وثمانين الهجرية ( ٧٠١ م ) ، غزا عبدالله بلاد الروم ، ففتح حصن ( سِنان ) من ناحية ( المَصِيصَة ) (١) .

والظاهر أن عبدالله شهد هذه الغزوة قبل أن يرحل إلى العراق لخوض معركة ( دير الجسماجيم ) ، ورحل بعد ذلك إلى الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق للسفارة بين عبدالملك بن مروان وأهل العراق ، كما ذكرنا ذلك .

٢ - وفي سنة ثلاث وثمانين الهجرية ( ٧٠٢ م ) غزا عبدالله بلاد الروم ، ففتح ( طُرْنَدَة ) (٢) .

وقد قاتل عبدالله الروم بـ ( سُوْرِيَّة ) (٣) و ( لَوْلُؤَة ) (٤) ، فهزمهم (٥) .

والظاهر أن عبدالله غزا الروم بعد عودته من العراق .

وقد أمر عمر بن العزيز رضى الله عنه بالقفل من ( طُرْنَدَة ) سنة مئة الهجرية ( ٧١٨ م ) لأنها واغلة في البلاد الرومية من ( مَلَطِيَّة ) (٦) بثلاث مراحل ، وكان عبدالله قد أسكنها المسلمين بعد أن غزاها سنة ثلاث وثمانين الهجرية ( ٧٠٢ م ) ، و ( ملطية ) يومئذ خراب ، وكان أهل ( طُرْنَدَة ) يأتيهم جند من ( الجزيرة ) يقيمون عندهم إلى أن ينزل الثلج ويعودون إلى بلادهم ، فلم يزالوا كذلك إلى أن ولي عمر ابن عبدالعزيز ، فأمرهم بالعود إلى ( ملطية ) وأخلى ( طُرْنَدَة ) خوفاً على المسلمين من العدو ، وأخرب ( طرندة ) (٧) .

وكان قرار عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه في انسحاب أهل ( طُرْنَدَة ) منها إلى ( ملطية ) صائباً ، لأن ( طرندة ) أصبحت معزولة عن القواعد المتقدمة للمسلمين ، فليس من المستبعد أن يباغتها الروم بالهجوم عليها وإبادة سكانها ، خاصة وأن الروم

(١) تاريخ ابن خياط ( ٢٨٩/١ ) وانظر معجم البلدان ( ٢٨٥/٣ ) و ( ١٤١/٥ ) .

(٢) ابن الأثير ( ٥٤/٥ ) وانظر معجم البلدان ( ٤٦/٦ ) .

(٣) سورية : موضع بالشام بين ( خناصر ) و ( سلمية ) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ١٧١/٥ ) .

(٤) لَوْلُؤَة : قلعة قرب ( طرسوس ) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٤٣/٧ ) .

(٥) تاريخ ابن خياط ( ٢٩٠/١ ) .

(٦) ملطية : بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة ، تتاخم بلاد الشام ، انظر التفاصيل في معجم البلدان

( ١٠٥/٨ ) وآثار البلاد وأخبار العباد ( ٥٦٤ ) والمسالك والممالك لابن خردادبة ( ٩٧ ) والبلدان

لابن الفقيه ( ٢٥ ) وتقويم البلدان ( ٣٨٤ ) .

(٧) ابن الأثير ( ٥٤/٥ ) وانظر معجم البلدان ( ٤٦/٦ ) .

ارتفعت معنوياتهم بعد انسحاب المسلمين عن ( القُسْطَنْطِينِيَّة ) ، كما أصبحت للروم قيادة قويّة حازمة بعد تولى ( ليون ) عرش الروم <sup>(١)</sup> .

٣ - وفي سنة اربع وثمانين الهجرية ( ٧٠٣ م ) غزا عبدالله بلاد الروم ، ففتح ( المَصِيصَة ) <sup>(٢)</sup> ، فبناها <sup>(٣)</sup> وبنى حصنها على أساسه القديم ، ووضع بها سكّاناً من الجند ، فيهم ثلاثمائة رجل انتخبهم من ذوي البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك ، وبنى فيها مسجداً فوق تل الحصن <sup>(٤)</sup> . ثم سار في جيشه حتى غزا حصن ( سِنان ) ففتحه ، كما وجهه قسماً من قوّاته فأغارَت ثم عادت إليه <sup>(٥)</sup> والذي يبدو أن حصن ( سِنان ) الذي فتحه عبدالله سنة اثنتين وثمانين الهجرية ( ٧٠١ م ) انتقض ، فأعاد فتحه ثانية .

وهذا يدل على أن الحدود الشمالية الغربية المتاخمة لبلاد الروم لم تكن حدوداً آمنة ، وأنّ الروم كانوا يستعيدون الأماكن المفتوحة إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، فَحَصَّنَ ( المَصِيصَة ) وحشد فيها الجنود واختار الشجعان منهم للدِّفاع عنها ، لكي تكون قاعدة متقدّمة آمنة ، تصد هجمات الروم وتقوى على مصاولتهم ، ولتكون منطلقاً قوياً وقاعدة رصينة للفاتحين .

وقد دخل عبدالله من درب ( أَنْطَاكِيَّة ) <sup>(٦)</sup> حتى أتى ( المَصِيصَة ) <sup>(٧)</sup> .

٤ - ومن المعلوم أنّ منطقة ( المَصِيصَة ) فتحت أيام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بقيادة أبي عُبَيْدَة بن الجراح <sup>(٨)</sup> رضي الله عنه ، ولكن الفتن الداخلية التي استعرت بعد عمر بن الخطّاب ، جعل الروم يستعيدونها . ولما استقرت الأمور في أيام معاوية بن أبي سفيان أعاد تلك المنطقة إلى المسلمين ، ولكن الروم استعادوها ثانية بعد معاوية لانشغال المسلمين بالقتال فيما بينهم ، حتى تولى عبد الملك بن مروان ،

(١) انظر التفاصيل عن الانسحاب من ( القسطنطينية ) في سيرة مسلمة بن عبد الملك بن مروان .

(٢) الطبري ( ٣٨٥/٦ ) وابن الأثير ( ٥٠٠/٤ ) والنجوم الزاهرة ( ٢٠٧/١ ) والبلاذري ( ٢٢٥ ) .

(٣) ابن الأثير ( ٥٠٠/٤ ) وتاريخ ابن خياط ( ٢٩٢/١ ) .

(٤) البلاذري ( ٢٢٥ - ٢٢٦ ) وابن الأثير ( ٥٠٠/٤ ) .

(٥) البلاذري ( ٢٢٦ ) .

(٦) أنطاكية : مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم ( البحر الأبيض المتوسط ) ، ولها قلعة عالية جداً تبين من بعد بعيد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٣٥٣/١ ) وآثار البلاد وأخبار العباد ( ١٥٠ ) ونقويم البلدان ( ٢٥٦ - ٢٥٧ ) .

(٧) البلاذري ( ٢٢٥ ) . (٨) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر ( ٥٤ - ٨١ ) .

فأعادها إلى سيطرة المسلمين على يد ابنه عبدالله وبنائها وحصنها ، فكان أول من حصن ( المصيصة ) في الإسلام ، وذلك في سنة أربع وثمانين الهجرية ( ٧٠٣ م ) ، وقد تم بناؤها وشحنها بالرجال وما يحتاجون إليه من قضايا إدارية : تموين ، إعاشة ، أسلحة ، خيل ، نقلية ، سنة خمس وثمانين الهجرية ( ٧٠٤ م ) ، فكانت الطوالع تطلع عليها كل عام من ( أنطاكية ) فتشتوبها ثم تنصرف بعد خروج الصوائف ، وعدة من كان يطلع إليها ألف وخمسمائة إلى الألفين . وشخص عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إلى ( المصيصة ) ، فأراد هدمها وسحب حاميتها منها ، كما أراد هدم الحصون بينها وبين ( أنطاكية ) قائلاً : « أكره أن يحاصر الروم أهلها » ، فأعلمه الناس أنها إنما عُمّرت ليدفع من بها الروم عن ( أنطاكية ) ، فأمسك عن هدمها وبنى لأهلها مسجداً واتخذ فيه صهريجاً ، وكان اسمه مكتوباً عليه ، وهو يُدعى : مسجد الحصن (١) .

وهكذا أصبحت ( المصيصة ) القاعدة المتقدمة للمسلمين في بلاد الروم ، كما أصبحت الخط الدفاعي الأمامي عن ( أنطاكية ) ، وكان الفضل في جعل ( المصيصة ) ذات أهمية خاصة في الدفاع عن حدود الدولة الإسلامية وقاعدة متقدمة للفتح يرجع لعبد الملك بن مروان وابنه عبدالله الذي أعاد فتحها بعد أن استعادها الروم ، وكان فاتحها الأول أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، ولكنه لم يكن فتحاً مستداماً ، فجعله عبدالله فتحاً مستداماً .

مركز تحقيق كاتبة علوم إسلامي

وكما كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد مهد للعصر الذهبي الأول للفتح الإسلامي الذي جرى في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان عبد الملك قد مهد للعصر الذهبي الثاني للفتح الإسلامي في عهد الوليد بن عبد الملك . وكان عبدالله من أعوان أبيه في التمهيد لانطلاقة العصر الذهبي الثاني للفتح الإسلامي .

### الانسان

تولى عبدالله مدينة ( حمص ) لأبيه عبد الملك بن مروان (٢) ، وقد انفرد ابن خياط في تاريخه بذكر هذه التولية ، دون أن يذكر تاريخ تسلمه هذا المنصب وتاريخ تخليه عنه ، والذي يبدو أنه تولى هذا المنصب سنة اثنتين وثمانين الهجرية ( ٧٠١ م ) وهي السنة التي تولى فيها قيادة جيش من جيوش المسلمين لحرب الروم ، وكان الولاة يتولون

(١) البلاذري ( ٢٢٦ ) .

(٢) تاريخ ابن خياط ( ٣٠١/١ ) .

الغزو في مناطقهم أو في الحملات التي تحمي مناطقهم أو في غزوات فتح البلاد التي تجاورهم ، وقد كان جند ( حمص ) من أهم جنود الشام ، فمن المحتمل أنه تولى قيادة جيش ( حمص ) في غزواته التي بدأت سنة اثنتين وثمانين الهجرية ( ٧٠١ م ) ، وانتهت سنة أربع وثمانين الهجرية ( ٧٠٣ م ) ، باعتباره والياً على ( حمص ) .

وفي سنة خمس وثمانين الهجرية ( ٧٠٤ م ) ولّاه أبوه عبد الملك بن مروان ( مصر )<sup>(١)</sup> على صلاتها وخراجها<sup>(٢)</sup> ، فدخلها يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين الهجرية ( ٧٠٤ م ) ، وقيل : من سنة ست وثمانين الهجرية<sup>(٣)</sup> ( ٧٠٥ ) . وأرجح أنه دخل ( مصر ) في جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين الهجرية ، لأن أمير ( مصر ) السابق عبدالعزيز بن مروان توفي في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين الهجرية ، وليس من المعقول أن يتأخر وصول عبدالله إلى ( مصر ) سنة وشهراً إذ لا مسوغ لهذا التأخير ، وبخاصة أن عبد الملك لم يكن مرتاحاً من حكم أخيه عبدالعزيز لمصر ، وكان يحاول خلعه من ولاية العهد ويبيع ابنه الوليد بن عبد الملك ، ولكن المنية عاجلت أخاه قبل أن يمضي قدماً في تنفيذ خطة خلعه<sup>(٤)</sup> .

وكان عبد الملك قد أمر ابنه عبدالله أن يُعفي آثار سلفه عبدالعزيز بن مروان ، فاستبدل عبدالله عمالاً من الأصحاب بعمال عبدالعزيز ، واستبدل قضاة جددًا بقضاة عبدالعزيز ، ومنع من لبس البرانس<sup>(٥)</sup> ، وكانت فيه شدة وبأس<sup>(٦)</sup> .

وتوفي أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يوم الخميس لاربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة ست وثمانين الهجرية<sup>(٧)</sup> ( ٧٠٥ م ) ، وبُويع ابنه الوليد بن عبد الملك ، فأقر أخاه عبدالله على صلاة مصر وخراجها ، وأمر عبدالله بالدواوين ، فنُسخت بالعربية ،

(١) الطبري ( ٤٣٠/٦ ) والنجوم الزاهرة ( ٢١٠/١ ) وابن خلدون ( ٢٩٢/٣ ) وانظر تاريخ ابن خياط ( ٣٠٠/١ ) وكتاب الولاة وكتاب القضاة ( ٥٨ ) .

(٢) الولاة والقضاة ( ٥٨ ) .

(٣) النجوم الزاهرة ( ٢١٠/١ ) ، اما في الولاة والقضاة ، فذكر أنه دخل ( مصر ) في جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين الهجرية ، انظر الولاة والقضاة ( ٥٨ ) .

(٤) الطبري ( ٤١٣/٦ ) وابن الأثير ( ٥١٣/٤ ) والبداية والنهاية ( ٥٧/٩ ) وابن خلدون ( ١٢٦/٣ ) . والنجوم الزاهرة ( ١٧٣/١ ) .

(٥) البرانس : ج برنس : قلنسوة طويلة ، كان النساك يابسونها في صدر الاسلام . والقلنسوة تلبس في الرأس ، انظر الافصاح ( ٣٧٦/١ ) وانظر معجم متن اللغة ( ٢٨٤/١ ) والوسيط ( ٥٢/١ ) .

(٦) النجوم الزاهرة ( ٢١٠/١ ) وانظر الولاة والقضاة ( ٥٨ ) .

(٧) الولاة والقضاة وانظر العبر ( ١٠٢/١ ) والبداية والنهاية ( ٦١/٩ ) وشذرات الذهب ( ٩٧/١ ) .

وكانت قبل ذلك تكتب بالقِبْطِيَّة ، وَصَرَفَ عن الديوان صاحبه القبطي وولاه عربياً من أهل ( حِمص ) وذلك سنة سبع وثمانين الهجرية ( ٧٠٦ م ) ، وابتنى عبدالله المسجد المعروف بمسجد عبدالله <sup>(١)</sup> . وكان موضع هذا المسجد يجلس فيه أهل المدينة يتحدثون فيه ، فمرّ بهم يوماً عبدالله وهو أميرهم بمصر ، فسأله أن يبني لهم فيه مسجداً ، ، وشكوا إليه ما يلقون من الشمس ، فبناه لهم ، فكانوا يجتمعون فيه . وجعلت له حوانيت غلّة له ، وكتب القاضي وثيقة بنائه وهي : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب أمر به القاضي عبدالرحمن بن عبدالله <sup>(٢)</sup> وهو يومئذ يلي القضاء لأهل ( مصر ) في صفر سنة ثمان وثمانين ومئة بما ثبت عنده في المسجد الذي يقال له : ( مسجد عبدالله ) الذي بالظاهر : قِبْلِيَّة الطريق الأعظم إلى المسجد الجامع ، وبحريّة الطريق الذي يسلك إلى سوق بَرْبَر ، وشرقيّة السُويقة التي يقال لها سويقة : ( مسجد عبدالله ) على طريق ( الموقف ) ، وغربيّة الطريق الذي يُسلك منه على الجُبّ الذي يقال له : ( جُبّ عبدالله ) ... » <sup>(٣)</sup> ، وذكرت تفاصيل وثيقة هذا المسجد للدلالة عن موقعه بدقة في مدينة ( القاهرة ) .

كما أمر عبدالله بسقف المسجد الجامع أن يُرْفَع سمكه ، وكان سقفه مطأطأً وذلك سنة تسع وثمانين الهجرية <sup>(٤)</sup> ( ٧٠٧ م ) .

ووقعت سنة سبع وثمانين الهجرية ( ٧٠٥ م ) بمصر ( الشراقي ) <sup>(٥)</sup> ، فغلت الاسعار بها إلى الغاية ، حتى قيل : إن أهل ( مصر ) لم يروا في عمرهم مثل تلك الايام ، وقاست أهل ( مصر ) شدائد بسبب الغلاء ، فاستشأم الناس بكعبه ، وزعموا أنه جائر وأنه ارتشى <sup>(٦)</sup> .

ولما شاع ذلك عنه ، طلبه أخوه الوليد بن عبدالملك من مصر ، فخرج عبدالله

(١) الولاة والقضاة ( ٥٨ - ٥٩ ) .

(٢) انظر سيرته في الولاة والقضاة ( ٤٠٦ - ٤١١ ) .

(٣) انظر التفاصيل في : الولاة والقضاة ( ٧٠٢ - ٧١٥ ) ، ويراجع كتاب : الانتصار لواسطة عقد الامصار حول المسجد الجامع ( ٥٩ - ٧١ ) ، وسوق بربر ( ٣٢ ) ، والموقف ( ٣٤ ) .

(٤) انظر التفاصيل في : الولاة والقضاة ( ٥٨ - ٦٠ ) ، وانظر ما جاء عن تعمير المسجد الجامع في : الانتصار لواسطة عقد الامصار ( ٦٣ ) .

(٥) الشراقي : ( في كلام أهل مصر ) : الأرض التي لم يصلها ماء النيل ، فاذا رويت جادت ، وسميت : رى الشراقي ، انظر معجم الوسيط ( ٤٨٠/١ ) .

(٦) النجوم الزاهرة ( ٢١٠/١ - ٢١١ ) والولاة والقضاة ( ٥٨ - ٥٩ ) .



واستخلف على عمله ، وكان أهل ( مصر ) في شدّة عظيمة من عِظَم الغلاء ، فأقام عند الوليد مدّة يسيرة ثم عاد إلى ( مصر ) (١) .

ومن الواضح أنّ الوليد حاسب أخاه عبدالله على ما أشيع عنه : الظلم ، والرشوة ، ويبدو أنه خرج بريئاً ، ناصع الجبين من ذلك الحساب ، فأعادته الوليد إلى عمله ثانية . والمعروف عن المصريين منذ القديم حتى اليوم ، أنهم قد يصبرون على كل شيء إلا الغلاء وهم يغضبون إذا اجتاحتهم الغلاء ، ويتصدّون لمن يظنون أنه سببه بكل قوة وشجاعة ، وهذا يفسّر لنا أسباب تدميرهم من عبدالله حين ارتفعت أسعار المواد الغذائية ، ولم يكن لعبدالله ذنب مباشر أو غير مباشر في الغلاء ، إذ لا حيلة له في قلّة مياه نهر النيل ، ولا يستطيع أن يفعل شيئاً في زيادة تدفق المياه أو نقصها ، ولا يستطيع غيره أن يفعل شيئاً .

كما أنّ المعروف عن المصريين قديماً وحديثاً ، أنهم يرمون كل حاكم من حكامهم بالظلم إذا اتّسم بالشدّة والبأس في تصريف أمورهم ، وقد كان عبدالله : فيه شدّة وبأس (٢) .

أما اتّهامه بالرشوة ، فيبدو أنها تهمة تبعية لاتهامه بالظلم ، إذ أنّ أبناء الخلفاء وإخوتهم لا يحاسبون على الخراج من الخلفاء ، فلم يحاسب عبدالعزيز بن مروان على خراج مصر ولم يحاسب عبدالله بن عبد الملك على الخراج ، فإذا كان خراج مصر كله بسيطرة عبدالله ، وهو خراج ضخم بدون شك ، فلماذا يلجأ عبدالله إلى تقاضي الرشوة ؟ ! .

إنّ اتّهام عبدالله بالرشوة تشنيع من المصريين الذين اجتاحتهم الغلاء وعوملوا بشدّة وبأس ، فنفسوا عن أنفسهم بالتشنيعات والهجاء (٣) والافتراء ، وبالنكّات القاسية قبل كل ذلك وبعده أيضاً .

ولا يمكن أن يرتشي من يده خراج مصر ، يتصرّف به كيف يشاء .

ولكنّ الوليد بن عبد الملك عزّل أخاه عبدالله سنة تسعين الهجرية ( ٧٠٨ م ) عن مصر (٤) لا عن ريبة ولكنه أراد أن يولي من يستطيع السيطرة عليه بسهولة ويسر .

(١) النجوم الزاهرة ( ٢١١/١ ) وانظر الولاة والقضاة ( ٥٩ ) .

(٢) النجوم الزاهرة ( ٢١٠/١ ) .

(٣) انظر هجاء شعراً في : الولاة والقضاة ( ٥٩ - ٦٠ ) .

(٤) ابن الأثير ( ٥٤٧/٤ ) والنجوم الزاهرة ( ٢١١/١ ) والولاة والقضاة ( ٦٤ ) .

والظاهر أنّ عبدالله سيطر على الخراج سيطرة كاملة ، وحجب تدفّقه إلى بيت المال في العاصمة ( دمشق ) ، لذلك عزله الوليد بعد أن نفذ صبره ، وأوصى خلف عبدالله على ( مصر ) أن يختم على الدواوين وبيت المال <sup>(١)</sup> ، لجرد الحسابات ومقارنة الواردات بالنفقات ، لمعرفة ما يمكن أن يكون احتجزه عبدالله من المال بنفسه .

ويبدو أنّ تدقيق الحسابات ، أثبت أن عبدالله استأثر بقسم من المال لنفسه ، فلما عاد من ( مصر ) إلى أخيه الوليد في ( دمشق ) بعد أن استصحب جميع أمواله ، أُحيط به في ( الأرْدُن ) في طريق عودته وأُخذت جميع أمواله ، وحُمِل عبدالله إلى أخيه الوليد في ( دمشق ) <sup>(٢)</sup> .

ولا ندري هل استعاد عبدالله أمواله ، أم ضُمَّت إلى بيت المال في ( دمشق ) فقد سكت المؤرخون عن ذلك .

وقد كان خراج ( مصر ) الغنيّة هو المعين الوحيد لعمليات فتح شمالي ( إفريقيّة ) كما كانت ( مصر ) هي القاعدة الأماميّة لفتح شمالي ( إفريقيّة ) وتوطيد أركان الفتح فيها واستكمال فتحها لتكون المنطلق لفتح الأندلس وأوروبا ، فلا بدّ من سيطرة الخليفة على خراج ( مصر ) أولاً وعلى ( مصر ) بالذات ثانياً ، ليتصرّف الخليفة بالخراج ليكون عَصَب الفتح ، ولا يتمّ ذلك إلاّ بفرض سيطرته الكاملة على الخراج ، ولا بدّ له من السيطرة الكاملة على ( مصر ) ، لتسخّر كل طاقاتها الماليّة والبشريّة للفتح ، وهذه السيطرة على الخراج وعلى البلاد لا تتمّ كما ينبغي بوجود أمير عليها يعتبر نفسه نداءً للخليفة وصنواً له .

وقد كان على ( إفريقيّة ) موسى بن نُصَيْر اللّخُمي <sup>(٣)</sup> لعبدالمملك بن مروان من سنة تسع وسبعين الهجرية <sup>(٤)</sup> ( ٦٩٨ م ) ، وكان على علاقة وثيقة بعبدالعزیز بن مروان سلف عبدالله بن عبدالمملك ، ولكنه لم يكن كذلك مع عبدالله الذي خلف على ( مصر ) عمّه عبدالعزیز بن مروان ، فقد كان موسى بن نُصَيْر يكاتب عبدالعزیز بن مروان ، فلما توفاه الله ولّى عبدالمملك ابنه عبدالله على ( مصر ) ، فلم يكاتبه موسى وكاتب عبدالمملك

(١) الولاة والقضاة ( ٦٢ ) .

(٢) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المغرب العربي ( ٢٢١/١ - ٣٠٩ ) .

(٣) تاريخ ابن خياط ( ٣٠٠/١ ) .

(٤) الولاة والقضاة ( ٢٠ ) .

مباشرة، فكتب إليه عبدالله: «أما بعد. فإنك كنت من عبدالعزيز وبشر<sup>(١)</sup> مهّادَيْن<sup>(٢)</sup> تَعْلُو عن الحضيض مهودهما<sup>(٣)</sup> وَيُدْفِئُكَ دثارهما ، حتى عفا<sup>(٤)</sup> مَخْبِرُكَ وسمتُ بك نفسك ، فلا تحسبني كمن كنت تخلبه وأعداء بيته وتقول : أكفياني أكفكما ، ولا كأضْبُع<sup>(٥)</sup> كنت يمينه بكهانتك ! وأيم الله ! لأضعنّ منك ما رفعا ، ولأقلنّ منك ما كثرًا . رويداً ، فكأن قد أصبحت سادماً<sup>(٦)</sup> تعضّ أناملك نادماً ، والسلام »<sup>(٧)</sup> .

وكان جواب موسى لعبدالله : «أما بعد . فقد قرأت كتابك وفهمت ما وصفت فيه من إرْكَانِي إلى أبويك وعمّك ، ولعمري إن كنت لذلك أهلاً ! ولو خبرت مني ما خبراً لما صغرت مني ما عظمت ، ولما جهلت من أمرنا ما علّمت ، فكيف آتاه الله لك ! ! فأما انتقاصك لهما ، فهما لك وأنت منهما ، ولهما منك ناصر ، لو قال وجد عليك مقالاً ، وكفاك جزاء العاق<sup>(٨)</sup> . فأما تهديدك إيتاي بأنك واضع مني ما رفعا ، فليس ذلك بيدك ولا إليك ، فارعدْ وابْرُقْ لغيري . وأما ما ذكرت مما كنت آتي به عمّك عبدالعزيز ، فلعمري إنني ممّا نسبني إليه من الكهانة لبعيد ، وأنّي من غيرها من العلم لقريب ؛ فعلى رسلك ، فكأنك قد أظلك البدر الطالع والسيّف القاطع والشهاب الساطع ، فقد تمّ لها وتمّت له ، ثم بعث إليك الأعرابي الجلف الجافي ، فلم تشعُر به حتى يحلّ بعقوتك<sup>(٩)</sup> فيسلبك سلطانك ، فلا يعود إليك ولا تعود إليه ، فيومئذٍ تعلم أكاهن أم عالم ، وتوقن أيننا النادم السّادم ، والسلام » .

وقرأ عبدالله كتاب موسى ، فكتب إلى أبيه عبدالمملك كتاباً وأدرج كتاب موسى فيه ، فلم يصل الكتاب إلى عبدالمملك حتى قبض ، ووقع الكتاب في يد الوليد بن عبدالمملك بعد أن عزل عبدالله عن ( مصر ) ، فلما قرأه استضحك ثم قال : « لله درّه — يقصد

(١) بشر بن مروان بن الحكم .

(٢) المهّاد : الفراش . ومهاد الأرض : المستوية .

(٣) المهود : ج مهد : الأرض المستوية السهلة .

(٤) عفا الأرض : كثر نباتها فغطاها . وعفا الشيء : خفى . وعفا الماء : لم يخالطه شيء يكرهه .

(٥) أضبع : ج ضبع ، وهو جنس من السباع من الفصيلة الضبية ورتبة اللاوحم ، أكبر من الكلب وأقوى وهي كبيرة الرأس قوية الفكين . وهذه تعرف بالسذاجة والغفلة .

(٦) السادم : المصاب بالهم أو الغيظ مع حزن .

(٧) الولاة والقضاة ( ٦٠ - ٦١ ) .

(٨) أضاف موسى بعد العاق : فأما ما نلت من عرضي ، فذلك موهوب لحق أمير المؤمنين لالك » .

(٩) العقوة : الموضع المتسع أمام الدار أو المحلة أو حولها .

موسى - إن كان عنده أثره<sup>(١)</sup> من علم ، ولقد كان عبدالله غنياً أن يتعرّضه<sup>(٢)</sup> .  
 فإذا صحّ صدور هذا الكتاب عن عبدالله ، فهو يدل على تمكنه من ناصية اللغة  
 العربية ، وبلاغته وبيانه الرفيع ، كما يدل على حبه للسيطرة واهتمامه بالضبط والنظام ،  
 فهو لا يرضى أن يتخطاه موسى إلى الخليفة ، لأنه يعتبر نفسه المرجع المباشر لموسى .  
 والمهم أن عبدالله لم يكن على علاقة حسنة بموسى بن نصير ، مما يؤدي إلى عرقلة  
 استكمال فتح ( إفريقية ) وتوطيد فتحها ، لتكون القاعدة الأمامية لفتح الأندلس  
 وأوروبا ، كما تشل هذه العلاقة السيئة بين عبدالله وموسى بن نصير التعاون الوثيق بين  
 القائدين وتلحق بالفتح أفدح الأضرار .

ولا يمكن أن يبقى قائدان في منطقتين متجاورتين تؤثر إحداهما في الأخرى تأثيراً  
 سَوْفِيّاً إلاّ إذا كانا متعاونين أشد التعاون ، يتبادلان ثقة بثقة وحباً بحب وإخلاصاً بإخلاص .  
 ويبدو أن صغر سنّ عبدالله وعنجهيته ، هي التي جعلت موسى بن نصير - وهو  
 القائد الأملعي الحصيف ، لا يتعاون مع عبدالله تعاوناً وثيقاً كما كان يتعاون مع عبدالعزيز  
 ابن مروان وغيره من أمراء ( مصر ) .

كما يبدو أن موسى استشف أخبار العلاقة غير الوطيدة بين الأخوين : الوليد وعبدالله ،  
 وأن مكانته عند الوليد أقوى من مكانة عبدالله ، وأن الوليد لا محالة سيعزل عبدالله عن  
 ( مصر ) اليوم أو غداً ، لذلك لم يكثر بعبدالله ولم يؤلّه العناية الكافية .

وقد كانت ولاية عبدالله على ( مصر ) ثلاث سنين وعشرة أشهر<sup>(٣)</sup> .

وإخوة عبدالله بن عبد الملك : الوليد ، وسليمان ، ومروان الأكبر مات صغيراً ،  
 وعائشة ، أمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جدّيمة بن  
 رَوَاحَة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيْعَة بن عَبَس بن بَغِيض .  
 ويزيد ، ومعاوية مات صغيراً ، وأم كلثوم ، وأمهم عاتكة بنت يزيد بن أبي  
 سُفْيَان .

(١) الأثر : المنزلة . وأثره العلم : بقية منه تؤثر .

(٢) الولاة والقضاة ( ٦١ - ٦٢ ) .

(٣) النجوم الزاهرة ( ٢١١/١ ) ، وفي الولاة والقضاة ( ٦٣ ) : أن ولايته كانت عشرة أشهر ، وهذا بدون  
 شك خطأ مطبعي أو خطأ من ناسخ الكتاب ، وكان على مذهب ومصححه ( رفن كست ) ألا يغفل عن  
 مثل هذا الخطأ ، والكتاب بعد ذلك يعج بالاطّاء بشتى أنواعها ومختلف أشكالها مما يدعو الى الأسف  
 الشديد .

وهشام ، وأمه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، واسم أم هشام : عائشة بنت هشام المخزومية .  
وأبو بكر واسمه : بكّار ، أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله .  
والحكّم مات صغيراً ، وأمه أم أيّوب بنت عمرو بن عثمان بن عفّان .  
وفاطمة بنت عبد الملك ، أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام ابن المغيرة .

وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير ، لأمهات أولاد (١) .  
ولا ذكر لأولاده ، وورد ذكر قسم من أولاد عبد الملك بن مروان ، ولم يذكر قسم آخر منهم ، إذ : ليس في أعقاب سائر ولد عبد الملك من أشهر فيذكر (٢) .  
وقد تولى عبد الله ( مصر ) سنة خمس وثمانين ( ٧٠٤ م ) كما ذكرنا ، وكان عمره حينذاك سبعاً وعشرين سنة (٣) ، ومعنى ذلك أنه ولد سنة ثمان وخمسين الهجرية (٦٧٧م) ، وقتل سنة اثنتين وثلاثين ومئة الهجرية (٤) ( ٧٤٩ م ) ، أي أنه عاش أربعاً وسبعين سنة قمرية واثنين وسبعين سنة شمسية .

### مرآة القائد عدم ردى

كان في عبد الله شدة وبأس كما وصفه المؤرخون ، وهذا يدل على قوة شخصية والتحلي بالضبط المتين .

والشخصية القويّة من سمات القائد المتميّز ، كما أنّ الضبط المتين من مزايا الجندي والقائد المتميّزين ، إذ لا جيش يُعتمد عليه وقوة يُعتدّ بها إذا لم تتسم بالضبط المتين .  
والفرق الرئيسي بين العسكريين والمدنيين ، هو تمتع الأولين بالضبط المتين ، وعدم تمتع الآخرين بهذا الضبط .

فاذا كان القائد منضبطاً ، سرت هذه السجية إلى رجاله ، وبذلك يحقق القائد لجيشه أول أسباب النصر .

(١) الطبري ( ٤١٩/٦ - ٤٢٠ ) وانظر جمهرة أنساب العرب ( ٨٩ ) والنجوم الزاهرة ( ٢١١/١ ) .

(٢) جمهرة إنساب العرب ( ١٠٤ ) .

(٣) النجوم الزاهرة ( ٢١٠/١ ) .

(٤) تاريخ ابن خياط ( ٤٣٥/٢ ) .

ويبدو أنّ سفارة عبدالله إلى العراق لكبح جماح ثورة ابن الأشعث أو لإقرار الصلح بين رجاله ورجال الحجاج ، وتصرّفه في قيامه بواجبه في السفارة أولاً وتعاونيه مع الحجاج في معركة ( دير الجماجم ) مما أدى إلى إحراز النصر ثانياً ، وقيادته الواعية في غزواته المتعاقبة بأرض الروم ثالثاً ، ومحاولته ترسيخ أقدام الفاتحين في المناطق التي فتحها ليصبح الفتح مستداماً ولا يبقى فتحاً مؤقتاً أخيراً ، هو الذي لفت إليه نظر أبيه عبد الملك بن مروان ، فولّاه ( مصر ) وأوكل إليه أمر إدارتها بأسلوب جديد غير الذي كان يتبعه في إدارتها عبدالعزيز بن مروان .

وأهمية ( مصر ) في فتح المغرب وإفريقية ، كأهمية ( العراق ) في فتح المشرق ، واعتماد فتح المغرب على خراج ( مصر ) ، كاعتماد فتح المشرق على خراج ( العراق ) ، لذلك كان اهتمام الخلفاء باختيار ولاية ( مصر ) و ( العراق ) فائقاً جداً ، لأن ( مصر ) القاعدة الأمامية الرئيسة في فتح المغرب ، وشأنها في ذلك شأن ( العراق ) ، ولا فتح بدون قاعدة رصينة ، وهذا يحتاج إلى ولاية قادرين من ذوي الكفايات العالية والإدارة الحازمة .

إن اختيار عبدالله من بين أخوته لولاية ( مصر ) ، دليل على نجاحه في المهام الإدارية والقيادية التي ألقيت على عاتقه قبل أن يتولى هذا المنصب الحيوي الرفيع ، وهي التي رشحته لتولي هذه المهمة الجديدة الصعبة ، ورشحته لاقتلاع آثار سياسة عبدالعزيز بن مروان في ( مصر ) من جذورها ، تلك الجذور التي تغلغت إلى الأعماق ، لأنّ عبدالعزيز حكم ( مصر ) عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً<sup>(١)</sup> . امتدت من سنة خمس وستين الهجرية<sup>(٢)</sup> ( ٦٨٤ م ) حتى سنة خمس وثمانين الهجرية<sup>(٣)</sup> ( ٧٠٤ م ) ، فأمر عبد الملك ابنه عبدالله أن يُعَفِّي آثار عبدالعزيز في<sup>(٤)</sup> ( مصر ) ، وهذه مهمة صعبة جداً ، لا يستطيع تنفيذها غير الرجال القادرين .

وإذا علمنا أنّ عبدالله تولى ( مصر ) وعمره سبع وعشرون سنة<sup>(٥)</sup> ، وإنه بدأ

(١) النجوم الزاهرة (١٧٤/١) والولاة والقضاة ( ٥٥ ) .

(٢) العبر ( ٧١/١ ) وشذرات الذهب ( ٧٣/١ )

(٣) العبر ( ٩٩/١ ) وشذرات الذهب ( ٩٥/١ ) .

(٤) النجوم الزاهرة ( ٢١٠/١ ) والولاة والقضاة ( ٥٨ )

(٥) النجوم الزاهرة ( ٢١٠/١ ) .



حياته العملية قائداً وسفيراً سنة اثنتين وثمانين الهجرية <sup>(١)</sup> ( ٧٠١ م ) ، وكان عمره يومئذ اربعاً وعشرين سنة ، فمعنى ذلك أنه أظهر كفاية متميزة في سن مبكرة ، ثم قضى ثلاث سنوات لوضع كفايته في محك التجربة العملية ، فنجح في إحراز ثقة أبيه فولاه أكبر منصب مرموق بعد منصب الخليفة ، وهو ولاية ( مصر ) ، مما يدل على تمتعه بالطبع الموهوب الذي أثبت نجاحه في ميدان التطبيق العملي .

ولا شك في أن علمه المكتسب كان له نصيب كبير في صقل طبعه الموهوب وفي تجربته العملية قائداً وسفيراً وإدارياً ، وبذلك إجتمع لعبدالله الصفات الثلاث للقائد والسياسي والاداري : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب والتجربة العملية .

ولا يستطيع متبّع سيرته قائداً ، إلا أن يتوقف أمام ميزة بارزة لقيادة عبدالله ، وهي محاولته جعل الفتح مستداماً ، ورفضه الاكتفاء بالفتح المؤقت الذي هو أشبه بالمعارك السيّارة والغارات منه بالفتح المستدام .

لقد فتح المسلمون ( المصيصّة ) بقيادة أبي عبيدة بن الجراح في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ولكن الروم استعادوها مرات ، وأعاد المسلمون مرات فتحها ، لذلك قرّر عبدالمك بن مروان أن يحرم الروم من استعادتها ، لاهمية موقعها السوقي حيث تعتبر الخط الدفاعي الأمامي عن ( أنطاكية ) أهم الثغور الشامية ، فإذا استعادها الروم أصبحت ( أنطاكية ) مكشوفة تحت رحمة الروم فيستعيدوها الروم بيسر وسهولة . وأمر عبدالمك ابنه عبدالله أن يعيد بناء ( المصيصّة ) ويحصنها ويعمر قلعتها ويحشد الجنود فيها ، فنهض عبدالله بهذا الواجب على أحسن وجه ، واختار من رجاله الشجعان المغاوير ، وجعلهم حامية ثابتة لهذا الثغر المتقدم الذي يحمي ( أنطاكية ) بخاصة ، والحدود الشمالية الغربية للدولة بعامة <sup>(٢)</sup> .

وذهب عبدالله إلى مدى أبعد من ذلك ، فتغلغل شمالاً إلى ( طرندة ) لتكون خطاً دفاعياً أمامياً للدفاع عن ( المصيصّة ) ، وبذلك أصبح خطان دفاعيان أماميان للدفاع عن ( أنطاكية ) وعن حدود الدولة ، يصعب على الروم اختراقهما للوصول إلى ( أنطاكية ) وحدود الدولة الشمالية الغربية ، وبهذا حمى البلاد الإسلامية حماية مثالية من الروم ، كما أمّن قواعد متقدمة للفتح في بلاد الروم .

(١) تاريخ ابن خياط ( ٢٨٩/١ ) ومعجم البلدان ( ٢٨٥/٣ ) .

(٢) انظر التفاصيل في البلاذري ( ٢٢٥ ) .

وقد ارتكز مسلمة بن عبد الملك على ( المصيصية ) في انطلاقه شمالاً لحصار ( القُسْطَنْطِينِيَّة ) ، وكانت هذه المدينة من أهم قواعده المتقدمة التي ارتكز عليها لتحقيق أهدافه في الفتح .

وأخفقت حملة ( القُسْطَنْطِينِيَّة ) وبدأ المسلمون بالانسحاب منها ، فكانت ( المصيصية ) أرضن قواعد المسلمين المتقدمة في حماية الانسحاب .

ومات عبدالله ومات مَسْلَمَة بن عبد الملك ، وانتهت أيام الدولة الأموية في الشام ، وبدأت أيام الدولة العباسية في ( بَغْدَاد ) ، وذكر ( المصيصية ) يتردد في الصراع بين المسلمين والرُّوم ، وبقيت صخرة صلبة بوجه الرُّوم ، فلم يستطيعوا استعادتها إلى حكمهم ، كما لم يستطيعوا إلى يُقْلَلُوا في أهميتها الحيوية في الدفاع عن ( أنطاكية ) وحماية الحدود الشمالية الغربية من هجمات الرُّوم وغاراتهم <sup>(١)</sup> .

والفضل في ذلك يعود إلى عبد الملك بن مَرْوَان صاحب فكرة تحصينها وحشد المقاتلين فيها ، وإلى ابنه عبدالله الذي وضع تلك الفكرة في حيز التنفيذ .

كما أن الفضل في جعل فتح هذا الثغر فتحاً مستداماً ، يعود إلى عبدالله دون مرء . إنَّ عبدالله في فتحه ، يفكر في الحاضر وفي المستقبل ، ولا يكتفي بالتفكير في الحاضر فقط ، وهذه صفة من صفات القائد الذي يتسم ببُعْد النظر .

وقد كان عبدالله قائداً تعرضياً ، يطبق الحرب السيّارة ، ويدافع عن الحدود والثغور بالتعرض لا بالدفاع المُسْتَكِين ، ويرى بحق أنَّ الهجوم أفضل أساليب الدفاع . وبالأسلوب التعرضي ، حمى عبدالله الحدود والثغور ، ونقل القتال من مواضع المسلمين إلى مواضع الرُّوم ، وجنّب بلاد المسلمين خسائر الحرب ، وأوقع تلك الخسائر في بلاد الرُّوم ، وفتح مناطق من أرض الرُّوم ، جعلت أرض المسلمين بعيدة عن أسلحة الرُّوم ورجالهم .

وكان يطبق مبدأ ( التَحَشُّد ) في غزواته ، فيحشد القوة المناسبة للعمل المناسب ، كما يحشد القوات المناسبة في الثغور ، للدفاع عنها في حالة تعرضها لهجوم معاد . وكان يطبق مبدأ ( الأمن ) في مسير الاقتراب ، وفي صفحة الاشتباك بالعدو ، كما يضع الحاميات في الثغور ، لكي لا يباغتها العدو في هجوم غير متوقع ، وبهذه التدابير الأمنية صان رجاله من مباغطة العدو لهم في مختلف صفحات القتال التي خاضها .

(١) انظر التفاصيل في البلاذري ( ٢٢٣ - ٢٣٠ ) .

وكان يطبّق مبدأ ( القضايا الإدارية ) تطبيقاً مثالياً في غزواته ابتداء من تقدمه لمجابهة العدو ، إلى عودته إلى قواعد المسلمين ، فلا نعلم أنّ قواته احتاجت إلى أي نوع من أنواع القضايا الإدارية تمويناً وسلاحاً ونقلية وطبابة ومرتبات .

وكان يديم معنويات رجاله العالية ، بالنصر ، والأمن ، والحماية ، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات عن قواته ، وبالحاميات القوية القادرة ، وبالتعرض والقتال السّيار ، ونقل المعركة إلى أرض العدو ، وبالاستعدادات المتكاملة .

وكان يثق برجاله ويثقون به ، وبحبهم ويحبونه ، ويعتمد عليهم ويعتمدون عليه . والذي يبدو أنّ أهم مزاياه العسكرية في القيادة هي : بُعد نظره الذي جعله ينفذ الخطط الضرورية التي أدّت إلى ترسيخ ما فتحه من بلاد الروم ، فأصبح فتحاً مستداماً ولم يبق فتحاً مؤقتاً .

كما أنه كان ذا شخصية نافذة مُسيطرة ، تفرض نفسها بقوة وصرامة على رجاله وعلى أسلوب عملهم في القتال والادارة على حد سواء .

كما أنه كان يتحلّى بالضبط المتين ، فلا يغض الطرف عن مخالفات رجاله ولا يرضى منهم بغير الالتزام الصّارم بمتطلبات الضبط المتين .

تلك مزايا ثلاث بارزة في عبدالله التي لفتت إليه نظر أبيه عبدالملك ، فولاه مصر ليعيدها إلى سيطرة أبيه الكاملة ، فخسرت القيادة ولم تربحه الإدارة .

### عبدالله في التاريخ

يذكر التاريخ لعبدالله أنه فتح منطقة حيوية من بلاد الروم بقيت رديحاً من الزمن تنتقل من أيدي الروم إلى أيدي المسلمين ، ومن أيدي المسلمين إلى أيدي الروم ، حتى استقرت أخيراً بأيدي المسلمين بفضل عبدالله ، وأصبح فتحها فتحاً مستداماً .

ويذكر له أنه حمى بفتحه المستدام منطقة ( أنطاكية ) ، وهي من أهم الثغور الشّاميّة التي تحرس الحدود الشماليّة الغربيّة للدولة الإسلاميّة .

ويذكر له أنه تولى ( مصر ) ، فأعادها إلى سيطرة أبيه الكاملة ، بعد أن كانت شبه مستقلة في أيام عبدالعزيز بن مروان .

ويذكر له أنه نجح نجاحاً باهراً في قيادته ، ونجح نجاحاً محدوداً في إدارته ، فكان قائداً متميزاً ، ولم يكن إدارياً متميزاً .

يرحمه الله جزاء ما قدم من جهد في قيادته وإدارته .

# لمحات من تراثنا الحضاري القديم في الطب

## الأستاذ طه باقر

استاذ بكلية الآداب - جامعة بغداد

عضو المجمع العلمي العراقي

يأتي الطب والممارسات الطبية في حضارة وادي الرافدين من بين المقومات والعناصر الحضارية المهمة التي عني بها الباحثون في تطور العلوم والمعارف الانسانية ، ذلك لأنهم وجدوا في تلك الممارسات الأسس والاصول الأولى لا قدم اساليب استعملها الانسان في التطبيب والشفاء ، شأنها في ذلك شأن اوليات الحضارة الأخرى التي ظهرت في حضارة وادي الرافدين وخلفت تراثا كبيرا ومهما في الحضارات اللاحقة ، ومنها الطب في الحضارة اليونانية والحضارة العربية الاسلامية .

وقبل ان نوجز الملامح الاساسية لطب حضارة وادي الرافدين نمهد لذلك بتعريف موجز لما نقصده بحضارة وادي الرافدين لما لذلك من علاقة اساسية بموضوع هذا البحث ، فنقول إنه يقصد بحضارة وادي الرافدين او ما بين النهرين بوجه عام حضارة العراق القديم التي اخذت بالازدهار في السهول الرسوبية ، ( أي الاقسام الجنوبية والوسطى مما يعرف ببلاد « سومر » و « اكد » ) في مطلع الألف الثالث ق.م. اي قبل نحو خمسة آلاف عام . ولكنها تمتد في اصولها وجذورها الى اطوار عصور ما قبل التاريخ الموغلة في القدم ، ومرت في مراحل تطورها بعدة اطوار حضارية وبقيت في الوجود الى اواخر العهد الما قبل الميلاد . ويدخل تحت مصطلح حضارة وادي الرافدين بالاضافة إلى الحدود الجغرافية الحالية للعراق ، عدة أقطار مجاورة ، انتقل اليها كثير من المقومات

والعناصر الحضارية مثل بلاد عيلام ( الاجزاء الجنوبية الغربية من ايران اي ما يعرف الآن بالاحواز او عربستان ) ، وشمالى ما بين النهرين ( الجزيرة ) وبلاد الشام والاناضول ( موطن الحيشين القدماء ) ، وقد بلغت التأثيرات الحضارية التي انتقلت الى هذه الاقطار من العراق درجة من السعة والشدة بحيث يصح ان نعد الحضارات او الثقافات التي نشأت فيها امتدادا لحضارة وادي الرافدين ، ومن بين ذلك حقل الطب والممارسات الطبية موضوع هذا البحث كما سيتضح ذلك فيما بعد .

وحضارة وادي الرافدين ، في عرف مؤرخي الحضارة ، احدى الحضارات القديمة القليلة وفي مقدمتها حضارة وادي النيل ، التي لم تنفرع او تشتق من حضارة سابقة لها بل انها نشأت ونمت وتطورت من ادوار عصور ما قبل التاريخ البدائية ، ولذلك اطلق عليها الباحثون مصطلح « الحضارة الاصلية » او الاصلية « ORIGINAL ( IVILZATION ) او الحضارة الغير مشتقة ( UNRELATED CIVILIZATION; ) ويلحق الباحثون بهذا الصنف من الحضارات بالاضافة الى حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل ، حضارة الشرق الاقصى ( الصينية ) وحضارة حوض نهر/السند ( INDUS CIVILIZATION ) وحضارة امريكة الوسطى ( المايا والازتيك ) .

اما الحضارات البشرية الاخرى فيندرجونها تحت صنف الحضارات المشتقة او الفرعية ( AFFILIATED CIVILIZATIONS ) (١) .

### اكتشاف النصوص المسمارية الطبية :

يرجع الفضل في معرفتنا بالطب والممارسات الطبية في حضارة وادي الرافدين الى المدونات والنصوص المسمارية التي خلفتها تلك الحضارة . وقد بدأ تعرف الباحثين على تلك النصوص من بعد حل رموز الخط المسماري منذ منتصف القرن الماضي ، وهي قصة مثيرة لامجال لاسهاب القول فيها وتعد من أروع ما أسهمت به المعارف الحديثة في حقل الاكتشافات العلمية (٢) .

بيد أن تفسير تلك النصوص ولا سيما النصوص الطبية وفهمها وتقييمها على الوجه الصحيح قد تأخر من بعد ذلك التاريخ بعدة عقود من السنين ، وعلى وجه التحديد الى

(١) انظر : A. Toynbee, A Study of History وترجمة كاتب المقال لموجز المجلدات السنة الأولى ( ١٩٥٥ ) .

(٢) راجع ايجاز ذلك في كتابي الموسوم : « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » الجزء الأول ( ١٩٧٣ )

ما بعد فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية . ومثل ذلك يقال بالنسبة الى فهم النصوص المسمارية الرياضية . ويرجع الفضل في ذلك بوجه خاص الى ما نشره بعض الباحثين المختصين من نصوص مسمارية طبية مهمة ، ولا سيما الواح الطين المحفوظة في المتحف البريطاني ، والتي اكتشفت في مكتبة الملك الاشوري الشهير « آشور - بانيبال » ( ٦٦٨ - ٦٢٧ ق. م . ) ومعظمها نسخ عن نصوص طبية قديمة (٣) مما قبل العصر الآشوري الحديث . واقدام من هذه النصوص الالواح الطبية المسمارية التي اكتشفت في العاصمة الاشورية القديمة « آشور » ( قلعة الشراقات ) في اثناء التنقيبات الاثريّة الألمانية ( ١٩٠٤ - ١٩١٢ ) وتسبق في زمنها الواح مكتبة آشور بانيبال في نينوى التي نوهنا بها ، حيث يرجع تأريخها الى حدود مطلع الألف الأول ق . م (٤) . وتسبق هذه النصوص الطبية في الزمن بزهاء أربعة قرون الالواح الطبية المهمة التي اكتشفها المنقبون الالمان في العاصمة الحيثية « حاتوشا » ( بوغازكوي الآن في تركيا ) وترجع في زمنها الى حدود القرن الرابع عشر ق.م (٥) وهي مدونة بالخط المسماري وباللغة البابلية مما يوضح ما نوهنا به من تأثر الحضارة الحيثية بحضارة وادي الرافدين وامكان عدها ثقافة مشتقة من تلك الحضارة . واكتشفت نصوص طبية أخرى من بعد ذلك التأريخ ستأتي الإشارة اليها في مواضع آتية من هذا البحث .

ولكن على الرغم من اكتشاف هذه النصوص الطبية المهمة ظلت نظرة الباحثين الى الطب في حضارة وادي الرافدين حتى مطلع الخمسينات يشوبها كثير من الوهم الناشئ من عدم التمييز ما بين الطب والممارسات الطبية وبين السحر وممارساته أي ما بين الساحر المعوذ وبين الطبيب الصرف (٦) . على أن الرأي الصحيح الذي انتهت اليه بحوث

(٣) انظر : R.C. Thompson, Assyrian Medical Texts ;1923; وعن احدث بحث في موضوع الطب في حضارة وادي الرافدين ، راجع البحث الآتي وفيه الاشارات الى اهم الدراسات والمراجع : - Robert Biggs, "Medicine in Ancient Mesopotamia" in History of Science 8,; 1969), 94 ff.

(٤) انظر نصرص هذه الالواح التي نشرها الباحث « إيبيلنج » : -

Ebelling, Keilschrifttexte aus Assur, Religiösen Inhalts ; Leipzig, 1915 — 1919;

(٥) حول نصوص هذه الالواح انظر :

F. Koehler, Keilschrifttexte aus Boghazkoy

XXXVII ;1953; Nos. 19, 30

(٦) من الامثلة عل الباحثين القدماء الذين فاتهم التمييز ما بين النصوص السحرية والنصوص الطبية الصرفة ، الباحث الطبيب الفرنسي « كونتينو » وكتابه الموسوم :

G. Contenau, La médecine en Assyrie et en Babylonie ( 1938 )



معظم الباحثين المعنيين بالموضوع منذ الخمسينات من هذا القرن ان هناك فروقا واضحة ما بين السحر والطب ، وانه على الرغم من ان الممارسات السحرية والطبية قد ظهرت جنبا الى جنب ومقترنة بعضها ببعض في بعض الحالات ، بيد أنه لا توجد أي دلالة أو قرينة تشير الى ان الطب قد نشأ او تطور عن السحر والتعويذ ؛ بل ان الممارسات الطبية الصرفة وجدت منذ اقدم عهود تأريخ العراق القديم وهي مستقلة ومتميزة عن الممارسات السحرية . وشبيه بهذا الوهم في جعل السحر اصلاً للطب في حضارة وادي الرافدين الرأي القديم الخاطي بأن الفلك البابلي (Astronomy) قد نشأ عن التنجيم (Astrology) .

وليس ادل على انفصال الطب عن السحر في حضارة وادي الرافدين من أن المصطلحين اللذين اطلقتها النصوص المسمارية على الطب والطبيب وعلى السحر والساحر كانا مصطلحين متميزين في جميع عهود تلك الحضارة . فان المصطلح الذي اطلق على الساحر والمعوذ في اللغة البابلية « آشيبو » (ashipu) (ومنه فن التعويذ « آشيبوثو » ashiputu) لم يختلط في دلالاته ومفهومه مع المصطلح الذي اطلقوه على الطبيب وهو الكلمة البابلية « آسو » (Asû) ومنه مصطلح الطب « آسوتو » (asûtu) . وكان الرأي السائد بين الباحثين القدماء ان كلمة « آسو » البابلية مأخوذة من الكلمة السومرية (آ - زو) (A - ZU) او « يازو » (IA - ZU) التي تعني « العارف بالماء » او « العارف بالزيت » ، اشارة الى كثرة استعمال الماء والزيت في التطهير والممارسات الطبية ، او بالاشارة الى ان مصدر الطب من اله الحكمة والماء ، وهو « إيا » (آنكي) بيد ان الشك أخذ يساور الباحثين المحدثين في هذا التأصيل السطحي . على انه يمكن القول إن مصطلح « آسو » البابلي ليس سومري الأصل وانما كتب كتابة صوتية بالعلامتين المسماريتين وهما آ - زو (A - ZU) او (IA - ZU) ، وان اشتقاق الكلمة البابلية « آسو » مثل المادة العربية « آسى ، يواسي » ومنها كلمة « آسي » العربية (وجمعها أساة<sup>(٧)</sup> . والجدير بالذكر عن مصطلح « آسو » البابلي انه ورد في النصوص المسمارية في عصر قديم من عصور حضارة وادي الرافدين ، وهو العصر الاكدي (منتصف الألف الثالث ق . م .) وهذا لم يقتصر التمييز بين الطبيب وبين الساحر من الناحية اللغوية بل انه تضمن الناحية الاجتماعية والمهنية والقانونية . فالساحر المعوذ الذي كان

(٧) انظر :

R. Biggs, in Revue d'Assyriologie ( 1966 ), 176ff.

عمله الرئيسي التعويذ والتعزيم (Exorcisim) لطرد الشياطين وما تسببه للبشر من امراض واضرار كان من صنف الكهنة ورجال الدين ، في حين ان الاطباء كانوا من ذوي المهن والحرف . وهكذا جاء ذكرهم في المواد التي خصصتها شريعة حمورابي لتنظيم شؤون الاطباء والجراحين والبيطرة وتحديد اجورهم والعقوبات التي كانت توقع بهم ( المواد ٢١٥ - ٢٢٧ ) ولم يرد فيها ذكر المعوذ والراقي ( آشيبو ) في الشؤون الطبية في تلك الشريعة لان اختصاصه كان كما قلنا الممارسات السحرية الخاصة بطرد الشياطين والارواح الخبيثة بالرقى والتعزيم ( في البابلية شبتو ( Shiptn ) . اي ما يطلق عليه كما قلنا التعزيم (Incantation) و (Exorcisim) والادعية والصلوات وغيرها ، وهكذا اتجهت البحوث الحديثة الى التمييز ما بين الممارسات السحرية والممارسات الطبية (٨) .

ويمكن ارجاع هذا الوهم في آراء قدماء الباحثين الى انهم وجدوا في واقع الامر حالات مرضية كثيرة كان القوم يعالجونها بالطرق السحرية حيث يرجعون اسبابها الى غضب الآلهة وتسليطهم الشياطين والارواح الخبيثة على الناس لذنوبهم وآثامهم فالتجأوا في درئها وشفاء الامراض المتسببة عنها الى التعزيم والتعويذ أي الى ما يدخل في الممارسات السحرية ، كما ان هناك حالات مرضية كانوا يجمعون في علاجها الطريقتين السحرية والطبية ، ومن قبيل ذلك ما ستذكره في حالات العنة والعجز الجنسي . كما ان المعوذین (ashipu) كانوا كثيرا ما يمارسون . اصدار الانذار والتنبؤ في (Prognosis) في الحالات المرضية التي يفحصونها ، فيقررون اذا كان المريض سيشفى او لايشفى . ولعله يمكن مضاهاة هذا الجمع ما بين الطرق السحرية والطبية في علاج بعض الامراض في طب العراق القديم بممارسات الطب الحديث للطرق النفسية والعلاج النفسي في

(٨) يجد القارئ هذا الاتجاه الحديث في دراسة النصوص الطبية في أهم البحوث وفي مقدمتها :

1. Edith Ritter. "Magical Expert (Ashipu) and physician (Asû). Notes on two Complementary professions in Babylonian Medicine" in Assyriological Studies XVI (1965), 29 ff.
2. A.L. Oppenheim, "Mesopotamian Medicine" in Bulletin of the History of Medicine, XXXV ;1962), 97 ff.
- 3.— Ancient Mesopotamia ; 1965), 289 ff
4. E. Reines, "Medicine in Ancient Mesopotamia" in Journal of the International College of Surgeons ;1964), 54 ff.
5. M. Civil, "Prescriptions Medicales Sumeriens" in Revue d'Assyriologie ;1960), 57ff. IBID. ( 1961), 91 ff

الامراض العصبية والنفسية بالاضافة الى الادوية والعلاج الطبي الصرف . والى هذا فاننا اذا اخذنا في حسابنا تلك الازمان الموعلة في القدم فاننا لا نستغرب اذا عزی العراقيون القدماء اسباب الامراض والعلل الى الآلهة ، وانها نوع من العقاب الذي توقعه بالبشر جزاء شرورهم ومعاصيهم . كما ان فن التطبيب والشفاء نفسه كان مثل غيره من شؤون الكون والحياة والمجتمع يرجع الى تقدير الآلهة . وانهم نسبوا فن الطب والشفاء الى بعض الآلهة وفي مقدمتهم اله الحكمة والماء « إيا » ( وفي السومرية آنكي ) ويليه في المرتبة الاله المسمى « ننازو » ( Ninazu ) ( ومعنى اسمه في السومرية سيد الاطباء ) ، وابنه الاله « نكشزيذا » ( Ningishzidda ) . ومن الطريف ذكره عن هذا الاله بصدد الموضوع الذي بين أيدينا ان من شاراته او رموزه عصا ملتفة حولها حية او حيتان ، وهذا هو شعار الاطباء او الصولجان ( Cadouces ) كما نشير الى ما ورد في ملحمة جلجامش عن اسطورة الحية التي سرقت نبات الشباب او النبات الذي يجدد الشباب الذي عثر عليه جلجامش في اعماق البحار ، وبذلك صار في مقدور الحية ان تجدد شبابها بتزع جلدها كل عام . ونذكر من آلهة الطب أيضا الالهة « كولا » ( GULA ) التي كان مركز عبادتها في مدينة « إيسن » ( إيشان بحريان الآن القريبة من الوركاء والتي تنقب فيها الآن بعثة أثرية ألمانية من جامعة مونيخ ) . وتضاهي هذه الالهة أيضا الهة ورد اسمها في النصوص المسمارية بهيئة « نن - كراك » ( Ninkarrak ) .

ونسبت بعض الحضارات القديمة التي اعقت حضارة وادي الرافدين مثل الحضارة اليونانية الطب والشفاء الى بعض الآلهة ، فالاله « ابولو » ( Apollo ) ( المضاهي لهبل عند عرب الجاهلية ) كان اله الطب وابنه الاله « إيكليبوس » ( Asclepius ) وابنته « هاكيا » ( Hygeia ) ( ومن اسمها اشتقت الكلمة التي تطلق على الصحة في اللغات الأوروبية وهي ( hygiene ) ) .

### أزمان النصوص الطبية وأدوارها : -

مع ان المدونات الكتابية المختلفة قد بدأت بالظهور في حضارة وادي الرافدين منذ المنتصف الأول من الألف الثالث ق . م . ولكن ما جاء إلينا من نصوص مسمارية طبية لا تتعدى في ازمانها مطلع الألف الثاني ق . م . وقد دونت الألواح القديمة منها باللغة السومرية وهي قليلة العدد بحيث لا يستطيع الباحث ان يكون صورة واضحة عن الممارسات الطبية في الادوار القديمة من حضارة وادي الرافدين ، ولكن مما يقال عن

هذه النصوص القديمة انها تشبه في مصطلحاتها ومضامينها المآثر الطبية اللاحقة من الادوار اللاحقة . ولعله يمكن عزو قلة النصوص الطبية من العصور القديمة الى صدفة الاكتشاف ، ولكن بحسب معرفتنا الراهنة يمكن تحديد الالف الثاني ق . م . او ما يدعى في تاريخ العراق القديم بالعصر البابلي القديم ( ٢٠٠٠ - ١٥٠٠ ق.م. ) بانه العصر الذي يرجع اليه اقدم النصوص الطبية القليلة . على ان الرأي السائد بين الباحثين ان النصوص الطبية الكثيرة من الادوار التي اعقبت العصر البابلي القديم كان معظمها مستنسخات من نصوص ذلك العصر . والمعروف عن تأريخ العلوم والمعارف المختلفة في حضارة وادي الرافدين ان ذلك العصر البابلي القديم شاهد حركة منقطعة النظير بالنسبة الى تلك العصور القديمة في التأليف والترجمة وتدوين النصوص الادبية المشهورة والنصوص الرياضية والقوانين والشرائع والمعاجم اللغوية والمآثر الطبية .

وبالنسبة الى النصوص الطبية كان اقدم ما عثر عليه منها لوح طين ( قياسية ٥ ر ٩ × ١٦ سم ) مدون بالخط المسماري وباللغة السومرية ويؤرخ في حدود ٢٠٠٠ - ١٩٠٠ ق . م . ويتضمن نصا صيدلانيا في الادوية وتهيئتها اي ما يسمى بالمفردات الطبية (Materia Medica) ( او (pharmacaiope) ) ( الاقرباذين ) وقد عثر على هذا اللوح في اثناء التنقيبات الامريكية القديمة في مدينة نوفر الشهيرة ( قبل اكثر من ١٠٠ عام ) ويرجع انه نسخة عن اصل اقدم يرجع في عهده الى زمن سلالة « اور » الثالثة ( في حدود ٣١٠٠ ق.م. ) (٩) .

وتكاثرت النصوص المتعلقة بالطب والشؤون الطبية من العهود التي اعقبت العصر البابلي القديم اي منذ الألف الثاني ق . م . وقد عثر على الكثير منها في أثناء التنقيبات التي اجريت في بعض المواضع الاثرية في العراق وفي مواطن الحضارات القديمة المجاورة للعراق والتي قلنا إنها كانت تقع ضمن فلك حضارة وادي الرافدين وتأثيراتها الثقافية مثل بلاد الحثيين ( الاناضول ) ، وقد سبق ان ذكرنا الالواح الطبية التي وجدت في العاصمة الحثية « حاتوشا » ( بو غاز كوي ) ، وترجع في عهدها الى حدود القرن الرابع عشرق . م . ) (١٠) ، فقد اعتمد الحثيون في طبهم وممارساتهم الطبية على طب حضارة

(٩) عن هذا النص الطبي الصيدلاني المحفوظ في متحف جامعة فيلادلفيا أنظر :

S.N. Kramer and M. Levey, "Medical Handbook" in Journal of the American Medical Association  
I, No. 7 (1954)

(١٠) انظر الهامش رقم ٥ .

وادي الرافدين ووادي النيل . وكذلك الألواح الطبية الكثيرة التي وجدت في اثناء التنقيبات الالمانية في العاصمة القديمة آشور <sup>(١١)</sup> وترجع في عهدها الى مطلع الألف الأول ق.م. ونذكر ايضا ما نوهنا به من العدد الغفير من النصوص المسمارية الطبية التي وجدت في مكتبة الملك الآشوري « آشور بانيبال » في نينوى ( القرن السابع ق. م . ) وهي كما نوهنا نسخ من نصوص أقدم عهداً يرجح ان تكون غالبيتها من العصر البابلي القديم ( المنتصف الأول من الألف الثاني ق. م . ) والمعروف عن هذا الملك الآشوري المتنور أنه تميز على غيره من الملوك الآشوريين وملوك حضارة وادي الرافدين الآخرين بثقافته الواسعة وولعه في جمع النصوص المتعلقة بالعلوم والمعارف والآداب في مكتبة ضخمة اقامها في قصره الملكي في نينوى واليه يرجع الفضل في معرفتنا الراهنة بمختلف اوجه حضارة وادي الرافدين .

وبالاضافة الى النصوص الطبية الصرفة التي خلفتها حضارة وادي الرافدين امكن الاستفادة من النصوص المسمارية الأخرى التي رغم انها لم تكن نصوصاً طبية ولكنها حوت اشارات ومعلومات مهمة عن الممارسات الطبية في تلك الحضارة وفي الحضارات القديمة الأخرى المجاورة ، ونخص بالذكر من هذه النصوص الرسائل الرسمية التي وردت فيها اشياء مهمة عن الاطباء وتنقلهم وعلاقتهم بالقصر والدولة ، وقد ورد في بعضها اشارات مهمة الى بعض الامراض والأوبئة وانتشارها وقد اضطر بسببها سكان بعض الاقاليم الى الهجرة عنها . فمن الرسائل الرسمية المهمة ما اكتشف في مدينة « ماري » الشهيرة ( تل الحريري الآن على الحدود العراقية السورية ) وقد عثر فيها في اثناء التنقيبات الفرنسية على مئات الألوف من الواح الطين المسمارية المدونة بمختلف شؤون الحياة ، ومن بينها الرسائل الملكية الرسمية التي حوى بعضها كما قلنا معلومات مهمة عن الطب والاطباء واسماء بعض مشاهيرهم وخدماتهم في قصور حكام ذلك العهد <sup>(١٢)</sup> . ووجدت رسائل مهمة أخرى يرجع عهدها الى ما يسمى في تأريخ العراق القديم بالعصر الكيشي ( ما بين القرنين الرابع عشر والثاني عشر ق. م . ) ، وتتضمن طائفة منها اموراً مهمة عن الشؤون الطبية ، ومنها تقارير طبية عن فتيان ملحقين في معهد للموسيقى وصفت امراض

(١١) انظر الهامش رقم ٤ .

(١٢) نشرت الرسائل الرسمية المكتشفة في مدينة ماري بعنوان :



بعضهم بشي من التفصيل (١٣) . ومن العصر الاشوري الحديث ( ما بين القرنين الثامن والسابع ق . م . ) جاءت الينا رسائل مهمة كانت عبارة عن تقارير ارسلها الاطباء الى الملوك الآشوريين عن الامراض والعلاجات الخاصة بالعائلة المالكة (١٤) وسننوه باحدى هذه الرسائل في كلامنا على طب الاسنان حيث كانت عبارة عن تقرير من الطبيب الرسمي يعزو فيه الآلام والاعراض المرضية التي يشكو منها الملك الى أسنانه .

### أصناف النصوص الطبية :

ونعاود الكلام الآن على النصوص الطبية الصرفة التي وصلت الينا الى حال التأريخ ،  
واول ما نذكر عنها انه يمكن تصنيفها الى صنفين رئيسين هما :

١ - النصوص الخاصة بالتشخيص (Diagnosis) والانداز او التنبؤ (prognosis)

٢ - النصوص الخاصة بالعلاج (Therapeutic)

ومن الملاحظات البارزة التي نذكرها عن الصنف الأول ان هذا النوع من النصوص الطبية يتداخل الكثير منه في باب السحر والتعويد ، حيث كان يمارسه الساحر والمعوذ أي الـ « آشيبو » (Ashipu) . وقد جاءت منه مجاميع كبيرة تتألف اكبر مجموعة منها من زهاء اربعين فصلاً ، وتتصدر هذه المجموعة العبارة او العنوان المأخوذ من اول سطر منها وهو : « حينما يذهب المعوذ الى بيت المريض » وفي البابلية : « حينما أنا بيت مرضي آشيبو إللاًك » ( èum ana bit marsi ashipu illak )

وتأتي الارشادات في وجوب ملاحظة اعضاء المريض وجوارحه وبفحص حالته بوجه عام ويصدر ما يتوقعه او يتنبأ به من شفاء المريض او عدم شفائه ، بدون ان يصف علاجاً او دواء معيناً ، ونورد على سبيل المثال نماذج من هذه التنبؤات :

« اذا بدت اذن المريض اليمنى سوداء فسيشتد مرضه ولكنه سيشفى في نهاية الامر »  
ومثل : « اذا كانت كلية المريض اليمنى تؤله فلا يستطيع الاضطجاع على جنبه فانه سيموت خلال سبعة أيام » ومثل : « اذا كانت يده اليمنى تؤله فان ذلك من عمل الاله شمش . انه سيشفى بعد أن يتلو الصلوة . . . » (١٥) .

(١٣) انظر : H. Waschow, Babylonischer Briefe aus der Kassitenzeit (1951)

(١٤) انظر : L. Oppenheim, Letters from Mesopotamia (1967)

(١٥) نشر هذه المجموعة الباحث الشهير « رينه لبات » بعنوان : -

R. Labat, Traite akkadien de diagnostique et pronostique medicaux ; 1951



اما نصوص الصنف الثاني اي النصوص المتعلقة بالعلاج بالادوية فانها على قدر كبير من الاهمية في تاريخ تطور المعارف الطبية ، وهي تجمع ما بين تشخيص المرض وبين وصف الدواء اللازم لشفائه وسنرى في كلامنا على الادوية التي استعملها الاطباء في حضارة وادي الرافدين اوجه الشبه الكثيرة بين وسائل التطبيق فيها وبين الممارسات الطبية في الحضارة اليونانية وفي الحضارة العربية الاسلامية . بحيث ان غير واحد من الباحثين في طب العراق القديم قد استندوا في تعيين وتشخيص الكثير من النباتات والاعشاب الواردة في النصوص المسمارية الى مضاهاة استعمالاتها في الطب اليوناني والعربي (١٦).

لقد وجد من هذا الصنف من النصوص المسمارية مئات من الواح الطين ، وهي في حالات متفاوتة من جودة الحفظ . كما انها لم تترجم كلها بل ان ما ترجم منها عدد غير كبير بالنسبة الى مجموع الواح هذا الصنف ، واقتصر الامر في نشرها على الاستنساخات بخطها المسماري فوضعت في متناول ايدي الباحثين الآخرين (١٧) .

ويغلب على هذا الصنف من النصوص الطبية العلاجية انها بوبت في فقرات او مواد يختص كل منها بحالة مرضية خاصة ، والغالب انها نادرا ما تذكر اسم المرض بل تكفي بوصف اعراضه ووصف الدواء ، اي انها كانت اشبه ما تكون بالمرجع او الدليل للاطباء ( manual ) . حيث تصف الاعراض المرضية الخاصة وارشادات الى الطبيب بما يفعله ونوع الدواء وتذكر كيفية تهيئته احيانا وطريقة استعماله والاقوات التي يستعمل فيها ، وتنتهي بعض اللوح بذكر الانذار والتنبؤ ( Prognosis ) اي اذا كان المريض سيشفى او لايشفى .

ونورد الحالة المرضية الآتية من هذه النصوص التي ذكر فيها اسم المرض وهو « اليرقان » بلفظ مضاه للعربية بهيئة « أمُرُقَانو » ، ولعله من المستحسن ان نورد هذه الحالة « اليرقان » بلفظ مضاه للعربية بهيئة « أمُرُقَانو » ولعله ، من المفيد ان نورد هذه الحالة بنصها البابلي بالحروف اللاتينية : —

Shumma awilu zunurshu arqû pânîshu arqu. shihhat sheri irtannashishi  
amurruqànu shumshu U patranu ( GiR— A — NU ) Shammu Sàku ina  
Shibari shaqû ”

(١٦) انظر على سبيل المثال : R.C. Thompson, A Dictionary of Assyrian Botany —

(١٧) انظر : Koecher, Die Bablonischer Medizin Texten und Untersuchungen, 3 Vols.; 1963—1964

وعن هذا الصنف من النصوص الطبية انظر كذلك

R. Labat, in Journal of Cuneiform Texts, VI (1952) 137 ff.

وترجمتها: « اذا كان جسم رجل أصفر ووجهه أصفر وجسمه آخذا بالنحول والاضمحلال فان اسم الداء اليرقان ، ودواؤه عشب « البترانو » ، يسحق ويشرب مع الجعة <sup>(١٨)</sup> وتجدر ملاحظة ان اسم المرض مأخوذ من الجذر البابلي « اراقو » الذي يعنى ، « اصفر » ، كما يسمى في العربية الدارحة « ابو صفار » ويضاهي هذه التسمية الوصفية لمرض اليرقان اسم المرض في اللغات الاوربية وهو ( Jaundice ) المأخوذ ايضا من مادة تعني اصفر ، يصفر .

وقد رتب بعض النصوص الطبية على هيئة جداول مقسمة في الغالب الى ثلاثة حقول او خانات يذكر في كل منها اسم الدواء واسم الداء الذي يستعمل له وارشادات في كيفية الاستعمال نذكر منها المثال الآتي :

عرق السوس	دواء للسعال	يسحق ويشرب مع الزيت
ورد عين الشمس	دواء لوجع الاسنان	يوضع على الاسنان

وكانت الادوية بوجه عام تؤخذ بطريقتين ، الاستعمال الخارجي والاستعمال الداخلي ، ويغلب على وصفات الأدوية أنها ترتب بحسب اعضاء الجسم الانساني ، أي بحسب الامراض التي تصيب كل عضو منه بدءاً من امراض الرأس ثم العيون والانف والحنجرة والصدر والرئة والمجاري البولية والامراض الجلدية . وخلاصة ما يقال بهذا الصدد أنهم عرفوا معظم الامراض الشائعة المنتشرة في العراق والاقطار الأخرى . على ان هناك طائفة من الامراض لم يستطع الباحثون ان يعنوها ويشخصوها بالامراض الحاضرة . وان منشأ الكثير من هذا الغموض الصعوبة التي يلاقيها الباحثون في قراءتهم الرموز والعلامات المسمارية الواردة في النصوص الطبية المسمارية التي دون بها الاطباء القدماء مصطلحاتهم الطبية ، وانهم في حالات غير قليلة تقصدوا اصفاء السرية على تعاليمهم ومؤلفاتهم الطبية .

ومما يؤسف عليه في موضوع تشخيص بعض الامراض القديمة التي كانت معروفة في العراق اهمال المنقبين الآثاريين القدماء فحص الهياكل العظمية والعظام بوجه عام مما كان يعثر عليه في اثناء التنقيبات وعدم درسها دراسة تشريحية من جانب الاختصاصيين

(١٨) راجع اقتباس النص في معجم شيكاغو الآشوري

( Chicago Assyrian Dictionary )

المجلد الاول تحت مادة « اراقو وامورقانو »

( arâqu, amurraqann

بل اقتصر اهتمامهم بالعظام القديمة على القياسات « الانثروبولوجية » . وبالمقابلة مع هذه الحالة عن العظام في بقايا حضارة وادي الرافدين كانت بقايا المومياء في حضارة وادي النيل على درجة كبيرة من الاهمية في موضوع تشخيص بعض الامراض في مصر القديمة . ومع ان كثيرا من الامراض التي ورد ذكرها في النصوص الطبية المسمارية لم تسم باسمائها الخاصة بيد أن أوصافها واعراضها تساعد في تعيينها وتشخيصها بالامراض المعروفة . كالأوبئة والطاعون والسل والحميات ومنها الملاريا وغيرها وذكرت حالات واضحة تشير الى معرفتهم ببعض الامراض العصبية والنفسية ، وكان معظمها يعزى الى الشياطين والارواح الخبيثة ويعالج بالتعزيم والصلوات والندور بالاضافة الى بعض الادوية المادية (١٩) .

ومن الامراض الطريفة التي ذكرت في النصوص المسمارية ودرست حديثا حالات العنة والضعف الجنسي ( Impotence ) وذكرت علاجاتها وهي من الامثلة على الجمع ما بين العلاج الطبي والعلاج النفسي والسحري في تلاوة نوع خاص من التعويذ ( Incantation ) ومن الادوية التي وضعت لعلاج بعضها استعمال بعض الاجزاء الخاصة من اجسام ذكور بعض الحيوانات المشهورة بقوتها الجنسية . كما ذكرت حالات يكون الرجل فيها عاجزا جنسيا مع زوجته ولكنه نشط مع امرأة أخرى ، وحالات أخرى يكون الرجل فيها عاجزا مع جميع النساء ، وحالات عزيت الى اثر سحر العدو . ووصفت لحالات العنة بالاضافة الى الادوية والتعاويذ السحرية التي نوهنا بها تلاوة بعض العبارات المثيرة جنسيا وكانت المرأة هي التي تتلوها في الغالب (٢٠) . ولعله يمكن تفسير دمي الطين التي عثر عليها في بعض المواضع الاثرية ، ومنها تل حرميل ( القريب من بغداد ) والتي تمثل المشاهد الجنسية ، انها كانت تستعمل لتقوية اثر تلاوة العبارات الجنسية التي نوهنا بها .

(١٩) انظر المعلمة الالمانية الخاصة بعلم الآشوريات والمعنونة : -

Reallexikon der Assyriologie

تحت مادة « الامراض النفسية » ( Geistenkrankheit ) وانظر كذلك :

K. Wilson, Mental Diseases in Ancient Mesopotamia.

(٢٠) انظر الدراسة الطريفة الآتية :

R. Biggs, SHA (G) — ZI — GA, Ancient Mesopotamian Potency

Incantation (1967)

## الجراحة والتشريح وطب الاسنان :

ويستدل من النصوص الطبية والمصادر المسمارية الأخرى وفي مقدمتها شريعة حمورابي على ان الاطباء القدماء مارسوا الجراحة. والواقع ان المواد القانونية التي خصصتها تلك الشريعة ( وستأتي ترجمة بعضها ) تتعلق ببعض العمليات الجراحية والجراحين ومنها جراحة العيون في استخراج الماء ( Cataract ) . وظهرت دراسة بعض الالواح المسمارية الطبية ان جراحهم مارسوا ما يسمى بالعملية القيصرية ( Caesarian section ) في الألف الثاني ق.م. ولكن الغالب أنهم كانوا يجرونها في حالات تخليص الجنين من ام على وشك الموت ، وتمارس على الاماء. <sup>(٢١)</sup> وبمناسبة ذكرنا للعملية القيصرية ننوه بان فن القبالة ( Midwifery ) كان يمارس في العراق القديم ، وكان يوجد قابلات محترفات ومتخصصات <sup>(٢٢)</sup> .

اما فن التشريح (Anatomy) فانه لم يمارس على الجسم الانساني ، ولذلك لا يعلم بوجه التأكيد مدى معرفة اطباء حضارة وادي الرافدين بتشريح الجسم الانساني وفلسجته. ولكن مما لاشك فيه أنهم افادوا بعض الشيء عن حقائق التشريح من القرابين والممارسات السحرية المتعلقة بالآل بفحص احشاء الحيوانات مثل كبد الكبش والاحشاء الداخلية (EXTISPICY). ومع أن الاطباء مارسوا طريقة جس النبض بيد أنه لا يعلم بوجه التأكيد هل عرفوا الحقائق المتعلقة بالدورة الدموية <sup>(٢٣)</sup> . ووردت بعض المصطلحات التشريحية مثل كلمة « شريانو » المطابقة لكلمة شريان العربية . ويرجح كثيرا ان الاطباء الجراحين هم الذين كانوا يمارسون عمليات الاخصاء <sup>(٢٤)</sup> التي اجريت على خدام قصور الملوك

(٢١) انظر البحث :

L. Oppenheim, " A Caesarian section in the second Millinnuim B.C. in Journal of the History of Medicine, XV ; (1960) , 292 ff.

(2)——, Ancient Mesopotamia (1965)

(٢٢) حول موضوع القبالة انظر :

Von Soden, "Hebamme in Babylonien und Assyrien" in Archiv fur Orient Forschung, XVIII (1957), 119 ff.

L. Oppenheim. "On the Observation of the pulse in Mesopotamian Medicine" in Orientalia , XXXI (1962), 27 ffff

(٢٣) أنظر :

Weidner " Hof und Harmes Erbasse in Assyrischer Koenige aus den 2 Jhar tausend V. chr." in Archiv fuer Orient forschung, XVII (1956), 257 ff.

الآشوريين منذ العصر الآشوري الوسيط ( منذ القرن الرابع عشر ق.م. ) (٢٤) . اما الختان فلم يمارس في العراق في العصور التاريخية على الأقل .

ومما يجدر ذكره عن الآلات الجراحية ان المصطلحات الواردة في مواد شريعة شريعة حمورابي الخاصة بالجراحة ومنها كلمة السكين والمبضع ذكرت أيضا في النصوص الطبية ، ومعظم المباحث كانت من البرونز واستعملوا كذلك بعض الآلات المصنوعة من الرصاص والانايب المعدنية وبعضها كان يستعمل لادخال الادوية الى الانف والأذن وادوات للحقن (Syringes) ومنها الآلة التي تسمى الزرافة ( ولفظها مثل الكلمة العربية واستعملت للحقن الشرجية (enema) . ويستدل من المواد القانونية في شريعة حمورابي المخصصة للشؤون الطبية ان الطب البيطري كان معروفاً في حضارة وادي الرافدين وقد اطلقوا على البيطري مصطلح « طيب الثور » او « طيب الحمار » وفي المصطلح السومري كما وردت في شريعة حمورابي A — ZU — GUD و A — ZU — ANSHE

#### بدايات طب الاسنان :

وظهرت في طب حضارة وادي الرافدين بدايات طب الاسنان وقد عرف اطباؤهم بعض الحقائق المهمة عن امراض الاسنان ومداواتها مثل القلع واستعمال الأدوية المسكنة والمزيلة للاورام كما لجئوا في بعض الحالات الى التعويد بالإضافة الى العلاج بالادوية والجراحة . وتجدر الإشارة بهذا الصدد الى رسالة رسمية على جانب كبير من الاهمية وجدت في نينوى (تل قوينجق) وتاريخها من نهاية القرن الثامن ق.م. أو القرن السابع ق.م. والرسالة (٢٥) عبارة عن تقرير من احد اطباء البلاط الرسميين الى الملك بخصوص ما كان يعانيه من اوجاع وآلام جسمية مثل التهاب الرأس والعيون ، وقد شخص التقرير سبب هذه الآلام الى مرض في اسنان الملك وان الشفاء منها لا يتم إلا بقلع الاسنان المريضة المسوسة (٢٥) . هذه حالة على قدر كبير من الاهمية في تأريخ طب

(٢٤)

J. Sasson, "Circumcision in Ancient Near East" in Journal of Biblical Literature (1966), 473 ff.

(٢٥) راجع تحليل الرسالة في

B.R. Jowend. " An Assyrian Dental Diagnosis" in IRAQ, V ( 1938), 82 ff.

وقد نشرت الرسالة في مجموعة الرسائل الآشورية :

Harper, Assyrian and Babylonian Letters.

L.Waterman, the Royal Correspondences of the Assyrian Empire, No.586 K1102

وعن ممارسة طب الاسنان عند الفينيقيين راجع

Clawsen. " phoenician Dental Art" in Byrutus ;1934), 23 ff

الاسنان وتطوره ، فانها تشير بوجهه لا يقبل الشك الى ان الاطباء بوجهه عام واطباء الاسنان بوجهه خاص ادركوا الحقيقة الطبية المهمة وهي العلاقة ما بين امراض الاسنان واثرها في الجسم (Oral Spesis and Systemic disease) وهي العلاقة التي لم تكتشف في الطب الحديث الا منذ منتصف القرن التاسع عشر ، حيث كان الرأي الطبي السائد هو ان مرض الاسنان كان مرضا محصورا في الاسنان ولا اثر له في اعضاء الجسم الأخرى . وتذكرنا هذه الحالة الطبية الواردة في الرسالة الاشورية باحدى الوصايا الطبية الماثورة من وصايا « ابو قراط » ( Hippocrates ) وهي « ان العلة يجب ان تستأصل من مصدرها : » : واذا علمنا ان الطب في حضارة وادي الرافدين قد ظل في الاستعمال في الحضارات القديمة اللاحقة ومنها الحضارة اليونانية ادركنا ان « ابو قراط » وغيره من مشاهير اطباء اليونان كانوا على معرفة بالتراث الطبي من حضارة وادي الرافدين .

#### مفردات الادوية ومصادرها :

يمكن حصر المواد الطبية التي استعملت للعلاج في طب العراق القديم في ثلاثة

مصادر رئيسية هي بحسب كثرة الاستعمال : -

١ - المصادر النباتية والعشبية ( Herbal )

٢ - المصادر الحيوانية

٣ - المصادر المعدنية ( الكيماوية ) ( Minerals )

وتأتي الادوية المستخرجة من النباتات والاعشاب في مقدمة المفردات الطبية (Materia Medica) وقد خلف الكتبة المختصون نصوصاً مسمارية مهمة عن مجاميع هذه الادوية النباتية (٢٦) ووضع الاطباء القدماء شروطاً وارشادات في استعمال الادوية النباتية ، مثل اوقات قطعها والاجزاء التي تستعمل منها مثل البذور والصموغ والجذور والعذوق واللحاء والازهار والاثمار والزيت ، بالاضافة الى كيفية تهيئتها ، فبعضها كان يؤخذ شرباً او مرهما ( Salves ) او مطهرا او مسهلا ( Purgative )

(٢٦) احسن واوسع ما ألف في اسماء النباتات والادوية المستخرجة منها المرجع الآتي : -

C. Thompson, Dictionary of Assyrian Botany (1948)

وبحوثي المنشورة في مجلة سومر ( ١٩٥١ - ١٩٥٣ )



وعينوا المواد التي تؤخذ معها او تمزج او تسحق معها مثل الزيوت والخمور والماء واللبن .  
وينبغي تأكيد ما سبق ان نوهنا به في موضوع مصادر الادوية ان غالبية المفردات الطبية في طب حضارة وادي الرافدين بوجه عام والحضارات الأخرى اللاحقة كالطب اليوناني والطب العربي كانت تستخرج من النباتات ، وليس ادل على ذلك بالنسبة الى طب العراق القديم من ان الكلمة البابلية التي تطلق على العشب وهي « شَمُو » ( Shamnu ) ( وبالسومرية أو ũ ) اطلقوها كذلك على الدواء بوجه عام . ومن الحقائق الأخرى التي ينبغي التنويه بها عن المفردات الطبية النباتية ان استعمالاتها والامراض التي استعملت فيها في طب العراق القديم تضاهي الى حد كبير استعمالاتها عند الشعوب القديمة الأخرى ولا سيما الطب اليوناني الذي كان له تراث كبير في طب الحضارات الأخرى وبوجه خاص طب الحضارة العربية الاسلامية بحيث يصح القول ان الحضارة اليونانية كانت الواسطة الرئيسية في انتقال الكثير من تراث حضارة وادي الرافدين الطبي الى حضارتنا العربية ، ويصدق ذلك على العلوم والمعارف الأخرى ومنها الرياضيات ، من بعد التطور والتنقيح اللذين ادخلتهما الحضارة اليونانية على العلوم والمعارف التي اقتبستها من حضارة وادي الرافدين وحضارات الوطن العربي القديمة الأخرى بوجه عام .

وقد بلغت صحة استعمالات المفردات الطبية النباتية وغيرها في طب العراق القديم ومضاهاتها الى استعمالاتها في طب الحضارات الأخرى اللاحقة بحيث ان الباحثين المحدثين الذين كتبوا في المفردات الطبية في حضارة وادي الرافدين قد استعانوا في تعيينهم وتشخيصهم لاسماء الكثير من النباتات الواردة في المصادر المسمارية باستعمالاتها الطبية ومضاهاة هذه الاستعمالات لاستعمالاتها في الطب اليوناني والطب العربي .  
واثبتت الدراسات اللغوية الحديثة ان هناك طائفة كبيرة من اسماء النباتات والمواد الطبية الأخرى قد اقتبسها اليونان بالفاظها ومعانيها من حضارة وادي الرافدين (+) وتأتي من بعد المفردات الطبية النباتية المواد الطبية المستخرجة من الحيوانات ، ومن بينها بعض الحيوانات اللبونة كالبقرة ( ولا سيما البقر الاصفر ) والغنم والمعز والحمار والكاسب ( ولا سيما الكلب الاسود ) والخنزير والاسد والذئب والثعلب والابل والغزال ،

(+) راجع المصدر الرئيسي عن النباتات والاعشاب الواردة في النصوص الطبية وهو :

R.C. Thompson, Dictionary of Assyrian Botany ( 1948 )

ومن الطيور النعامة والنسر والصقر والغراب والبومة والحمام والعصافير والدجاج والنحل ،  
ومن الزواحف الحية والسرطان وغيرها .

ويلي مفردات الطب الحيوانية الادوية التي كانوا يستخرجونها من المعادن  
( Minerals ) ( ٢٧ ) والاحجار والمواد الكيماوية المركبة منها . وقد خلفوا لنا  
عن ذلك اثباتا ( جداول ) باسماء المعادن والاحجار والادوية المستخرجة منها ، والجدير  
بالذكر في هذا الصدد أنهم استخدموا معارفهم الفنية العملية في الكيمياء في تهيئة  
الادوية من تلك المواد بطرق كيماوية متعددة مثل السحق والخلط والتبخير والتصعيد  
والترشيح ، كما هيأوا المراهم والدهونات والاشربة المختلفة . وقد عثر على بعض النماذج  
من الاجهزة والادوات التي استخدموها في مثل تلك العمليات الكيماوية ( ٢٨ ) وقد  
سبق ان نوهنا بالنص الطبي الصيدلاني الذي يعد اقدم نص من نوعه في تأريخ الصيدلة  
عليه في مدينة نقر من حدود ١٩٠٠ ق . م . ، ولكنه نسخة عن اصل أقدم  
يرجع تأريخه الى زمن سلالة « اور » الثالثة ( في حدود ٢١٠٠ ق . م . ) . ويرجح كثيرا  
ان جماعة تخصصوا في فن الصيدلة ، كما ان الاطباء انفسهم قد جمعوا بين الممارسات  
الطبية وبين فن تحضير الادوية ( ٢٨ ) .

#### الاطباء :

سبق ان نوهت في مقدمة كلامي على الطب في العراق القديم أن الطبيب كان من ذوي  
المهن الخاصة ويختلف عن صنف الكهنة والمعوزين ، وانهم اطلقوا مصطلحين متميزين  
على الطبيب وعلى الساحر المعوذ ، فالاول دعوه « آسو » ( آسي ) والطب « آسوتو » ( asûtu )  
وسموا الثاني « آشيبو » ( ashipu ) وعلى مهنته الكلمة المشتقة منها وهي  
« آشيبوتو » ( ashiputu ) ( ٢٩ ) . ونضيف الى ما سبق ان ذكرناه بعض الملاحظات

( ٢٧ ) احسن ما كتب عن المواد المعدنية والاحجار واستعمالاتها الطبية المراجع الآتي :

1. R.C. Thompson, Dictionary of Assyrian Chemistry and Geology .
2. M. Levey , Chemistry and Chemical Technology in Ancient Mésopotamia; 1959

( ٢٨ ) انظر البحث الآتي : -

D. Goltz. 'Mitteilungen ueber ein. Assyrisches Apotheken Inv nter' in Archives  
Internationales d'Histoire des suinces. (1968)

( ٢٩ ) لعله من المفيد ان ننوه للقراء العرب ان اللا حقة « أثو » ( UTU ) في اللغة الاكدية ( البابلية والآشورية )

تضاف الى اواخر الاسماء والصفات لاشتقاق ما يضاهي ما يسمى المصدر الصناعي في العربية مثل

« الملوكية » والملكوت والناسوت والالوهية « وفي البابلية شرتو » ( من كلمة شرو اي الملك ) و « آسوتو »

باضافة UTU الى آخر الاسم « آسو » ومعناه مهنة الطب

الأخرى عن الأطباء ؛ وأول ما نذكر اننا لا نعرف اشياء مؤكدة ومفصلة عن تدريب الأطباء ، ولكن المرجح ، بالقياس الى ما نعرفه عن الطب في العصور القديمة والى وقت قريب ان مهنة الطب كانت تنتقل من المعلم الى الطبيب او من الطبيب الاب الى ابنائه على طريق الممارسة وتستمر المهنة بين افراد الاسرة الواحدة . وان الطب وفن التداوي كان من بين المهن المهمة في المجتمع ، كما انه كان من المهن التي تحوطها السرية وهي كما قلنا منفصلة ومتميزة عن الكهنة وصنف رجال الدين . ويستدل من النصوص المسمارية بوجه عام والنصوص الطبية بوجه خاص ان عدد الاطباء الممتهين كان عددا كبيرا ، وقد ورد ذكرهم كثيرا في الرسائل الرسمية المتبادلة بين حكام الشرق الادنى القديم وحكامه ، وكثيرا ما كان المشهورون منهم يوخذون من بلاط الى بلاط خارج القصر ، او انهم كانوا يتجولون بين الاقطار للحاجة اليهم . ويحتمل ان نقابات او جمعيات خاصة نشأت للاطباء والجراحين كما لا يستبعد ان معاهد ومؤسسات طبية كانت معروفة ومن قبيل ذلك نوع من المستشفيات البدائية . وهناك اشارات مهمة في النصوص المسمارية تشير بوضوح الى تنوع مراتب الاطباء وتدرجهم وتنوع اختصاصاتهم ، نذكر من ذلك المصطلح الاكدي « راب آسي » (râbâsi) او « آزوكلو » (azugallû) من السومرية (a — zu — gal) وكلاهما يعني كبير الاطباء كما ذكرت مصطلحات تدل على تنوع الاختصاص مثل المصطلح الذي أطلق على طبيب العيون ( وفي السومرية Lû — A — Zu sha IGI — MESH كما ان المواد القانونية التي خصصت للطب والاطباء في شريعة حمورابي ( وستأتي ترجمتها ) تدل بوضوح على تنوع ذلك الاختصاص ، فبالإضافة الى الجراحين ذكر البياطرة ( في المصطلح البابلي الذي يعني طبيب الحمار او الثور ) ومجبرو العظام . ويستدل من المصطلح الذي خصص لاطلاقه على الطبية وهو « أساتو » ( مؤنث آسو ) ان النساء كن يمارسن الطب الى جانب الرجل (٣٠) بالإضافة الى القابلات وفن القبالة . ويستدل من المصادر المسمارية ايضا ان الاطباء كانوا يتزويون بازياء خاصة وانهم يحملون على الدوام حقبة او كيسا من الجلود (٣١)

(٣٠) انظر معجم شيكاغو الآشوري

( Chicago Assyrian Dictionary )

تحت مادة آسو « آسوتو » .

(٣١) من المصطلحات التي أطلقت على حقبة الطبيب المصطلح السومري « ركش - تن - أزو » ومرادفه الاكدي « تكلتواسي » (TAKALTUASI) أي حقبة الطبيب الخشبية « ومصطلح آخر بالسومرية تصدده العلامة الدالة على الجلود وهي « كش » (KUSH) بهيئة kush TU — A — ZU ويرادفه في الاكدي الكلمة التي ذكرناها أي « تكلتواسي » .

يضعون فيه العقاقير وادواتهم والآتهم الطبية والجراحية وقد عثر على بعض الاختام الاسطوانية الطريفة خاصة بالاطباء القدماء ومنها الختم الذي وجد في لجش ( من عهد سلالتها الثانية ، وهي سلالة جودية الشهيرة ) في قبر احد ملوك تلك السلالة المسمى « اور - ننجرسو » ( اواخر الألف الثالث ق.م. ) وقد ذكر اسم الطبيب بهيئة « اور - لوكال - إدنا » ( UR - LUGAL EDINA ) ونقش الختم برسوم بعض الادوات والآلات الطبية والجراحية .

ولعل فيما اوجزناه يكفي القارئ لان يكون صورة عامة عن الطب في حضارة وادي الرافدين وكان من اهم فروع المعرفة فيها وترك كما نوهنا تراثا ضخما في طب الشعوب والاقوام اللاحقة وبوجه خاص الطب اليوناني وعن طريقه الى الطب العربي .

ونتهي هذه الملاحظات في التنويه بما ورد في تأريخ هيرودوتس ( القرن الخامس ق.م. ) عن الطب في العراق القديم جاء في معرض كلامه على بلاد بابل ، وهو رأي خاطي يفنده ما سبق ان اوجزناه عن الطب البابلي ونص عبارته : « لم يكن عندهم اطباء ، وحين يمرض أحدهم فانهم يأخذونه ويضعونه في احد الميادين العامة من المدينة فيمر عليه المارة ، فاذا اتفق ان أحدهم اصيب بالمرض نفسه او عرف شخصا آخر اصابه فيقدمون للمريض النصيحة ويشيرون عليه ان يستعمل ما استعملوه من دواء لشفاء علته . وكان ملزماً على أي عاين شليل ان يمر في موضع ذلك المريض ويتمهل عنده ليسأله عن علته » .

وقد يجوز تعليل رواية هيرودوتس على انها اما انها تصور الادوار المتأخرة في حضارة وادي الرافدين التي تضاءلت فيها المعارف الطبية القديمة أو ان ذلك يدخل في باب الطب الشعبي بين الجماهير في كل زمان ومكان ، مضافا الى ذلك ما اكسده نقاد تأريخ هيرودوتس في عدم التزامه بالدقة وانسياقه وراء ما يروى له بدون نقد وتمحيص .

### المواد الخاصة بالطب والاطباء من شريعة حمورابي ( ٢١٥ - ٢٢٦ )

المادة ٢١٥ : « اذا أجرى طبيب ( جراح ) عملية على رجل بمبضع من البرونز وانقذ حياة الرجل ، او انه أجرى عملية فتح موق العين لرجل بمبضع برونز ، وشفا عين الرجل فانه يتسلم اجرة قدرها عشرة شقيقات ( + ) من الفضة .

( + ) الشقل او الشاقل من اوزان العراق القديم ، ويعادل ٦٠/١ من المن ( المنا ) البابلية الذي يساوي نحو ٥٠٠ كيلوغراماً من اوزاننا الحاضرة .

المادة ٢١٦ : « واذا كان المريض من عامة الناس (الطبقة الوسطى أي المشكيتم) فانه يتسلم خمسة شقيقات من الفضة .

المادة ٢١٧ : « واذا كان المريض عبد سيد فيدفع مالك العبد الى الطبيب شقيقين من الفضة » .

المادة ٢١٨ : « اذا اجرى طبيب ( جراح ) عملية على رجل بمبضع من البرونز وسبب موته او انه اجرى عملية فتح موق العين واتلف عين الرجل ، فانهم يقطعون يده .  
واذا اجريت العملية على عبد رجل فيدفع الطبيب نصف ثمن العبد بالفضة » .  
المادة ٢١٩ : —

اذا اجرى طبيب جراح واحداث جرحاً عميقاً في جسم عبد رجل من الطبقة الوسطى ( مشكيتم ) بمبضع برونز وسبب موته فسوف يعوض عبداً بعبد » .

المادة ٢٢٠ : « واذا فتح موق عينه بمبضع من البرونز واتلف عينه فسوف يدفع نصف ثمنه بالفضة » .

المادة ٢٢١ : « اذا جبر طبيب عظم رجل حر او انه شفا عضلاً مصاباً فسوف يدفع المريض خمسة شقيقات من الفضة » .

المادة ٢٢٢ : « واذا كان الرجل من الطبقة الوسطى ( مشكيتم ) فسوف يدفع ثلاثة شقيقات من الفضة » .

المادة ٢٢٣ : « واذا كان عبد رجل حر فسوف يدفع للطبيب الجراح شقيقين من الفضة »

المادة ٢٢٤ : « اذا اجرى طبيب بيطري (+) عملية في جسم ثور او حمار ، وانقذ حياته فسوف يدفع صاحب الثور او الحمار سدس ( شقل ) من الفضة الى البيطري .

٢٢٥ : « واذا اجرى عملية جراحية في جسم ثور او حمار وسبب موته فانه يدفع خمس قيمته الثور او الحمار الى صاحبه » .

٢٢٦ : « اذا ازال حلاق علامة عبودية عبد بدون علم مالكة بحيث لا يمكن تشخيصه فانهم يقطعون كف الحلاق » .

(+) راجع الترجمة الانجليزية في :

Driver and Miles, The Babylonian Laws, II, (1956)

(+) حرفياً طبيب ثور او حمار

# الحياة الفكرية في بغداد

١٧٤٩ - ١٨٣١

الدكتور يوسف عز الدين

عضو المجمع العلمي العراقي

الاستاذ في كلية الآداب - جامعة بغداد

## مقدمة تاريخية :

كانت الفترة التي مرت بالعراق بعد تقويض الحكم العربي بسقوط بغداد من أحلك الفترات في حياته ، فقد اعتورته ضروب شتى من المحن دهورت حياته ، وأضاعت شخصيته وأفقدته أصالته ، ومسخت حضارته ، فقد تداولته عدة أنظمة مستبدة ومختلف الحكام الأجانب .

وعندما دخل السلطان سليمان القانوني بغداد فاتحاً سنة ١٥٣٥ كانت اصلاحاته المحدودة داعية لغبطة السكان ، فقد ظنوا بأن عهد المعاناة الطويلة التي حلت في ربوعه من جراء التطاحن المرير بين القوى المتصارعة للسيطرة عليه قد انتهى . وأصبحت بغداد ولاية عثمانية تدار من الاستانة مباشرة وعين السلطان ( سليمان باشا المجري ) والياً عليها وترك معه الجند لحمايتها وأسند اليه الايالات العراقية شهرزور والموصل والبصرة والاحساء ، واصبحت ايالة بغداد مركزاً للايالة العراقية الكبيرة ، وقد أنعم عليه بلقب وزير لمكانة العراق وبغداد الكبيرة . ورغم صلة الوالي بالاستانة الا أنه ( كان مطلق التصرف بشؤون ايالته ولا يراجع الاستانة الا في الأمور الخطيرة ذات الأهمية العظيمة )<sup>(١)</sup> ولم تنته المنازعات والفتن وثورة الولاة واستقلالهم حتى سقطت بيد الصفويين

(١) المماليك في العراق : أحمد الصوفي الموصل ١٩٥٢ ص ٦ ، ١٠ ، ١٧ وتاريخ المماليك في بغداد ، سليمان فائق ، بغداد ١٩٦١ ص ١١ - ١٤ ومختصر تاريخ بغداد ، علي ظريف الأعظمي ، بغداد ١٩٢٦ ص ١٧٣ ، ١٩٣ وتاريخ الشرق الأدنى الحديث ، خالد الهاشمي وأحمد بدیع المغربي ، بغداد ١٩٣٨ ص ٢٥٦ وما بعدها .



فأدى سقوطها الى حروب طاحنة كان العراقي يتلقى الغرم منها ، وقد جهزت عدة حملات لاسترداد بغداد آخرها الحملة التي قادها مراد الرابع بنفسه سنة ١٦٣٨م ولما استولى عليها أجرى اصلاحات في المساجد والجوامع وعين الموظفين ونظم الأمور وعاد الى الاستانة ولكن ضعف الدولة العام وقلق الحياة العامة والمنازعات الكثيرة والاستبداد والاضطهاد والعسف والثورات وتمرد القبائل العربية ادت الى تأخر العراق وانحطاطه ، ومع كل هذا بقي العراق تابعاً للدولة العثمانية <sup>(١)</sup> . ويحكم بوساطة ولاية ترسلهم الاستانة .

ولما جاء أحمد باشا ١٧٢٣م وضع نظام المماليك وأعطاهم حقوقاً خاصة وكانت لهم مدرسة يمنح المتخرج منها لقب ( أغا ) ويعد من أفراد أسرة الوالي وكان سليمان باشا أول حاكم من حكمهم ، مملوكاً لأحمد باشا ، اذ تولى الحكم بعد وفاة سيده سنة ١٧٤٩ <sup>(٢)</sup> وهو بحق مؤسس عهد المماليك في العراق ، فقد نشأ في العراق واحتك بأهلها وعرفها معرفة جيدة ، وكانت غنائه بالمماليك كبيرة ، فقد كانوا يعيشون معا ( فاستحكمت قواعد المصافاة في قلوبهم واشتدت عرى عصبيتهم ولا غرو اذا كانوا اخواناً في السراء والضراء بعد أن جمعتهم أخوة السلاح الذي تقلدوه معا ) <sup>(٣)</sup> ، ثم المصير المشترك الذي ينتظرهم . ودامت ولاية سليمان باشا ٢٤ سنة ، واستمر حكم المماليك ثلاثاً وخمسين سنة .

والطريف ان جميع حكام المماليك بعد سليمان باستثناء داود باشا قتلوا أو عزلوا عن الوظائف <sup>(٤)</sup> .

### أثر المماليك في العراق :

ان نشأة المماليك في العراق كون لهم رابطة خاصة بهم وأصبحت لهم امتيازاتهم الخاصة وانقطاعهم عن أوطانهم واسلامهم وتعلمهم العربية ربطهم بالعراق فكونوا طبقة حاكمة استغلوا كل الوسائل لابقاء السلطة العليا بينهم فاستحوذوا على الوظائف الكبيرة خوفاً تسرب العناصر العراقية الأصيلة .

(١) الصوفي ص ١٦ .

(٢) المماليك في العراق ٢٠ ، ٢١ ، وقد تزوج ابنة سيده .

(٣) المغربي ص ٢٥٦ وسليمان فائق تاريخ المماليك ٢٥ مختصر تاريخ بغداد ص ١٢ .

(٤) النصر في اخبار البصرة للا نصاري ص ٨٦ وداود باشا ونهاية المماليك في العراق ، توجد قائمة باسماء الولاة ومدة حكمهم .

ووجود طبقة حاكمة مستمرة في ادارة دفة الحكم ساعد على وجود هدوء نسبي بالقياس الى حياة العراق المضطربة الثائرة، وبالرغم من تأخر الحياة السياسية والانحطاط في الحياة الاقتصادية وأثر الامراض الفتاكة التي كانت تفد على العراق ، فقد بدأت تظهر العناية باللغة العربية وعلوم الشريعة والاهتمام بتدريسها ، لأن أهل العراق يأسوا من المساهمة في ادرة دفة البلد ، فانصرفوا الى العلوم والآداب وساعد على مسيرة الحياة الفكرية في العراق أمران مهمان :

الأول : عدم تدخل السلطة في شؤون التعليم في جميع مراحله وأشكاله .  
والآخر : وجود أموال تصرف من الأوقاف على المدارس الدينية والمساجد والجوامع وأما كن العبادة ، ورجال العلم وطلابه . لأن السلطة كانت مسلمة ولاثبات اسلامها وتمسكها به خدمت الفكر الديني ورجاله ، لأن التعليم كان يتم في المساجد والجوامع ويشرف عليه رجال الدين ووجود المدارس في الأماكن المقدسة أدى الى احترامها والعناية بأمرها .  
وقد نمت الأموال المحبوسة على الأوقاف وكثرت لأنها السبيل الوحيد الذي يخلد موقوفها في الدنيا وينال الأجر في الآخرة وزاد من تنافس الحكام والولاة على وقف الأموال على المؤسسات الدينية الخوف من المصادرة بعد موت الوالي لأن الدولة كانت تنظر الى الولاة وكأنهم لصوخص يتصرفون بأموال الشعب (١) فاذا مات أحدهم وهو في الحكم فانها تعتبر جميع ما يملك من نقود وأموال محجوز عليها ، على زعم ان ما حصل عليه كان أثناء حكمه فهي تعود الى بيت المال ( خزينة السلطان ) فتوفد حكومة الاستانة الموظف الخاص ( المباشر ) ليقوم بجرد المخلفات ثم تصنف وتباع ويتسلم المباشر ثمنها ويسافر ، وللتخلص من هذه المصادرة ( غير المشروعة ) عمد الباشوات الى حيلة شرعية لحفظ مخلفاتهم ليستفيد منها الأبناء والأحفاد فشرع كل باشا أثناء حكمه بتشييد مسجد يسمى بأسمه ويوقف عليه (١) الأوقاف الكثيرة ولم تكن الدولة قادرة على التدخل ومصادرة أموال وقف ووقفت على أعمال خيرية اسلامية لأن المساجد والمدارس مقدسة ومصانة من الهدم والتخريب والاعتداء، ولأن ( شرط الواقف كنص الشارع ) .

(١) الممالك في العراق ص ٢١٧ .

## المدارس والدروس :

وكانت المدارس تهتم بالدرجة الأولى بقضايا الشريعة الاسلامية ، لأنها طريق التمييز في الوظائف ، بعد أن حرمت الوظائف الكبيرة وبخاصة الادارية على أهل العراق ، اذ لم تبق الا الوظائف الدينية وبعض الوظائف الأخرى . وفيها اثبات الذات في المجتمع بين الناس .

ان الاهتمام باللغة العربية من بعض اللامعين من أبناء العراق والاهتمام بعلومها ضرورة لتعليم الشريعة الاسلامية وتكاد تكون الكتب المدرسية واحدة في جميع المدارس التي تسير على مذهب واحد وكانت الكتب القديمة في اللغة والنحو والبلاغة هي المعول عليها تدرس دون ابتكار أو تجديد في الاساليب أو خروج على القديم الذي كان محترماً ومهاباً ، وتظهر قدرة المدرسين بشرح الكتاب أو وضع حاشية له أو نظم متن من المتون . ولذلك قلما نجد مفكراً ليست له مشاركة في علم من علوم العربية والشريعة ، بشرح أو تعليق ، وكثرت الشروح على قطر الندى لابن هشام وألفية ابن مالك وزادت الحواشي عليها ، وعلى مغني اللبيب ، فقد وجدنا لعبدالله البيهقي حاشية ( مجيب الندا ) الى شرح ( قطر الندى ) ولمحمد أمين المدرس شرحاً على ألفية الامام السيوطي وضمن أحمد النحوي الفية ابن مالك في قصيدة له ولصادق الفحام شرح شواهد القطر وفرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد الذي أصله معاهد التنصيص ولعبدالله السويدي ( اتحاف الحبيب في شرح مغني اللبيب ) ولعبدالرحيم السويدي حاشية على شرح القطر مع شرح شواهدا ولابراهيم الموصللي البهجة الرضية للسيوطي في شرح ألفية ابن مالك والبهجة الرضية في شرح الألفية للبيهقي وهناك حواش على شرح السيوطي لألفية بن مالك وغير ذلك كثير يمكن للدارس أن يتتبع ما يريد في هذا المجال .

ولا تختلف دراسة اللغة والعروض والبلاغة عن دراسة النحو والصرف ، فقد كثرت الشروح وشرح الشروح والتعليق على الشرح ، فقد وجدنا في البلاغة الحجة على من زاد على ابن الحجة في علم البديع لعثمان الجليلي الحياثي وحاشية عصام على الاستعارة لصالح السعدي وتعليقات على عصام في الاستعارة لصبغة الله الحيدري .

وكان على طالب العلم أن يتعلم الفلك والحساب ليعرف موضع القبة والشهور القمرية

وأيام الاعياد وغيرها من المناسبات الدينية ، فقد أهتم الفكر بهما كاهتمامه بالعلوم الاخرى . وقد اعتمد دارس الفلك على علماء الفلك الذين سبقوه ، فقد ألف محمد أمين السويدي الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت ، وكان تشريح الافلاك للبهاء العاملي المرجع المعول عليه ، فقد ألف صبغة الله الحيدري شرح تشريح الافلاك وألف عبدالله الفخري تشريح الادراك في شرح تشريح الافلاك ، ثم جاء عبدالرحمن السويدي فوضع حاشية عليه سماها زينة الاملاك في شرح تشريح الافلاك<sup>(١)</sup> .

### أثر الأسر في الحياة الفكرية :

وقد كان الحاكم هو مدار حياة المجتمع وكانت الأسر مركزا من مراكز الثقل الاجتماعي والاقتصادي والفكري ، وقد برزت في هذا العصر عدة أسر تقلدت قيادة الفكر والمجتمع والدين من أشهرها : الألوسي والسويدي والعمري والشاوي والفخري والحيدري والشواف والجليلي والفلاحي والقزويني والرحبي والطباطبائي والحلي وبحر العلوم والطريحي والبحراني والجزائري<sup>(٢)</sup> .

وقد ظهرت كتب التاريخ تعنى بالولادة وتاريخهم وبالعلماء وأسرههم ، فقد ألف كتباً عديدة في هذا المضمار ، فقد ألف عثمان العمري الروض النضر في ترجمة أدباء العصر ، فيه تراجم الشعراء والكتاب والعلماء مع تراجم لبعض المفكرين ، بيد ان الكتاب عني بالأسر بالدرجة الأولى<sup>(٣)</sup> ، وألف محمد الغلامي شمامة العنبر والزهر المعنبر ، وألف عثمان بن سند سبائك العسجد في أخبار أحمد ، والغرر في وجوه القرن الثالث عشر ، وألف كتاباً عن الوالي داود باشا سماه مطالع السعود في طيب أخبار الوزير داود ، كما ألف عبدالرحمن السويدي حديقة الزوراء في سيرة الوزراء أرخ فيه حياة حسن باشا والي بغداد وحياة ولده أحمد باشا .

### المدرسون :

والملاحظ ان المفكرين الذين تصدروا قيادة المجتمع وبرزوا في تاريخه هم الذين تولوا الأعمال الدينية كالتدريس والافتاء والقضاء والوعظ ، وهم الذين حافظوا على بقاء

(١) تاريخ علم الفلك في العراق ، عباس الغزاوي ، ص ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٧٣ .

(٢) لغة العرب ، العدد ١٩١٩/٣/٤ .

(٣) طبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ سليم النعيمي مع شمامة العنبر في مطبعة المجمع العلمي العراقي .

اللغة العربية حية . وبالرغم من انتشار التركية والفارسية حلية لدى المفكرين أو تقربا للحاكمين الا ان قداسة اللغة العربية والشعور الديني العميق بأن استعمال العربية يضفي الاحترام والقداسة على المتكلم ساعد على حياتها ومواصلة تدريسها .

أما العناية بالأدب العربي لخلق رجال أدب فلم تكن من هم المفكر الأول لهذا لا نجد حركة فكرية متميزة أو تجديد شعر واضح أو تطور نشر مبین حتى جاء عصر المماليك فبدأت حركة الفكر والأدب تسرى فيها روح جديدة بعناية داود بالعربية وبروزه في فنونها ، فقد كان له طلاب يدرسون عليه ، ولما جاء الى الحكم شجع القراء والكتاب والعلماء في وقت واحد .

ودراسة العلوم معناها تعليم علوم الشريعة . والأدب وسيلة من وسائل فهم هذه العلوم والتفقه بها فقد وجدنا شروحا لقصيدة بانت سعاد وقصيدة البوصيري وشرح لامية العرب لتساعد دارسها على فهم الألفاظ العربية والاستفادة من مرادفاتها .

وأدت الاضطرابات المتوالية في سبيل الحكم الى عدم استتباب الأمن في العراق ، وحالت دون تركيز دراسة اللغة والفكر والتفرغ الكامل . الا ان فترة المماليك - تميزت بهدوء نسبي وساعدت رعاية داود باشا على الدراسة ومواصلة العناية بالكتب والمؤلفين ، وقد أتت ثمار هذه الفترة نتائجها بعد زوال حكم المماليك .

وداود باشا ظاهرة من ظواهر هذه الفترة . فقد تعلم على علماء بغداد ودرس عليهم في المدارس والمساجد واحتك بالشعب احتكاكا مباشرا وتقدم في مضامير العلم شأن أي دارس مجد حتى أصبح من قادة الرأي والفكر ، ولو لم ينل الحكم لأصبح أحد علماء عصره ومدرسيه البارزين ، فقد أجاز بعض الطلاب في العلوم وأجازه العلماء في العلوم المختلفة .

ولما تبوأ الحكم كثرت المدارس والمعاهد الدينية في عهده حتى بلغت ثمانية وعشرين معهدا للتدريس واستجلب المدرسين وجعل لهم جرايات لينصرفوا للعلم وخدمته ، كما أنشأ عدة معاهد ، فنشر العلم وأصبحت هذه المعاهد الدينية ورجالها من أعوانه ومؤازريه . وظهر في عهده عدد من الأساتذة البارزين والشعراء اللامعين كما عمر بعض الربط والمساجد والجوامع ، وقد كان يريد استقلال العراق عن الدولة العثمانية ، فأسس جيشا وأنشأ

المعامل والمصانع لألبسة الجنود والمعدات العسكرية واستفاد من بعض الخبرات الغربية ، فقد جلب ضابطاً من ضباط الحملة الفرنسية وطالب ببعض الأسلحة من الهند .

### الأدب :

كان الأدب امتداداً للفترة المتدهورة يعني بالشكل أكثر من المضمون ، فقد كان النثر محشواً بالسجع والتعمل اللفظي والصناعة المملة التي يسودها التكلف ، وأكثره ضعيف الأساليب يعتمد على اصطیاد الكلمة واختيار اللفظة ، فكرهته النفس وعافته الأذن الموسيقية كان هم الكاتب أن يظهر مقدار معرفته بالمفردات اللفظية وسعة علومه اللغوية ، وبقيت اللغة العربية أداة المدرسين وعلماء الدين في المساجد والمدارس تدرس أموراً محدودة دون تجديد أو تطور ، ولولا التعليم الديني بمساحته المحدودة لما حفظت اللغة العربية من الاندثار والزوال .

وبالرغم من القداسة التي أضفها العثمانيون على العربية لأنها لغة القرآن الكريم فإنها لم تتغلغل بينهم إلا بقدر محدود ، لأن الحكّام المسلمين تمكنوا من فهم أمور دينهم وإقامة الصلاة بجزء محدود من حفظ آيات القرآن الكريم التي لا يفهمها المصلي إذا ما رتلها في الصلاة ، وقد بقيت اللغة التركية لغة الحكم التي تعلمها أبناء العرب تقرباً للسلطة وحلاً لقضاياهم المختلفة ، وإذا صدق هذا الأمر على المدن فإن القرى والأرياف والقبائل بقيت بعيدة عن تسرب التركية اليهم .

ان النشاط الفكري المحدود لم يكن قادراً على اخراج الحياة الفكرية من التخلف العام في الثقافة والمجتمع لقلة المتعلمين وقلة العلماء والمفكرين وتأخر الحياة العامة ، لهذا كانت المؤلفات متحجرة الأساليب تركّض وراء السجعة والمبالغة والتكرار لأنها أسلوب العصر ، فالكاتب الذي لا يحسن السجع ما كان معدوداً من كبار الكتاب ، ويتألم الكاتب إذا لم يفهم غير العرب السجع ، قال أبو الثناء الآلوسي :

واني مللت السجع من أجل أنه      بمعظم أرض الروم قد كسد السجع  
وكم فقرة قد أحكمتها قريحتي      تلوت بأرجاها فما ساغها سمع<sup>(١)</sup>

وبالرغم من تدهور النثر ، فقد برز فيه اعلام حملوا راية العلوم والتدريس والافتاء

(١) ابراهيم صالح شكر وبواكير النثر في العراق الفصل الأول .



والقضاء والتأليف ، من هؤلاء : محمود شهاب الدين الآلوسي <sup>(١)</sup> وعبدالله البيتوشي <sup>(٢)</sup> ومحمد أمين السويدي <sup>(٣)</sup> وعبدالله السويدي <sup>(٤)</sup> وعثمان بن سند <sup>(٥)</sup> وصبغة الله الحيدري <sup>(٦)</sup> وسليمان الشاوي <sup>(٧)</sup> وصالح السعدي <sup>(٨)</sup> وياسين العمري <sup>(٩)</sup> .

**أسباب تأخر التطور :**

وقد أخرج النهضة الفكرية وحال دون تطورها وتجديد الفكر وافدات المرض والفيضانات التي كانت تفتك بالعراق ، فقد حدثنا أحد المؤرخين الذين عاصروا وباءا من هذه الأوبئة بقوله : ( بلغ من مات في كل يوم من أيام الطاعون عشرة آلاف أو أكثر ظنا وتخميناً ، والافقد مات المحصون ودفن الناس الجنائز في المساجد والبيوت حتى ملأوها ، فلما كثر الموت جدا تركوا دفنها ، فبقى الناس مطروحين في الاسواق والطرق ومن بقي من الناس اذ ذاك لقي من معاناة الشدائد والمصائب ومقاساة المحن والنوائب ما يزيل الرواسي <sup>(١٠)</sup> ، ومهما بالغ المؤرخ في العدد فإن الطاعون كان فاتكا حتى بالغ المؤرخ في عدد الموتى .

وهو دليل على شدة وقعه على النفوس وأثره في الحياة الفكرية ، ولولا قداسة الدين الاسلامي ورسوخ العقيدة لما استمر الناس على الدراسة في المساجد والمدارس فقد كان طالب العلم آمنا من العوز المالي ، لان الوقف كان يمدد بالمال الموقوف على المدرسة

(١) له روح المعاني ونشوة الشمول وغرائب الاغتراب وكشف الطرة عن الغرة وعدة حواش على كتب النحو والمعاني . توفي بالطاعون ترجمته في لغة العرب ج ٢ سنة ١٩١٣ مقال بقلم ابراهيم حلمي ويراجع المسك الاذفر لمحمود شكري الآلوسي ص ٥ واعلام العراق للأثري وذكره الغزاوي عدة مرات في تاريخ الادب العربي في العراق وألف عنه ( ذكرى ابي الثناء )

(٢) له حاشية على ( البهجة الرضية في شرح الألفية ) وكفاية المعاني منظومة في بيان حروف المعاني راجع البيتوشي لمحمد الخال وسبائك العسجد ص ٣٤ وتاريخ الادب العربي في العراق في عدة أماكن .

(٣) ترجمته في المسك الاذفر ص ٨٢ ومجلة لغة العرب .

(٤) ترجمته في مجلة لغة العرب ص ٢١٧/٢ مقال لسكاظم الدجيلي والمسك الاذفر ص ٦٠ .

(٥) لغة العرب ١٩١٣/٤ واعيان انبصرة ص ١٥ لعبدالله باش اعيان نشر الحنفي والمسك الاذفر ص ١٤١ .

(٦) لغة العرب ١٤/١٢ وعنوان المجد لابراهيم فصيح صبغة الله الحيدري .

(٧) تاريخ الادب العربي في العراق للغزاوي ذكره في عدة مواضع .

(٨) نزهة الدنيا للعمري وشعراء بغداد وكتابتها تحقيق الكرمللي وكتب الغزاوي .

(٩) زبدة الآثار الجلية تحقيق عماد عبدالسلام رووف ومنية الادباء تحقيق الديوهجي .

(١٠) مخطوطة حديقة الورد .

والجامع الذي يدرس فيه والذي كان مصاناً من العبث والاستيلاء عليه لقداسة المكان والحرص على الوصية وتطبيقها من تعاليم الدين .

### مصادر الفكر :

ويمكن حصر مصادر دراسة الفكر العربي في هذه الفترة بما يأتي :

١ - الرسائل الخاصة التي كان يكتبها الأدباء والمفكرون ويصبون فيها أساليبهم ويظهرون فيها براعتهم اللغوية . فمن تلك الرسائل رسالة بعث بها أحد الكتاب الى محمد أمين الجليلي نكتفي منها بالمقدمة :

( أطال الله بالدولة والسعادة والاجلال ، والوزارة والامارة والاقبال ، بقاء حضرة الدستور الكبير والمشير المجير ، والوزير المنير ، والخفير الخطير ، والعزيز الجسير ، واهب النعم وواليها ، صاحب الهمم وعاليها ، بحر العطايا والعرفان ، نهر المكارم والاحسان ، آصفى التدبير ، اياسى التقرير ، مجير الفقير ، نصير المستجير ، معين الضعيف ، ضمين اللهيف ناموس الاسلام ، فانوس الأنام ، قاموس الانعام ، ناسوت العدل ، لاهوت الفضل ، طالوت النصل الرشيد الافخم ، والصنديد الأعظم ، عزة جبهة الوزراء العظام ، درة حلية الأمراء الفخام ، ممهد قواعد الدولة العثمانية ، مشيد اركان الصولة الخاقانية ، ~~حضرة الوزير المفخم~~ والمشير المعظم ، لازالت الوية اقباله على عاتق الزمان خافقة ، ولامات أخبية سعده بين المنازل بارقة ، ما سما سعد السعود على السماك ، وما غنت البلابل على الاراك . . . آمين مجيب الداعين <sup>(١)</sup> .

٢ - تقارير الكتب ودواوين الشعر ، وقد كانت سمة هذا العصر ، فلا يخلو كتاب من الكتب من جملة من التقارير التي لا يخرج منها الباحث بأي نقد منهجي أو رأي واضح عن الكتاب ، انما هو حشو ألفاظ وحشد كلمات تصدق على أكثر الكتب وأكثر الفنون ، ومن تلك التقارير ما كتبه صالح يحيى الموصلي ، قال بعد الديباجة :

( فقد وقفت على هذا الديوان ، العظيم الشأن الساطع البرهان ، الفائق بنظامه عقود الجمان فوجدته كتاباً بديع المثال ، منيع المنال ، قد فاق مثوره على المنشور ، ومنظومه على قلائد

(١) مخطوطة ديوان محمد أمين المفتي .

العقيان ودرر النحور ، فلو رآه سحبان لما سحب ذيل التيه والصلف ، وأقر لمنشئه باليد الطولى والفصاحة التي هي مدار الفضل والشرف ، أو عاينه زهير وقد برز زهر كمامه وفاح ، وطلع بدر تمامه ولاح ، يعد مدائح من القول هجرا ، وقال ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا أو جراه ابن نباته لما حلا معه سكر نباته ، أو الصلاح الصفدي عد ذلك من سيئاته ، أو عارضه ابن حجة لم يدع له حجة ، ولم يسعه إلا الإعتراف بانه المورد العذب والسحر الحلال ، والغز الموصلي عاد بعد الغز ذليلا ، وقال له الأدب ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ، فله در منشئه ، كم اسكن بيوتة العامرة من نسيب لو بلغ كعبا لاشتغل به عن ذكر سعاد . وغزل لو وصل الى قيس ليلى لهام بذكره في البلاد وتشبيه لو سمعه ابن المعتز والقدر النبیه لما شك انه فرد بلا تشبيه ، ومديح أعجز المتنبي عن الاتيان بمثله وأحجمت عند ارادة الاقدام على ذلك رايات فضله . . . (١) .

٣ - الخطب والمواعظ التي كانت تلقى ايام الجمع والأعياد الدينية والمناسبات المختلفة مثل ايام رمضان والحج وغيرها من المناسبات المعروفة . ومن تلك الخطب :  
( الحمد لله الذي خلق الفلك الدوار وكور الشمس وجعلها سراجاً وهاجاً ، . . . وأحيا الأرض بعد الموت والبوار ، وأبدع فيها النباتات المختلفة والأزهار ، واخترع الفصول الأربعة ، وجعل فيها الربيع موسماً للنباتات والأنوار ، وزين الرياض بالزهر والنقل والبهار والورد والترجس والسوسن والزنبق والياسمين والنسرین والجلنار ، وانطق خطباء البلابل والهزار ، على منابر اغصان الورد والأشجار باصناف التسبيح والتحميد والاذكار في الظهيرة والعشية والاسحار ، أحمد مدی الدهور والاعصار ، واشهد ان لا اله الا هو الملك الستار ، والمولى الواحد القهار ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله النبي المختار (٢) )

٤ - الاجازات العلمية التي كان يجيزها الاستاذ لطالب من طلابه في علم من العلوم أو فن من الفنون التي يعرفها نجد فيها السجع المتعب الممل ، فعندما كان يجيز بكتاب أو فن يذكر العلوم او الفنون التي درست عليه ، ومن ذلك اجازة محمود ابي الثناء الآلوسي : لمحمد الرافعي :

(١) مخطوطة ديوان شعر محمد امين المفتي .

(٢) المصدر نفسه .

( الحمد لله الذي روت احاديث وجوده القديم اثبات ، وارتوت قلوب اوليائه في بحار جوده العميم حتى رشح منها زلال الايقان في نفي واثبات . . . فاني على قصر باعي وطول همي في تغربي عن رباعي ، قد أجزت طالب الاجازة مني ، والراغب في الرواية عني ، الاخ في الله ، الفاضل الاداة ، نخبة احبتي واخواني السيد محمد افندي الرافعي الحجمزي الداغستاني ، كان الله تعالى له ولي ، بحرمة كل مؤمن صالح ولي ، بجميع ما حوته هذه الكرامة من الاثبات ، المنسوبة للمشايخ الاجلة الاثبات ، حسبما اجازني الامام الهمام مولانا محدث دمشق الشام ، العلامة السري ، الشيخ عبدالرحمن افندي الكزبري ، تغمده الله تعالى برحمته ، واسكنه الغرف العالية من جنته <sup>(١)</sup> بأسانيدها المسطور فيها ، المعلومة ظاهرها وخافيتها ) .

٥ - كتب الرحلات والتاريخ والأدب التي كتبت في هذه الفترة نجدها طافحة في مدح المترجم واطهار شمائله وسجاياه الحسنة والركض وراء السجعة واقتسار اللفظة : ومن نماذج الرحلات ما كتبه ابو الثناء الآلوسي :

( فأقول سائلا من الله تعالى الوصول ، الى احبة هم بمدينة السلام نزول ، ركبت سفينة النار ، وما هي الا مثال قلبي المشحون بحب الديار . . . )  
وقد سافر معه في السفينة بعض موظفي الدولة المرموقين ، فقال عنهم :

( . . . وقد أحسست منه بلين الجانب ومراعاة حقوق الصاحب ، وأكثر رجال الدولة العلية بعد التنظيمات الخيرية متواضعون وان شبانهم وشيبيهم من لبن اللين متراضعون ، ولعمري ان ذلك الحال ، هو الحرى بالرجال فتبّوا من السفينة القمارة ، واتخذوها عن سائر الركابين ستاره ، واستأجرت انا جوارهما حجرة نفيسة ، وبمالها من كوة مطلة على البحر غدت أنيسة ، وكان شريكى فيها ذو الخلق المزري بالرحيق المختوم . . .  
الوالي سابقاً في اوزن الروم وشاهدت منه مزيد عفة وصلاح واختبرته فلاح لي عظيم فلاح <sup>(٢)</sup> .

وفي هذا الوقت كانت حركات الفكر والادب في مصر والشام نشيطة الحركة

(١) غرائب الاغتراب لابني الثناء الآلوسي م . الشابندر ١٣٢٧ هـ ص ٢٧٧ و ٢٧٨ .

(٢) نشرة المدام في العود الى دار السلام المطبوع في مطبعة الولاية في بغداد سنة ١٢٩٤ .

تتطور وتبديل بعد أن احتكت بالحضارة الغربية فسرت في اساليب الكتاب روح جديدة ونسق حديث وساعد على التطور احياء المخطوطات العربية وتقليد بيانها .

اما في العراق الذي كان بعيدا عن تيارات الحضارة فقد حبس نفسه في اللفظة المختارة والجملة المنتقاة متمسكا بالتشكيلات اللفظية التي اخترع لها الوانا . وقد كنت أظن وجود جاليات أجنبية في الموصل وقربها من الشام سوف يؤثر في الفكر ويخرجه من سباته ويطور عبارته الجامدة الا ان العلماء والمفكرين ابتعدوا عن هذه الحركة لانها لم تتفق مع آرائهم الدينية ، ولعلمهم عدوها خروجا على العادات الادبية والتقاليد الفكرية . فبقي الفكر في العراق يركض وراء الكناية والاستعارة والمجاز ، اظهارا لبراعة الفكر في اصطلياد اللفظة . والقدرة الكبيرة على اللغة لان مهارة الكاتب وبراعة الفكر كانت منصبة على الاطار اللفظي أكثر من العناية بالمضمون الفكري للمعنى .

#### الشعر في الدور العثماني الأول :

لم يختلف الشعر العربي اختلافا كبيرا عن النثر في هذه الفترة ، فقد عني بالمحسنات اللغوية والتزييق اللفظي واللعب بالالفاظ والنظم في طرق عقيمة كالتشطير وتشطير التشطير والتخميس والتشجير وتغير الروى وأطالة البحر والمعارضة والتضمين ويؤكد ذلك قول الشاعر محمد أمين المفتي ويظهر عنايته بالبديع في مقدمة ديوانه المخطوط « ولما وقفت على شرح بديعية ابي بكر بن حجة الحموى واطلعت على ما قد زكى نفسه فيها واتى بحق نفسه من التعريف والتوصيف وذكر مساوى بديعيات من تقدمه من الفضلاء كالشيخ صفى الدين عبدالعزيز بن سرايا الحلبي والشيخ عزالدين الموصللي والعميان واتى في حقهم من التسخيف والتزيف وافتخر على صفى الدين بذكر اسم النوع والتعريف ، وعلى الباقي بسلاسته ورقته وانسجامه ولطافة المعنى من غير تكليف ، فلاشك بانهم لو سمعوا مقالاه ، او بلغهم ما قاله ، لو طأوه تحت سنابك خيل بلاغتهم او انتعلوه تحت نعال جواد سلاهب فصاحتهم » حتى قال : « فجرتني الغيرة الجارية الموصلية عليهم ، وجذبنتني الاقليمية العراقية اليهم ، لاخذ الثار في هذا المضمار ، خصوصا فيما قد بالغ في تفوقه عليهم اسم النوع البديعي وما قد نزل وحط من قدر عزالدين الموصللي » .

وقد نظم في ضروب غريبة عجيبة تدل على الايغال في حب الالفاظ اكثر من

المعاني مثل براعة الاستهلال والجناس المركب والمطلق والجناس الملفق المذيل واللاحق  
التام والمطرف والمصحف والمحرف والجناس اللفظي والمقلوب والاستطراد والجناس  
المعنوي والاستعارة والاستخدام والهزل الذي يراد به الجد والمقابلة والالتفات والاستدراك  
والتفنن والتنزيه والتخيير وارسال المثل والتهكم والمراجعة والتوشيح وتشابه الاطراف والتنزيل  
والتفويض والمواربة والمناقضة ورد العجز على الصدر والهجو في معرض المدح والاستثناء  
والتشريع وتجاهل العارف والاكتفاء ومراعاة النظير والتمثيل والتوجيه والتقسيم وحسن  
التخلص ، ومن هذا نختار بعض الامثلة :

#### براعة الاستهلال :

براعتي برعت بالحل والحرم  
الجناس الملفق :  
لما استهلت دموع العين كالديم

تلفقت مهجتي في الحب في نعم  
الاستطراد :  
وقلب عاذلنا في الهجر فينا عمي

مستطرد أشهب الامال نحوهم  
الاستعارة :  
كما تمر سحب الجود بالديم

قد استعرت حبال الشمس لي سببا  
الطباق :  
لكي انا وصولا نحو حييهم

فظلمة الحظ مني في ضيائهم  
تجاهل العارف :  
مطابقاً مثل خفصي في علوهم

لقد تجاهل قولاً في تعرفهم  
التكرار :  
ابارق لاح ام انوار بدرهم

كررت مدحي بهذا الراسخ القدم  
التورية :  
ابن الراسخ القدم ابن الراسخ القدم

سمحت بالعين في مدحي بتورية  
الكناية :  
من كل معنى جزيل اللفظ منتظم

عالي القباب وريّ الزند كنيته  
ابو البتول ابو الزهراء كالعلم



ومن المحسنات التي تنافس فيها الشعراء : المشجر ، فقد نظم حسين العشاري  
تشجيرا باسم صديقه صالح فوضع حروف اسمه في اول كل بيت ، فقال :

صاح ما بين رامة والمصلى	قمر كل ساعة يتجلى
أهو الغصن كلما الريح هبت	عبرت ريح ورده فتدلى
لا تقس ريقه بشهد وخمر	انما ريق ثغره الحلو أحلى
حال بيني وبينه سيف لحظ	كلما رمت وصله قال : كلا <sup>(١)</sup>

ونتيجة للفراغ الكبير الذي كان يسيطر على الناس لم يكن هناك ما يملأ فراغ  
الأديب ، فاذا لم يكن قاضيا أو مفتيا أو مدرسا فان الشاعر يزجي وقته باظهار براعته  
اللفظية ، وقدرته البيانية ، فقد اضاع الشاعر محمد امين وقته في النظم على بحور الشعر  
المختلفة كالطويل والمديد والبسيط والوافر والرجز والسريع والمنسرح ليبرهن على قدرته  
وقابليته ، قال في البسيط :

إن الصلاة عليه طعمها عسل كذا السلام عليه في السورى نفل  
بسيط مدحي به قد جاء يتصل مستفعلن فاعلن مستفعلن فعـل  
وقال في الوافر :

مديح المصطفى ابدا جميتك كبيتور عاوصف سنه خير لا يزول  
فوافره حقيقا لا يحول مفاعلتن مفاعلتن فعول  
وقال في الهزج :

حبيب الله مسؤول وبالدارين مأمول  
وهزج المدح مقبول مفاعيلن مفاعيل  
وقال في المجتث :

جاءت اليك العصاة اميرهم والرعاة  
اجتثت السيئات مستفعلن فاعلات

الاغراض الشعرية :

أما الاغراض الشعرية فلا تتعدى المديح والثناء والهجاء واغراض الشعر العربي  
المعروفة ، فمن المديح مدح الولاة والموظفين والاصدقاء والاقارب ، وقد يتخذ الغزل

(١) ديوان العشاري ، تحقيق الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ووليد الاعظمي بغداد ١٩٧٧ ص ٢٠٥  
ويلاحظ ص ٥١٤ و ٥٤٣ .

سبيلا الى الغرض مثل ولادة ولد او سفر الممدوح او العودة من الحج او بناء مسجد او مدرسة او مكتبة او الحصول على الافتاء والقضاء ومنصب التدريس ، فقد كان الشعر يسجل الاحداث الاجتماعية وتكاد تكون اغراضه وفنونه واحدة عند اكثر الشعراء وغالبا ما يختم الغرض الشعري بالتاريخ فمن ذلك تاريخ وفاة عبدالله الفخري قول الشاعر :

فمن فرط حزني فيه ارخت حبه ففني موت عبدالله قد فني العلم<sup>(١)</sup>

وقد أرخ تأسيس مكتبة سليمان الجليلي بقوله :

بشراكم جملة الطلاب بالكتب  
في كتبخانة مولانا الوزير ابا (!)  
انعم بها فبه بالكتب قد ملئت  
قد خصها بجرايات مرتبة  
اعني الوزير الذي باهت مدينتنا  
والتاريخ هو :

وقلت للطبع قل شعرا وارخه  
وتاريخ آخر من نظم محمد امين نفسه :

لما دعاني بلطف ان يتيجلني في يوم  
بنظم شطر اجبت الامر ملتزما

نادى لسان يراعي حين ارخ قل  
بنى سليمان دار الكتب للعلماء<sup>(٣)</sup>

ومن طريف التاريخ ما قاله كاظم الازري عندما تجددت الولاية لعمر باشا احد

ولاة بغداد في زمن السلطان مصطفى الثالث قوله : (بنصر المصطفى عمر تهنى ١١٥٧)<sup>(٤)</sup>

وكان يسير التشطير والمعارضة من بلد الى آخر تكريماً للشاعر واعجابا بالقصيدة ، ويخرج

احيانا من العراق الى بلد آخر ، فقد ارسل بطرس كرامة الى داود باشا قصيدته الخالية

التي من ابياتها :

أمن خدك الوردي افتنك الخال  
فسح من الاجفان مدمعك الخال<sup>(٥)</sup>

(١) مخطوطة محمد امين بك ورقة ٨١ .

(٢) المصدر نفسه الورقة ٨٠ التاريخ هو ١١٩٣

(٣) مخطوطة ديوان محمد امين الورقة ٨٠ التاريخ نفسه

(٤) مخطوطة في القرن التاسع عشر ص ٣٠

(٥) الخال في الشطر الاول : شامة الخد وفي الثاني السحابة الممطرة

واومض برق من محيا جمالها  
لعينيك ام من ثغرها اومض الخال<sup>(١)</sup>  
رعى الله ذياك القوام وان يكن  
تلاعب في اعطافه التيه والخال<sup>(٢)</sup>  
ولله هاتيك الجفون فانها  
على الفتك يهواها اخو العشق والخال<sup>(٣)</sup>  
وقد طلب داود باشا من شعراء العراق النسيج على منوالها وقد عورضت من قبلهم<sup>(٤)</sup>  
وبالرغم من تقرب بعض المماليك الى الاهليين وتكريمهم ، ووجود بعض الاجاويد من  
العرب ، كان عاملا في اسناد الشعر الا انه كان مفكك العرى واهن القوى ، لان  
اكثره كان شعر العلماء والنظاميين ، اذ لم يدخل التطور في ثناياه ولم يتأثر بأي مؤثر خارجي  
يخرجه من القوقعة التي عاشها ، فقد سار الشعراء على اسلوبهم القديم ، لكن العناية  
باللغة والتأليف وكتابة التاريخ ايقظت الادب والفكر ، فقد تزود الشاعر الزاد الثقافي  
والادبي والاتصال العربية وكانت بداية جيدة انتفع بها الشعر فيما بعد .

وعلى الرغم من ورود اسماء شعراء كبار في شعر الشعراء وامتداح ادبهم بانه يحاكي شعر  
المتنبي والخنساء والبحري وابي تمام والبحري وأبي فراس والرضى ومهيار وأبي الأسود  
الدؤلي ولبيد وابن المعتز والنابغة وكعب بن زهير<sup>(٥)</sup> ، الا انهم لم يقدروا على الخروج من حياتهم  
الفكرية التي قيدتها بتقاليدها لان الشعر المتطور يظهر في مجتمع حضاري متجدد وفي  
بيئة فكرية متقدمة لم تكن هذه الفترة قد وصلتها وكأني باكثرهم لم يقرأ دواوين الشعر  
الكبار دراسة تمعن واستفادة والا لتغير كثير من ادبهم وتطور فكرهم تطورا ملموسا ،  
فوجدناهم قد تأثروا بمن عاش في مثل ظروفهم وفي بيئة تفرض حاجاتهم الملحة وتختلف  
حياتهم الفكرية عن حياة اليوم فان آراءهم واخيلتهم لا يقدر المعاصر على قبولها ، فقد سيطر  
عليهم الفكر الصوفي من جراء تأخر الحياة العقلية نتيجة للحياة المضطربة فكريا ، المتخلفة

(١) الخال : البرق

(٢) الخال : العجب والكبرياء

(٣) الخال : ضد العاشق اي الخالي من الحب .

في شأن القصيدة راجع الدر المنتشر ص ١٢٨ وعارضها العمري وهجا التميمي صاحبها فرد عليه بطرس  
كرامه فتدخل عبد الجليل البصري . ويلاحظ مخطوطة ( الخاليات ) .

(٤) الدر المنتشر ص ١٢٨ وقد عارضها عبد الباقي العمري ، وعبد الحسين محيي الدين وموسى الشيخ شريف

وابراهيم العاملي ورفض صالح التميمي معارضتها وجرت مراسلات من اجلها .

(٥) مجموعة صالح افندي الموصللي - المخطوطة فيها كثير من الشعر الجيد .

عقليا ، فقد سادت الامية والامراض ولم يعد العربي يجد ما يعيد الى نفسه الثقة ، فقد حرم من المنصب والمشاركة في الحكم ورأى امورا لا يقدر على هضمها وفهمها ، فقد حكم المماليك بغداد وهم اجانب عنه وابعدوه عن السلطة والنفوذ .

ان اهتمام الاديب باللفظة والعبارة دون الاهتمام بالمعنى والابداع الذهني جره الى ترديد كلمات الشعر العربي القديم مثل حاجر وسلع والقصيم ورامة والشعب وزرود واللوى والغوير دل هذا الاهتمام على عدم فهم احاسيس الشاعر القديم ولم يؤثر فيه وفقد التجاوب الروحي والفكري معه . بل يعتبر عدم الاهتمام بالشكل القديم وتقليده من العيوب ،

وقد كنت اظن ان بيئة الموصل وحكامها من آل عبدالجليل العرب الاقحاح سوف تكون احسن من بيئة بغداد التي كانت مركز الولاية التي سيطر عليها غير العرب ، ولكن لم أجد فرقا كبيرا بينهما ولم تكن النجف والحلة وكر بلاء والبصرة تختلف عن البيئة البغدادية وحسبت ان الاحداث التي مرت بالعراق مثل الحروب الداخلية والطواعين والابوثة والفيضانات ، سوف تؤثر في النفس وتخرج شيئا انسانيا خالدا ، الا ان الشعر لم يخرج عن طوره وقوالبه واغراضه ، فقد نظم حسين العشاري قصيدة في الطاعون ولولا ورود كلمة الطاعون وانه كارثة حلت بالوطن لكأنت قصيدته حنين لاهله واسرته ، فقد اهلك الطاعون عددا كبيرا من الناس وفنك بهم فتكا ذريعا ، فما كان من الشاعر حسين العشاري الا ان يتوجع لما حل ببغداد دون ان يذكر صورة واحدة من آثار الطاعون المحزنة او يصف حادثة انسانية مؤثرة ، فقال :

مصائب عراها لا اصببت باهلها	فانهم للمكرمات بها أهل
( ديار بها نيطت علي تماثمي )	قديما ولي فيها نما الفرع والأصل
فيا سكني في ربعها الخصب ناقتي	بها جملي يرغو بها قيمتي تغلو
الا ليت شعري هل اراني بربعها	مقيما وبالأحباب يجتمع الشمل
وهل التقي بالاهل من بعد فرقة	فلي عندها من كل ناحية أهل
وهل روضها يخضر بعد ذبوله	ويهوي على اوراقه الغيث والطل
وهل ظبيات الكرخ يخرجن شرعا	ودون حماهن الاسنة والنصل

وكل ما قاله في الطاعون :

وكم فتية فروا من الموت ضلّة  
امن قدر الرحمن يجري فرارهم  
فقل لمقيم صابر فزت بالعلى  
يهون علينا ما لقيتم من الاذى  
(ومن ظعنوا في السير عنه وقد كلوا)  
( فاوله سقم وآخره قتل)  
(وللمدعي هيهات ما الكحل الكحل)  
ولكن عقد الله ليس له حل  
ثم يدعو من الله جلت قدرته ان يزيل المرض ويتوسل باسمائه الحسنى والانبياء  
والرسل وبالمصطفى واصحابه والاولياء والتابعين ان يتولاهم باللطف والرحمة والعفو ، فقد  
حل بهم :

وباء وطاعون وما ثم ملجأ  
ويا غارة الله اسرعي لخلصهم  
ويا غارة الله اجعلي كل واحد  
الى آخر القصيدة :

سواك وانت الراحم الحكم العدل  
من القهر فالرحمن من شانه الفضل  
بحصنك قد غار العدو وهم عزل

وعلى الرغم من ان بعض الولاة في بغداد حاولوا التقرب من علماء بغداد وشعرائها  
وان اسرة عبد الجليل العربية تحكيم الموصيل ، فان شعر المديح لم يكن يخرج عن اطار  
المبالغة الممقوتة وظنت ان حب المباهاة والمفاخرة والمنافسة بين الشعراء والممدوحين سيكون  
سببا قويا يدعو للتطور والتجديد في الاساليب وسيحاكي شعر المديح من عصوره الزاهية  
عبارة واسلوبا الا ان الظن خاب فقد بقى الشعر في قوقعة اللفظة وجرس الكلمة فقد مدح  
الشاعر ( محمد امين باشا ) ، قال :

أين سافرت أيهذا الامير  
نحن في حندس من الليل نعشو  
نحن في سبب عطاش رشاش  
نحن كالشاة اهملتها رعاة  
نحن كالعين مقلّة وسواد  
نحن جسم ميت بغير حياة  
نحن زرع وأنت غيث غزير  
فيه دوما وانت بدر منير  
قد ظمينا وانت جود مطير  
في البوادي وانت داع مجير  
وبياض وانت نور بصير  
انت روح لنا ونعم النصير<sup>(١)</sup>

(١) ديوان محمد امين المفتي ، مخطوط .

الادب ظاهرة اجتماعية ، والعراق بلد شاعر ، ولن يتقدم او يتطور ، بدون عوامل تؤثر في مسيرته وتبعث فيه حياة جديدة وحياته المحدودة ، اكثرت المديح والاغراض الفردية ومدح الرسول وآله ، ومدح بعض الكتاب وشيوخ القبائل العربية ، والاسر المعروفة كآل السويدي والجليلي والشاوي<sup>(١)</sup> .

وكثر الناظمون وسجل لنا التاريخ الادبي اسماء الادباء الذين برزوا في بغداد والنجف والحلة والموصل وكربلاء ، ولكن شعرهم لم يعالج الا قضايا محدودة طابعها الدين والتصوف واهيانا الغزل والخمرة ، بعيدة عن الاحاسيس الانسانية والتجربة المخلصة لان جو المثقف كان محدودا وما كان العلماء بالقدر الكافي الذي يؤثر في المسيرة الفكرية الواسعة .

ولم يكن الاديب قادرا على العيش باده ، فقد حدثنا اديب عن معاناته وحاجته الى المال في نزهة المشتاق ، فقال :

( حدثني الواله الابي ، ابو البركات الرجبى ، فقال : طال قعودي فلوى عودي ، وانا حليف فاقة وفقر ، ومنزل خال قفر ، فغالطني يد الضياع وعرضني الدهر على الابتياح فلما لم يبق لي من المال عقله ، اخترت الغربة والنقله ، فركبت متون الغبراء مهاجرا من الزوراء ، فطوحتني الطوائح وشوحتني الشوائح ولفظني قفر الى قفر وبر الى بحر ، وانا في حل ومرتحل ، اذرع شقة الارض بباع انسان المقل ، كريشة ساقطة في مهب الريح من القلق على حال لا تستريح<sup>(٢)</sup> . وقد قال ابو الثناء الالوسي :

( فقال لي مالي : اراك كاسف البال ، قل لي ما الذي دهاك ، وما هذا الحال وانت في عنفوان صباك ، فقلت قد لذي ذي في اكتساب الادب ، وقد فاتني بالامس درسي ، فعراني ما ترى من العطب ، فقال لي اخطأت وبثما صنعت ، قد غشتك نفسك وخانك حدسك ، وغدر بك من استشرته ، وكذبتك من استخرته ، وخذلك من استنصرته ، وضلك من استهديته ، اما دريت وانت الجذيل المحكك والعذيق المرجب

(١) ديوان العشاري مدح باشا بغداد ص ٢٢١ ومدح السويديين ص ١٩٤ ومدح الجليليين ص ١٠٧ ومدح الشاوي ص ٢١٢ و ٢٠٤ و ١٠١ و ١٠٥ ومدح صبغة الله الحيدري وعبدالله الفخري ٨٧ وغيرهم كثير ومع ذلك لم يكن الشاعر قادرا على العيش في شعره برفاهية .

(٢) الورقة ١٠٦ من المخطوطة .



ان حرفة الادب اعدى من الجرب وصفة الكمال صفة البلبال ، وزينة المناقب ريبة المعاطب ، وان الدهر لم يحارب الا ادبيا ولم يحرم ، لادر دره ، الا لبيبا . . . ما ازددت من ادبي حرفا اسر به الا تزيدت حرفا تحته شوم ، ان المقدم في حذق بصنعتة ، اني توجه فيها فهو مذموم ، اما علمت ان الدهر متى رأى اماما في الادب امه . . . (١).

لأن حرفة الادب لم تكن تدر على الاديب ما يغنيه ويسد حاجته فيضيع ماء الوجه في المديح او يعكف على استنساخ الكتب ويبيعها للناس لكي يعول نفسه واسرته كما كان يصنع العشاري الذي قال :

وما فيك غير الفقر عيب وانما يعاب الفتى لو ما وان كان ذا جد (٢)  
 وكان فقره شديدا حتى حال دون شراء ما يمنع عنه برد الشتاء فاضطر الى الامتناع عن الكتابة والاستنساخ ، لان البرد الشديد اعاقه عن عمله واخره ودعاه الى القول :  
 فجاءنا برد شديد قرا ما لفتى من بأسه مفر  
 اشل منا الكف والاصابع واخرس اللسنة المصاغعا  
 ومنها :

ثم انقضت ايامه المشقة يوم وما ركتبنا منه خمسي ورقه  
 وبعدهما ادبر عنا ورحل وشمس عزمي قد علت فوق زحل  
 شددت ازرى موقدا نبراسي اكتب كراسا على كراس (٣)  
 وبرزت اسماء شعراء في هذه الفترة مثل خليل بن علي البصير وعثمان الدفري وقاسم الغلامي ويحيى البغدادي وكاظم الازري ومحمد جواد السياه بوشي وحسين العشاري لا يختلف ادبهم في مجموعه عن بعضه ولا تخرج اغراضه عما الفناه عند غيرهم . أدب أساسه الصنعة وقوامه الألفاظ الرنانة ، إذ لم يتأثر بعوامل خارجية وشغلته حياته المتأخرة عن كل تطور وتجديد .

(١) مقامات الآلوسي ص طبع حجر في كربلاء ١٢٧٣ هـ

(٢) ديوان العشاري ص ٤٠٦

(٣) الديوان ص ٧٩ كان الشاعر ينسخ كتاباً لسليمان الشاوي لانه يعيش من نسخ الكتب فحال البرد دون اتمامه الكتاب فاعتذر له بارجوزته .

## أصالة النخاس في شرح القصائد السبع

الدكتور أحمد نصيف الجنابي

بسم الله الرحمن الرحيم

« المدخل »

( ١ )

إذا كان الله - سبحانه وتعالى - يُهيئُ لهذه الأمة على رأس كل مائة عام ، من يجددُ لها أمر دينها ( كما جاء في الحديث الشريف ) ، فانه يُهيئُ للغة العربية ، في كل جيل ، من يحفظ رسالتها ، ويحلو قوانينها ، ويجدد أمرها . قال « الثعالبي » - رحمه الله - حين تحدث عن اللغة العربية في كتابه « فقه اللغة » : ( ولما شرفها الله - عز اسمه - وعظّمها ، ورفع خطرها ، وكرّمها ، وأوصى بها الى خير خلقه ، وجعلها لسان أمينه على وحيه ، وخلفائه في أرضه ، وأراد بقاءها ودوامها ، حتى تكون في هذه العاجلة لخيار عباده ، وفي تلك الآجلة لساكني جنانه ، ودار ثوابه . . . قيّض لها حفظة وخزنة ، من خيار الناس ، وأعيان الفضل ، وأنجم الارض ، تركوا في خدمتها الشهوات ، وجابوا الفلوات ، ونادموا لاقتنائها الدفاتر ، وسامروا القماطر والمحابر ، وكدّوا في حصر لغاتها ، طباعهم ، وأسهروا في تقييد شواردها أجفانهم ، وأجالوا في نظم قلائدها أفكارهم ، وانفقوا على تخليد كتبها أعمارهم . . . ) .

ومن هؤلاء الاعيان « أحمد بن محمد بن اسماعيل » ( المتوفى ٣٣٨ هـ ) ، الذي ألف في حفظ العربية وفنونها ، ما يربو على عشرين مؤلفاً ، فيها ما هو أصيل ، وهو الكثير ، ومنها ما هو مجرد عن تلکم الصفة ، وهو قليل . . .

والكتب تتفاوت قدرة ، كما يتفاوت العلماء في أقدارهم ، فمنهم من يظل مناراً وقدوة للأجيال بعده ، ومنهم من يكون مورداً عذباً لأبناء جيله ، دون سواهم ، لسبب ما ، ومنهم من يموت ذكره ، وهو يدبّ على وجه البسيطة . والكتب منازل ، فمنها ما هو أصيل ، يلبي حاجة متجددة بتجدد الزمان ، أو يكون أساساً لحياة كريمة تتسق مع فطرة الانسان وسعادته في كل زمان ومكان ، ولعل أحد أسباب خلود كتاب الله ، هو اتصاله بالفطرة الانسانية ، وتحقيقه لسعادة البشرية ، كلما تقاذفتها الالهواء ، وشئت وحدتها الافكار . . . . ولعل هذا الجانب هو وسيلة من وسائل حفظ الكتاب الكريم المشار اليه في الآية الكريمة : « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » ( سورة الحجر ، آية : ٩ ) .

ومن الكتب ما هو اصيل ، ولكنه لا يتناول إلا جانباً ضيقاً من جوانب الحياة والفكر ، فتضييق الحاجة إليه ، ويضييق امتداده في الزمان والمكان . ومنها ما يضيف جديداً الى ما تقدمه من الكتب ، ومنها ما لا يضيف ، فتصرف الانظار الى ما هو أحسن منه ، في بابه ، وأكثر افادة . . . . وقبل أن نحدد مفهوم الاصالّة تبادر فيقول : إن العلماء يأخذ بعضهم عن بعض ، وإن أخذ العالم عن سبقة أو عاصره ، لا يضير ، بشرط ألا تطفئ شخصية السابق على شخصية اللاحق ، فتمحو خصائصها ، وتطمس ملامحها . وتحديد مفهوم « الاصالّة » لا بُدّ منه ، قبل أن نشرع بتلمسها في كتاب النحاس « شرح القصائد التسع » .

### فما مفهوم الاصالّة ؟

الاصالة في التأليف تعني : أن يتناول الكاتب موضوعاً ، لم يسبق اليه ، كما فعل سيويه « في كتابه » أو الخوارزمي في « الجبر والمقابلة » ، وابن المعتز في « البديع » وابن خلدون ، في « المقدمة » .

فكل منهم سبق الزمان بأصالته في أفكاره او في منهجه او فيهما معاً . والأصالّة تعني — أيضاً — أن يتناول الكاتب موضوعاً مطروحاً من قبل . . . . لكنه يتناوله بمنهج جديد ، أو برؤية جديدة ، كما فعل الامام السُّهيلي ( ت ٥٨١ هـ ) ،

في كتابه « الأمالي » حيث فسّر « الممنوع من الصرف » تفسيراً جديداً . وكما فعل « ابن مضاء القرطبي » حين تناول موضوع العلل النحوية بالنقد ، وذلك في كتابه : ( الردّ على النحاة ) .

ويكون الكاتب أصيلاً حين يعتمد الى موضوع قد تناوله غيره ، ولكن بشكل ناقص ، وترك فيه ثغرات او أخطاء ، فيعمد الكاتب الجديد الى سدّ الثغرات واكمال النقص ، كما فعل الامام « الصاغاني » ( ت ٦٥٠ هـ ) ، مع كتاب « الصحاح » مع عدم نفي الاصلة عن « الجوهري » . . . .

والكاتب يكون أصيلاً حين يتناول موضوعاً تناولته الاقلام ، ولكنه مشتت في أبحاث ورسائل قصيرة ، وجزئية ، فيجمع أطرافه ويدلل مشاقه ، وينظّم أبوابه وينسق مباحثه ، ويضعه في « سفر » ، ويضيف الى مادته شيئاً جديداً ، فيكون محسناً في ناحيتين : تقريبه البعيد ، وازافته الجديد ، كما فعل أبو بكر محمد بن القاسم الانباري ( ت ٣٢٨ هـ ) ، في لمّ أشتات موضوع « المذكر والمؤنث » ، في كتابه الموسوم بهذا الاسم .

ففي أيّ ميدان من ميادين الاصلة ؟ وكيف ، صار النحاس ، أصيلاً ؟

أما الجواب عند السؤال الاول فيظهر في بيان منهجه العام . أما الجواب عن السؤال الآخر فيظهر في استطاعة النحاس بناء جزئيات مأخوذة من كتب متعددة مختلفة المناهج والاتجاهات ، وإخراج بناء جديد من تلك الجزئيات .

### منهجه العام في شرحه

أمّا من حيث المنهج العام فإنّ النحاس أول صورة واضحة وكاملة تطالعنا للاستشهاد بنحو القراءات ولغتها ، ولا سيما في كتابيه « إعراب القرآن » و « شرح القصائد التسع » . بحيث نراه يستشهد بالقراءات في كتاب مثل « شرح القصائد التسع » بشكل يلفت النظر ويدعو إلى إدامة التأمل ، وهو النحوي المقرئ الوحيد الذي مزج بين منهج القراء ومنهج النحاة التقليديين ، بعيداً عن نصيّة القراء وتعسف النحاة ، فأزال بذلك الفروق الحدية بين المنهجين . فالنحاة يحكمون القياس في الرواية سواء كانت قرآنية أم نصّاً شعرياً ، ومنهم القراء ( ت ٢٠٧ هـ ) والمبرد ( ت ٢٨٥ هـ ) أما القراء فقد ردّ كثيراً من القراءات المتواترة وغير المتواترة . ومن الأمثلة التي ردها قراءة حمزة « إلا أن يخافا » ( سورة البقرة آية : ٢٢٩ ) ، بضم الياء بحجة أنها لا

تعجبه . . . (١) وقد أطلال في تعليل ذلك (٢) . و « حمزة » من أئمة القراء . وكذلك ردّ قراءة ابن عامر : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » . برفع « قتل » ونصب « أولاد » وجرّ « الشركاء » لأنّ فيها فصلاً بين المضاف والمضاف إليه ، بالمصدر ، وهو يخالف القياس النحوي . وسماها « شاذة » (٣) وما هي بشاذة ، بل قراءة متواترة ، فإذا ردّ القراءات المتواترة فردّها غيرها أيسر (٤) .

أما المبرد فيوقفه من القراءات موقف لا يحمد عليه وهو أكثر النحاة تطرفاً في موقفه هذا .

أما منهج القراء فيعتمد على الرواية . والقراءة عندهم « سُنّة مُتَّبَعَة » . وهي بذلك « توقيفيّة » متناسين في ذلك احتمال الخطأ فيها . . . وغير معترفين بالاجتهاد الشخصي فيها ، بالرغم من وجوده . والدليل على وجوده أن القراء السبعة جميعاً قرؤوا « إن هذان لساحران » ( سورة طه : ٦٣ ) بثبوت ألف « هذان » إلّا أبا عمرو بن العلاء فإنه قرأها بالياء (٥) مخالفاً بذلك الإجماع .

وقرأ الكسائي ( ت ١٨٩ هـ ) : « شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم . أنّ الدين عند الله الإسلام » ( الآيتان ١٨ - ١٩ من سورة آل عمران ) ، بفتح همزة « أن » وقال : ( أنصبهما جميعاً بمعنى شهد الله لأنه لا إله إلاّ هو أنّ الدين عند الله الإسلام ) (٦) .

ولو كان الأمر يتعلق بالرواية لاحتجّ بها ، ولما نازعه في ذلك أحد . . . لكنّه علّل وجه قراءته لأنه اجتهد يحتاج إلى ما يسنده من حجة . . . وتلك حجته . . . ولكن النحاس أخذ بمبدأ التوسط بين طرفي الأمر فأخذ بنحو القراءات متجاوزاً كثيراً من سبقه ، وعلل القراءات تعليلاً كافياً ومستفيضاً في كتابه : « إعراب القرآن » وبنى على القراءات كثيراً من الأحكام والقضايا النحوية واللغوية . وصرح في كتاب « القطع والائتناف » بأن أسلوب الآيات ونحوها ونظمها لا يمكن أن يفهم في بعض السور إلا بتفصيل القراءات (٧) .

(١-٢) الفراء : معاني القرآن ١/١٤٥ - ١٤٦ وينظر معاني القرآن ١/١٤٤

(٣) معاني القرآن ١/٣٥٨

(٤) نفسه ٣ - ٨

(٥) كتاب السبعة / ٤١٩

(٦) النحاس : معاني القرآن ورقة ٣٩ : أ

(٧) القطع والائتناف لوحة ٢٣٤ : ب

ولكن الذي يلفت النظر حقاً أنه يستعمل القراءات في كتابه « شرح القصائد التسع » بكثرة ووفق منهج جديد لم يسبقه إليه أحد . فكل النحاة والمفسرين وأصحاب كتب المعاني استشهدوا بالشعر لتوجيه القراءات وتفسير معاني الآيات ، وفعل النحاس مثلهم في كتابه « معاني القرآن » <sup>(١)</sup> وغيره ، أما في كتاب : « شرح القصائد التسع » فقد استعمل القراءات لتوجيه الشعر ، وأجاز في الشعر قراءتين قياساً <sup>(٢)</sup> على القراءات . . . وهذا ما لم يفعله أحد من قبل . ولذلك فهو رائد في هذا . كما أن شواهد القرآنية ( أي شواهد من القراءات متواترة وغير متواترة ) بلغت ( ٣٠٦ شواهد ) في حين بلغت شواهد الشعرية ( ٢٦٥ ) .

وهو أول نحوي أو لغوي تتجاوز شواهد القرآنية الشواهد الشعرية في كتاب نحوي ولغوي كشرح القصائد التسع .

ولو وازنا بينه وبين أستاذه أبي بكر بن الأنباري في « شرح القصائد السبع الطوال » ، لوجدنا أن شواهد القرآنية ( ٢٥٠ ) وشواهد الشعرية ( ١٠٩٣ ) .

أي أن نسبة الشواهد القرآنية إلى الشواهد الشعرية عند كل منهما يبينها الجدول الآتي :

الشاهد الشعري

الشاهد القرآني

٢٥ تقريباً

:

٤ تقريباً

:

٣  
مركز تحقيق كاتبيتور عدم ردي

عند النحاس

عند ابن الأنباري

وهذا يدل بوضوح على بُعد الشقة بين المنهجين في الاستشهاد بالقرآن والقراءات . فما هو السبب ؟

لقد قرأ النحاس على نخبة طيبة من القراء أمثال أبي بكر <sup>(٣)</sup> بن يوسف التميمي ( ت ٣٠٧ هـ ) ، وأبي بكر محمد <sup>(٤)</sup> بن أحمد بن عمر الداجوني الكبير ( ت ٣٢٤ هـ ) ، وابن شنبوذ ؛ محمد بن أحمد ( ت ٣٢٨ هـ ) ، وغيرهم . والأول : مقرر متصدر ثقة إمام . وكان شيخ الديار المصرية في زمانه وانتهت إليه الإمامة في قراءة « ورش » .

أما الداجوني فهو « إمام كامل رحال مشهور ثقة » . . أخذ القراءات عن كثيرين

(١) معاني القرآن لوحة ٣ : ب ولوحة ٣٤ : ب

(٢) شرح القصائد التسع / ٥٢١ ، ٥٤٦

(٣) طبقات القراء ١/ ٤٤٥

(٤) نفسه ٧٧/٢



عَدَّهم ابن الجزري <sup>(١)</sup> وله كتاب في القراءات ضمنه قراءة أحد عشر قارئاً <sup>(٢)</sup> .  
 أما ابن شنبوذ فهو شيخ الإقراء بالعراق . وأثنى عليه كل القراء والعلماء إلا ابن  
 مجاهد معاصره ( ت ٣٢٤ هـ ) . وحجته حجة الأقران . . . وكان ذنب ابن شنبوذ  
 أنه يرى جواز القراءة بالشاذ وهو ما خالف رسم المصحف الإمام ، اذا صحت روايته .  
 وذلك كل ما عليه . . .

فالنحاس أخذ القراءات المتواترة عن طريق أستاذه الداجوني ، والشاذة عن طريق  
 أستاذه ابن شنبوذ ، وقراءة ورش المصري عن طريق أستاذه أبي بكر التَّجِيبِي . فلا  
 غرابة بعد ذلك إذا بدا - من خلال كتبه ، لاسيما إعراب القرآن ومعانيه وشرح القصائد  
 التسع والقطع والائتناف - وقد سبر غور القراءات وعرف موضع الشاهد فيها ، واستخدمها  
 ببراعة تامة دلت على سعة علمه وفضله . ويظهر - والله أعلم - أنه كان متقناً لقراءة  
 ورش ( ت ١٩٧ هـ ) ، ولهذا أخذها عنه ابن خاقان <sup>(٣)</sup> . خلف بن إبراهيم بن محمد  
 ( ت ٤٠٢ هـ ) المقرئ الإمام أستاذ الداني <sup>(٤)</sup> . وعنه رواها الداني <sup>(٥)</sup> .

فالنحاس إمام من أئمة القراءات . وهذه النقطة توضح جانباً من موقفه العام من  
 القراءات .

وإذا كان قد أنكر بعض القراءات <sup>(٦)</sup> فليس معنى ذلك أنه يُقَرَّنُ بالمبرد ، ولا يعني  
 أنه منكر للقراءات دائماً ، كما توحى عبارة محقق كتاب « شرح القصائد التسع » <sup>(٧)</sup> ،  
 معتمداً على خمس قراءات دفعها النحاس في كتابه « إعراب القرآن » ولكنه نقلها من  
 « تفسير القرطبي » فوق في تحريف أربع منها في الضبط وفي نسبة بعضها وفي مكان  
 النقل . . فكان حكمه مبنياً على أساس مُحَرَّفٍ أولاً . كما أنه يُرَدُّ عليه باعتماد  
 النحاس على القراءات : مئات القراءات وفي إعراب القرآن نفسه ثانياً وأخيراً ، وليس  
 آخراً ، فإنَّ رده لبعض القراءات لا يعني أنه بجانب المبرد الذي كان يرفض القراءة إذا

(١) لطائف الاشارات ٨٦/١

(٢) طبقات القراء ٥٢/٢

(٣) الداني : المفردات السبع ١١/

(٤) طبقات القراء ١ : ٢٧١

(٥) طبقات القراء ١ : ٢٧١ ( وقال عنه الداني : كان ضابطاً لقراءة ورش متقناً لها مجوداً مشهوداً بالفضل  
 والنسك واسع الرواية صادق اللهجة كتبنا عنه الكثير . . )

(٦) إعراب القرآن لوحة : ٦ ولوحة ٧١

(٧) شرح القصائد التسع ٣٤/ ( من الدراسة ) .

خالفت المقاييس النحوية ، لأن « ابن مجاهد » شيخ القراء في عصره قد أنكر بعض القراءات السبعية المتواترة في كتابه <sup>(١)</sup> « السبعة » في حين أنكر النحاس بعض القراءات التي لا تصح في المعنى أو إذا كانت لَحْنًا <sup>(٢)</sup> .

فموقف النحاس من القراءات موقف طبيعي ، ومعتدل لا يختلف عن موقف أي قارئ من القراء ، أما إذا قورن بموقف النحاة فإنه مختلف عنهم ويفوقهم في قبول القراءات ، ولا سيما في كتابه « شرح القصائد » . أما في كتابه « القطع والائتناف » فإنه ردّ بشدّة على أكثر النحويين <sup>(٣)</sup> الذين ردّوا قراءة « حمزة » ( بفتح كلّ همزة في سورة الجنّ من أنا وأنه إلّا ما كان بعد قول ) ، وكان رده قائماً على حجة علماء القراءات وليس على حجة النحاة لأنّ قول النحاة « طعنٌ على ما روته جماعة وأئمة يُقتدى بهم » على حدّ تعبيره . <sup>(٤)</sup> بالرغم من استعماله سلاح النحو ، في كل كتبه ، وهل يمكن أن يتخلّى عن هذا السلاح ، كل من يريد أن يبيّن معاني القرآن وأساليبه في الخطاب والتوجيه ؟ .

وإذا بدا عنده ميل إلى تحكيم القياس النحوي — أحياناً — فأكثر ما يأتي ذلك في غير ميدان القراءات <sup>(٥)</sup> ، وقلّما يأتي في ميدانها <sup>(٦)</sup> ، وعندما نضع بجانب هذا القليل ، استشهاده بالقراءات حتى الشاذة منها <sup>(٧)</sup> ، فإن ميله إلى تحكيم منهج القراء في مقاييس النحو يبدو واضحاً . أي : أنّه يأخذ بالسماع والرواية ، لأن القراءة سنّة متواترة أي قائمة على رواية ثابتة وسماع صحيح ، أما الشاذة فهي تعتمد على الرواية غير المتواترة ، أحياناً ، وبالرغم من اعتمادها على الرواية فإنها ليست من قراءة السبعة أو العشرة ، وهي في كل الأحوال قياساً نحويّاً .

### أثر كونه قارئاً في منهجه :

وكون النحاس قارئاً ، أثر في آرائه وأحكامه فظهرت له بعض الآراء التي تعدّ طريفة كل الطرافة وجديدة كل الجدة وتستحق الوقوف عندها .

- (١) كتاب السبعة / ١٦٩ ، ٢٠٧
- (٢) اعراب القرآن لوحة : ٦ ولوحة ٧١
- (٣) القطع والائتناف لوحة : ٢٤٣
- (٤) القطع والائتناف لوحة : ٢٤٣ : ب
- (٥) شرح القصائد التسع / ١٥٧ ، ٢٦٨
- (٦) اعراب القرآن لوحة : ٦
- (٧) شرح القصائد التسع / ٢٢٦ ، ٢٩٢

ومن تلك الآراء وأكثرها طرافة : إجازته قراءة أبيات الشعر بصورتين مختلفتين وذلك حين تكون عنده الصورتان في حيز القراءات القرآنية ، أي وجود ما يشابههما في علم القراءات .

ومن الأمثلة على ذلك إجازته قراءة بيت عنتره ( ٦٣ ) :

فبعثت جاريتي فقلتُ لها اذهبي فتَحَسَّسي أخبارَها لي واعلمي  
بصورتين : بفتح ياء « لي » أو بسكونها : ( إن شئت أسكنت الياء في قوله : لي وإن شئت فتحتها وهما لغتان معروفتان قرأ بهما القراء ) (١).

كما أجاز أن يُقرأ بيت امرئ القيس ( رقم ٢٠ ) :

أأن رأيت رجلاً أعشى أضرب به ريبُ المنون ودهرُ مُفْنِدٍ خَبِلُ  
بتحقيق همزتي « أن » ، وبتخفيف الثانية (٢) . ومسألة تحقيق الهمزتين من كلمة أو تخفيف الثانية ، من مسائل الأصول في علم القراءات (٣) . وليس هذا حسب ، بل ظهر أثر كونه قارئاً في اعتماده الكبير على الشواهد القرآنية والقياس عليها في جل أعراض الاستشهاد .

وأهم الأغراض التي جاء بالقراءات والآيات من أجلها هي :

١ - للدلالة على جواز أسلوب : *مَرَّ تَحْقِيقُ كَيْفِ تَوْبِ عِلْمِ رَدِي*

ففي شرحه لبيت النابغة ( رقم ٤ ) بهذه الرواية :

رُدَّتْ عليه أقاصيه وَلَبَّـدَهُ ضرب الوليدة بالمسحاة في الشأد  
أراد أن يبرهن على أن الشاعر أضمر ما لم يجوز ذكره ، فقد أراد ردت عليه الأمة إلا أن هذا جائز كثير إذا عرف معناه . قال الله عز وجل : « حتى توارت بالحجاب » ( سورة ص آية : ٣٢ ) ، يعني الشمس والله أعلم (٤) .

٢ - أو للبرهنة على أفضلية أسلوب على أسلوب :

وفي شرح بيت الحارث بن حلزة الشكري :

ثم خيل من بعد ذلك مع الغـ سلاقٍ لا رافةٌ ولا إبقاء

(٥) شرح القصائد التسع / ٥٢١

(١) شرح القصائد / ٥٤٦

(٢) ينظر كتاب السبعة / ١٣٤ ، ١٤٥ وسراج القارئ المبتدى / ٦٢ غيث النفع في القراءات السبع / ١٠٠ واتحاف فضلاء البشر / ٤٤ .

(٣) شرح القصائد التسع / ٧٣٧ ( لبد : سكنه وطمأنه ، الشأد : الموضع الندي التراب ) .

قال : : « لا رافة ولا ابقاء : أي ليس لأصحاب الغلاق رافه بهم ولا ابقاء عليهم ،  
ثم حذف لعلم السامع ، وقيل في قوله عز وجل : « فمستقر ومستودع » ( الأنعام : ٩٨ ) :  
« مستقر في الأصلاب ومستودع في الأرحام » <sup>(١)</sup>  
ثم جعل لا في قوله : لا رافة بمعنى : ليس .  
وأنشد سيبويه <sup>(٢)</sup> :

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ  
وهو في بيت الحارث أحسن لتكريره لقوله « ولا إبقاء » ، فصار مثل قراءة من  
قرأ : « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحجاج »  
( البقرة : ١٩٧ ) <sup>(٣)</sup>

٣ - للدلالة على صحة بناء كلمة وعدم صحة غيره :

ففي شرح بيت عنترة رقم ٧٩ :  
ولقد شَفَى نفسي وأبرأ سَفْمَهَا قِيلُ الْفَوَارِسِ : وَيَكَّ عَنَتَرًا أَقْدِمَ  
أورد ما يأتي : ( قال بعض النحويين ، معنى ويك ، ويحك ، وقال بعضهم  
معناه : ويلك . وكلا القولين خطأ ، لأنه كان يجب على هذا أن يقرأ ويك أنه ( القصص  
آية : ٨٢ ) كما يقال : ويلك أنه ، ويحك أنه ، على أنه قد احتج لصاحب هذا القول  
بأن المعنى : اعلم أنه لا يفلح الكافرون وهذا خطأ من جهات : إحداها : حذف اللام  
من ويلك وحذف اعلم ، لأن مثل هذا لا يحذف ، لأنه لا يعرف معناه ، وأيضاً فإن  
المعنى لا يصح ، لأنه لا يدرى من خاطبوا بهذا ، والأحسن في هذا ما روى سيبويه  
عن الخليل وهو أن « وى » منفصلة وهي كلمة يقولها المنتدم إذا تنبه على ما كان منه ،  
فهي على هذا مفصولة كأنهم قالوا على المنتدم ( وى كأنه لا يفلح الكافرون ) <sup>(٤)</sup>  
٤ - لإثبات صحة قراءتين لبيت :

ففي شرح بيت امرئ القيس رقم ٢٠ :

- (١) هو رأى أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢٠١/١ .  
(٢) الكتاب ٣٥٤/١ وهو لسعد بن مالك القيسي . واستشهد به على أعمال « لا » عمل ليس وقال انها لغة  
قلياة . وينظر المقتضب ٣٦٠/٤  
(٣) شرح القصائد ٥٩٠ : من بني حنظلة من بني تميم كان على هجائن النعمان ، غزا بني تغلب فقتل فيهم  
وسبى ( نفسه ٥٩٠ ) .  
(٤) شرح القصائد التسع ٥٣٣

أَنْ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرَبَ بِهِ رَيْبُ الْمُنُونِ وَدَهْرُ مُفْنِدٍ خَبِلُ  
 قال : لك أن تحقق الهمزتين فتقول : « أَنْ » ولك أن تخفف الثانية فتقول : أَنْ  
 وعلى هذا قرئ : أأنذرتهم . وأأنذرتهم ( سورة البقرة ) (١)  
 ٥ - لإثبات صحة أسلوب :

ففي شرح بيت الحارث بن حلزة اليشكري رقم ٧ :  
 وَبَعِينِكَ أَوْقَدْتُ هِنْدُ النَّارِ أَصِيلًا تُلْوِي بِهَا الْعَلِيَاءُ  
 قال : « المعنى وبرأي عينيك ، ثم حذف ، وهو مثل « وأسأل القريفة »  
 ( يوسف آية : ٧٢ ) والمعنى أوقدت النار وأنت تراها لقربها منك » (٢)  
 ٦ - لإثبات صحة قاعدة نحوية :

ففي شرح بيت الأعشى رقم ٤٨ :  
 لِأَعْرَفْتِكَ أَنْ جَدَّتْ عِدَاؤُنَا وَالتُّمِيسَ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضَ يَحْتَمِلُ  
 جاء ما يأتي ( قال ابن السكيت : عَوْضٌ : دهر وأبد ، وهذا القول فيه تساهل  
 لأنه لو كان على هذا لكان نكرة ، ويجب أن ينصب وينون ، ولكن حقيقته أنه بمعنى  
 دهرك وأبدك وهو معرفة ولذلك بُنِيَ وهو بمنزلة قبل وبعد إذا نُكِرَتْما لم تبينا ، كما قرئ  
 « لَيْلَةَ الْأَمْرِ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ » ( الروم آية : ٤ ) (٣)  
 ٧ - لتقوية وجه إعرابي يراه :  
 وبعد بيت عنتره من معلقة :

فِيهَا اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ حُلُوبَةً سُودًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ  
 قال : ( اثنتان : مرفوع بالابتداء وإن شئت بالاستقرار . وأربعون عطف عليه :  
 وقوله : سوداً : نعت لحلوبة لأنها في موضع الجماعة والمعنى من الحلائب : وقيل في  
 قوله جلّ وعزّ : « وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً » ( الأعراف آية ١٦٠ ) ، أقوال  
 أحدها يقوي هذا ، وهو أن المفسّر محذوف والمعنى : اثنتي عشرة أمة (٤) .

(١) شرح القصائد التسع / ٧٠٠

(٢) شرح القصائد التسع / ٥٤٦

(٣) شرح القصائد التسع / ٧١٨

(٤) شرح القصائد التسع / ٤٧٠

٨ - للبرهنة على جواز لغة :

وذلك في شرح قول عمرو بن هند :

وأيام لنا ولهم طِوالٍ عصينا المَلِكَ فيها أنْ نَدِينَا  
حيث جاء « عصينا المَلِكَ ، يعني المَلِكَ ، ويقال إنها لغة ربيعة <sup>(١)</sup> ، كما قرئ :  
« بورقكم » ( الكهف : ١٩ ) ، أي بسكون الراء <sup>(٢)</sup> .

٩ - للبرهنة على أمر نظري :

ففي شرح بيت عنتره رقم ١٩ :

جادت عليه كلُّ بكر حرة فتركنا كلَّ قرارة كالدرهم  
جاء قول النحاس : ( وقوله فتركنا محمول على المعنى لأن المعنى جادت عليه  
السحائب . ولو كان في الكلام لجاز . . . وفي كتاب الله عز وجل : « ومن يقنت  
مِنكُنَّ لله ورسوله » ( الأحزاب آية ٣١ ) على لفظ « من » وتعمل على المعنى ، ثم قال  
عز وجل : « نؤتيها » <sup>(٣)</sup> .

ومعنى هذا أنَّ فعل الشرط عاد على « مَنْ » لفظاً ، وعاد جواب الشرط على معنى  
« من » لأنها تتحدث عن امرأة .

١٠ - للبرهنة على تصريح كلمة واشتقاق أخرى :

فقد فسّر قوله تعالى : « فجعلناهم سُلُفاً » ( الزخرف آية ٥٦ ) بقوله : أي متقدمين  
ليتعظوا بهم ، ومن قرأ سُلُفاً فهو جمع سليف . أي : جماعة متقدمة : ومن قرأ  
« سُلُفاً » فهو جمع سُلُفَة : أي فرقة متقدمة <sup>(٤)</sup> .

١١ - لبيان المشترك اللفظي :

ففي شرح بيت طرفة رقم ٦٤ :

أرى الموتَ يَعْتَامُ الكرامُ ويصطفي  
عَقِيلَةَ مالٍ الفاحش المتشدد

(١) شرح القصائد التسع ٤٧٠

(٢) وهي قراءة أبي رجاء عمران بن تيم ( المحتسب ٢/٢٤ ) . حركها محقق شرح القصائد التسع بكسر الراء خطأ .

(٣) شرح القصائد التسع ٤٧٥/

(٤) شرح القصائد التسع ٧٣٤ ( قال ابن مجاهد : « قرأ حمزة والكسائي سلفاً بضم السين واللام وقرأ الباقون سلفاً بفتحها » كتاب السبعة ٥٨٧/ ) .



قال : « الكريم : الشريف الفاضل . قال الله عزّ وجلّ : « ولقد كرّمنا بني آدم » ( الإسراء آية ٧٠ ) ، أي : شرفناهم وفضلناهم . ويقال للصفوح : كريم . قال الله عز وجل : « فإنّ ربّي غنيّ كريم » ( النمل : آية ٤٠ ) ، ويقال للكثير كريم لفضله . قال الله عز وجل : « لهم مغفرة ورزق كريم » ( الأنفال ) (١) .

١٢ - لتأكيد جواز لغتين :

قال : ( سرى وأسرى : إذا سار بالليل . وجاء القرآن بهاتين اللغتين قال جل ذكره « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً » ( الإسراء آية ١ ) وقال : « والليل إذا يسر » ( الفجر آية ٤ ) (٢) .

وكل هذه الأمثلة وما سبقها تثبت أن النحاس أول من مزج بين منهج القراء ومنهج النحاة وبذلك حاز قصب السبق بهذا المنهج . أما قول الدكتور عبدالفتاح شلبي : ( إن ظهور مذهب القراء في كتب النحاة يبدو واضحاً منذ القرن السابع الهجري (٣) فهو بعيد عن الصواب ، لأن الباحث المذكور أهمل كتاب النحاس ، ولو اطلع على كتابه « إعراب القرآن » أو « شرح القصائد التسع » وهو ذو طابع نحوي .... لما بدر منه هذا القول . وإذا كان يريد تخصيص ذلك المنهج بموضوع « الإمالة » فإن النحاس قد أدخل منهج القراء في كتابه « إعراب القرآن » (٤) وهو يناقش كثيراً من مواضع الإمالة ... « والإمالة » موضوع تخصص به القراء ... وهي فرع من فروع « علم القراءات » ... فإذا كان النحاس قد مزج بين منهج القراء في الاصل ، فكيف لا يمزج الإمالة كذلك ، وهي فرع من فروع شجرة القراءات الوارفة الظلال .

هذا هو المنهج العام الذي اتبعه النحاس . . . وبه يكون أول من وضع طريقة لشرح القصائد ، جمع فيه بين منهج القراء ومنهج النحاة . أما الجزئيات فقسم منها يتصل بمصادر متخصصة بشرح المعلقات ، والقسم الآخر ، يتصل بمراجع لغوية عامة . . .

فما هي الجزئيات التي أخذها النحاس ؟

وكيف استخدمها في بناء هيكل كتابه ؟

(١) شرح القصائد التسع ٢٧١

(٢) شرح القصائد التسع / ٢٤٦

(٣) الإمالة في القراءات واللهجات / ٢٨٠

(٤) إعراب القرآن لوحة ٩ : ب ، ولوحة ١٢٩ : ب

(أ) أما ما أخذه من المصادر المتخصصة في شرح المعلقات ، فيمكن ارجاعه الى الكتب الآتية :

- ١ - القصائد الست<sup>(١)</sup> ، للاصمعي .
  - ٢ - شرح المعلقات<sup>(٢)</sup> ، لابن السكيت .
  - ٣ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لاستاذة أبي بكر محمد بن القاسم الانباري . وهو مطبوع .
  - ٤ - شرح السبع الطوال ، لا بن كيسان<sup>(٣)</sup> .
- أما موقفه من كتاب الاصمعي ، فيمكن أن يلخص ، بما يأتي :
- أ - أنه يسوّي بين رأي الاصمعي ، ورأي ابن الاعرابي : محمد بن زياد ( المتوفى ٢٣٠ هـ ) ، والاول بصريّ النزعة والآخر كوفيّ .
- ب - وكذلك يسوّي بين رواية الاصمعي ، البصري ، ورواية أبي عمرو الشيبانيّ الكوفيّ<sup>(٤)</sup> ، مثلما يسوّي بين رواية الاول ورواية ابن كيسان<sup>(٥)</sup> . لكنه لا يلتزم برأي أحد التزام تقليد ، بل يرجح ما يراه صواباً<sup>(٦)</sup> .
- أما موقفه من كتاب « ابن السكيت » ، فيمكن حصره ، بما يأتي :
- انه يستفيد منه في رواية تيتيت<sup>(٧)</sup> ، او شرحه شرحاً لغوياً<sup>(٨)</sup> ، او تفسير بعض الكلمات منه<sup>(٩)</sup> .

وقد يأخذ ببعض آراء ابن السكيت اللغوية<sup>(١٠)</sup> ويردّ عليه أحياناً<sup>(١١)</sup> ، مثلما يرد على « المبرد » وهو من هو ! ! ويتفق هذا النهج ، اتفاقاً تاماً مع عقلية النحاس الذي

(١) الفهرست ٥٥ / ( وهو الآن في حكم المفقود )

(٢) هدية العارفين ٥٣٦ / ٢ ( وهو الآن في حكم المفقود )

(٣) توجد من هذا الشرح ، نسخة في مكتبة برلين ، ( برقم ٧٤٤٠ ) .

(٤) شرح القصائد التسع / ١٨٥ ، ٣٢٠ ، ٤٨٦

(٥) نفسه / ١٩٨

(٦) شرح القصائد التسع / ٤٩٦

(٧) نفسه / ٢٨٠ ، ٥٤٣

(٨) شرح القصائد التسع / ٥٨٢ ، ٧٣٧

(٩) نفسه / ٣٧٨ ، ٤٣٣

(١٠) شرح القصائد التسع / ٢٣٩ ، ٤٦٧

(١١) نفسه / ٧١٨

لا يقلّدُ أحداً ، وفرق كبير بين الاستفادة والتقليد . فالعالم قد يستفيد ممن تقدمه ،  
فينبني عليه ، ويخرج منه بناءً جديداً ، على جانب كبير من الجدّة . .  
ويلاحظُ أن النحاس لم يذكر اسم أستاذه « ابن الانباري » في شرحه ، والاستاذ  
سابق بكتابه : « شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات » .

والظاهر أنّ النحاس اقتبس من هذا الكتاب ، في الحالات الآتية :

( أ ) قد ينقل منه توجيهاً لغوياً ، كما في شرح قول « عنترة » :

مَسْحاً وَتَسْكَاباً فكلَّ عَشِيَّةٍ يجري عليها الماء لم يتصرَّم  
ويكتفي بالتوجيه اللغوي ، ويترك التفاصيل الأخرى . (١)

( ب ) وقد يأخذ منه شرحاً لمعاني جملة مفردات ، وتوجيهاً لاختلاف الروايات ،

كما في شرح « بيتي عنترة » :

ما راعني إلاّ حمولةُ أهلها وَسَطَ الديار تَسْفُ حَبَّ الخِمِيمِ -

فيها اثنتان واربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الاسحم

( ج ) أما تفاصيل شرح البيت فنأخذ ما يأخذها من شرح استاذة .

ففي شرح بيت « عنترة » :

حييتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادِمٌ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرُ بَعْدَ أُمِّ الهَيْثَمِ

انتفع بشرح استاذة ، بعد أن لخصه تلخيصاً مناسباً (٢) .

أما المشكلات النحوية ، التي أولع بها النحاس في شرحه ، فقلما يعتمد فيها على

« ابن الانباري » ، وذلك لاختلاف المنهجين - كما أوضحْتُ . . . ولأنّ ابن الانباري

ذو نزعة كوفية في النحو ، والنحاس كثيراً ما يميل الى رأي البصريين ، في النحو .

ولم يبق إلاّ بيان موقف النحاس من شرح القصائد السبع ، لابن كيسان .

وقد حاول باحث معاصر أن يشرح هذا الموقف فنفى الاصاله عن النحاس ، بطريقة

لا أحبّ أن أصفها قبل أن أوضحها !

يرى الباحث (٣) ، أنّ النحاس قفى استاذة (٤) ، ونقل عنه نقولاً كثيرة ، « ولم

(١) شرح القصائد التسع / ٤٧٦ وشرح القصائد السبع / ٣١٣

(٢) شرح القصائد التسع / ٤٦٠ وشرح القصائد السبع / ٢٩٨

(٣) السيد علي مزهر الياسري ، في كتابه : أبو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة / ١٠٢ وما بعدها

(٤) كذا جاء رسم الفعل بالياء ، والصواب ( قفا ) ، لأنه واوي . جاء في اللسان ( قفا ) ٥٥/٢٠ : ( قفا

يقفوقفوا ، ، وهو أن يتبع الشيء . ومنه قوله تعالى :

« ولا تقف ما ليس لك به علم »

يقتصر نقله على معاني المفردات حسب ، بل تعدّاه الى محاكاته في منهجه في التفسير « ويرى أن النحاس لم يورد جديداً » إلاّ التوسع في الشرح - أحياناً - والتقديم والتأخير في المفردات ، في مواضع أخرى » ، وكان بديهيّاً أن يحدث هذا - على قول الباحث - « اذ لا يستطيع النحاس أن يبتعد عن منهج ابن كيسان ، وهو ينقل عنه شروح أبيات كاملة » .

ثم ينقل شرح النحاس بيت امرئ القيس :

كأنّ السّباع فيه غرقى عشية بأرجائها القصوى أنايش عنصل

كما يأتي : ( قال ابو الحسن بن كيسان : قال بNDAR : لا واحد لها <sup>(١)</sup> ) وقال غيره : واحدها أنبوش . قال : وهو عندي « أفْعول » من النبش ، والعنصل : نبت يشبه البصل . قال أبو الحسن : معنى البيت عندي : انّ هذا الغيث قد غرق هذه السباع فهي في نواحيه ، ويبدو منها أطرافهما ، فشبهها بالعنصل <sup>(١)</sup> .

ليدلّل بهذا على نقل النحاس لشرح بيت كامل عن ابن كيسان ، ومن ثم لينفي أصالة الاول .

وهذا النقل لا يدل على أخذ شرح بيت كامل ، لأن في شرح البيت نقولاً عن أبي حاتم وأبي عبيدة ، وغيرهما ، ممّن صرح النحاس بأسمائهم . وإنّ ابن كيسان ينقل في شرحه هذا ، عن « بنداري » وينقل في أماكن أخرى من شرحه عن علماء آخرين ، كما صرح الباحث <sup>(٣)</sup> ، فهل يقدر ذلك في أصالة « ابن كيسان » ؟ .

فاذا كان لا يقدر ، فكيف يقدر في أصالة النحاس ؟ وان كان يقدر في أصالته فليس له فضل على النحاس فيما نقله من كتابه ، بل يعود الفضل لمن نقل عنهم ابن كيسان . . .

أليس هذا هو المنطق المقبول ؟ !

ثم يعود مرة أخرى ليقول : ( ولعلّ من المفيد أن أورد هنا ، نموذجاً من شرح ابن كيسان ، نقله النحاس : في شرحه لتبئين أسس الطريقة التي اعتمدها ابن كيسان وتابعه النحاس فيها متابعة تامة ) . فينقل ما يأتي : <sup>(٤)</sup> .

(١) يريد ( الانايش ) .

(٢) عن شرح القصائد التسع / ٢٠٢ ، ٢٠٣ ( وليس / ١٥٦ ، ١٥٧ ، فليحرر ) .

(٣) ابو الحسن بن كيسان / ١٠٢

(٤) نفسه / ١٠٤

ورد في شرح معلقة « لبيد » مما أورد النحاس ، شرح البيت الآتي :  
ويكَللون إذا الرياحُ تناوحتُ خُلجاً ، تمدّ شوارعاً أيتامُها  
( قال ابو الحسن بن كيسان : يجوز أن يكون معنى قوله : تناوحت : من نحوتُ  
نحوه ، فيكون الاصل هذا تناحى ، وللمؤنث تناحت ، مثل : تفاضت ، ثم تقدّم لام  
الفعل ، فتجعله عينه ، فيصير : تناوحت . . . الخ .  
فيجعل هذا — أيضاً — برهاناً على متابعة النحاس أستاذه ، في شرح القصائد ،  
متابعة تامة .

ويبدو أن « السيد الياسري » قد تعاطف مع ابن كيسان تعاطفاً جعله يأتي بأحكام  
عاطفية ، واستعمل اللغة الانفعالية التي تتسم بالاسلوب غير الموضوعي . وذلك للأسباب  
الآتية :

١ — أن المنهج العام الذي اتبعه النحاس في شرح المعلقات ، هو منهج فريد ،  
اذ مزج فيه بين منهج النحاة ومنهج القراء . . . وأثر ذلك في شرحه تأثيراً واضحاً ، كما  
بينتُ تفصيلاً .



وقد غاب هذا المنهج عن الباحث . . .  
٢ — أما الجزئيات التي ذهب فيها الباحث الى أن النحاس أخذها في شرحه عن  
« ابن كيسان » ، فلا تدل على تجرّد النحاس من الاصالّة ، ولا على متابعة استاذه  
متابعة تامة ، فانه نقل عن مصادر أخرى متخصصة في شرح المعلقات ، كما اوضحتُ .  
هذه واحدة . . .

والثانية . . . أن النحاس أضاف الى شرح بيت « لبيد » السابق ، شرحاً في أوله<sup>(١)</sup> ،  
وشرحاً في آخره ، فاقتطع منه السيد الياسري ، ليثبت أن النحاس تابع ابن كيسان  
متابعة تامة ! أفهذا أسلوب موضوعي ؟ ! والثالثة . . . أن الباحث لم يثبت أن النحاس  
نقل عن « ابن كيسان » شرح بيت واحد ، نقلاً كاملاً ، فكيف يقول : إن النحاس  
ينقل عن كتاب استاذه « شروح أبيات كاملة » ؟ !

(ب) أن النحاس نقل — في شرحه — عن مراجع أخرى . غير متخصصة في  
شرح المعلقات ، بل هي كتب لغوية بالمفهوم العام للغة ، كما أشرنا سابقاً .  
فقد استفاد من كتاب ( العين ) في اربعة مواضع من كتابه « شرح القصائد التسع »

واستفاد من كتاب ( مجاز القرآن ) ، لأبي عبيدة ، وقد تردد اسمه في شرح القصائد التسع ، كثيراً ، فالنحاس ينقل جزءاً من آرائه في اللغة والنحو ، ومجموعة من مروياته للشعار ؛ ولا سيما في الحالات التي يختلف فيها أبو عبيدة مع اللغويين أمثال الأصمعي ، وأبي عمرو الشيباني ، وأبي عبيد القاسم بن سلام . وقد يعتمد على أبي عبيدة حين يروي شاهداً شعرياً في معنى غريب <sup>(١)</sup> ويستفيد منه كذلك في أخبار عرب الجاهلية . . .

لكنّ النحاس لم يكن يوافقه دائماً ، بل يخالفه مرات ، ويوافقه مرات . . <sup>(٢)</sup> ونقل النحاس من كتاب « فعل وأفعل » <sup>(٣)</sup> ، لأبي حاتم السجستاني ، وقد وجدت أنه نقل من كتاب « أبي حاتم » ست مواد ، هي : « ثوى وأثوى » ، و « حبّ وأحبّ » ، و « صمى واصمى » ، و « سرى وأسرى » ، و « كنّ واكنّ » ، و « نَمى وأنمى » .

ولكنه في كلّ هذا لا يلتزم برأي معين ، فقد يأخذ برأي الأصمعي <sup>(٤)</sup> ، أو غيره <sup>(٥)</sup> ، وقد يجتهد رأيه .

واستفاد من كتاب « المنقوص والممدود » للفراء <sup>(٦)</sup> ، ومن كتابه القيم : معاني القرآن <sup>(٧)</sup> .

واستفاد من كتاب « الكاميل » للبرقي <sup>(٨)</sup> ، ومن كتب الكسائي والأصمعي والزجاج . . . وغيرهم .

فلا يمثلُ « ابن كيسان في هذا الموكب المبارك من العلماء إلاّ واحداً من عشرين لا من عشرة » !!

ألم يعلم السيد الياسري ذلك ؟

الراجح أنه لم يطلع عليه . . .

(١) شرح القصائد التسع / ١٠٦

(٢) مجاز القرآن ٦٩/٢ وشرح القصائد / ١٥٠

(٣) ينظر كتاب « التعدي وال لزوم في العربية مع تحقيق كتاب فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني » .

(٤) رسالة ماجستير قدمها السيد خليل ابراهيم العطية الى كلية آداب ، جامعة عين شمس .

(٥) شرح القصائد التسع / ٣٣٦ ، ٤٦٦

(٦) شرح القصائد / ١٥٧ والمنقوص والممدود / ٢١ .

وكذلك شرح القصائد / ١٧٤ ويقارن بالمنقوص والممدود / ٢٨

(٧) شرح القصائد / ٥١٥ - ٥١٦ ، ومعاني القرآن ١٢٧/١

(٨) شرح القصائد / ٢٠٨ ويقارن بالكامل ٥١/١



إنّ العلماء يأخذ بعضهم عن بعض ، فلا يقدح ذلك في أصالة الآخذ . . . إلا في حالة انعدام شخصيته . . .

لقد أخذ « سيويه » ، وهو أكثر النحويين أصالة ، بعد استاذة الخليل بن احمد الفراهيدي ، عن جماعة من أساتذته ، مجموعة من الآراء والنقول . فقد نقل عن « الخليل » ( ٥٢٢ ) مرة <sup>(١)</sup> . ونقل عن استاذة يونس بن حبيب ، ثمانين ومائة مرة <sup>(٢)</sup> .

فهل يقدح هذا في أصالة كتاب سيويه ، الذي قيل فيه : ( من أراد أن يضع كتاباً في النحو بعد كتاب سيويه ، فليستح ) ؟ !  
كلا . . . وألف كلا . . . مادام الآخذ لا يقلد الآخرين ، في المنهج العام ، ولا في طريقة بناء التفاصيل . . .

وما دامت للكاتب سمة خاصة وشخصية واضحة ، تختلف عمّن أخذ عنهم . وكذلك الجزئيات التي أخذها النحاس من شروح القصائد الجاهليات ، والجزئيات الأخرى التي أخذها من مراجع غير متخصصة ، لا تمثل مادتها لازمة من لوازم الشروح إلا نادراً ، فهي موجودة في كتب لغوية أخرى لا تتصل بشروح القصائد الجاهليات ، اتصالاً مباشراً .

وليس هذا حسب ، وإنما أخضع النحاس تلك الجزئيات لمنهجه ، وجعلها تصطبغ بصبغته ، وتخضع لطابعه ، فجاءت منضوية ، تحت لواء ذلك الصرح الذي رسمه وصممه ، فصار شرحاً فذاً في منهجه العام ، وفي طريقة تناوله مقيساً بزمانه وأقرانه وبيئته . . . فالعالم الاصيل قد يأخذ عمّن سبقه أو عاصره ، لكنه يخضع ما يأخذه لشخصيته ومنهجه ، كالنحلة ترشف من قلوب الازهار ، فتحول كل ما تأخذه شرباً مختلفاً ألوانه ، فيه شفاء للناس . . .

وهذا ما فعله النحاس ، وأمثال النحاس . . .  
وبعد . . . فأرجو أن أكون قد أوضحت « أصالة النحاس » في « شرح القصائد » ، من حيث المنهج العام وطريقة الاستفادة من الجزئيات . . . فان استطعتُ فتلك أمنيته وإن لم أفعل ، فقد فزت بأجر المجتهد المخطئ . . .  
والله أسأل أن يوفقنا الى أقوم السبل ، وأن يعصمنا من زلل الاقوال والاعمال . . .  
وهو حسبنا ونعم الوكيل . . .

(١) د . صاحب جعفر ابو جناح : سيويه / ٨١

(٢) د . مهدي المخزومي : الخليل بن احمد / ٢١٩

## المراجعُ المُساعدَة

- إعراب القرآن ، لابي جعفر النحاس ، ( مخطوط مكتبة فاتح باسطنبول ، رقم ٨٨ )
- الامالة في القراءات واللهجات ، للدكتور عبدالفتاح شلبي ، ط . مصر ١٣٩١ هـ - ( ١٩٧١ ) .
- الانصاف في مسائل الخلاف ، لابي البركات الانباري ، تحقيق الاستاذ محيي الدين عبدالحميد ، ط . مصر ١٩٥٣ .
- اتحاف فضلاء البشر ، في القراءات الاربع عشر ، للعلامة أحمد بن محمد المعروف بالبناء المتوفى ١١١٧ هـ ، ط . مصر ١٣٥٩ هـ .
- التعدّي واللزوم في العربية مع تحقيق كتاب فعلتُ وأفعلتُ ، لابي حاتم السجستاني . ( رسالة ماجستير بآداب عين شمس برقم ٦٠٤ رسائل ) ، قدّمها السيد خليل ابراهيم العطية .
- أبو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة ، للسيد مزهر علي الياسري ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٩ .
- خزانة الادب ، لعبد القادر البغدادي ، ط . بولاق ١٢٩٩ هـ .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، للدكتور مهدي المخزومي ، مطبعة الزهراء ، بغداد ١٩٦٠ م
- كتاب السبعة في القراءات ، لابن مجاهد : أحمد بن موسى ( ت ٣٢٤ هـ ) . تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، ط . دار المعارف ١٩٧٢ .
- كتاب سيبويه ، ط . بولاق ١٣١٨ هـ .
- سيبويه . للدكتور صاحب جعفر أبو جناح . دار الحرية ، بغداد ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م
- سراج القارئ المبتدي ، وتذكار المقرئ المنتهي ، للامام أبي القاسم علي بن عثمان المعروف بابن الناصح ، ط . مصر ١٢٧٣ هـ .
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لابي بكر محمد بن القاسم الانباري ، تحقيق الاستاذ عبدالسلام هارون ، ط . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ .
- شرح القصائد التسع المشهورات ، لابي جعفر النحاس ، تحقيق أحمد خطاب ط . بغداد ١٩٧٣ .

- طبقات القراء ، ( غاية النهاية في طبقات القراء ) ، لابن الجزري ، تحقيق  
برجشتراسر ، ط. مصر ١٣٥١ هـ .
- غيث النفع في القراءات السبع ، لولي الله سيدي علي النوري الصفاقسي ،  
مطبوع بهامش ( سراج القارئ المبتدي )
- القطع والائتناف ، لابي جعفر النحاس ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ،  
( برقم ١٩٦٧٠ ب ) .
- الكامل في اللغة والادب ، للمبرد . تحقيق الاستاذين :  
أبي الفضل ابراهيم ، والسيد شحاتة ، ط . القاهرة ١٩٥٦ م
- لسان العرب ، لابن منظور ، ط . بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٧ هـ
- لطائف الاشارات لفنون القراءات . للامام شهاب الدين القسطلاني ، تحقيق  
الشيخ عامر عثمان ، والدكتور عبدالصبور شاهين ، ط . القاهرة ١٩٧٢ م .
- مجاز القرآن ، لابي عبيدة معمر بن المثنى ، تحقيق الدكتور فؤاد سزكين ،  
ط . القاهرة ١٩٥٤ - ١٩٦٢ م
- المحتسب في تبين وجوه شذوذ القراءات والايضاح عنها .  
لابن جنّي ، تحقيق الاستاذ علي النجدي ناصف وزميلييه ، ط . القاهرة ١٣٨٦ هـ
- معاني القرآن ، للنحاس ، ( مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم ٣٨٥ تفسير )
- المفردات السبع ، لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، ط . مصر ( بدون تاريخ )
- المقتضب ، للمبرد ، تحقيق الاستاذ محمد عبدالخالق عزيمة ، ط . القاهرة  
١٩٦٣ - ١٩٦٨ م
- المنقوص والممدود ، للفراء ، تحقيق الاستاذ : عبدالعزيز الميمني ، ط . القاهرة  
١٩٦٧ .

# النَّحْتُ فِي الْعَرَبِيَّةِ

## واستخدامه في المصطلحات العلمية

الدكتور محمد ضاري حمادي

كلية الآداب - جامعة بغداد

قسم شليجل ( Schlegel ) اللغات الانسانية من حيث البنية والجملة أقساماً  
ثلاثة :

الاول - اللغات المتصرفية: وهي التي تتغير معاني مفرداتها بتغير الابنية ، وترابط أجزاء  
جملها بروابط مستقلة .

الثاني - اللغات اللصقية ( أو الوصلية ) : وهي التي تتغير معاني مفرداتها بحروف  
إضافية تلصق بالمفردة الاصلية إما قبلها فتسمى « سابقة » وإما بعدها فتسمى  
« لاحقة » . وهذه الزوائد الملصقة تعمل في تغيير معنى المفردة من جهة وفي الدلالة على  
ترابط أجزاء الجملة وعلاقة هذه المفردة بتلك من جهة أخرى .

الثالث - اللغات العازلة : وهي التي لا تتغير أبنية المفردات فيها ، فكل مفردة تلازم  
صورة واحدة وتدل على معنى ثابت لا يتغير . أما الجملة فلا وجود لروابط بين أجزائها  
للدلالة على علاقة كل جزء بآخر وإنما تفهم وظائف المفردات فيها وعلاقة  
كل منها بالآخرى من خلال ترتيبها في الجملة ، وإلا فمن سياق الكلام <sup>(١)</sup> .

إن اللغة العربية لغة اشتقاقية أي إنها من اللغات المتصرفية في هذا التقسيم . بيد أنها  
لم تخلُ من تركيب الكلمات بعضها مع بعض وصولاً الى كلمة واحدة مقصودة على

(١) ينظر علم اللغة : ص ( ١٠٥ - ١٠٨ )

طريقة الصنف الثاني في تقسيم شليجل ، صنف اللغات اللصقية أو الوصلية . وذلك ما يوضحه وجود المركب المزجي والمركب الاضافي وغيرهما من المركبات المؤلفة من أقسام الكلمة الثلاثة : الفعل والاسم والاداة . فقد يتركب الفعل مع الاسم فيقال مثلاً (حَبَّذا) أو مع الاداة فيقال مثلاً (قَلِّمًا) ، وقد يتركب الاسم مع الاسم فيقال مثلاً (عبدالله) وقد تتركب الاداة مع الاداة ، فيقال مثلاً : (لَيْتَمًا :). واتجهت اللغة العربية في تركيب الكلمات الى ضرب لا يقف عند جمع اللفظة الى اللفظة حَسْبُ ، ولكن يُشَدَّب اللفظان المجموعان ويبرى شيء من حروفهما ثم يدمج الباقي في كلمة واحدة جديدة أطلق علماء العربية عليها اسم : الكلمة المنحوتة . قال إمام العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي ( ١٧٥ هـ - ٧٩١ م ) في كلمة ( عبشمية ) في بيت عبد يغوث ابن وقاص الحارثي :

وتضحك مني شيخسة عبشمية كأن لم تَرَى قبلي أسيراً يمانياً<sup>(١)</sup>  
 « نسبها الى « عبد شمس » فأخذ العين والباء من ( عبد ) ، وأخذ الشين والميم من ( شمس ) ، وأسقط الدال والسين ، فبني من الكلمتين كلمة ؛ فهذا من النحت ، وهو من الحجة . »<sup>(٢)</sup>

والنحت لغة ، كما يقول الليث<sup>(٣)</sup> « نَحَتِ النُّجَارُ الخشب »<sup>(٣)</sup> وفي مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ( ٣٩٥ هـ - ١٠٠٤ م أن « النون والحاء والتاء كلمة تدل على نَجْر شيء وتسويته بحديدة »<sup>(٤)</sup> وما سقط من الخشبة فهو « نُحَاتة »<sup>(٥)</sup> ويقال : نَحَتَ الجبلَ يَنْحِتُهُ ، قطعه ، وهو من ذلك ، كما يقال : نَحَتَ يَنْحِتُ وينحَت ، لغتان<sup>(٦)</sup> . ويقول ابن فارس إن الأصل في ذلك إنما يرجع الى الخليل ، ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ . والاصل في ذلك

(١) البيت في المفضليات : ١٥٨ ضمن قصيدة عبد يغوث . ويلاحظ في الشطر الثاني ( لم ترى ) باثبات الالف ، وفي ذلك خلاف في الرواية حيث روي ( لم ترأ ) وفي التخريج . ينظر حاشية المحققين في تلك الصفحة .

(٢) العين ٦٩/١ . وقوله : « وهذا من الحجة » يعني أن ذلك حجة .

(٣) تهذيب اللغة : مادة ( نحت ) .

(٤) مقاييس اللغة : مادة ( نحت ) .

(٥) جمهرة اللغة : مادة ( نحت ) .

(٦) مادة ( نحت ) في كل من : التهذيب والمحكم واللسان .

ما ذكره الخليل من قولهم : ( حَيْعَلَ الرَّجُلُ ) ، اذا قال : « حَيَّ عَلَى . » <sup>(١)</sup> . وبذا اتضح مفهوم النحت اصطلاحاً ، وجعل يتردد خلال العصور في مصادر الدرس اللغوي حتى عصرنا الحاضر ، فليس النحت الا ما ذكر وعليه ينبغي ألا يعد من النحت التركيب الذي يحتفظ بكامل أحرف المنحوت منه ، ولم يحدث فيه مثل ذلك البري أو التشذيب . فقد اختلف في بعض الكلمات ولا سيما الأدوات النحوية المركبة : أمركبات حقيقة هي أم بسائط ؟ واذا ثبت أنها مركبات ، فهل هو تركيب نحت أو هو تركيب تلازم واتصال يربط الكلمتين لايجاد ثالثة بلا إسقاط أو تشذيب ؟ ذهب الخليل الى أن ( لن ) هي أصلاً ( لا أن ) . فهي أداة منحوتة من تينك الكلمتين أصبح لها بالنحت حكم جديد ومعنى جديد ، فقال سيبويه يوضح تحليل الخليل « فأما الخليل فزعم أنها ( لا أن ) ولكنهم حذفوا لكثرتهم في كلامهم ، كما قالوا : وَيَلْمُهُ ، يريدون : وَيَ لَأْمُهُ ، وكما قالوا : يَوْمُئِذٍ . وجعلت بمنزلة حرف واحد ، كما جعلوا ( هَلَا ) بمنزلة حرف واحد ، فانما هي ( هل ) و ( لا ) . » <sup>(٢)</sup> ولم يسلم هذا الرأي من نقد وإنكار ، فاعترض عليه بأن ( لن ) ليست كذلك ، و « لو كانت على ما يقول الخليل لما قلت : أَمَّا زَيْدٌ فَلَيْنَ أَضْرَبَ ؛ لأن هذا اسم والفعل صلة ، فكأنه قال : أَمَّا زَيْدٌ فَلَا الضَرْبَ لَهُ . » <sup>(٣)</sup> وهذا معناه أنه لو كانت ( لن ) منحوتة من ( لا أن ) « لما جاز لزيد أن يتقدم على ( لن ) ، لأنه كان يكون في التقدير من صلة ( أن ) المحذوفة الهمزة ولو كان من صلتها لما جاز تقدمه عليها على وجه . » <sup>(٤)</sup> . فما حجة الخليل إذن في نحت تلك الاداة؟ الحجة يوضحها ابن جني (٣٩٢هـ - ١٠٠١م) إذ يقول : « فهذا يدل على أن الشئين اذا خلطا حدث لهما حكم ومعنى لم يكن لهما قبل أن يمتزجا . ألا ترى أن ( لولا ) مركبة من ( لو ) و ( لا ) ، ومعنى ( لو ) امتناع الشئ لامتناع غيره ، ومعنى ( لا ) النفي أو ( النهي ) . فلما ركبا معاً حدث معنى آخر وهو امتناع الشئ لوقوع غيره » <sup>(٥)</sup> . . . فحكم ( لن ) جديد ، ومعناها جديد ، لا يجوز أن يطبق عليها ما كان يطبق على مكوناتها ( لا ) و ( أن ) من أحكام ، وذهب

(١) مقاييس اللغة ٣٢٨/١ - ٣٢٩ . وانظر : العين ٦٨/١ - ٦٩

(٢) كتاب سيبويه ٥/٣ .

(٣) كتاب سيبويه ٥/٣ .

(٤) سر صناعة الاعراب : ٣٠٤/١ - ٣٠٥ .

(٥) سر صناعة الاعراب : ٣٠٥/١ .



الخليل الى أن ( ليس ) مركبة كذلك على طريقة النحت ، وأن الاصل فيها ( لا أيس ) فطرحت الهمزة والالف والزقت اللام بالياء <sup>(١)</sup> . وتابع أبو زكريا الفراء ( ٢٠٧ هـ - ٨٢٢ م ) الخليل على ذلك وقال : « أصل ( ليس ) : ( لا أيس ) . ودليل ذلك قول العرب : ائتني به من حيث أيس وليس ، وجيء به من أيس وليس ، أي من حيث هو وليس هو » <sup>(٢)</sup> . . . ف ( أيس ) إثبات ، و ( ليس ) نفي هذا الاثبات أصله ( لا أيس ) ثم ركب نحتاً بغية الاختصار . وحين ينظر الباحث الى هذا المزج بين كلمتين لتوليد كلمة ثالثة جديدة حكماً ومعنى كما في ( لن ) و ( ليس ) فانه لا بد قاطع بأن هذا نحت لا تركيب محض ، وأن ما اتهم به الخليل من بعض اللغويين القدماء <sup>(٣)</sup> أو المحدثين <sup>(٤)</sup> من أن ذلك مما انفرد به الخليل وشذبه عن جمهرة النحاة . . . لا يدل على تدقيق كاف في هذا الاطلاق ، وقد أيدت الدراسات اللغوية الحديثة القائمة على دراسة الألفاظ اللغوية دراسة تحليلية مقارنة وجود هذا التركيب النحوي في الكلمات المختلفة أسماءً وأفعالاً وأدوات <sup>(٥)</sup> . ومن لم يرتض فكرة النحت في بعض أدوات العربية الدكتور علي عبد الواحد وافي إذ نفى أن يكون قد وقع في مثل ( لن ) و ( هلم ) و ( لما ) و ( لكن ) و ( ليس ) وغيرها <sup>(٦)</sup> .

والحق ان ما قاله يدعم معنى النحت في الأدوات ولا ينفيه ، لأن ذلك هو النحت عينه . ولئن كان من الخطأ نفي النحت عن بعض المركبات المنحوتة لقد كان من الخطأ أيضاً إثباته وافي بعض المركبات غير المنحوتة ، مما يفضي الى خلط بين المركبات تركيباً مزجياً والمركبات تركيباً نحتياً . وكان جرجي زيدان قد أدرج في أمثلة النحت أنواعاً من الأدوات والكلمات بعضها منحوت وبعضها ليس كذلك ، أمثال : « ألم » ( من : همزة الاستفهام + أداة النفي « لم » ) ، و « الآن » ( من : أل + آن ) ، و « حيثما » و « كيفما » و « إذما » و « لولا » وغيرها <sup>(٧)</sup> وهذا من مظاهر الخلط بين النحت

(١) لسان العرب : مادة ( ليس ) . (٢) نفسه .

(٣) كقول الأزهري ( ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م ) : « حكى هشام عن الكسائي مثل هذا القول الشاذ عن الخليل . » لسان العرب : مادة ( لن ) .

(٤) كسطه الراوي . ينظر تاريخ علوم اللغة العربية : ٢٨ .

(٥) ثمة أدوات أخرى اختلف الاوائل في امرها منها « لكن » و « الا » و « اللهم » و « لهنك » . ينظر : مدرسة الكوفة : ٢١٥ - فما بعدها ، النحو العربي نقد وبناء : ١٧٣ - فما بعدها .

(٦) فقه اللغة : ١٨٢ . وقد تابعه على ذلك الدكتور سليم النعيمي . ينظر : مجلة المجمع العلمي العراقي ٩٨/٢٣ .

(٧) الفلسفة اللغوية : ٧٧ .

والتركيب مثله ما كان يقول به كارل بروكلمان (C. Brockelmann) من أن اللغات السامية لا تعرف تركيب الكلمات أو ما سماه بالادغام<sup>(١)</sup>. فان كان يعني التركيب المحض فتلك مجازفة ، سببها متابعة مطلقة لنظرية شليجل المذكورة في صدر البحث ، وقد استقر علم اللغة الحديث على رفض تقسيمات شليجل الحدية القاطعة ، وقرر أن اللغات الإنسانية اتخذت الأساليب المختلفة جميعاً تلك التي وردت في نظريته ، ولم يحل انتماء لغة الى فرع من الفروع الثلاثة بينها وبين الإفادة من الفرعين الآخرين في البنية والتركيب .<sup>(٢)</sup> وإن كان - بروكلمان - يعني التركيب النحوي ، فان العربية وغيرها قد عرفت النحت ، وأن مصادرها الاصلية جاءت بشواهد . وذكر الدكتور رمضان عبدالتواب أن بروكلمان لا يقصد التركيب النحوي ، وإنما « يقصد بذلك التركيب الذي في مثل ( حَبَقْر ) في العربية الفصحى ، و ( رسمال ) و ( ماوَرْد ) في اللهجات العربية الحديثة ؛ فان التركيب مع الاحتفاظ بجميع عناصر الكلمات الداخلة في التركيب أمر نادر في العربية . »<sup>(٣)</sup> وهذا كلام يوحى - أو يعني - إبعاد أمثال ( حَبَقْر ) عن التركيب النحوي ، ويعدها مثلاً على التركيب المحتفظ بجميع عناصره الأصلية . والحق أن هذه الكلمة منحوتة من ( حَبَقْر ) ومثلها ( عَبَقْر ) المنحوتة من ( عَبَقْر ) ، وكذا ( شَقَحَطَب ) المنحوتة من ( شَقَّ حَطَب )<sup>(٤)</sup> .

فالتضعيف في ( حَب ) و ( عَب ) و ( شَق ) لم يبق على حاله بعد التركيب ، فقد سقط أحد المثلين وبقي الآخر ، وهذا نحت لا تركيب مجرد .

ومن المقرر في علم الصرف العربي أن الكلمة المجردة اذا كانت فعلاً فانها لا تزيد على أربعة أحرف ، واذا كانت اسماً فانها لا تزيد على خمسة ، ولما كانت الكلمة المنحوتة تعدّ مجردة ، كل أحرفها أصل ، فانه ينطبق عليها قانون الصرف ذلك . على

(١) النحو العربي نقد وبناء ، ١٧٢ ، فصول في فقه العربية ٢٧١ .

(٢) علم اللغة : ص ( ١٠٨ - ١٠٩ ) .

(٣) فصول في فقه العربية : ص ( ٢٧١ - ٢٧٢ ) .

(٤) المزهر ٤٨٢/١ - ٤٨٤ . في جمهرة الأمثال ( ٢٤٥/١ ) لأبي هلال العسكري : « أبرد من عبقر ، وحبقر . وفي » « لسان العرب » - ح ب ق ر - : « إنه لأبرد من عبقر ، وأبرد من حبقر . » لكنه فتح الباء في مادة - ع ب ق ر - : بقوله : « إنه لأبرد من عبقر ، وأبرد من حبقر . » وفي صحاح الجوهري ( ع ب ق ر ) : « العب : اسم للبرد الذي ينزل من المزن وهو حب الغمام ؛ فالعين مبدلة من الحاء . والقمر : البرد » أما ( شَقَحَطَب ) فقد قال « اللسان » فيها : « كبش شَقَحَطَب : ذو قرنين منكربين ؛ كأنه شق حطَب » .

أن الملاحظ أيضاً أن ما جاءنا منحوتاً عن العرب من الافعال أو الاسماء لم يكن ليقبل عن أربعة أحرف ، فلم يؤثر عن علماء العربية أن قالوا بنحت كلمة حروفها أقل من ذلك <sup>(١)</sup> . وقد عزا الدكتور رمضان عبد التواب هذه الفكرة الى ابن فارس مشيراً إليه وحده والحق أن جميع ما روي من منحوتات عربية ( سواء أكانت على مذهب ابن فارس أم على ما أجمعت الكلمة على نحته ) — لم يتخذ صورة أقل من صورة الكلمة الرباعية . وقال الدكتور : « إننا نلاحظ أن ابن فارس لا يرى النحت الا فيما زاد على ثلاثة أحرف أما نحن فإننا نراه في بعض الكلمات الثلاثية كذلك ؛ فان كلمة ( أسمر ) مثلاً منحوتة — في رأينا — من ( أسود ) و ( أحمر ) . » <sup>(٢)</sup> وهو مجرد اجتهاد منه لم يدعمه ببراہين كافية أو أمثلة أخرى تمكن الباحث من رسم منهج في النحت الثلاثي ، فان المثال واحد ، لا يغني غناء الأمثلة المئات التي قدمها ابن فارس في رسم منهج النحت فيما زاد على ثلاثة أحرف . وعلى الرغم مما قال الدكتور ثانية : « وهناك الأمثلة الكثيرة التي تؤكد أن العربية تعرف النحت في كلماتها الثلاثية وغيرها » <sup>(٣)</sup> . . . فانه لم يأت بمثال غير ذلك المثال <sup>(٤)</sup> .

وغير غريب أن تخضع الكلمة المنحوتة لمقاييس واعتبارات تفضي الى صوغها صياغة مرضية مقبولة تباعد بينها وبين كل مما قد يهبط بها عن المستوى الخاص بوضع الالفاظ وتكوينها . وقد جرّ ذلك الى الاعتقاد بأن ليس ثمة قياس في النحت ولا قاعدة ، ولكن يجري الأمر فيه على مذاهب شتى ومسالك متباينة ، وأنه إذا جاز استنباط قاعدة من بعض المنحوتات فان نقضها بمنحوتات أخرى قريب سريع . فذهب بعض الباحثين الى أنه « حين نستعرض الشواهد الصحيحة المروية عن العرب في النحت لا نكاد نلاحظ نظاماً محدداً نشعر معه بما يجب الاحتفاظ به من حروف وما يمكن الاستغناء عنه . وليس يشترك بين كل تلك الأمثلة سوى أنها في الكثرة الغالبة منها تتخذ صورة الفعل أو المصدر وأن الكلمة المنحوتة في غالب الاحيان رباعية الاصل » <sup>(٥)</sup> . فاذا حاولنا الوقوف

(١) والكلمة المنحوتة إما أن تكون اسماً مثل : شقحطب « أو وصفاً مثل « ضبطر » أو منسوباً مثل : « عشمي » أو فعلاً مثل ( بسل ) . ينظر تفصيل لذلك في الاشتقاق والتعريب ص ١٣ - ١٥ .

(٢) فصول في فقه العربية ٢٧٠ .

(٣) فصول في فقه العربية ٢٧١ .

(٤) وقع النحت في بعض الأدوات على ما تقدم بيانه (ص ١٦٣-١٦٤) والثلاثي منها نادر جداً مثل ( ليس ) .

(٥) من أسرار اللغة ٨٧ .

على حقيقة هذا ، والوصول الى معرفة مدى خضوع المنحوتات العربية لقاعدة أو قواعد ،  
لزمنا أن نستحضر أولاً ما تقدم به القول من أن المنحوت لا يقل عن أربعة أحرف ،  
وأنه لا بد أن يقع فيه التهذيب والإسقاط ، تمييزاً له من سائر المركبات. يضاف الى  
ذلك هنا أنه لا بد أن يكون لكلٍ من الكلمتين المنحوت منهما معنى يختلف عن معنى  
الكلمة الأخرى ، فيجتمع المعنيان في الكلمة الجديدة المنحوتة . ولا يختلف النحت  
من ثلاث كلمات أو أكثر <sup>(١)</sup> عن النحت من كلمتين في هذا الباب . ذلك أن العرب  
تكتفي غالباً بلفظين فقط سواء أرادت النحت من لفظين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر ،  
وأنها إنما تنتقي ذينك اللفظين بما يضمن الدلالة على المقصود ، ويحقق استحداث  
اللفظ الجديد . فقد نحت المتقدمون ( دَمَعَز ) من : ( أدام الله عزك ) ، و ( كبتع )  
من ( كبت الله عدوك ) ، و ( طلبق ) من ( أطال الله بقاءك ) ، و ( حولق ) من ( لا  
حول ولا قوة الا بالله <sup>(٢)</sup> ) . وذلك ، كما قلت ، هو الأغلب الأعم ، لا ينفيه ما قد  
يكون من نحت لا يكتفي باللفظين ، كقولهم : ( مشكن ) من ( ماشاء الله كان )  
حيث أخذت الكلمة المنحوتة من ثلاثة ألفاظ ، هي : ( ما ) و ( شاء ) و ( كان ) .  
ولو عددنا ( ما شاء ) - وهما موصول وصلته - كلمة واحدة ، أو بحكمها ، لما شذّ  
هذا المثال عن المنهج المرسوم . ولقد رأيت الدكتور إبراهيم أنيس يعد ( جُعِلْتُ ) من  
الفعل والنائب عن الفاعل كلمة واحدة في هذا المضمار ، فقال إن النحت من ( جعلتُ  
فذاك ) مثال على الكلمة المنحوتة من كلمتين <sup>(٣)</sup> . وليس الترابط في ( ما شاء ) بأضعف  
منه في ( جُعِلْتُ ) ؛ إذ صرح علماء العربية أن الموصول مفتقر في جميع أحواله الى  
الصلة ، وأنه لذلك أشبه الحرف في ملازمة الافتقار ، فكان هذا سر بنائه وعلته . ومن  
الجدير بالذكر هنا أن اللجنة <sup>(٤)</sup> التي ألفها مجمع اللغة العربية بالقاهرة لدراسة المنحوتات  
العربية قد ذهبت في حكم علم إلى « أنه لا يجب في النحت الأخذ من كل كلمة

(١) تنظر أمثلة المنحوتات من ثلاث كلمات أو أكثر . في كتاب : من أسرار اللغة ٨٧ .

(٢) ذهب الثعالبي ( ٤٢٩ هـ ) في كتابه ( فقه اللغة ٢١٧ ) الى أن ( حيل ) منحوت من ثلاث كلمات  
هي ( حي على الفلاح ) والصواب أنه منحوت من كلمتين فقط هما ( حي على ) . ينظر الى ص ( ١٦٣ ، ١٧٣ )  
من هذا البحث . وقد قال الدكتور إبراهيم أنيس ( من أسرار اللغة ٨٧ ) وعبدالله العلايلي ( مقدمة لدرس  
لغة العرب ٢٣٤ ) بمثل ما قال . الثعالبي .

(٣) من أسرار اللغة ٨٧ .

(٤) أعضاء اللجنة : الشيخ إبراهيم حمروش ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ عبدالقادر المغربي ، والاستاذ  
مصطفى نظيف ، والدكتور أحمد زكي .

من المنحوت منه ، فان ( الدمعزة ) و ( الكتبتة ) لم يؤخذ فيهما حرف من حروف لفظ الجلالة . » <sup>(١)</sup> . وهذا استنباط لم يلتفت الى أن العرب يكتبون عند النحت غالباً بلفظين فقط من الثلاثة أو الاربعة أو الاكثر . وهو بعدُ استنباط عام يشمل النحت من كلمتين مثلما يشمل النحت من أكثر منهما ، وليس ذلك كذلك ، فانه في الحقيقة استنباط خاص لا يشمل الا النحت من ثلاث كلمات أو أكثر ، وإلاّ فهل يجوز تطبيق هذا القول : « لا يجب في النحت الأخذ من كل كلمة من المنحوت منه » على النحت من كلمتين ؟ ! .

ومما يلزم الالتفات إليه في استنباط قاعدة النحت أن حروف المنحوت منه يجب أن تبقى على ترتيبها بعد النحت ، فلا يسوغ التلاعب بهذا الترتيب بتقديم الحروف وتأخيرها . وقد ذهب بعضهم الى أن ذلك غير ملزم ، وأشارت اللجنة المذكورة الى أن ابن فارس قد قال إن « ( حوقل ) بتقديم القاف على اللام منحوت : ( لا حول ولا قوة الا بالله ) ، وأن ( الجعفلة ) : منحوت قول ( جعلت فداك ) . » <sup>(٢)</sup> ومع أنني لم أعثر على مثل هذا القول عند ابن فارس فان ما جاء من أقوال العلماء في هاتين الكلمتين ( حوقل ) و ( جعفل ) يعيدهما الى الأصل ويبعهدهما عن مخالفة الترتيب والانتظام . قال ابن دحية في كتابه ( التنوير ) : « الحولقة : قول ( لا حول ولا قوة الا بالله ) ، ولا تقل : ( حوقل ) بتقديم القاف ، فان الحولقة مشبهة الشيخ الضعيف . » <sup>(٣)</sup> ثم رأيت السيوطي ( ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م ) ينقل في « المزهري » أن كلاً من ابن السكيت ( ٢٤٤ هـ - ٨٥٨ م ) في « إصلاح المنطق » والتبريزي ( ٥٠٢ هـ - ١١٠٩ م ) في « تهذيب إصلاح المنطق » قد أجاز الوجهين معاً : ( الحولقة والحولقة ) <sup>(٤)</sup> ، بيد أنني لم أعثر في « إصلاح المنطق » على غير ( الحولقة ) ، إذ يقول مؤلفه ابن السكيت : « وقد اكثر من الحولقة اذا اكثر من قول ( لا حول ولا قوة الا بالله ) . » <sup>(٥)</sup> أما ( جعفل ) بتقديم الفاء على اللام خلافاً لمقتضى الترتيب فان ابن دحية نفى هذا النحت أيضاً وقال : الصواب ( جعفل ) بالدال <sup>(٦)</sup> . وإنه لعلحق ، وإن ( جعفل ) باللام مردود من جهتين :

- (١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٠١/٧ .
- (٢) نفسه . من أورد ( حوقل ) العلايلي ( مقدمة ٢٣٤ ) والدكتور ابراهيم أنيس ( من أسرار اللغة ٨٧ . )
- (٣) المزهري ٤٨٣/١ .
- (٤) المزهري ٤٨٣/١ .
- (٥) اصلاح المنطق : ٣٠٣ .
- (٦) المزهري ٤٨٤/١ . أورد الدكتور ابراهيم أنيس ( جعفل ) . ينظر : من أسرار اللغة ٨٧ .



الأولى — من حيث الترتيب ؛ فان ( جعلت فداك ) تلزم جعل اللام قبل الفاء  
الثانية — من حيث النحت والتأليف ، فان الأفعال الأخرى المنحوتة على غرار هذا  
الفعل إنما تجمع الحرفين ( الأول والثاني ) من الكلمة الأولى الى نظيريهما من الكلمة  
الثانية ، كقولهم : ( جعل ) ، من ( حيّ على ) ، وذلك يتحقق في ( جعفل ) ،  
ولا يتحقق في ( جعفل ) .

ثم ذكرت اللجنة أن الشهاب الخفاجي ( ١٠٦٩ هـ - ١٦٥٨ م ) قد ثبت لفظ  
( الطبلقة ) بتقديم الباء على اللام في كتابه « شفاء الغليل » ، وأوضحت أن بعض  
العلماء يوجب ترتيب الحروف في المنحوت والمنحوت منه ، وأنهم لذلك خطئوا الخفاجي  
فيما ذكره من ( الطبلقة ) <sup>(١)</sup> . وعلى الرغم من هذا التصريح وجدت الدكتور ابراهيم  
أنيس يثبت ( طبلق ) على أنه منحوت من ( أطال الله بقاءك ) <sup>(٢)</sup> والذي يجب أن أقف  
عنده هنا أن ( طبلق ) تعني مثلاً ثالثاً ( بعد : حوّل وجعفل ) يساق في بيان عدم  
لزوم الترتيب ، وأنه لذلك يتحتم النظر في هذا المثال والقول فيه بما يؤيد صورته  
هذه أو ينفيها ، ويعيدها الى الاصل وهو ( طبلق ) بتقديم اللام على الباء .

وكنتم مطمئناً الى أن الشهاب الخفاجي قد أورد تلك الكلمة ( طبلق ) في « شفاء  
الغليل » ، وأن العلماء قد ردّوا عليه ما ذكر ، استناداً الى تقرير تلك اللجنة العلمية <sup>(٣)</sup> .  
ولكنني فوجئت بالخفاجي يقول في كتابه ذلك : « طبلق : قال ( أطال الله بقاءك )  
مولدة . قال ابن حجاج :

لكنني كنت في محلّ مدّمعزّاً عندّها مُطْلَبَقٌ

أي يقال لي : ( أدام الله عزك وأطال بقاءك ) . « <sup>(٤)</sup> فلم يقل الخفاجي ( طبلق ) ،  
ولم يخرج عما جاءت به المظان وقال به الجميع ، فمن ذا الذي نسب إليه ذلك ؟ ومن  
أولئك العلماء الذين خطئوه !

إن الكلمة المنحوتة لا تفقد في ميلادها بطريقة النحت شيئاً أو خاصةً من خصائص  
الكلمة العربية ، أو مقوماً من مقومات شخصيتها ؛ فتلك الكلمة المنحوتة إذا كانت

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٠٢/٧ .

(٢) من أسرار اللغة ٨٨ .

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٠١/٧ .

(٤) شفاء الغليل ١٧٦ .



إذا كانت فعلاً فإنها يجب أن توضع على صورة واحد من أوزان الفعل العربي ، وأن تخضع لجميع أحكامه من التعدي والوزوم وغيرها . وإذا كانت اسماً فإنها توضع على وزن اسمي ( وان تخضع لأحكام الاسم كذلك ) لأن أحداً لا يحق له الزعم أنه يصنع كلمة عربية على وزن غير عربي !! ليس ذلك حسب ولكن الكلمة المنحوتة في هذه اللغة العريقة كأية كلمة أخرى بسيطة أو مركبة يجب أن تخضع لقانون التأليف اللغوي في المفردات العربية . ولما كانت الكلمة المنحوتة لا تقل عادة عن أربعة أحرف أصلية على ما سبق البيان <sup>(١)</sup> فإن ذلك يقتضي ضرورة أن يشتمل كل كلمة منحوتة على حرف من أحرف الذلاقة أو أكثر من حرف منها ، وهي : الفاء والباء والميم والراء والنون واللام ؛ تطبيقاً لقانون لغوي عرفته الكلمات العربية الرباعية والخماسية . قال ابن دريد ( ٣٢١ هـ - ٩٣٣ م ) في مقدمة « الجوهرة » : « إعلم أن أحسن الأبنية عندهم أن يبنوا بامتزاج الحروف المتباعدة . ألا ترى أنك لا تجد بناء رباعياً مُصنَّمت الحروف لامزاج له من حروف الذلاقة إلا بناء يجعل بالسين ، وهو قليل جداً ، مثل عسجد ، وذلك أن السين لينه وجرسها من جوهر الغنة فلذلك جاءت في هذا البناء . فأما الخماسي مثل فرزدق وسفرجل وشمردل ، فأنك لست تجد واحدة إلا بحرف وحرفين من حروف الذلاقة من مخرج الشفتين أو أسلة اللسان ؛ فان جاءك بناء يخالف ما رسمته لك ، مثل : دعشق وضعج وحضافج وصفعجج أو مثل عقجش وشفعج ، فإنه ليس من كلام العرب فارْدُدْهُ <sup>(٢)</sup> . ولا يتحقق الائتلاف المطلوب في النسيج الصوتي للمنحوت إلا بعد النظر في أمر آخر هو الحذر من الوقوع في تنافر الحروف ؛ إذ لا يجوز اجتماع حرفين متنافرين في كلمة عربية ، فلا يجتمع الصاد والجيم ، ولا الهاء والعين ، ولا العين والحاء . . . وغير ذلك مما نبه عليه الأولون وفي مقدمتهم الخليل <sup>(٣)</sup> .

إن هذه الخصائص المتقدمة مطلوبة في كل كلمة ننحت فلا يصح الغفول عن واحدة منها ، أو الاستغناء ببعضها عن بعض . على أن ما روي من المنحوتات العربية يمكن تصنيفه إلى طوائف يكون لكل منها منهج يميزه عند إرادة النحت . فقد دل

(١) ص (١٦٦) .

(٢) الجوهرة ١١/١ .

(٣) ينظر تفصيل ذلك في مقدمة الجوهرة والمزهر ( ١٩١/١ - فما بعدها ) حيث بيان متى تثقل الحروف في بناء الكلمة العربية ومتى تنافر فلا تجتمع ، ثم أضرب التأليف وأحسن الابنية وأكثر الحروف استعمالاً وتآلفاً ورتب الفصاحة ؛ إذ « أن الكلمة تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قريباً أو بعداً . » المزهر ١٩٧/١ .

الاستقراء على أن الالفاظ التي نحت منها العرب كلماتهم في مختلف العصور قد كانت على الهيآت الآتية :

الهيئة الاولى - ألفاظ تؤلف مركباً إضافياً : وقد أتت على صورتين :

(أ) مركب إضافي مصدر بلفظ « بني » نحو : بني الحارث ، وبني العنبر ، وبني عجلان ، وبني القَيْن ، وبني الهُجَيْم .

(ب) مركب إضافي غير مصدر بلفظ « بني » ، نحو : تيم الله ، وامرئ القيس ، وعبد شمس ، وعبدالدار ، وعبد القيس ، وسوق مازن ، وسوق الليل ، وسوق وردان ، ودار البطيخ ، وشق حطب ، وحب قر ، وعب قر .

الهيئة الثانية - ألفاظ تؤلف جملة تامة : نحو : بسم الله ، وسبحان الله ، وحسبي الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، وأدام الله عزك ، وكبت الله عدوك ، وجعلت فداك ، وما شاء الله كان ، وحيّ على ، وبأبي أنت .

الهيئة الثالثة - ألفاظ ليست مركبة ، بل هي أصول مستقلة ، نحو : ( الشافعي ، أبي حنيفة ) - و ( أبي حنيفة ، المعتزلة ) - و ( عجم ، ضاجم ) - و ( لا ، أن ) - و ( لا ، أيس ) - و ( بتر ، حتر ) - و ( بحث ، بثر ) و ( زمخ ، بزخ ) - و ( بطح ، بلط ) - و ( ضبر ، ضبط ) - وغير ها كثير .

فكيف نحت المأضون كلماتهم من كل هيئة من هذه الهيآت ؟ إنهم إن كانوا سلكوا في ذلك سبيلاً ، أمكن إذن الاهتداء إليه والاعتماد عليه والاقتداء به فيما يعرض لنا اليوم من حاجة الى نحت جديد يثمر مفردات جديدة .

الهيئة الاولى :

(أ) المركب الإضافي المصدر بلفظ « بني » : نحت العرب من هذا المركب كلماتهم ، فقالوا : بلحارث ، وبلعنبر ، وبلعجلان وبلقَيْن ، وبلهْجَيْم . وواضح مسلكهم في هذا النحت اذ يسقطون النون والياء من اللفظ الأول : « بني » ، ويسقطون الهمزة من « أل » التعريف في اللفظ الثاني . وقد أوضح هذا سيبويه في « الكتاب » حين قال معقّباً على قول العرب « بلعنبر » و « بلحارث » : « وكذلك يفعلون بكل قبيلة يظهر فيها لام المعرفة . فأما إذا لم تظهر اللام فيها فلا يكون ذلك » (١) .

(١) كتاب سيبويه ٤/٤٨٤ . أخذ السيوطي ( المزهري ١/٤٨٥ ) هذا النص من صحاح الجوهري ولم يشر الى كتاب سيبويه .

( ب ) المركب الإضافي غير المصدر بلفظ « بني » : قال ابن مالك ( ٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م : « قد يبني من جزئي المركب ( فعلل ) بقاء كل منهما وعينه ؛ فان اعتلت عين الثاني كمل البناء بلامه ، أو بلام الأول ، ونسب إليه . » (١) . وبين أن قول ابن مالك : « فان اعتلت عين الثاني » يجب أن يسبقه ما يعالج اعتلال عين الأول ، وذلك ما لم يشر إليه ، فاستدركه عليه البدر الدمايني ( ٨٢٧ هـ - ١٤٢٣ م ) بقوله : « ولم يتكلم على اعتلال عين الأول ، وقد وقع » . قالت العرب في النسبة الى دار البطيخ : دَرَبَخِي ، بحذف العين من الأول ، على قياس تلك المسألة ، وبحذفها من الثاني أيضاً ، وهو خلاف قياس تلك ؛ فكأنهم أجروا على الثاني الحكم الثابت للأول ، فأتبعوه له في الحكم » (٢) .

إن هذين النصين كفيلا بشق الطريق نحو قاعدة غالبية في النحت من المركبات الإضافية ، ليكون أساسها قول ابن مالك : « يبني من جزئي المركب ( فعلل ) بقاء كل منهما وعينه » على أن يراعى في ذلك أمران : -  
الأول - اعتلال عين الأول أو عين الثاني : وهذا يقضي حذف العين سواء في الأول أو الثاني .

الثاني - قد يظل كل من جزئي المركب خاضعاً لقول ابن مالك في أخذ حرفين اثنين منه : ( الفاء والعين ) ، وقد يختلف الأخذ بما لا يقل عن واحد ، ولا يزيد على ثلاثة . فالنحت من ( عبد شمس ) مثلاً ، يكون بأخذ حرفين ( الفاء والعين ) من كل جزء ، فيقال « عبشم » ، وعند النسبة « عبشمي » . فاذا اعتلت عين الجزء الأول - ومثاله « دار » من « دار البطيخ » - أو عين الجزء الثاني - ومثاله « قيس » من « عبد القيس » - فلا محالة من حذف العين والتعويض باللام (٣) . وهذا يعني أن الاعتلال لا يؤثر في الأصل العام ، وهو أخذ حرفين ؛ حيث التعويض عن الحرف المحذوف لازم . أما الإكتفاء بحرف واحد ، فمثاله « مازن » من « سوق مازن » ، فيقال في النحت ( سَقَزِي ) وأما أخذ ثلاثة أحرف ، فمثاله ( حَطَب ) من ( شَق حطب ) فيقال : « شَقَّحَطَب » . وقد جمع الأمران - الإكتفاء بحرف واحد والتجاوز الى ثلاثة - في قولهم من ( تيم الله ) : تيملي .

(١) تسهيل الفوائد ٢٦٢ .

(٢) تعليق الفرائد للدمايني : باب النسب . ( نقلا عن الاشتقاق ٤٢٣ ) .

(٣) فقالوا : « دربخي » من « دار البطيخ » و « عبسي » من « عبد القيس »

## الهيئة الثانية — الجملة :

نحت العرب في عصور الاسلام من الجمل ، التي سبق ذكرها <sup>(١)</sup> ، أفعالاً رباعية على وزن « فعلل » ، ومصادرها « فعلة » . قال الخليل يعقب على نحت الفعل « حيعل » : « فهذه كلمة جمعت من « حي » ومن « على » وتقول منه : حيعل يحيعل حيلة . وقد أكثر من الحيلة . أي من قول : حي على <sup>(٢)</sup> وهكذا قالوا في نحت ما تقدم من تلك الجمل : بَسْمَل — بَسْمَلَة ، وَسَبَّحَل — سَبَّحَة ، وَحَسْبَل — حَسْبَة ، وَحَمْدَل — حمدلة ، وَحَوَّلَق — حولقة . وقالوا أيضاً : دمعر — دمعرَة ، وجعفد — جعفدة ، وسمعل — سمعة ، ومشأل — مشألة ، ومشكن — مشكنة . ويدل النظر في هذه المنحوتات أن الناحتين سلكوا الطريقة الخاصة التي نحت بها العرب في العصر الجاهلي المركبات الإضافية غير المصدرة بلفظ « بني » ، التي سبق حديثهما هذه الفقرة من هذا البحث . ذلك أنهم نحتوا كل فعل من الأفعال المذكورة من كلمتين اثنتين مركبتين ، وهذا شأنه شأن تلك المركبات الإضافية . واتضح قبل قليل أن النحت من هذه المركبات يكون بأخذ حرفين اثنتين من كل جزء من المركب « هما : الفاء والعين » . وهو ما ينطبق على قولهم مثلاً : « جعفد » من « جعلت فداك » ، فاذا روعي الاعتلال في عين الجزء الأول أو الثاني فقل : « دمعر » من « أدام الله عزك » ، و « طلبق من « أطال الله بقاءك » ، و « مشكن » من « ما شاء الله كان » . . . أما عند مراعاة التجاوز الى ثلاثة أحرف ، أو الاكتفاء بحرف واحد ، أو كلا الأمرين كما في « تيملي » من « تيم الله » ، فان ذلك يتضح في قولهم : « بسمل » من « بسم الله » ، و « سبجل » من « سبحان الله » ، و « حسبل » من « حسبي الله » ، و « حمدل » من « الحمد لله » . . . فان ذلك كله إنما وقع بأخذ ثلاثة أحرف من الكلمة الأولى وحرف من الكلمة الأخرى .

الهيئة الثالثة — الاصول المستقلة :

من الممكن أن تصنف هذه الطائفة صنفين :

الأول — كلمات متناثرة قليلة ، مثل : « الشافعي » ، أبي حنيفة » ، و « أبي حنيفة ، المعتزلة » ، ومثل بعض الأدوات المنحوتة من كلمات مستقلة في الاصل نحو : « لن وليس » وغير ذلك <sup>(٣)</sup> . قال ابن الفرحان في كتابه « المستوفي » : « ينسب الى الشافعي

(١) ص ( ١٧١ ) .

(٢) العين ٦٨/١ .

(٣) ينظر ص ( ١٦٣ - ١٦٤ ) من هذا البحث .

مع أبي حنيفة : شفعتي ، وإلى أبي حنيفة مع المعتزلة : حنفتي . « (١) وقد عقب محققو كتاب الزهر على هاتين الكلمتين بقولهم : « لم نقف على ضبطهما فيما بين أيدينا من كتب اللغة . وقياساً على الثانية نرجح أن تكون الأولى : : شفعتي » (٢) والذي أراه أن حمل الواحدة منهما على الأخرى لا يعطي الإجابة الشافية في هذه المسألة ؛ لأن ذلك يجعل إحداها أصلاً : ( المقيس عليه ) ، والثانية فرعاً : ( المقيس ) . وليس ثمة ما يقطع بصدق هذا القياس ؛ إذ لا تفاضل بين الكلمتين هنا بعد أن تبين في القول المتقدم عدم وقوف القائلين على ضبطهما فيما بين أيديهم من كتب اللغة . ولمصطفى صادق الرافعي رأي في هاتين الكلمتين ، أراه أولى وأسدً ، إذ ربط بين نحت العرب في العصر الجاهلي لكلمة ( عبشي ) ونحت هاتين الكلمتين ، فقال : « قلت : كذا في الأصل ( يعني : شفعتي وحنفتي ) . ولعله من اصطلاح بعض المتأخرين من الفقهاء والذي يطابق مذهبهم أراه أن تكون : « شفحتي » و « حنشفي » بوزن « عبشي » في كليهما . « (٣) لكن ما قال به الرافعي في : « شفعتي وحنفتي » يختلف كلياً عما قال به ابن فرحان قبل قليل . قال الرافعي : « ينسب المولدون إلى الإمامين الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله ، فيقولون : شفعتي وحنفتي . « (٤) فهاتان الكلمتان على قول الرافعي تقالان في مقام واحد لا في مقامين كما ذكر ابن فرحان (٥) ، وكما أن ذلك هو الذي سوغ للرافعي أن يقترح ( شفحتي وحنشفي ) ، لأن كلاهما يصلح للنسبة إلى الشافعي وأبي حنيفة ، ولا يصلح للنسبة إلى أبي حنيفة والمعتزلة . وعلى كل حال ، فإن اقتراح الرافعي باخضاعه تينك الكلمتين لوزن ( عبشي ) يلحقهما وأمثالها بطريقة النحت من المركب الإضافي غير المصدر بلفظ « بني » المتقدم بيانها .

الثاني — الكلمات المنحوتة على مذهب أحمد بن فارس ، التي أفاض في بيانها في معجمه المشهور « مقاييس اللغة » . وقد أقام مذهبه على الأساس الآتي : إن ما زاد على ثلاثة أحرف فأكثره منحوت من أصول مستقلة . وهو لا ريب لمذهب متفرد به يؤدي إلى توسعة النحت في اللغة العربية وإلى عدد شواهد وأمثله على أنها مئات لا عشرات

(١) الزهر ٤٨٥/١ .

(٢) الزهر ٤٨٥/١ — الحاشية الأولى .

(٣) تاريخ آداب العرب ١٨٧/١ — الحاشية الثانية .

(٤) تاريخ آداب العرب ١٨٧/١ .

(٥) المقام الواحد هو ( الشافعي ، أبو حنيفة ) والمقامان هما : ( الشافعي ، أبو حنيفة ) و ( أبو حنيفة ،

المعتزلة ) .

ومن ذلك : ( بُحْتَرُ ) ، وهو القصير المجتمع الخلق ، فهذا منحوت ، من كلمتين : الباء والتاء والراء ، وهو من بترته فبتر ، كأنه حرم الطول فبتر خلقه ، والكلمة الثانية الحاء والتاء والراء ، هو من حَتَرْتُ واحترتُ وذلك أن لا تفضل على أحد . «<sup>(١)</sup> وكذلك « بحثر » من « بحث » و « بثر »<sup>(٢)</sup> ، و « بز مخ » من « زمخ » و « بسزخ »<sup>(٣)</sup> ، و « بلطح » من « بطح » و « أبلط »<sup>(٤)</sup> . . . .

لقد ذكر ابن فارس مذهبه في كتابه « الصحابي » فقال : « هذا مذهبنا في أن الاشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد (ضَبَطَر) من (ضَبَطَ) و (ضَبَرَ) . «<sup>(٥)</sup> وكان طبق هذا المذهب في كتابه « المقاييس » وقال : « اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق ؛ وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت »<sup>(٦)</sup> . ثم استدرك على ذلك أن ما ذكره من مقاييس الرباعي ضربان ؛ قال : « إن ذلك على ضربين أحدهما المنحوت الذي ذكرناه ، والضرب الآخر الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس »<sup>(٧)</sup>

انفرد ابن فارس بهذا المنهج ، وحاول فيه أن يفسر ظاهرة الكلمات الزائدة على الثلاثة ؛ فكان أن خرج أن أكثرها منحوت من كلمتين : احتفظت احداهما بأحرفها ، واكتفى من الثانية بحرف واحد فقط ، يكون دليلاً على تلك الكلمة برمتها . وليس ذلك بالغريب ؛ فقد سبق القول أن أخذ ثلاثة أحرف من الكلمة الأولى وحرف واحد من الكلمة الأخرى ، ضرب من النحت عرفته العربية في بعض المركبات ، أمثال « تيملي » من « تيم الله » و « حسبل » و « بسمل » و « حمدل » وغيرها من « حسبي الله » و « بسم الله » « بسم الله » و « الحمد لله » . . . ومثل هذا ما قد يقع عند النسبة الى المركب المزجي مثل قولهم : « حضرمي » من « حضرموت » . وقد كشفت الشواهد الكثيرة التي جاء بها ابن فارس على أن ذلك الحرف الواحد قد يزداد أول الكلمة الأولى ( تصديراً ) كما في

(١) مقاييس اللغة ٣٢٩/١ .

(٢) مقاييس اللغة ٣٢٩/١ - ٣٣٠ .

(٣) مقاييس اللغة ٣٣١/١ .

(٤) مقاييس اللغة ٣٣٠/١ - ٣٣١ .

(٥) الصحابي ٢٧١ .

(٦) مقاييس اللغة ٣٢٨/١ .

(٧) مقاييس اللغة ٣٢٩/١ .



« برقع » المنحوتة من « رقع » وزيادة الباء <sup>(١)</sup> ، وفي « دَمَشَق » المنحوتة من « مشق » وزيادة الدال <sup>(٢)</sup> ، وفي « بَرَقِش » المنحوتة من « رَقش » وزيادة الباء <sup>(٣)</sup> . وقد يزداد الحرف الواحد وسط الكلمة الأولى ( حشواً ) كما في « بلطح » المنحوتة من « بَطح » وزيادة اللام <sup>(٤)</sup> ، وفي « بلهس » المنحوتة من « بهس » وزيادة اللام <sup>(٥)</sup> ، وفي « بهنس » المنحوتة من « بهس » وزيادة النون <sup>(٦)</sup> . وقد يزداد ذلك الحرف آخر الكلمة الأولى ( كَسْعاً ) شأن بعض المركبات المنحوتة المشار إليها — أمثال : بسمل وحمدل وحولق وغيرها — ومن ذلك « البرزخ » حيث الخاء هي الزائدة <sup>(٧)</sup> ، و « بلسم » حيث الميم هي الزائدة <sup>(٨)</sup> ، و « حسدرج » و حيث الجيم هي الزائدة <sup>(٩)</sup> ، و ( جُعْفِل ) حيث اللام هي الزائدة <sup>(١٠)</sup> . . . إن ذلك كله يذكّر بالنظرية الثنائية في علم اللغة الحديث ، وهي أن اللغة ثنائية الأصل انتقلت من بعد الى الحالة الثلاثية بزيادة سابقة في الاول أو محشوة في الوسط أو لاحقة في الآخر ، مما يدعو الى اعجاب بنظرات ابن فارس الثاقبة في هذا السبق العلمي الجليل . أما كيف اهتدى هذا العالم اللغوي الى الحروف الاصول للكلمة الاولى ، والحرف الوحيد الباقي من الكلمة الأخرى الرامز لها ، فذلك راجع الى تحديده معنى الكلمة المنحوتة كلها وكيفية استعمالها ، ثم تحديده المعنى الخاص بالكلمة الناتجة عن عزل حرف واحد من الكلمة المنحوتة والربط الدقيق بين المعنيين لتثبيت العلاقة قال مثلاً في « بلعوم » ، وهي على مذهبه كلمة منحوتة من « بلع » وزيادة الميم بعد إشباع الواو <sup>(١١)</sup> : « البلعوم : مجرى الطعام في الحلق . وقد يحذف ، فيقال : بُلْعُم . وغير مشكل أن هذا مأخوذ من « بلع » ، إلا أنه زيد عليه ما زيد لجنس من المبالغة في معناه <sup>(١٢)</sup> . وعلى هذا المنوال عالج الكثير من الكلمات ، أمثال : البحظلة ، والبرشاع ،

(١) مقاييس اللغة ٣٣٤/١ . وذلك شبيه بنحت ( بلعير ) و ( بلحارث ) . . .

(٢) مقاييس اللغة ٢٣٨/٢ .

(٣) مقاييس اللغة ٣٣١/١ .

(٤) مقاييس اللغة ٣٣٠/١ - ٣٣١ .

(٥) مقاييس اللغة ٣٣١/١ .

(٦) مقاييس اللغة ٣٣١ / ١ .

(٧) مقاييس اللغة ٣٣٣/١ .

(٨) مقاييس اللغة ٣٣٤/١ .

(٩) مقاييس اللغة ١٤٦/٢ . وذلك شبيه بنحت ( بسمل ) و ( حمدل ) . . .

(١٠) مقاييس اللغة ٥٠٦/١ .

(١١) مقاييس اللغة ٣٢٩/١ .

(١٢) مقاييس اللغة ٣٢٩/١ .

والبرغثة ، والبرجمة ، وغيرها <sup>(١)</sup> . ولكن ابن فارس لا يتردد أن يذكر الكلمة المحذوفة ويعين المادة الثلاثية الغائبة التي لم يبق منها الا حرف واحد ، هو من الآثار الدالة عليها ؛ كقوله في « ضَبَطَرُ » : إنه من « ضبط » و « ضبر » <sup>(٢)</sup> - وهذا مثال الاسم الرباعي المنحوت ، وكقوله في « صَهْصَلِق » : إنه من « سهل » و « صلق » <sup>(٣)</sup> - وهذا مثال الاسم الخماسي المنحوت ، وكقوله في ( بز مخ ) : إنه من « بزخ » و « زمخ » <sup>(٤)</sup> - وهذا مثال الفعل الرباعي المنحوت . ومن هنا كان واضحاً أمام ابن فارس أن الكلمة العربية الزائدة على ثلاثة أحرف إنما يفسر ظهورها على هذا النحو الذي يجمل ابن فارس مسالكه بقوله : « فممنه ما نحت من كلمتين صحيحتي المعنى ، مطردتي القياس . ومنه ما أصله كلمة واحدة وقد ألحق بالرباعي والخماسي بزيادة تدخله . ومنه ما يوضع كذا وضعاً . » <sup>(٥)</sup> . ومن المحدثين من ردّ على ابن فارس بأن ثمة وسائل أخرى لخلق الرباعي في العربية ، كوسيلة المخالفة الصوتية ، وهي « إبدال أحد الحرفين المتماثلين في صيغة « فعّل » حرفاً يغلب أن يكون من الحروف المائعة أو المتوسطة ( ل م ن ر ) ، مثل : « تفرّصع » بمعنى : سال في مشيته ، فأصلها « تقصّع » خولفت فيها الصاد الأولى ، وجعلت راء » <sup>(٦)</sup> . وعليه ، رأى الدكتور رمضان عبدالتواب أن بعض ما عدّه ابن فارس نحتاً ، مثل الفعل : « برجم » من « بجم » وزيادة الراء <sup>(٧)</sup> ، ليس كذلك ، بل هو كلمة « ناتجة عن طريق المخالفة من الفعل : « برجم » . وكذلك « تبلخص لحمه » <sup>(٨)</sup> بمعنى غلظ ، أصلها : « تبخص » ، ومثلها « بلطح » <sup>(٩)</sup> ، فهي مأخوذة من « بطح » بمعنى ضرب نفسه في الارض » <sup>(١٠)</sup> . ويضيف الدكتور : أن المخالفة الصوتية قد تحدث « بتكرار الحرف الأول من الكلمة عوضاً عن أحد المتماثلين فيها ؛ مثل :

(١) ينظر مثلاً : مقاييس اللغة ٣٣٢/١ - ٣٣٥ .

(٢) مقاييس اللغة ٤٠١/٣ ، الصاحبى ٢٧١ .

(٣) مقاييس اللغة ٣٥١/٣ ، الصاحبى ٢٧١ .

(٤) مقاييس اللغة ٣٣١/١ .

(٥) مقاييس اللغة ٥٠٥/١ .

(٦) فصول في فقه العربية ٢٧٠ .

(٧) مقاييس اللغة ٣٣٣/١ .

(٨) مقاييس اللغة ٣٣١/١ .

(٩) مقاييس اللغة ٣٣٠/١ - ٣٣١ .

(١٠) فصول في فقه العربية ٢٧١ .

« كفكف دمعته » بدلاً من « كفّف »<sup>(١)</sup> . ثم أدخل في وسائل خلق الرباعي استعمال وزن « افعال » في الشعر بإقحام همزة فيه ، مثل : « اطمأن » قائلاً : « إن هذه الهمزة الناشئة من الوزن الشعري قد تقلب عيناً كما في لهجة تميم ، وعندئذ يتولد عندنا أمثال « اقشعر » و « ابذعر »<sup>(٢)</sup> .

والحق أن هذا التفسير إن طبق على بعض شواهد ابن فارس فلا يصح تطبيقه عليها ، بل إنه لا يهدم تحليل ابن فارس لتلك الشواهد التي طبق عليها هذا التفسير ، أمثال « برجم » و « بلطح » وغيرهما . قال ابن دريد : « برجم الرجل يبرجم بجرماً وجرماً : إذا سكت عن عي أو هيبة ، فهو باجم »<sup>(٣)</sup> . ولو أردنا التضعيف ، وقلنا « بجم » ، لكان ذلك مبالغة في السكوت عن عي أو هيبة ، فكيف يكون هذا الفعل المضعف دليلاً على ( البرجمة ) بمعنى غلظ الكلام ؟ ! إن وجود الراء في ( برجم ) يكفي لدعم القول بدلالته على كلمة محذوفة يمكن معها أن ينقل ( بجم ) من معنى السكوت عن الكلام إلى غلظه ، وليس يسيراً أن يكون مجرد تضعيف « بجم » كافياً للدلالة على المعنى الجديد . لقد جاء في كلام الثقات الأوائل قول سيبويه : « وقد يجعلون للنسب في الإضافة اسماً بمنزلة « جعفر » ، ويجعلون فيه من حروف الأول والآخر ، ولا يخرجونه من حروفهما ليُعرف ، كما قالوا : « سِبَطَر » ، فجعلوا فيه حروف « السَّبَط » إذ كان المعنى واحداً »<sup>(٤)</sup> . فقله « كما قالوا « سِبَطَر » فجعلوا فيه حروف السَّبَط » ، يدل على أن « سِبَطَر » مكونة من « سَبَط » وما بقي من الكلمة الأخرى وهو الراء . وهذا لا يختلف في جوهره عن قول ابن فارس في « ضِبَطَر » من أنها منحوتة من كلمتين إحداهما « ضبط » والأخرى لم يبق منها غير الراء<sup>(٥)</sup> . وفي ذلك ما يسند موقف ابن فارس ويجعل مذهبه مبنياً على أساس ثابت<sup>(٦)</sup> .

(١) فصول في فقه العربية ٢٧١ .

(٢) فصول في فقه العربية ٢٧١ .

(٣) جمهرة اللغة ٢١٣/١ - العمود الثاني وانظر مقاييس اللغة ٣٣٣/١ .

(٤) كتاب سيبويه ٣٧٦/٣ .

(٥) مقاييس اللغة ٤٠١/٣ والكلمة الأخرى هي ( ضبر ) .

(٦) أشار الراجعي ( تاريخ آداب العرب ١٨٨/١ ) إلى أن بعض العلماء عرض لحروف المضارعة المجتمعة في كلمة ( أنيت ) ؛ فرأى أن المضارع لا بد أن يكون منحوتاً من المادة الثلاثية وحرف المضارعة الراء إلى المادة المحذوفة ؛ ففي قولنا ( أكتب ) تقوم الهمزة مقام ( أنا ) ، وفي ( نكتب ) يقوم النون مقام ( نحن ) وفي ( تكتب ) تقوم التاء مقام ( أنت ) أما في ( يكتب ) فالياء أصلها الواو من ( هو ) ثم ميل إلى الياء استخفافاً للابتداء بالمضارع .

إن نظرية ابن فارس نقلة هائلة في النحت تجعل من هذه الظاهرة المحدودة في العربية ظاهرة عامة تتسع لما هو كثير جداً من الكلمات ، أسماء أو صفات أو أفعالا . وعلى الرغم من عدم العثور على من يأخذ على ابن فارس من المتقدمين أهل الشأن غلواً أو افتئاتاً أو تعسفاً في منهجه النحتي ، ظهر في عصرنا مؤرخون عليه مثل ذلك ، كالـدكتور علي عبدالواحد وافي اذ يقول : « ولا يخفى ما في هذا المذهب من تحايل وتعسف وتعارض مع المناهج العامة التي تسير عليها اللغات الانسانية بصدد الكلمات الدالة على الحدث وتصريفها بعضها من بعض . »<sup>(١)</sup> ، وكالـلجنة المؤلفة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، اذ تقول : « ولا يخفى أن ابن فارس ركب التعسف والشطط في حمل ما زاد على ثلاثة على النحت ، فقد ذكر أن كلمة « صَهْصَلَق » منحوتة من « صَهَل » و « صَلَق » ، والصهل والصلق بمعنى واحد ، وأن « جُذْمُور » منحوت من « الجِذْم » و « الجِذْر » ، وهما بمعنى واحد أيضاً ، وذكر أن « البُرْجُد » منحوتة من « البِجَاد » و « البُرْد » ، مع أن البِجَاد هو الكساء المخطط ، فلا معنى إذن لضم البُرْد إليه . »<sup>(٢)</sup> ومن المعلوم أن ابن فارس صاحب نظرة جديدة مبتكرة ، وأنه إن اضطرب في تطبيقها على بعض الأمثلة فإن ذلك لا يقضي على نظريته ، ولا يلغي مئات الأمثلة الاخرى التي أودعها أبواب معجمه الكبير : ( مقاييس اللغة ) ، ولم يبد أحد اعتراضاً عليها أوردت لتحليلها . وعليه لا يصح أن يقال في حكم عام : إن ما جاء به ابن فارس تعسف أو شطط ، كالذي جاء في النصين المتقدمين ، أو أن يقول الدكتور مصطفى جواد : « وما ذكره ابن فارس في ( مقاييس اللغة ) و ( فقه اللغة ) لا يعدو الظن والتخمين والتأويل البعيد »<sup>(٣)</sup> وهو حكم مطلق يحتاج للبرهنة عليه ، الى تحليل كل مثال ، جاء ابن فارس به تحليلاً آخر ، وإثبات بطلانه ؛ بحجة كافية لهدم النظرية وإلغائها ، وهو ما لم يفعله هو ولا غيره . ولقد اعترض عبد الله أمين على بعض كلمات ابن فارس ، مثل : « ضِبْطَر » و « جُذْمُور » ، لان « ضِبْطَر » وما نحتت منهما - وهما : ضَبَر وضَبَط - بمعنى واحد ، وكذلك ( جُذْمُور ) على ما رآه ذلك الباحث<sup>(٤)</sup> . ولكنه لم ينف نظرية ابن فارس جملة وتفصيلاً ، بل إنه جعل شواهد صنفين : صنفاً لا اعتراض له عليه ،

(١) فقه اللغة ص ( ١٨٢ - ١٨٣ ) .

(٢) مجلة المجمع اللغوي المصري ٢٠٣/٧ .

(٣) المباحث اللغوية ٨٩ .

(٤) الاشتقاق ص ( ٤٠٤ - ٤٠٥ ) .

وصنفاً له اعتراض عليه ، مع أن له وجهاً يجيز قبوله ، فقال : « وشواهد ابن فارس التي حللتها آنفاً طائفتان ، ككل ما عدّه منحوتاً ، وهو لا يحصى . وإحدى الطائفتين منحوتة على طريقة « السبَطَر » تماماً ، مثل « جَعْفَل » و- « الضبَطَر » . والطائفة الأخرى أدخل في باب النحت منها . وقد كنت أنكرت الأولى ، وارتضيت الثانية لهذا الفرق بينهما ، فإذا كانت الأولى مقبولة ، فالثانية أولى منها بالقبول ، وحينئذ يكون كل ما جاء به ابن فارس صحيحاً . »<sup>(١)</sup> ويبيّن أن حكم الباحث على « ضبَطَر » وسائر أمثلة الطائفة الأولى يحمل الدلالة على أن الاعتراض على ابن فارس في بعض أمثله لا يقوم على أساس راسخ ، ولا يصح أن يكون القول الفصل . ف « صَهْصَلِق » المعارض عليها من لجنة المجمع بأن أصلها « صَهَل » و « صَلَق » بمعنى واحد ، يقبلها عبدالله أمين بكل اطمئنان ، ويقول معللاً : « فأما من قبل المعنى فلأنها صفة تجمع معنيين متفرقين : الحدة في « صَهَل » والصياح واللولولة في « صَلَق » . وأما من قبل اللفظ فلأن في « صَهْصَلِق » الحرفين الأول والثاني ( من ) صَهَل وأحرف « صَلَق » الثلاثة بترتيبها . »<sup>(٢)</sup> وقد أنكر الدكتور سليم النعيمي ما جاءت به اللجنة ، وخلص بعد مراجعة الى القول : « إن رأي اللجنة في هذه الكلمات التي ذكرتها للرد على ابن فارس وأنه ركب التعسف والشطط فيها يحتاج الى شيء من التحقيق ؛ فليس الصهل والصلق بمعنى واحد ، وليس الجذم والجذر بمعنى واحد أيضاً وليس الجحف والجفل<sup>(٣)</sup> بمعنى واحد ، كما أن هناك فرقاً بين البرجْد والبرجاد والبرْد . »<sup>(٤)</sup> أما الدكتور صبحي الصالح فدافع عن مذهب ابن فارس في النحت بقوة وقال : « فهل من ريب بعد هذه الشواهد الصريحة على زيادة كل حرف من حروف الهجاء تعويضاً ونحتاً في أن مذهب ابن فارس في النحت يضاهي أدق النظريات العلمية في الاشتقاق بطريق السوابق واللواحق المعروفة في اللغات الإلصاقية ؟ وهل من ريب بعد هذا كله في أن للنحت أصولاً مؤصلة عرفت في العربية ولم تنكرها ، وحفظها روايتها ولم يهملوها . »<sup>(٥)</sup> فالباحثون المحدثون لم يختلفوا

(١) الاشتقاق ٤٢٨ .

(٢) الاشتقاق ٤٠٣ .

(٣) قالت اللجنة أيضاً أن الجحف والجفل بمعنى واحد وأنهما لا يصح أن يكونا أصلي كلمة ( جحف ) على ما يريد ابن فارس . ينظر مجلة المجمع اللغوي المصري ٢٠٣/٧ .

(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي ٩٥/٢٣ .

(٥) دراسات في فقه اللغة ٢٦٣ .

الا في أمثلة محدودة معدودة مما جاء به ابن فارس . أما الكثرة الكاثرة من الشواهد ، فهم بين متحمس لها وصامت عنها . وقد رأيت عبدالقادر المغربي من أوائل المقتنعين بهذا المذهب في كتابه « الاشتقاق والتعريب » ، ولكنني فوجئت في ذلك بأمر غريب حين عرض لهذا الموضوع قائلاً : « وقد أعملت الفكر مرة في كثير من الكلمات الرباعية والخماسية ، فوجدت أنه يمكن إرجاع معظمها الى كلمتين ثلاثيتين بسهولة . ولاحظت أن تكون تلك الكلمات في لغة العرب إنما كان بواسطة طريقة النحت المذكورة ، أو بما نسميه الاشتقاق النحتي : فمثل « دحرج » منحوت من « دحرجه فجرى » ومثل « هرول » من « هرب وولى » و « خرمش » الكتاب أفسده من ( خرم وشوه ) أو من « خرم وشرم » ، ومثل « دعره » اذا صرعه من « دعه فعثر » ، و « بحثرت » الدجاجة « بحثت وأثارت » التراب لثلتقط الحب وهكذا . <sup>(١)</sup> فهذا الكلام يدل على أن الفكرة جديدة غير مسبقة ، وأنها وليدة تأمل المغربي وإعمال فكره ، فليس ثمة إشارة الى ابن فارس ومنهجه المعروف في هذا القول ! ! بل إنني لم أجد ذكراً لابن فارس فيما كتبه المغربي عن النحت في كتابه المذكور آنفاً <sup>(٢)</sup> سوى الإشارة المتقدمة والتي تغزو الفكرة الى المغربي نفسه . وذلك غريب ، إذ ليس يسيراً أن يجهل المغربي مذهب ابن فارس وهو يعرض للنحت ، وليس معقولاً أن يدعي هو أو غيره مذهب الرجل ، المذهب القديم . إن حديث النحت في العربية لا يكاد يحصر المنحوت في دائرة أو حدود ، وما مقولة ابن فارس في أن « ما زاد على الثلاثة فأكثره منحوت » إلا توسعة هائلة لهذا الباب ، بل رجح بعض الدارسين أن كثيراً من الكلمات العربية ، غير ما قال به ابن فارس وغير ما رواه الرواة من المنحوت ، كان قد ولد ولادة نحتية ، وأن ما يعضد هذا أن النحت هو الوسيلة الكبرى من وسائل الاختزال والاختصار . فالنحت يختصر الكلمة الى حرف ، ويختصر الجملة الى كلمة ؛ وذلك مما يحتاج إليه الانسان في الحياة ؛ فمثل النحت « مع الاساليب والجمال كمثل الكتابة بدأت صوراً للأشياء كاملة ، فانتقصت أطرافها السرعة والاختصار حتى أصبحت رموزاً أخرى لا تمت الى أصلها التمثيلي بصلة ونسب . وها هم الناس في العصر الحديث تدفعهم السرعة وضيق الزمن الى نحت الكتابة فكان الاختزال ، وبه يساق الكاتب أسرع الخطباء تدويناً وتحبيراً . » <sup>(٣)</sup> ومن هنا رأى فريق

(١) الاشتقاق والتعريب ١٥ .

(٢) الاشتقاق والتعريب : ص ( ١٣ - ١٦ ) .

(٣) نشأة اللغات ٥٥ .



من الباحثين أن حروف الجر وحروف العطف في العربية « كانت في أصلها كلمات مستقلة لها دلالتها الخاصة بها ، لكن شذبتها النحت وانتقص أطرافها فصيرها حروفاً واستلبها دلالتها الذاتية ، وأضحت محتاجة الى فعل أو اسم تنفث فيه روحها ، وتبين فيه دلالتها . » <sup>(١)</sup> فالنحت على هذا كثير ، لكن « تتبعه في كل كلمة من الكلمات العربية مركب يشق ، لأنها دُوِّنت بعد استكمالها وتماها . » <sup>(٢)</sup> . ويرى محمد المبارك أن النحت « طريقة كانت مستعملة في عصور العربية القديمة ، ومن تلك العصور بقيت هذه الألفاظ الرباعية والخماسية المنحوتة ، ولكن العربية فيما بعد أهملت هذه الطريقة في توليد الألفاظ الجديدة وسلكت طريق الاشتقاق » <sup>(٣)</sup> .

إن اضطراب الدارسين بين القول بقلة النحت وكثرته ، وإطراده وتخلّفه ، لا يمنع أن للنحت في العربية مسالك معينة يمكن انتهاجها ، وأنه على أية حال لم يجز فيها كيفما اتفق ، وأن ما ورد من المنحوت يكفي لاستنباط تلك المسالك ، فلا ينقضها الشذوذ ، إذ لكل قاعدة شذوذ ، ولا يمنع قيامها ما قيل من أن المنحوت قليل ؛ فالقلة لا تقف حائلاً دون القياس . لننظر مثلاً الى سيبويه وهو يقرر قاعدة النسب الى « فعيلة » و « فعيلة » في الباب الذي عقده في كتابه : « هذا باب ما حذف الياء والواو فيه القياس » : « وذلك قولك في ربيعة : رَبِيعِي ، وفي حنيفة : حَنَفِي ، وفي جذيمة : جُذَمِي ، وفي جهينة : جُهَنِي ، وفي قتيبة : قُتَيْبِي . وفي شنوءة : شُنُئِي » <sup>(٤)</sup> . فقرر حذف الياء في القياس مع أنه أورد بقاء الياء في مثل : حَنَفِي ، وسَلَمِي ، وعميري ، وسَلَمِي وخُرَيْبِي <sup>(٥)</sup> . بل إنه قرر أن تحذف الواو حذفاً قياسياً ، مع أنه لم يورد في أمثله المذكورة غير كلمة واحدة هي « شنوءة » ، اعتقاداً منه أن هذا اللفظ « لم يرد بخلافه لافي اللفظ عينه ولا فيما كان من نوعه » <sup>(٦)</sup> فالقلة وحدها غير مؤهلة لمنع

(١) نشأة اللغات ٥٢ . ومثال ذلك الكاف : « كانت في عصرها الاول ( اكن ) بمعنى حقيقة . » نشأة اللغات ٥٢ . ويقول الرافعي ان باء الجر منحوتة وان علماء اللغات « رأوا أن أصلها ( بيت ) في العبرانية وجاءت ( بي ) في الكلدانية ثم الباء وحدها في العربية ، فكان الباء بقية من لفظ ( بيت ) كمل بها المعنى الاصلي مع وجازة اللفظ وسعة التصرف . » تاريخ آداب العرب ١٨٩/١

(٢) نشأة اللغات ٥٤ .

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية ١٤٩ .

(٤) الكتاب ٣/٣٣٩ .

(٥) الكتاب ٣/٣٣٩ .

(٦) دراسات في العربية وتاريخها ٤٠ .

القياس وإقامة القواعد . هذا اذا قلنا إن النحت قليل حقاً في العربية ، وهو مما لا يجوز القطع به قال عبدالله أمين معلقاً على ( عبشمي ) وأمثاله : « ومن الجائز أن يكون ما ورد من هذه الأعلام التي نُحِت منها ونسب إليها على هذا النحو ، أكثر مما رواه العلماء منها وهو خمسة أعلام ، والدليل على صدق ما نقدره من اطراد النحت منها عند النسب إليها على هذا النحو لو كثرت ، أن هذا النحت تم فيها على نسق واحد . » <sup>(١)</sup> فمن المقطوع به أن المروي من اللغة العربية عن الثقات الفصحاء الحجاج ليس كل تلك اللغة الواسعة الرحبية ولا معظمها ؛ فان أبا عمرو بن العلاء ( ١٥٤هـ - ٧٧٠م ) كان يقول قولة مشهورة : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » <sup>(٢)</sup> . . . ومع هذا ، كان المروي من المنحوت كافياً لأن يؤلف أبو علي الظهير بن الخطير النعماني ( ٥٩٨ هـ - ١٢٠١ م ) كتاباً خاصاً بما وقع من مثال « شقحطب » في كلام العرب في نحو عشرين ورقة من حفظه ، اسمه : ( كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب ) <sup>(٣)</sup> ، ولعله حوى أمثلة أخرى وشواهد أكثر من المنحوت المروي المتداول الذي يقع في حدود ستين كلمة <sup>(٤)</sup> . أما إذا أخذنا بنتائج ابن فارس أو جلّها ، كما فعل الدكتور صبحي الصالح في كتابه « دراسات في فقه اللغة » حيث قدم إحصاءً دقيقاً في المنحوت الذي قال به ابن فارس وأثبتته في ( مقاييس اللغة ) ، فأسفر الإحصاء في أبواب مزيادات الثلاثي عن أكثر من ثلاث مئة كلمة <sup>(٥)</sup> . . . فان ذلك يوجب تغيير الرأي القائل بقلة المنحوت في العربية وندرتها أمثلته فيها .

لا ينبغي لأحد إذن الانتقاص من النحت ، أو إضعاف شأنه أو نكرانه ، فان ما تقدم في هذا البحث كاف للدلالة على أن العربية عرفت النحت وقبلته ، وهي « لغة — كما يقول الدكتور مصطفى جواد — لها قابلية طبيعية لمجاراة الزمن وللتطور تطوراً معتمداً

(١) الاشتقاق ٤٣٠ .

(٢) الخصائص ٣٨٦/١ .

(٣) معجم الأدباء ١٠٣/٨ . المزهر ٤٨٢/١ ( وفيه أن لقب الظهير هو « النعماني » والذي في معجم الأدباء « النعماني » كذلك في بغية الوعاة ٥٠٢/١ وفي كشف الظنون ٤٨٦/١ ) .

(٤) ينظر المزهر ٤٨٢/١ - ٤٨٥ .

(٥) دراسات في فقه اللغة ٢٥٨ . وعبارة الصالح : « استخرجنا من أبواب مزيادات الثلاثي وحدها أكثر من ثلاث مئة كلمة منحوتة بين فعل وصفة وهي جميعاً مما صرح ابن فارس بنحته بعبارة قاطعة . » وغريب أن يقول الدكتور النعيمي ان ذلك مئة واحد وثلاثون كلمة فقط ! مجلة المجمع العلمي العراقي ٩٤/٢٣ .

على طبيعتها في النحت والاشتقاق والتعريب . » <sup>(١)</sup> وأن « معرفة هذه الطبيعة واجبة على كل من عني بها ووكل إليه الحفاظ على سلامتها بدفع المخل عنها ، وبإضافة المغني لها إليها . » <sup>(٢)</sup> . فإذا كان النحت من طبيعة العربية ، فما الذي حداه الى أن يصف منحوتات ابن فارس بأنها وليدة الظن والتخمين والتأويل البعيد ؟ <sup>(٣)</sup> .

إن ما يجب الوقوف عليه والخلوص إليه اليوم في أمر النحت أمران يراهما هذا البحث غاية في الأهمية : الأول – متى ننحت ؟ والثاني – كيف ننحت ؟ فالحاجة القائمة في هذا العصر ، ستبقى قائمة في المستقبل ، تدعو الى الإفادة من وسائل الأثر اللغوي في العربية وهي : المجاز والاشتقاق والتعريب ، وإذ كان النحت قريباً الى الاشتقاق ، أو هو نوع منه ، فالحاجة إليه إذن قائمة بهذا المعنى . وكان ذلك دافعاً الى أن يبحث كثير من الدارسين على اعتماد قياسية النحت وطرده ؛ وبهذا تتسع دائرة لغوية أو منفذ لغوي من منافذ خلق المفردات الجديدة ووضع المصطلحات العلمية ، ومن هذا الفريق طائفة من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة <sup>(٤)</sup> ، وأفراد من الباحثين كعبد القادر المغربي <sup>(٥)</sup> وساطع الحصري <sup>(٦)</sup> ومصطفى الغلاييني <sup>(٧)</sup> وعبد الله أمين <sup>(٨)</sup> وغيرهم . بيد أن القول باطلاق النحت ، وفتح الباب على مصراعيه أمامه ، شيء يغيّر القول بلزوم استنباط الضابط النحوي ، واكتشاف طرائقه ومسالكه عند العرب الفصحاء في عصور السليقة العربية والطبع الخالص الاصيل . وعليه لا يتفق هذا البحث على فتح باب لا قبّل للعربية به أولاً ، وهي في غنية عنه بغيره ثانياً . ذلك أن مئات أو آلافاً من الكلمات المخترعة ستتدفق سيولها غازية غامرة ، وأن كثيراً من المنحوتات المقترحة في عصرنا قد ثبت أنه يفتقر الى جوهر الكلمة العربية وهو الجرس الموسيقي الذي يحقق لها الخفة والقوة والوضوح والجمال ، وأن ذلك الكثير أيضاً لم يكن المسلك الفرد الموفق لحل معضلة المصطلح ، فان النحت إنما يكون بشرائط وقواعد ولوازم سواء اكان في الكلمة المنحوتة ذلك أم في الأحوال المحيطة بها ، فان لم يستوف هذا كله ويأخذ الامر مجراه ومداره ،

(١) ، (٢) مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٣) الباحث اللغوية ص ( ٨٨ - ٨٩ ) .

(٤) ينظر : من أسرار النقة ٩٠ .

(٥) ينظر : الاشتقاق والتعريب ١٥ .

(٦) ينظر : الباحث اللغوية ص ( ٩٤ - فما بعدها )

(٧) ينظر : جامع الدروس العربية ١/ ٢٢٩

(٨) ينظر : الاشتقاق ٤٢٩ .

كان الدواء داءً ، وآض النفع ضراً ومفسدة . والذي تقدم في هذا البحث أن النحت في أغلب صورة تحكمه قواعد ، وأن ما انفرد من الألفاظ أو شذ عن القاعدة لا يجوز أن يدعو الى نكرانها أو إلغائها . ويضاف هنا أن هذا الشاذ لم يكن الا مراعاة لعامل خطير له الصدارة دائماً في العوامل والمؤثرات ، وهو الذوق العربي الأصيل . ذلك أن خضوع النحت للقاعدة الغالبة ، وابتعاده عن منابع الصفاء والطبع السليم ، لا يشفع له في القبول ؛ إذ القاعدة لاحقة للكلام ، لا سابقة عليه . ومن هنا كان هزيبلاً ، بل مبعث سخرية ، ذلك الذي استحدثه بعضهم من مفردات منحوتة أخضعوها للقواعد وحدها ، وافرغوها من جوهرها حين أغفلوا شرط الموافقة التامة للأذن العربية والذوق السليم ، فكان أن استحدثت قسراً على صورة خاوية أو هيكل فارغ . قال ابو الطيب اللغوي ( ٣٥١ هـ - ٩٦٢ م : « دخل رجل على أبي حاتم ، وعلى كتفه ضبي ، فقال له : يا أبا حاتم ، ما تُسمي العربُ الرجلَ إذا كان في فرد رجله خُفّ وفي الأخرى نعل ؟ قال : لا أدري . قال : صدقت ، لأن فوق كل ذي علم عليم . يقال له : « مُخَفَّنَعِل » يا غلام . فضحك أبو حاتم حتى شَرِقَ بريقه » <sup>(١)</sup> وليس من ريب في أن ( مخفنعل ) هذه التي أضحكت أبا حاتم السجستاني ٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م حتى شَرِقَ بريقه أخف كثيراً من كثير من تلك المصطلحات المبتدعة في العصر الحديث ، وقد انكر عبدالله العلايلي بحق بعض ما نحت من المصطلحات أمثال : ( أَرَبَيْدِيَّة ) للدلالة على الفصيلة ذات أربع الايدي ، و ( ضِسْقُوط ) للدلالة على البرشوت ، و ( سَفَنَجَوّ ) للدلالة على سفينة الجو والجيولوجيا ، و ( أرطباق ) للدلالة على طبقات الأرض ، و ( محركيار ) للدلالة على الموتير من محرك السيارة واصفاً ذلك بقوله : « الى كثير من هذه الرطانة الممجوجة » <sup>(٢)</sup>.

إن مراقبة المنحوت والتدقيق فيه أمر جليل الشأن ، وضرورة لازمة في إظهار النافع وطرح ما سواه . . فالحق يقضي أن نقر بالفضل والا كبار لكل من وضع مصطلحاً علمياً سليماً بطريقة النحت ، ونجح في صنع الكلمة المؤهلة من كل الوجوه بعد قيام الحاجة

(١) مراتب النحويين ١٣٢ . ويروى أن البوصيري ( ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م كان يركب بعض الكلمات نحتاً قصد الفكاهة . ينظر الى : معجم تيمور الكبير ١/١٠٢ - الحاشية .

(٢) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٣٧ .

وقال عيّد القادر المغربي ( الاشتقاق والتعريب : ص ١٤ - ١٥ ) في صوغ المولدين ( حنفلتي وشفعتي ) : « والمرأة الناقق الولود قلما يخلو أن يكون في أولادها السمج البغيض . فلا عجب اذا وجد مثل ( حنفلتي ) و ( شفعتي ) في ذراري اللغة العربية الكريمة » .

إليها قياماً لامعدي عنه ولا عدول. ولكن من البأس أو الضرر أن نوقع الضيم على العربية، فنقر أمثال :

- أَزْ أَكْفَضَ : للدلالة على « أزوتات الفضة » (١) .
- كُبّاً كُنَحَدَ : للدلالة على « كبريتات الحديد » (٢) .
- كُبّاً كَزَنَ : للدلالة على « كبريتات الزنك » (٣) .
- كُبّاً كَنَحَ : للدلالة على « كبريتات النحاس » (٤) .
- كُرّاً كَصَدَ : للدلالة على « كربونات الصوديوم » (٥) .
- نُتّاً كَصَدَ : للدلالة على « نترات الصوديوم » (٦) .

وما الى ذلك من غرائب موحشة قفراء ، ليست فينا حاجة اليها وبين أيدينا التركيب الاضافي نفسه الذي كتب له بحق التداول والاستعمال ؛ فما حاجتنا الى « كِبأ كَنَح » ولدينا « كبريتات النحاس » ؟ ! !

لا ينكر هذا البحث أن للنحت فوائد في تيسير الاختصار والتوليد للجديد من الكلمات بيد أنه ينكر الخروج بمثل تلك الألفاظ ، وتوليد تلك الغرائب ، الثقيلة في اللسنة ، والثقيلة على الاسماع ، والتي لا تدعو إليها الضرورة لوجود ما يغني عنها ويكفي ، وذلك أقرّه مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨ م بقراره القاضي بـ « جواز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية » (٧) ولا جدال في لزوم أن يكون النحت على وفق ما عرفته اللغة العربية في الماضي من مراعاة أوزان الكلمة وحسن نسيجها الصوتي ، وموافقتها الذوق وحظوتها عند الناس بالاستساغة والقبول . ثم كان للمجمع اللغوي المصري قرار آخر عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م أعلن فيه أنه « يجوز أن ينحت من كلمتين أو أكثر اسم أو فعل عند الحاجة ، على أن يراعى ما امكن استخدام الأصلي من الحروف دون الزوائد . فإن كان المنحوت اسماً اشترط أن يكون على وزن عربي والوصف منه باضافة ياء النسب ، وإن كان فعلاً كان على وزن ( فَعْلَل ) أو ( تَفَعَّل ) الا اذا اقتضت غير ذلك الضرورة ، وذلك جرياً على ما ورد من الكلمات المنحوتة . » (٨) ويبدو أن

(١) الاشتقاق ٤٤١ .

(٢) الاشتقاق ص ( ٤٤١ - ٤٤٢ ) .

(٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) : الاشتقاق : ص ( ٤٤٢ - ٤٤٣ ) .

(٧) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٥٨/٧ .

(٨) في أصول اللغة ٤٩/١ .

هذا القرار لم يظفر باجماع الاعضاء في المجمع ، فقد رفض محمد علي النجار اجازة الخروج على وزن ( فعلل ) أو ( تفعلل ) عند نحت الفعل ، على حين وقف أمين الخولي موقفاً مغايراً حين رفض ما في القرار من قيود أو شروط في كيفية النحت (١) .

إن النحت ، على الرغم من أنه لون من الاشتقاق في العربية ، لم يكن يسيراً صوغ قاعدة تنتظم أحواله كسائر المشتقات في هذه اللغة . وليس أمامنا في مباحث أئمة العربية إشارة أقوى من إشارة ابن مالك القائلة بإمكان أن يبنى من المركبات كلمات ينحت كل منها من فاء الجزء الاول من المركب وعينه ، ثم ما يناظرهما من الجزء الثاني على ما تقدم بيانه في هذا البحث . وهذا الذي يقوله ابن مالك إنما ينحصر في وزن ( فعلل ) . وقد أشار هذا البحث الى أن ما ينحت من الجملة إنما يكون على ( فعلل ) أيضاً ، وأن ما ينحت من الأصول المستقلة ، وفيها معظم أمثلة ابن فارس ، إنما يعود الى هذا الوزن نفسه (٢) فالاصل في ذلك كله هو هذا الوزن فان أريد مصدره ، فهو « فَعْلَلَة » - وإن كان مضاعفاً فالمصدر « فَعْلَل » - ، وإن أريد الفعل اللازم من « فَعْلَل » فهو « تَفَعَّلَ » ، ومصدره « تَفَعَّل » . ، وتلك هي المقاييس الجارية في اللغة العربية ، التي أقرها علماء التصريف والاشتقاق . فالمشكلة في الوصول الى وزن « فَعْلَل » و الاقرار به في النحت ، وما الاوزان المتواردة عليه الا فروع تشتق منه على وفق سنن ثابتة وحق مقصود به يتفق عليه (٣) . وإذا كان ما جاء به ابن فارس من شواهد المئات وابن مالك من مقولته السالف ذكرها والداميني من إيضاح وإضافة لتلك المقولة ، وغير هؤلاء ممن يسبقهم أو يلحقهم . . . كافياً للوصول الى جواز النحت على ( فَعْلَل ) ؛ فقد وضح الطريق الى النحت وساغ ذلك وجاز . على أن ما جاء به ابن فارس يذكّرنا بأن اشتراك بعض الأحرف في كلمتين يراد النحت منهما يدعونا ، ويلزمنا أن نزيل الاشتراك من الكلمة الجديدة ، وذلك بأخذ الأحرف الكاملة لاحدى الكلمتين مع الحرف الباقي غير المشترك من الكلمة الاخرى .

إن الحكمة في معالجة الاحتياج الى وضع المفردات الجديدة تقضي بالنظر الى النحت على أنه وسيلة من وسائل ابداع الالفاظ المطلوبة ، لأنه الوسيلة الاولى المتقدمة . ذلك أن مسالك العربية في هذا الميدان أرحب وأنفع وأثري فحين تلجئنا الحضارة وأسباب

(١) في أصول اللغة ٤٩/١ - الحاشية .

(٢) ينظر ص ( ١٧٤ - فما بعدها ) من هذا البحث .

(٣) وذلك إنما يستخدم عند الاحتياج والضرورة على ما سيأتي .



التمدن الى مواجهة مصطلح حديث ليس له فيما بين أيدينا ومألوفنا كلمة مقابلة عمدنا الى خطوات علمية عملية متسلسلة : أولها الترجمة التامة لذلك المصطلح بالبحث عن مقابل عربي يفني بالقصد ، ويدل على المراد ، ويغني عن اللفظ الدخيل . فان كان ذلك ، والا عمدنا الى المعاني المجازية للكلمة العربية بعد معناها الوضعي ( الحقيقي ) ؛ ففي تلك المعاني ثروات كبيرة ومنافذ واسعة تسعف في نقل الدلالة الى ما يراد ، بعد أن تتحقق أسباب النقل وشرائطه المقررة في تعميم الخاص وتخصيص العام وانتقال الدلالة لعلاقة المشابهة أو المجاز المرسل . وثانيهما - أي ثاني تلك الخطوات - اللجوء الى الاشتقاق القياسي على هدي ما استنبط أئمة العربية واتفقوا عليه من قواعد مطردة ، وطرائق ثابتة ؛ وذلك في حال فقد القدرة على الافادة من الوسيلة الاولى ( الترجمة ) وعدم الوصول في ضوئها الى الكلمة العربية المعبرة . والمعلوم أن الاشتقاق أنواع في العربية هي : الصغير ، والكبير ، والأكبر ، والكبار : ( النحت ) ؛ وذلك يبين أن مرتبة النحت في وسائل الوضع الاشتقاقي متأخرة ؛ مثلما هي متأخرة عن وسائل الوضع اللغوي عامة ، وأن عجزنا عن الافادة مما قبل النحت من أساليب الاستحداث والاعناء هو ما يضطرنا الى الانتقال الى النحت كيما ننظر في كيفية الإفادة منه ، والاستعانة به على وضع المصطلح العلمي الجديد . فان تعذر علينا النحت ( كما تعذر علينا ما قبله من وسائل ) عمدنا الى تعريب المصطلح الاجنبي نفسه ، شريطة أن يخضع لقوانين الكلمة العربية الفصيحة ؛ صوتاً وبناءً ، وذلك في ضوء قواعد التعريب المستخلصة من طرائق العرب في التعريب ضمن عصور الفصاحة والصفاء اللغوي على ما تكفلت ببيانه هذه اللغة ومنابعها الثرة .

\* \* \*

## المصادر والمراجع

- (١) الاشتقاق - عبدالله أمين . القاهرة ( لجنة التأليف والترجمة والنشر ) - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م - ط (١).
- (٢) الاشتقاق والتعريب - عبدالقادر المغربي . القاهرة ( لجنة التأليف والنشر ) - ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م - ط (٢)
- (٣) إصلاح المنطق - ابن السكيت / القاهرة ( دار المعارف ) - ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م - ط (٣) . تح : أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون .
- (٤) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - جلال الدين السيوطي . القاهرة ( مطبعة عيسى البابي الحلبي ) ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م - ط (١) . تح : محمد أبو الفضل ابراهيم .
- (٤أ) تاج اللغة وصحاح العربية = صحاح الجوهري .
- (٥) تاريخ آداب العرب - مصطفى صادق الرافعي / بيروت ( دار الكتاب العربي ) - ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م - ط (٤) . تصدير : محمد سعيد العريان .
- (٦) تاريخ علوم اللغة العربية - طه الراوي . بغداد ( مطبعة الرشيد ) - ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م - ط (١) .
- (٧) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد - ابن مالك . / القاهرة ( دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م - تح : محمد كامل بركات .
- (٨) تهذيب اللغة - أبو منصور الأزهري . القاهرة ( الدار المصرية للتأليف والترجمة ) - ١٣٨٤ هـ - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٤ م - ١٩٦٧ م
- تح : جماعة من المحققين اللغويين .
- (٩) جامع الدروس العربية - مصطفى الغلاييني / بيروت ( المكتبة العصرية للطباعة والنشر ) - ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م - ط (١٠) .
- (١٠) - جمهرة الأمثال - أبو هلال العسكري . القاهرة ( المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ) - ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م تح : محمد أبو الفضل ابراهيم وعبدالمجيد قطامش ط (١) .
- (١١) جمهرة اللغة - ابن دريد .
- حيدر آباد الدكن ( دائرة المعارف العثمانية ) - ١٣٤٤ هـ / ١٣٥١ هـ / ١٩٢٥ م - ١٩٣٢ م .
- (١٢) الخصائص - ابن جني / القاهرة ( دار الكتب ) : ١٣٧١ هـ - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٢ م - ١٩٥٦ م - تح : محمد علي النجار .
- (١٣) دراسات في العربية وتاريخها - محمد الخضر حسين / دمشق ( المكتب الاسلامي ومكتبة دار الفتح ) - ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م - تصحيح علي الرضا التونسي .
- (١٤) دراسات في فقه اللغة - الدكتور صبحي الصالح / بيروت ( دار العلم للملايين ) - ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م - ط (٤) .
- (١٥) سر صناعة الاعراب - ابن جني / القاهرة ( إدارة إحياء التراث القديم - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ) : ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م - تح : مصطفى السقا وآخرين .
- (١٦) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من المعرب والدخيل - شهاب الدين الخفاجي . القاهرة ( المطبعة المنيرية ) ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م - تصحيح محمد عبدالممنم خفاجي - ( ط (١) .
- (١٧) الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - أحمد بن فارس . بيروت ( مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر ) - ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م - تح : الدكتور مصطفى الشويبي .
- (١٧أ) صحاح الجوهري ( تاج اللغة وصحاح العربية ) : اسماعيل بن حماد الجوهري / القاهرة ( دار الكتاب العربي ) - ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م تح : أحمد عبدالغفور عطار .

- (١٨) علم اللغة - الدكتور علي عبدالواحد وافي . القاهرة ( دار نهضة مصر للطبع والنشر ) - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م - ط (٦) .
- (١٩) العين ( أول معجم في اللغة العربية ) - الخليل بن أحمد الفراهيدي / بغداد ( مطبعة العاني ) - ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .  
تح: الدكتور عبدالله درويش .
- (٢٠) فصول في فقه العربية - الدكتور رمضان عبدالنواب / القاهرة ( مكتبة دار التراث ) - ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م - ط (١) .
- (٢١) الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية - جرجي زيدان . القاهرة ( دار الهلال ) - ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م تحقيق الدكتور مراد كامل .
- (٢٢) فقه اللغة - الدكتور علي عبدالواحد وافي / القاهرة ( دار نهضة مصر للطبع والنشر ) - د . ت - ط (٦) .
- (٢٣) فقه اللغة وخصائص العربية - محمد المبارك / بيروت ( دار الفكر ) - ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م - ط (٥) .
- (٢٤) فقه اللغة وسر العربية - أبو منصور الثعالبي / القاهرة ( مطبعة مصطفى البابي الحلبي ) - ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م  
تح: مصطفى السقا وآخرين .
- (٢٥) في أصول اللغة - مجمع اللغة العربية بالقاهرة . . القاهرة ( الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية - ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م . اشرف : محمد خلف الله . أحمد ومحمد شوقي أمين .
- (٢٦) كتاب سيبويه : القاهرة ( مطبعة دار القلم ومطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب ) - : ١٣٨٥ هـ / ١٣٩٧ هـ / ١٩٦٦ - ١٩٧٧ م . تحقيق عبدالسلام محمد هارون .
- (٢٦) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - حاجي خليفة / طهران ( المطبعة الاسلامية ) - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م  
مركز تحقيق قديم علوم
- (٢٨) لسان العرب - ابن منظور / بيروت ( دار صادر ) : ١٣٧٥ هـ - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٥ م - ١٩٥٦ م .
- (٢٩) المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية المصرية - الدكتور مصطفى جواد . بغداد ( مطبعة العاني ) : ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م - ط (٢) .
- (٣٠) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة - ابن سيده / القاهرة (معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية/ مطبعة- مصطفى البابي الحلبي ) - ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م . : تحقيق مصطفى السقا وآخرين .
- (٣١) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو : الدكتور مهدي المخزومي / القاهرة ( مطبعة مصطفى البابي الحلبي ) - ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م - ط (٢) .
- (٣٢) مراتب النحويين - أبو الطيب اللغوي / القاهرة ( دار نهضة مصر للطباعة والنشر ) - ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م . ط (٢) . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .
- (٣٣) المزهري في علوم اللغة وأنواعها - جلال الدين السيوطي / القاهرة ( دار إحياء الكتب العربية ) - د. ت. تحقيق : محمد أحمد جاد المولى وآخرين .
- (٣٤) معجم الادباء ( إرشاد الأريب الى معرفة الاديب ) - ياقوت الحموي . القاهرة ( دار المأمون ) : ١٣٥٥ هـ - ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٦ م - ١٩٣٨ م . إشراف : الدكتور أحمد فريد رفاعي .
- (٣٥) معجم تيمور الكبير في الالفاظ العامية - أحمد تيمور / القاهرة ( الهيئة العامة للتأليف والنشر ) - ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م . تحقيق الدكتور حسين نصار .
- (٣٦) معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس . القاهرة ( مطبعة مصطفى البابي الحلبي ) : - ١٣٨٩ هـ / ١٣٩٢ هـ / ١٩٦٩ م - ١٩٧٢ م - ط (٢) . تحقيق : عبدالسلام محمد هارون .

(٣٧) المفضليات - المفضل الضبي / القاهرة ( دار المعارف ) - د.ت. - ط (٤) تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون .

(٣٨) مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد - عبدالله العلايلي . القاهرة (المطبعة العصرية) - د.ت.

(٣٩) من أسرار اللغة - الدكتور ابراهيم أنيس . القاهرة ( مكتبة الانجلو مصرية ) - ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م - ط (٥) .

(٤٠) النحو العربي نقد وبناء - الدكتور ابراهيم السامرائي . بيروت ( دار الصادق ) - تاريخ التصدير ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

(٤١) نشأة اللغات وحاجة الأمة الى المعجم اللغوي - محمود أحمد عمر النشوي / القاهرة - د.ت - ط ( ١ ) .  
المجلات :

(١) مجلة المعجم العلمي العراقي

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .



مركز تحقيقات كافيوتير علوم إمدى

# ابن الجوزي

## « فهرست كتبه »

تحقيق: ناصية عبدالله ابراهيم

كلية التربية - جامعة بغداد

عرفت ابن الجوزي عالما موسوعيا منذ عكفت على دراسة وتحقيق كتابه الموسوم « المصباح المضيء في خلافة المستضيء »<sup>(١)</sup> لنيل مرتبة الماجستير من جامعة بغداد الموقرة . ووجدت فيه الانتاج الثمر ، فشدني البحث اليه ، وما زلت أتابعه ما دمت في العلم طالبة ، وها أنا اليوم أضع بين يدي القارئ الكريم اثرأ جديدا يتناول اسماء مجموعة من كتب ابن الجوزي وضع ليكون بمثابة فهرست لتصانيفه التي ألفها في العلوم المختلفة ، علني أقدم بهذا خدمة للمكتبة العربية .

حياته :

هو أبو الفرج<sup>(٢)</sup> جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي<sup>(٣)</sup> الفقيه الحنبلي البغدادي . ينتهي نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كما ذكر هو نفسه<sup>(٤)</sup> .

(١) طبع الكتاب بمقدمة موجزة مع النص في جزئين على نفقة وزارة الاوقاف ببغداد ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ .  
(٢) انظر ترجمته في : ابن نقطة ، التقييد ( ق ١٤١ ) ، ابن الأثير ، الكامل : م ١٢ / ١٧١ ، ابن الديبشي : ذيل تاريخ بغداد ج ٢ / ق ( ١٢٢ - ١٢٣ ) والمختصر المحتاج اليه ج ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٨ ، ابن أبي الدم ، التاريخ المظفري : ( ق ٢٢٩ ) ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨١ - ٥٠٣ ، المنذري : التكملة ج ٢ / ٢٩١ - ٢٩٣ ، النعال : المشيخة ( الشيخ ٤٨ ) ، ابن خلكان : وفيات الاعيان : ج ٢ / ٣٢١ - ٣٢٢ ، الذهبي : العبر ج ٤ / ٢٩٧ - ٢٩٨ وتذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٢ - ١٣٤٨ وتاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ - ٢٣٣ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ - ٧٠ ب ) ، الصفدي : الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢ / الورقة ( ١٥٢ - ١٥٣ ) ، ابن رجب : الذيل : ج ١ / ٣٩٩ - ٤٣٣ ، ابن الفرات : التاريخ : ج ٤ م ٢ / ٢١٠ - ٢٢٠ ومظان اخرى غيرها .

(٣) نسبة الى موضع يقال له فرضة الجوز : وقيل ان جده جعفر منسوب الى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة وفرضة النهر ثلمته التي يستقي منها وفرضة النهر محط السفن : انظر المصادر المترجمة أعلاه وقد عقدنا فصلا خاصا في نسبه واسرته بكتابنا المصباح المضيء في خلافة المستضيء - في المقدمة غير المنشورة - ق ١ ص ٥ - ١٢ .

(٤) لفظة الكبد « الاوقاف » : ق ( ٦ أ ) .

كان امام وقته وعلامة عصره <sup>(١)</sup> . ولد ببغداد سنة ٥١٠ هـ تقريبا بدرب حبيب <sup>(٢)</sup> . وفي رواية انه قال : لا أحقق مولدي غير أنه مات أبي في سنة اربع عشرة وخمسمائة ، وقالت الوالدة كان لك من العمر نحو ثلاث سنين <sup>(٣)</sup> .

نشأ ابن الجوزي يتيما لم يحظ بحنان الابوين ، لان والده توفي وهو صغير فكفلته أمه وعمته <sup>(٤)</sup> . وكانت عمته هذه امرأة صالحة اهتمت بتربيته وتولت أمر العناية به منذ الطفولة حيث كانت تأخذه الى الشيوخ لتسمعه الحديث وتحصل له الاجازات . وكان أول سماعه في سنة ٥١٦ هـ <sup>(٥)</sup> .

بدأ اهتمام ابن الجوزي بطلب العلم منذ الصغر ، فحفظ القرآن وقرأه على جماعة من أئمة القراء ، وأخذ يسمع بنفسه الكثير ويعنى بالطلب وراح ينظر في جميع العلوم والفنون ويؤلف فيها <sup>(٦)</sup> . لذلك بورك له في علمه وسنه فروى الكثير وسمع الناس منه اكثر من اربعين سنة <sup>(٧)</sup> . وكان قد لازم الشيوخ ودرس عليهم وحضر حلقات الفقهاء والعلماء في الجوامع والمساجد وانتظم في سلوكهم خصوصا ممن اشتهروا في التأليف والتدريس والرواية <sup>(٨)</sup> ، فكانوا اساتذته في حياته العلمية ، درس عليهم وحدث ونقل وروى عنهم وعلق على عدد غير قليل منهم ، وجمع لنفسه مشيخة ذكر فيها شيوخه واحوالهم ، وروى فيها عن كل واحد حديثا <sup>(٩)</sup> . وكان جل مشايخه من الأكابر كالفقهاء الأعيان ، والادباء ، والمحدثين ، والوعاظ ، والمناظرين ، والقراء ، والرواة ، والمفسرين ، واللغويين ، والشعراء ، وأئمة أهل المذهب ، وعلماء الخلاف والجدل والاصول والفرائض .

- (١) تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢ / ٢١٠ .
- (٢) أنظر : التقييد ( ق ١٤١ ) ، ذيل تاريخ بغداد : ج ٢ / ق ( ١٢٣ ) ، مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨١ ونقل عنه ابو شامة في الذيل ص ٢١ ، ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤٠٠ .
- (٣) وفيات الاعيان : ج ٢ / ٣٢٢ ، تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) . . ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) ، ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤٠٠ .
- (٤) ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤٠٠ - ٤٠١ وقد عقدنا فصلا خاصا في نشأته وتربيته بكتابنا المصباح المضيء - في المقدمة الغير المنشورة - ق ١ ص ١٣ - ١٨ .
- (٥) مشيخة ابن الجوزي ( المصورة ) : ق ( ١٢١ أ ) ، وتذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٢ .
- (٦) شذرات الذهب : ج ٤ / ٣٣٠ .
- (٧) ذيل تاريخ بغداد : ج ٣ / ق ( ٣٩ ب ) .
- (٨) انظر الباب الثاني من كتابنا المصباح المضيء في المقدمة الغير المنشورة ، ثقافة ابن الجوزي وشيوخه ق ١ - ص ٥٢ - ١٨١ .
- (٩) ذيل تاريخ بغداد ج ٢ / ق ( ١٢٢ ) .



وقد حصل على اجازاتهم منذ الصغر . ولعل اول اجازة منحت له في سنة ٥٢٠ هـ من الشيخ أبي القاسم علي بن يعلي الهروي المتوفى سنة ٥٢٧ هـ<sup>(١)</sup> . وكان ابن الجوزي مغرماً بقراءة الكتب ومطالعتها منذ الصغر ولم يعرف عنه أنه كل يوماً ما أو ملّ في الحصول على كتاب بل بالعكس كان اذا وجد كتاباً فكأنه عثر على كنز . ومهما ازداد في المطالعة فهو بعد في الطلب . نقل الكتاني عنه انه قال : « ما أشبع من مطالعة الكتب ، واذا رأيت كتاباً لم أره فكأنني وقفت على كنز . ولقد نظرت الكتب الموقوفة ، وكتب مشايخنا وكانت احمالاً ولو قلت اني طالعت عشرين الف مجلدة ، كان اكثر وأنا بعد في الطلب<sup>(٢)</sup> » .

لقد أجاد ابن الجوزي التصنيف في كل فن من فنون العلم والمعرفة وأفرد لكل حقل كتاباً مبوباً كي يميزه . وكانت له اليد الطولى والمشاركات في سائر العلوم كال تفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو<sup>(٣)</sup> وقد ابتدأ التصنيف وله ثلاث عشرة سنة<sup>(٤)</sup> . ومن هنا كانت مصنفاته كثيرة<sup>(٥)</sup> . ويبدو ان القوة الذهنية والمقدرة العجيبة التي كان يتمتع بها اهله لأخراج ثبت طويل من التأليف قيل انها بلغت ثلثمائة مصنفاً . وقد سئل مرة عن عددها فقال : « زيادة على ثلثمائة واربعين مصنف منها ما هو عشرون مجلداً ومنها ما هو كراس »<sup>(٦)</sup> .

ولطول باعه في التصنيف امتدحه بعض المؤرخين قائلاً<sup>(٧)</sup> : « لا أعرف احداً له تصانيف موجودة اكثر من ابن الجوزي ، في فنون العلم ، ورأيت اسماءها مفردة في

(١) المنتظم : ٢٥٩/٩م ونقل عنه سبطه في مرآة الزمان : ج ٨ ق ١١٨/٢ .

(٢) فهرس الفهارس : ج ٢٢٧/١ .

(٣) مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٣/٢ والبدية والنهاية : ج ٢٨/١٣ .

(٤) الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) ، ذيل ابن رجب : ج ٤١٦/١ .

(٥) قام الاستاذ البار عبد الحميد العلوجي باستقصاء تصانيف ابن الجوزي وذكر اخبارها في كتابه الموسوم ( مؤلفات ابن الجوزي ) المطبوع ببغداد عام ١٩٦٥ وللاستاذ هلال ناجي نقد عليه وبعض الاضافات

في مجلة المكتبة ع ٦٢ السنة ٨ ، ١٩٦٨ ص ٢٤ - ٢٦ ، واستدرك عليه الاستاذ محمد باقر في

مجلة المورد : ١٤١م - ١٤٢ / ١٩٧١ ، ص ١٨١ - ١٩٠ .

(٦) تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٣٠ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٨ أ ) ، والوافي بالوفيات

ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) ، ذيل ابن رجب : ج ٤١٣/١ . وجاء في مقدمة كتابه الباز

الاشهب المنقّص على مخالف المذهب ( الاوقاف ) ق ( ١٦ ب ) : وقد بلغت مصنفاتي ما بين مائتين

وخمسين مصنفاً « ولا نعلم تاريخ تأليفه هذا الكتاب ، وربما ألف كتاباً اخرى بعده فزاد عددها

بعد ذكره هذا العدد في هذا الكتاب .

(٧) المختصر المحتاج اليه : ج ٢ / ٢٠٧ .

كراس<sup>(١)</sup> . وقال الذهبي : « ما علمت احدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل »<sup>(٢)</sup> وكان ابن الجوزي قد كتب بخطه الشي<sup>٣</sup> الكثير وروى عنه أنه قال في آخر عمره : « كتبت باصبعي هاتين الفى مجلدة »<sup>(٣)</sup> .

ولكثرة ما صنفه ابن الجوزي من تأليف فانه حظي باهتمام العلماء به والثناء على نتاجاته فصار مرجعا لهم ينقلون عنه وان تفاوت الامر في ذلك ، فمنهم من اكتفى بنقل نصوص قليلة من كتبه ومنهم من نقل الكثير من الاخبار الواردة في كتبه سواء كانت حوادث تاريخية ام تراجم رجال ونساء أو غير ذلك ، وراح يحشوها في كتابه بنصوصها وصفحاتها حتى لتكاد بعض مؤلفات اولئك العلماء لا تخلو من ذكر ابن الجوزي أو الرواية عنه .

ونظرا لمكانته العلمية الرفيعة ، واهتمامه الشديد بالنشاط الديني الفعال ولا سيما في الحديث وصناعة الوعظ ، فانه كان يعد أوحدا زمانه في ترصيع الكلام<sup>(٤)</sup> . ولبراغته الكبيرة في الوعظ اطلق عليه المؤرخون عالم العراق وواعظ الافاق<sup>(٥)</sup> . وكانت مجالسه الوعظية مشهودة حضرها الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله نفسه مرات عديدة . كما حضرها الوزراء والعلماء والفقهاء والقضاة وارباب الدولة والشيخ والاكابر وسائر الناس على اختلاف طبقاتهم .. حتى قيل ان مجلس وعظه حزر بمائة الف<sup>(٦)</sup> . وان دل هذا على شي ، فإنما يدل على شدة تأثيره في النفوس ، ومدى احترام الناس له .

وكان فوق كل هذا استاذاً ماهرا ومدرسا قديرا ، تولى التدريس بنفسه في مدارس كثيرة كمدرسة درب دينار ببغداد ومدرسة الشيخ عبدالقادر وغيرها . وكانت وفاته ببغداد سنة ٥٩٧ هـ<sup>(٧)</sup> . ودفن بداره في قطفتا<sup>(٨)</sup> .

(١) يعني فهرست كتبه هذا الذي بين ايدينا .

(٢) تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٤ ونقل عنه ابن رجب في الذيل : ج ١ / ٤٢١ .

(٣) تقدير المجلد عشر وركات . وفيات الاعيان : ج ٥ / ٢٣١ . وانظر : مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٢/٢ ، تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) ، ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٠ ، طبقات الحفاظ : ص ٤٧٨ .

(٤) المستفاد : الورقة ( ٤٦ ) .

(٥) تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٢ .

(٦) العبر : ج ٤ / ٢٩٨ ، مرآة الجنان : ج ٣ / ٤٨٩ ، شذرات الذهب : ج ٤ / ٣٣٠ . -

(٧) انظر كافة المصادر المترجمة له .

(٨) تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٣٠ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٨ أ ) .

## وصف مخطوطة فهرست كتبه :

تصانيف ابن الجوزي كراس صغير - وهو مخطوط فريد - تحت عنوان فهرست كتبه <sup>(١)</sup> ( أي كتب ابن الجوزي ) يقع في ورقتين شغلت الأوراق ( ٢١٤-٢١٥-٢ ) في مجموع رقم ( ٦٩ ) محفوظة في خزانة المكتبة الظاهرية بدمشق <sup>(٢)</sup> . وعنها نسخة مصورة محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم ( ٥١٢ ) . والمخطوطة ناقصة لا تحوي أسماء تأليف ابن الجوزي جميعها ، كما أنها خلو من اسم المؤلف وتاريخ تأليفها واسم الناسخ وتاريخ النسخ ، ولم يشر إليها من المؤرخين غير سبطه أبي المظفر يوسف بن قزاوغي <sup>(٣)</sup> ( ت ٦٥٤ هـ ) وابن الديبشي <sup>(٤)</sup> ( ت ٦٣٧ هـ ) وابن رجب الحنبلي <sup>(٥)</sup> ( ت ٧٩٥ هـ ) .

ومما يؤكد ان المخطوطة موضوعة في تعداد تصانيف ابن الجوزي ما ورد في اولها : « فهرست ايضا كتب الشيخ الامام » وورود عبارة « ومما له في الاصول . . . ومما له في الحديث . . . ومما له . . . » في ثناياها عند ذكر اسماء الكتب . وهي لا تحوي - كما ذكرت - كل تأليف ابن الجوزي بدليل ما ذكره ابن رجب في كتابه حيث قال <sup>(٦)</sup> : « . . . فهذا ما ذكره ابن القطيعي من خطه وقرأه عليه - أي على ابن الجوزي - وزاد فيه » . مما يدل على ان الفهرست الذي وضع في تصانيفه قد قرئ على ابن الجوزي وهو يسمع فزاد فيه .

ولابن الجوزي تصانيف اخرى كثيرة ألفها بعد اعداد هذا الفهرست ذكرها ابن رجب في الذيل <sup>(٧)</sup> . فقد اتضح من خلال مقارنة اسماء الكتب السواردة في المخطوط مع المصادر المختلفة ، ان هناك نقصاً كبيراً فيها وقد سقطت اسماء كتب عديدة منها ، بدليل ان تلك المصادر تذكر أسماء كتب اخرى بين ثنايا اسماء كتب المخطوط - الذي بين أيدينا - ولا نجدها فيه .

(١) كذا ورد في فهرس مخطوطات الظاهرية ، دمشق ١٩٧٠ ص ٤٠ . وقد انفرد بذكره .

(٢) ن . م : ص ٤٠ .

(٣) مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٣ .

(٤) المختصر المحتاج اليه : ج ٢ / ٢٠٧ وفيه يثنى ابن الديبشي على كثرة تصانيف ابن الجوزي ويضيف قائلا : ورأيت اسماء مفردة في كراس ، ولا ندرى أهو هذا الكراس الذي بين أيدينا أم غيره .

(٥) الذيل : ج ١ / ٤٢٠ .

(٦) ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٩ .

(٧) ن . م : ج ١ / ٤١٩ - ٤٢٠ .

ويظهر ان هذا الكراس قد نقل الى الشام منسوخا عن طريق العلماء الذين كانوا يأتون الى بغداد طلبا للعلم . فقد ذكر سبطه في تعداد كتبه ما نصه : « ذكر ما وقع الى الشام من أسامي فهرست مصنفاته ومجموعاته ومنقولاته ومؤلفاته . . . » <sup>(١)</sup> ثم يستعرض اسماءها .

وقد احتوت المخطوطة — موضوع البحث — اسماء ( ١٢٦ ) كتابا — منها (٧) كتب مكررة — تضمنت المواضيع التالية —

في الاصول ، في الحديث ، في علم الحديث ، في الفقه ولغته ، في العربية ، في المناقب .

والمخطوطة مؤطرة بحاشية من خط آخر لا علاقة له بمحتويات المخطوطة . وخطها نسخي يرقى الى القرن ٨ هـ على ما نعتقد . وتقع في ورقتين ، تحوي الورقة الواحدة منها صفحتين بـ ١ — ٢ ، وكل صفحة تحوي بين ( ٢١ — ٢٥ ) سطرا . وكل سطر فيها يحوي ( ٨ — ١٠ ) كلمة . اما العناوين فقد احتوت على أربع أو خمس كلمات .

وعلى المخطوط خروم في الصفحة (٢) من الورقة الاولى مما يدل على وجود نقص في اسماء بعض الكتب سيما في السطور ( ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ) من الصفحة (٢) المذكورة وهي على العموم منقوطة لكنها غير مضبوطة الشكل ، ويوجد بياض في بعض ثناياها مما يدل على سقوط كلمة أو أكثر تدل على جزء أو مجلد <sup>(٢)</sup> .

اما رسم الناسخ للحروف فيلاحظ أنه يحذف الهمزة ويستبدل بها الياء في الكلمات : المسائل ، الدلائل ، الحدايق ، النظائر . . . الخ « وقد رسمتها بشكلها الصحيح هكذا : « المسائل ، الدلائل ، الحدايق ، النظائر . . . الخ » .

أو يستبدل بها الواو كما في « جزء » حيث رسمها « جزو » .

كما حذف الناسخ الألف من ارقام الاعداد ورسمها هكذا « ثلاثة » وقد رسمتها بالألف هكذا : « ثلاثة » .

واذا سقط كلام في المتن يستعمل اشارات هكذا : « . . . ، . . . » تدل على ان كلاما سقط اثناء النسخ وهو موجود قبالة تلك الاشارة . وقد ادخلت كل ما سقط من هذا القبيل في متن النص بمكانه .

(١) مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٣/٢ .

(٢) وقد اشرت الى مواقعها في حاشية النص .

المورقة (٢-٢١٤) من مخطوطة فهرست كتب ابن الجوزي

مصورة عن نسخة الظاهرية (مجموع ٦٩)

فهرست کتابها حسب السج لامام العالم الشيرازي رحمه الله

كتاب في خمس مجلدات كتاب تاريخ القرآن ومبطله  
الشيخ الامام جزي وعبد الله بن علي الغزالي ومبطله

وكتاب التلخيص المنسوب في مجموع المكتبة خرو وكتاب  
خبر الخ فنان وورود الامام خصال

• جمال واصل

منهاج الوصول إلى علمي مناهج المعاني جزو ركنات  
الشمس المصنف في طبقات وقفاً لنفسه بكتب التفتازي

محمداً

جامع للتأمين عشر مجلدات وكتاب الحسابات ثلث مجلدات  
وكتاب نفق النقط ثلث مجلدات وكتاب دروس لائز مجلدات

كعب النضر وحيد و كعبا لخراسان الدخاير ثلثه اجزاء و كعب  
الادوية المشتمل على ثلثه اجزاء

عن علي بن عبد الله عن

[illegible]

وكتاب ظفیر فی امور الامتثال من کتاب الموضوعات

جلزات حجاب المنتخب في النخب لجلز كتاب خف الطلاب

1. The first step in the process is to identify the problem. This involves gathering information about the situation and understanding the needs of the stakeholders involved.

1

الورقة ( ٢١٤-٢ ) من مخطوطة

مصورة عن نسخة

[illegible]

۱۰۰  
 ۱۰۱  
 ۱۰۲  
 ۱۰۳  
 ۱۰۴  
 ۱۰۵  
 ۱۰۶  
 ۱۰۷  
 ۱۰۸  
 ۱۰۹  
 ۱۱۰  
 ۱۱۱  
 ۱۱۲  
 ۱۱۳  
 ۱۱۴  
 ۱۱۵  
 ۱۱۶  
 ۱۱۷  
 ۱۱۸  
 ۱۱۹  
 ۱۲۰  
 ۱۲۱  
 ۱۲۲  
 ۱۲۳  
 ۱۲۴  
 ۱۲۵  
 ۱۲۶  
 ۱۲۷  
 ۱۲۸  
 ۱۲۹  
 ۱۳۰  
 ۱۳۱  
 ۱۳۲  
 ۱۳۳  
 ۱۳۴  
 ۱۳۵  
 ۱۳۶  
 ۱۳۷  
 ۱۳۸  
 ۱۳۹  
 ۱۴۰  
 ۱۴۱  
 ۱۴۲  
 ۱۴۳  
 ۱۴۴  
 ۱۴۵  
 ۱۴۶  
 ۱۴۷  
 ۱۴۸  
 ۱۴۹  
 ۱۵۰  
 ۱۵۱  
 ۱۵۲  
 ۱۵۳  
 ۱۵۴  
 ۱۵۵  
 ۱۵۶  
 ۱۵۷  
 ۱۵۸  
 ۱۵۹  
 ۱۶۰  
 ۱۶۱  
 ۱۶۲  
 ۱۶۳  
 ۱۶۴  
 ۱۶۵  
 ۱۶۶  
 ۱۶۷  
 ۱۶۸  
 ۱۶۹  
 ۱۷۰  
 ۱۷۱  
 ۱۷۲  
 ۱۷۳  
 ۱۷۴  
 ۱۷۵  
 ۱۷۶  
 ۱۷۷  
 ۱۷۸  
 ۱۷۹  
 ۱۸۰  
 ۱۸۱  
 ۱۸۲  
 ۱۸۳  
 ۱۸۴  
 ۱۸۵  
 ۱۸۶  
 ۱۸۷  
 ۱۸۸  
 ۱۸۹  
 ۱۹۰  
 ۱۹۱  
 ۱۹۲  
 ۱۹۳  
 ۱۹۴  
 ۱۹۵  
 ۱۹۶  
 ۱۹۷  
 ۱۹۸  
 ۱۹۹  
 ۲۰۰

[illegible]

كتاب صيقل الفهر  
كتاب صيقل الفهر

کتابخانه مجلس شورای اسلامی  
تهران

[illegible]

كان لا يخرجوا البسبلي أربع طلائع التي في كل يوم  
كانت لا يخرجوا طلائع الذهب طلائع الذهب  
كان لا يخرجوا طلائع الذهب طلائع الذهب

كل كتاب العرب حبيب العبد  
 طبعه امر كتاب منها السها  
 طبعه امر كتاب منها السها  
 طبعه امر كتاب منها السها

كتاب روث المزارع جلد كتاب روث القصص جلد كتاب الطيف على عوارى القلوب جلد كتاب الطيف على عوارى القلوب جلد كتاب

كتاب الخلد في انوار جود كتاب الوعد للصمد

الغنى والكرامه  
من كرم و جود  
من كرم و جود

الشيخ محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب

والله اعلم بالصواب

وہو الحادی وکھو

طه ( فهرست کتب ابن الجوزي )

اظاھریہ (مجموع ۶۹)

2000







(ق ٢١٤-١) فهرست ايضا كتيب الشيخ الامام العالم السيد الحبر الكامل<sup>(١)</sup>  
الفاضل جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي<sup>(٢)</sup> بن محمد بن علي  
ابن الجوزي .

فمن ذلك في تفسير القرآن العزيز<sup>(٣)</sup> كتاب « المغني »<sup>(٤)</sup> عشرين مجلدا<sup>(٥)</sup> .  
كتاب.. « زاد المسير »<sup>(٦)</sup> خمس مجلدات . كتاب « تذكرة الاريب »<sup>(٧)</sup> جزء . كتاب

(١) في الاصل مطموسة .  
(٢) في الاصل غير واضحة وصوابه من : التقييد ، الورقة ( ١٤١ أ ) وذيل تاريخ مدينة السلام بغداد :  
ج ٣ ، الورقة ( ٣٩ ب ) وتاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ أ ) ومختصره ( ن . الدراسات )  
ق ( ٦٥ أ ) .

(٣) ورد النص بالفاظ مختلفة في : مرآة الزمان : ج ٨ ق ٨٣/٢ . تذكرة الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ ،  
الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١/١٧ .

(٤) كذا ورد في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ أ ) ومختصره ( ن . الدراسات ) ق ( ٦٥ ب )  
وفي ق ( ٢٢٨ ب ) و ( ٦٦ ب ) منهما نقلًا عن سبط ابن الجوزي : « كتاب المغني أحد وثلاثون جزءا  
بخطه الا انه لم يبيضه ولم يشتهر » . وقد رجعت الى مرآة الزمان : ج ٨ ق ٨٣/٢ فوجدت ذلك نصا ولكن  
بلفظ « كتاب المعين . . . » كذا بدل « كتاب المغني » وفي تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ لم يذكر  
عدد مجلداته بل ذكر انه كبير جدا . وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ )  
وذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٦ « أحد وثمانون جزءا » ولم يذكر ابن الفرات في تاريخه : ج ٤ م ٢١١/٢  
ولا السيوطي في طبقات الحفاظ : ص ٤٧٨ عدد مجلداته . وانظر ايضا العلوجي : ص ١٧١  
رقم ( ٤٠٤ ) .

مركز تحقيق كاتبة علوم إسلامي

(٥) في الاصل مجلد ( كذا ) .

(٦) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٨٣/٢ ، وتذكرة الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ وتاريخ الاسلام ( ن . بشار )  
ق ( ٢٢٧ أ ) و ( ٢٢٨ ب ) ومختصره ( ن . الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) و ( ٦٦ ب ) والوافي  
بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١/٤١٦ ولكن بلفظ « اربع  
مجلدات » بينما في وفيات الاعيان : ج ٢/٣٢١ وتاريخ ابن الفرات : ج ٤ م ٢١١/٢ بلفظ « اربعة  
اجزاء » وبإضافة « أتى فيه بأشياء غريبة » ومنه نسخة بجامعة القرويين في فاس برقم ( ١٤٠٠ ) وفي البداية  
والنهاية : ج ١٣/٢٨ « كتابه في التفسير المشهور بزاد المسير ، وله تفسير أبسط منه ولكنه ليس بمشهور »  
وانظر ايضا العلوجي ص ١٠٧ رقم ( ١٥٨ ) والمورد العدد ١ - ١٩٧١/٢ ص ١٨٥ رقم ( ١٩ ) .  
وقد طبع الكتاب بعناية مكتب النشر الاسلامي ببيروت وساهم بنفقاته الشيخ علي ال ثاني امير قطر  
وصدر منه سبعة مجلدات وتسم بثمانية مجلدات من القطع الكبير . انظر : مجلة المكتبة ع ٦٢ ، السنة  
٨ ، ١٩٦٨ . ص ٢٦ .

(٧) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٨٣/٢ بلفظ « تذكرة الاريب في علم الغريب » وعنه صحيح محقق  
تاريخ ابن الفرات في ج ٤ م ٢ / ٢١٢ . وعده الذهبي في تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ في اللغة .  
وفي تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) بلفظ « تذكرة  
الاريب في شرح الغريب مجلد » ومثله في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ )  
وذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٦ عدا لفظه ( شرح ) وردت ( تفسير ) . وانظر ايضا طبقات الحفاظ  
ص ٤٧٨ والعلوجي ص ٨٢ رقم ٧٢ و ٧٣ .

ناسخ القرآن ومنسوخه <sup>(١)</sup> كتاب « الوجوه والنظائر » <sup>(٢)</sup> مجلد . وكتاب « الوجوه والنواظر » <sup>(٣)</sup> مجلد . وكتاب « تذكرة المنتبه في عيون المشتبه » <sup>(٤)</sup> جزء . وكتاب « فنون الأفنان وورود الاغصان » <sup>(٥)</sup> .

مما له في الاصول : <sup>(٦)</sup>

« منهاج الوصول » <sup>(٧)</sup> مجلد . كتاب « منتقد المعتقد » <sup>(٨)</sup> جزء . كتاب « السر المصون » <sup>(٩)</sup> وكتاب « دقع التنبيه بكف التنزيه » <sup>(١٠)</sup> .

- (١) ورد نصا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٣ و بلفظ « مجلد » وعنه العلوجي ص ١٩٣ رقم ٤٧٧ .  
(٢) ورد نصا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٣ وتذكرة الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وبدون كلمة ( مجلد ) في تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٣ وطبقات الحفاظ : ص ٤٧٨ ، وانظر ايضا العلوجي ص ٢٠١ رقم ( ٥٠٩ ) .  
(٣) قال ابن الجوزي : اختصرت من هذا الكتاب - نزهة العيون والنواظر في الوجوه والنظائر - كتابا يسمى « بالوجوه النواظر في الوجوه والنظائر ، مجلد » . ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٦ وبهذا العنوان توجد نسخة في مكتبة جستر بيتي بدبلن تسلسل ( ٤٣٨٦ ) انظر : المورد م ٧ ع ١٤ ، ١٩٧٨ ص ٢٠٧ والعلوجي ص ٢٠١ رقم ( ٥٠٩ ) .  
(٤) في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) « عيون المشتبه » جزء . بينما ورد المتن نصا في ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٧ وانظر العلوجي : ص ٨٣ رقم ( ٧٦ ) .  
(٥) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٣ وتذكرة الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ بلفظ « فنون الافنان في علم القرآن » مجلد . وفي تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( ن . الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) بلفظ « فنون الافنان » مجلد . وفي ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٧ ورد ما نصه : « فنون الافنان في عيون علوم القرآن ، مجلد ، كتاب ورد الاغصان في فنون الافنان ، جزء » مما يدل على أنهما كتابان منفصلان . وفي تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١١ « فنون الافنان في سجوع القرآن » . انظر ايضا العلوجي ص ١٣٠ رقم ( ٢٤٦ ) . قالت ناجية : لعل كتاب فنون الافنان وورود الاغصان هذا كتاب آخر لابن الجوزي غير تلك الكتب .

- (٦) انظر تصانيفه في هذا الحقل : مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٥ والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٧ .  
(٧) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٥ بلفظ « منهاج الوصول الى علم الاصول ، مجلد » وكذا في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٧ ولكن بلفظ « خمسة اجزاء » . وورد في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) مجردا من اي عدد . وفي تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٣ بلفظ « الوصول الى علم الاصول » وانظر ايضا العلوجي ص ١٨٩ رقم ( ٤٦٤ ) وفيه اشار الى نسخة خطية للكتاب .  
(٨) ورد نصا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٥ وذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٧ وتاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٣ وفيه مجرد من الجزء . العلوجي ص ١٨٥ رقم ( ٤٤٩ ) .  
(٩) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٥ باضافة « في الفرائض ، جزء » وهي في الاصل بياض وفي ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٧ بلفظ « مجلد » . العلوجي ص ١١٠ رقم ( ١٦٨ ) .  
(١٠) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٥ « كتاب رفع التشبيه باكف التنزيه ، اربعة اجزاء » ومنه نسخة مخطوطة =

## ومما له في الحديث <sup>(١)</sup> :

« جامع المسانيد <sup>(٢)</sup> » عشر مجلدات. وكتاب « الحداثق <sup>(٣)</sup> » ثلاث مجلدات. وكتاب « نفي النقل <sup>(٤)</sup> » ثلاث مجلدات. وكتاب « درر الاثر <sup>(٥)</sup> » مجلد. كتاب « المديح <sup>(٦)</sup> » مجلد. كتاب « أخاير الذخائر <sup>(٧)</sup> » ثلاثة اجزاء. وكتاب « الفوائد <sup>(٨)</sup> » عن الشيوخ « ستون جزءا.

= في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ( ٢٢٥ ) مجاميع ، عقائد ، انظر العلوجي : ص ٩٩ رقم ( ١٣٠ ) .

(١) انظر تصانيفه في هذا الحقل : مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٨٣ والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١٧/١ .

(٢) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٨٣ بلفظ « جامع المسانيد بالحصص ( ٩ ) الاسانيد سبع مجلدات » ومثله في ذيل ابن رجب : ج ١٧/١ وبدون عدد . وورد نصا ولفظ « سبع مجلدات » في تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ وتاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( ن . الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) . وفي البداية والنهاية : ج ٢٨/١٣ « وله جامع المسانيد استوعب فيه غالب مسند احمد وصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي » . وبمعنا « جامع المسانيد والالقباب » توجد نسخة في المجلدية بتونس رقمها ( ٦٨٣ ) واخرى بالطيارين في تونس ايضا رقمها ( ٥٥٣٨ ) وكلتاها بخط مشرقى وتعود الثانية منهما للقرن السابع للهجرة . انظر : مجلة المكتبة ع ٦٢ ، السنة : ٨ ، ١٩٦٨ ص ٢٦ ، العلوجي ص ٨٩ رقم ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٨٣ وتذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ ومختصر تاريخ الاسلام ( ن . الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) بلفظ « مجلدان » . وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١٧/١ بلفظ « أربع وثلاثون جزءا » وورد مجردا من العدد في تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٣ وأشار العلوجي في ص ٩٤ رقم ( ١١١ ) الى وجود نسخ عديدة عنه .

(٤) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٨٤ بلفظ « ستة وخمسون جزءا مجلدا » وفي تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ بلفظ « نقي النقل مجلد كبير » بينما ورد مجردا من العدد في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( ن . الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) . وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢ / الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١٧/١ بلفظ « خمسة اجزاء » . ومجردا من العدد ايضا في تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٣ . وانظر العلوجي : ص ١٩٨ رقم ( ٤٩٩ ) .

(٥) كذا ورد في هدية العارفين : م ٥٢١/١ ( وبدون مجلد ) وللكتاب نسخة خطية في خزانة كتب جامع الفاتح باستانبول برقم ( ٢٦١٤ ) . انظر العلوجي : ص ٩٧ رقم ( ١٢٦ ) .

(٦) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٨٤ بلفظ « المديح » بينما ورد نصا في الوافي بالوفيات ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١٧/١ ولكن بلفظ « سبعة اجزاء » وعنهما العلوجي في ص ١٦٤ رقم ( ٣٧٥ ) .

(٧) ورد نصا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٨٨ وعده من تصانيفه في الوعظ وفي ص ٤٨٤ من نفس الجزء بلفظ « مجلد » ويعدده من تصانيف علم الحديث . وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) بلفظ « الذخاير » بينما ورد المتن صحيحاً ايضا في ذيل ابن رجب : ج ١٧/١ . وفي تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٥ بلفظ « وكتاب الذخاير في الوعظ » . وانظر ايضا العلوجي ص ٦٤ رقم ( ٨ ) .

(٨) ورد نصا في ذيل ابن رجب : ج ١٧/١ وعنه العلوجي ص ١٣١ رقم ( ٢٤٨ ) .

## ومما له في علم الحديث : (١)

كتاب « كشف مشكل (٢) الصحيحين » خمس مجلدات . وكتاب « التحقيق (٣) احاديث التعليق » مجلدان . وكتاب « تلقيح فهوم أهل الأثر (٤) » مجلدان . وكتاب « الموضوعات » (٥) مجلدان .

(١) انظر تصانيفه في هذا الحقل : مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٤ .  
(٢) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٣ بلفظ « الكشف عن معاني الصحيحين ، أربع مجلدات » بينما ورد نصا في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) وكلاهما بلفظ « أربع مجلدات » وفي تذكرة الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ « مشكل الصحاح » أربع مجلدات . وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) بلفظ « الكشف لمشكل الصحيحين أربع مجلدات » ومثله في ذيل ابن رجب : ج ١٧/٤١٧ . وفي طبقات الحفاظ ص ٤٧٨ مجرد من العدد . وانظر ايضا العلوجي : ص ١١٣ رقم ( ١٧٩ ) وص ١٤٩ رقم ( ٣٠٩ ) ، والمورد م ١ ع ١-٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٥ رقم ( ٢٥ ) .

(٣) ورد نصا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٥ ضمن تصانيفه في علم الفقه وكذا نصا ورد في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( ن . الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) وفي تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ بلفظ « التحقيق في مسائل الخلاف » مجلدان « ولعله كتاب اخر لابن الجوزي . وورد نصا ايضا في الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١٧/٤١٧ . ويوجد مختصر له بعنوان « تنقيح كتاب التحقيق في احاديث التعليق » ومنه نسخة خطية في مكتبة فيض الله ، برقم ( ٢٩٦ ) . ويوجد الجزء الثاني في المكتبة الظاهرية بعنوان « تنقيح التحقيق لابن الجوزي » برقم ٣٠١ حديث . وعن هاتين النسختين اخذت النسختان المصورتان الموجودتان في معهد احياء المخطوطات العربية انظر / المورد م ١ ع ٢-٣ ، السنة ١٩٧١ ص ١٨٣ رقم ( ٢ ) ، العلوجي : ص ٨١ رقم ( ٧٠ ) .

(٤) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٤ بلفظ « مجلد » وبإضافة « في علم التواريخ والسير » . وقال ابن خلكان في وفيات الاعيان : ج ٢/٣٢١ ( وله تلقيح فهوم الاثر ، على وضع كتاب المعارف لابن قتيبة ) وكذا بلفظ مجلد في تذكرة الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ . وفي تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) ورد بلفظ « تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير » وكذا في ذيل ابن رجب : ج ١٧/٤١٧ بلفظ « مجلد » . وفي تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٣ بلفظ « تلقيح فهوم الاثر على وضع كتاب المعارف لابن قتيبة ( في علم التواريخ والسير . ) وذكر في الحاشية الاضافة على ما ورد في مرآة الزمان وبلفظ « تلقيح فهوم الاثر » في طبقات الحفاظ : ص : ٤٧٨ ونقل عنه الكتاني في فهرس الفهارس : ج ١/٢٢٧ . وللكتاب نسخ خطية عديدة انظر : العلوجي : ص ٨٦ رقم ( ٨٩ ) والمورد م ١ ع ١-٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٤ رقم ( ٩ ) .

(٥) ورد نصا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٤ وفي وفيات الاعيان : ج ٢/٣٢١ بلفظ « في أربعة اجزاء ، ذكر فيها كل حديث موضوع » وكذا ورد نصا في تذكرة الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ وبدون « مجلدان » في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( ن . الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) وفي ق ( ٢٣١ ب ) و ( ٦٩ ب ) منهما قال الذهبي : « . . . صنف ابن الجوزي كتاب الموضوعات فأصاب في ذكره احاديث شنيعة مخالفة للنقل والعقل » . وكذا ورد نصا في الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) . وفي البداية والنهاية : ج ١٣/٢٨ بلفظ « وله الاحاديث الموضوعة » وفي ذيل ابن رجب : ج ١٧/٤١٧ =

كتاب « المحتسب في النسب <sup>(١)</sup> » مجلد . كتاب « تحف الطلاب <sup>(٢)</sup> » ( ق ٢١٥-١ )  
ثلاثة اجزاء .

« مدائح لابن القصاب <sup>(٣)</sup> » كتاب « النصر على مصر <sup>(٤)</sup> » جزء . « ومثير  
العزم الساكن الى أشرف <sup>(٥)</sup> الأماكن » ، يعني الى الحج مجلد . « الحث على <sup>(٦)</sup>

= بلفظ « كتاب الموضوعات من الاحاديث المرفوعات مجلدان » ومثله في تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢ /  
٢١٢ ولكن بلفظ « اربعة اجزاء » . ولفظ « الموضوعات » فقط في طبقات الحفاظ : ص ٤٧٨ وعنه  
نقل الكتاني في فهرس الفهارس : ج ١ / ٢٢٧ . وللكتاب نسخ عديدة ، انظر : العلوجي ص ١٤٥  
رقم ( ٣٠١ ) والمورد : م ١٤ - ٢ / السنة ١٩٧١ ص ١٨٧ رقم ( ٣٥ ) .

(١) ورد نصا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٨٤ / ٢ وذيلى ابن رجب : ج ١٧ / ١ . وفي الوافي بالوفيات :  
ج ١٥ - ١٧ / ٢ ق / الورقة ( ١٥٣ أ ) وتاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢ / ٢١٣ بدون مجلد . وانظر العلوجي :  
ص ١٥٩ رقم ( ٣٥٠ ) .

(٢) ورد نصا في ذيل ابن رجب : ج ١٧ / ١ - ٤١٨ ولفظ « تحفة . . . » وعنه العلوجي ص ٨٠  
رقم ( ٦٧ ) .

(٣) في الاصل بعد كلمة القصاب بياض ولعله مكان كلمة تدل على جزء أو مجلد . والكتاب لأول مرة  
يذكر هنا ولم اجد فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٤) ورد بدون لفظة جزء كاملا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٨٧ / ٢ تحت فصل « ومن الرياضات ونحوها »  
وكاملا ايضا في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ )  
والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ / ٢ ق / الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيلى ابن رجب : ج ١٧ / ١ - ٤٠٤ وفيه ان هذا  
الكتاب صنفه ابن الجوزي لما خطب للخليفة المستضيء بمصر وانقطع أثر العبيدين عنها ، وعرضه عليه  
وحضر عنده . وفي ص ٤١٩ من الذيل نفسه ورد اسم الكتاب كاملا . وانظر ايضا العلوجي : ص ١٤٧  
رقم ( ٣٠٣ ) .

(٥) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٨٧ / ٢ بلفظ « مثير العزم الساكن ، مجلد » تحت فصل : ومن الرياضات  
ونحوها . ولفظ « . . . الغرام . . . » كاملا في تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ . وفي تاريخ  
الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) كاملا وبدون اضافة . ولفظ  
« مثير العزم الساكن مجلد » في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ / ٢ ق / الورقة ( ١٥٣ أ ) . وكاملا  
ايضا في ذيل ابن رجب : ج ١٨ / ١ . وللكتاب نسخ خطية عديدة . انظر العلوجي : ص ٧٧ رقم  
( ٥٨ ) وص ١٥٦ ، رقم ( ٣٣٧ ) وتوجد للكتاب نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية محفوظة في -  
جامعة الدول العربية برقم ( ٤٣٧ ) . انظر فهرس المخطوطات المصورة ، ق ١ ج ٢ / ٢٢٩ . وهناك  
منتخبات مخطوطة من هذا الكتاب بعنوان « مثير العزم الساكن » في جامعة برنستون ص ٦٦ - ٦٧ رقم  
١٧١ . انظر : المورد م ١٤ - ٢ / السنة ١٩٧١ ص ١٨٤ رقم ( ٥ ) .

(٦) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٨٧ / ٢ كاملا ولفظ ( مجلد ) وتحت فصل : ومن الرياضات ونحوها .  
وفي ذيل ابن رجب : ج ١٩ / ١ ورد بلفظ « الحث على حفظ العلم ، وذكر كبار الحفاظ » جزء .  
وانظر ايضا العلوجي : ص ٩٣ رقم ( ١١٠ ) وهناك مخطوط بعنوان « رسالة الحث على طلب العلم والحركة  
على سلوك طريقه في كسب العلم وادلته » . انظر : المورد م ١٤ - ٢ / السنة ١٩٧١ ص ١٨٥ رقم  
( ١٤ ) .



(١) ورد نصا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٦ تحت فصل : من تصنيفه في المناقب . وانظر ايضا : العلوجي : ص ٦٩ رقم ( ٢٧ و ٢٩ ) .

(٢) في الاصل ( الباء ) وقد ورد كاملا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٧ وعده من تصانيفه في الطب .

(٣) ورد كاملا في ذيل ابن رجب : ج ١/٤١٩ وعنه العلوجي ص ٨٠ رقم ( ٦٦ ) .

(٤) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٧ ورد تحت فصل ومن الرياضات ونحوها : « كتاب عطف الامراء على العلماء جزاء » وبلغظ « عطف العلماء على الامراء ، والامراء على العلماء » جزء ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة جون رايلاندز في مانشستر برقم ( ٧٧٧ ) . انظر : العلوجي ص ١٢٢ رقم ( ٢٠٩ ) .

(٥) كتاب جديد يذكر لأول مرة .

(٦) ورد كاملا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٧٢ وبلغظ ( جزاء ) . وكاملا ايضا في ذيل ابن رجب : ج ١/٤١٩ . وللكتاب نسخة خطية في مكتبة الغازي خسرو بك بسرايفو في يوغسلافيا ضمن مجموع رقم ( ٣٠٠ ) فرغ من نسخه محمد بن عبد الفتاح الواعظ المنزلي يوم الاحد ١٩ صفر سنة ١٠٢٤ . انظر فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية ص ١٣٣ - ١٣٤ والعلوجي ص ٧٠ رقم ( ٣٣ ) .

(٧) ورد كاملا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٦ تحت فصل الرقائق . وكذا في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) . وفي ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤٢٠ بدون جزء وعنهم العلوجي في ص ١٢٢ رقم ( ٢٠٧ ) .

(٨) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٦ ورد بلفظ « مشجرة . . . » وعده سبطه في المناقب وعنه العلوجي في ص ١٦٧ رقم ( ٣٨٨ ) .

(٩) ورد كاملا في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) وبدون جزء وعنه العلوجي في ص ١٤٣ رقم ( ٢٩٤ ) .

(١٠) ورد كاملا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٧ وبلغظ ( جزاء ) وبدون جزء في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ١/الورقة ( ١٥٣ أ ) . وبلغظ ( جزاء ) ايضا في ذيل ابن رجب : ج ١/٤٢٠ . وللكتاب نسخ خطية عديدة . انظر : العلوجي : ص ٨٩ رقم ( ٩٥ ) والمورد : ج ١ - ٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٤ رقم ( ١١ ) .

(١١) لم أجد كتابا بهذا العنوان ولعله جديد ان لم يكن كتاب الوفاء في فضائل المصطفى الذي ذكره العلوجي وأشار الى نسخه الخطية في ص ١٤٧ رقم ( ٣٠٥ ) من كتابه .

(١٢) ذكره ابن الجوزي في كتابيه صيد الخاطر : ج ١/٨١ و ١٥٤ والطب الروحاني ( الاوقاف ) ( ق ٦٢ ) وقد ورد نصا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٦ وبلغظ مجلد في تذكرة الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ ومجردا في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) . وكاملا ايضا في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١/٤١٩ وبدون =



« المغفلين »<sup>(١)</sup> مجلد . « الظراف — والمتماجنين »<sup>(٢)</sup> كتاب « الحث على طلب »<sup>(٣)</sup> الاولاد .

كتاب « صيد »<sup>(٤)</sup> الخاطر . كتاب « تبوير العبس »<sup>(٥)</sup> ؟ . « أحكام الاشعار »<sup>(٦)</sup>

= ( مجلدان ) في تاريخ ابن الفرات : ٤م ج ٢/٢١٣ . وللكتاب نسخ خطية عديدة اشار اليها العلوجي في ص ١٠١ رقم ( ١٣٨ ) من كتابه وهناك نسخ اخرى منه في مكتبات الازهر وأروقته ( خطها سنة ١١٢٣هـ ) برقم ( ٤٠٥ ) تصوف انظر مخطوطات مكتبات الازهر وأروقته : ص ١٤ تسلسل ( ١٣٤ ) ، واخرى في بيل برقم ( ١٦٠٨ ) . انظر المورد ١م ١٤-٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٥ رقم ( ١٦ ) .

(١٣) ورد كاملا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٧/٢ وورد ذكره عرضا في وفيات الأعيان : ج ٢٨٣/٦ وكذا كاملا في تذكرة الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ وتاريخ الاسلام ( ن . بشار ) / ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) وفيهما بدون مجلد . والوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١/٤١٩ وتاريخ ابن الفرات ٤م ج ٢/٢١٣ . وللكتاب نسخة خطية في مكتبة الاوقاف ، اكل نسخها : محمد عمر النجدي سنة ١٢٤٤ هـ برقم ( ٢٢٨ ) ، انظر : فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف : ج ٣/٤ تسلسل ( ٤٣٨٥ ) وهناك نسخ اخرى له أشار اليها العلوجي في ص ١٣٨ رقم ( ٢٨٣ ) من كتابه ومحمد باقر في مجلد المورد : ١م ١٤-٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٦ رقم ( ٣٣ ) وافادني الدكتور عماد عبدالسلام مشكورا بوجود قطعة من كتاب الاذكياء هذا ، وهي نسخة قديمة ربما كانت بخط المؤلف في مكتبة ابراهيم الدروبي . وقد طبع الكتاب عدة مرات .

(١) كذا ورد في تذكرة الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ وفي تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ أ ) بلفظ « الحقيقى والمغفلين » . وفي تاريخ ابن الفرات : ٤م ج ٢/٢١٣ بدون مجلد . وللكتاب نسخ خطية عديدة أشار اليها العلوجي في ص ١٣٥ زرقم ( ٢٧٤ ) ومحمد باقر في : المورد ١م ١٤-٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٦ رقم ( ٣١ ) .

(٢) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٧/٢ باضافة ( مجلد ) وفي تذكرة الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ بلفظ ( الظراف ، مجلد ) وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) بلفظ ( الظراف والمتحابين ) . وانظر ايضا العلوجي : ص ٦٦ رقم ١٣ و ص ١٢٠ رقم ( ١٩٩ ) و ص ١٣٨ رقم ( ٢٨١ ) .

(٣) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٧/٢ .

(٤) ذكره ابن الجوزي في كتابه لفتة الكبد ( الاوقاف ) : ق ( ٥ب ) وفي مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٦/٢-٤٨٧ باضافة ( ثلاث مجلدات ) وكذا في تذكرة الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ وتاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) . وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١/٤١٩ بلفظ « خمسة وستون جزءا » . وبلغظه في تاريخ ابن الفرات :

٤م ج ٢/٢١٣ وللكتاب نسخ خطية عديدة وطبعات أشار اليها العلوجي في ص ١١٨ رقم ( ١٩٣ ) من كتابه (٥) كذا في الاصل وفي مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٦/٢ « كتاب تنوير الغيش في فضل السودان والحبش مجلد » وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) بلفظ « كتاب تنوير الغيش في فضائل الحبش » وفي ذيل ابن رجب : ج ١/٤١٩ بلفظ « تنوير الغيش في فضل السود والحبش » وفي تاريخ ابن الفرات : ٤م ج ٢/٢١٣ بلفظ « كتاب تنوير الغيش في فضائل الحبش » وللكتاب نسخ خطية عديدة اشار اليها العلوجي في ص ٨٨ رقم ( ٩٢ ) من كتابه ومحمد باقر في المورد ١م ١٤-٢ ، السنة ١٩٧١ ص ١٨٤ رقم ( ١٠ ) .

(٦) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٧/٢ بلفظ « أحكام الاشعار باحكام الاشعار ، مجلدان » ونقل عنه الذهبي في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ ب ) =

مجلد كتاب « مناقب » (١) بغداد « مجلد . آفة أصحاب الحديث » (٢) مجلد . كتاب « صلاة أبي بكر رضي الله عنه » .

كتاب « فيه ذم يزيد » (٤) . كتاب « فضل ليلة » (٥) الجمعة « جزء . كتاب « مقبرة » (٦) الامام احمد امامنا رضي الله عنه » (٧) . كتاب « السهم » (٨) المصيب « جزء . كتاب « الماكر » (٩) جزء . « تبصره المبتدي » (١٠) « أربع مجلدات . « المستنجد » (١١) مجلدان .

= و بلفظ « عشرون جزءا » في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ / ٢ ق / الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب ج ٤١٩ / ١ . وفي تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢١٣ / ٢ بلفظ ( وكتاب الاشعار ) . وانظر ايضا العلوجي : ص ٦٤ رقم (٦) .

(١) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٤ والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ / ٢ ق / الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ٤١٨ / ١ . وبدون لفظة ( مجلد ) في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ق ( ٦٥ ب ) . وللكتاب نسخة خطية في مكتبة فاروق الاول بالاسكندرية برقم ( ٧٤٢٤ ج ) واخرى برقم ( ٧٨٦٣ ج ) . انظر : مكتبة فاروق الاول بالاسكندرية ، فهرس التاريخ ، بquam محمد البشير الشندي ، ١٩٥١ ص ١٥٣ . وهناك نسخ اخرى اشار اليها العلوجي في ص ١٧٧ رقم ( ٤٢٩ ) من كتابه .

(٢) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٧٤ بلفظ جزء . وله نسخة مخطوطة في مكتبة المشهد الرضوي / ( ١٢ : ٤ ) برقم ( ٣٤ ) . انظر العلوجي : ص ٦٣ رقم (٢) .

(٣) في الاصل بعد كلمة عنه بياض لعلها مكان جزء او مجلد . وهذا الكتاب لم تذكره المصادر التي اطلعنا عليها .

(٤) لم أجد كتابا بهذا الاسم فيما اطلعنا عليه من مصادر ، وفي كتاب العلوجي ص ١٠٣ رقم ( ١٤٣ ) ورد كتاب بأسم « الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد » وعندي ان هذا الكتاب غير الكتاب الوارد اعلاه .

(٥) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٦ بلفظ « فضائل . . . » وعنه العلوجي في ص ١٣٠ رقم ( ٢٤٣ )

(٦) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٦ بلفظ « تقريب الطريق الأبعد بفضل مقبرة احمد ، جزءان » . وبدون لفظ ( جزءان ) في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ( ١٦٦ أ ) والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ / ٢ ق / الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ٤٢٠ / ١ وفيهم بلفظ « . . . في فضل . . . » وفي تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢١٥ / ٢ بلفظ « وكتاب الامام احمد بن حنبل ( رضي ) » ، العلوجي : ص ٨٤ رقم ( ٨٣ ) .

(٧) في الاصل بعد كلمة عنه بياض .

(٨) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٧ وذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٧ بلفظ « جزءان » . وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ / ٢ ق / الورقة ( ١٥٣ أ ) وتاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢١٣ / ٢ بلفظ « السهم المصيب في الرد على الخطيب » وعنه العلوجي في ص ١١١ رقم ( ١٧١ ) .

(٩) لم أجد كتابا بهذا الاسم فيما اطلعنا عليه من مصادر .

(١٠) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٧ والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ / ٢ ق / الورقة ( ١٥٣ أ ) بلفظ « التبصرة » ثلاث مجلدات . وورد مجردا في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) وفي ق ( ٢٢٨ ب ) وق ( ٦٦ ب ) منها نقلا عن السبط وفي ذيل ابن رجب : =

كتاب « كثر المذكر » <sup>(١)</sup> مجلد . كتاب « المدهش » <sup>(٢)</sup> مجلدان . كتاب « المنتخب » <sup>(٣)</sup> مجلد . كتاب « المطرب » <sup>(٤)</sup> جزء . كتاب « المعلق » <sup>(٥)</sup> جزءان . كتاب « الملهب » <sup>(٦)</sup> ثلاثة أجزاء .

كتاب « منتهى » <sup>(٧)</sup> المبتها <sup>(٨)</sup> مجلد . كتاب « الأرج » <sup>(٩)</sup> مجلد . كتاب

= ج ١٩٩/١ بلفظ « عشرون جزءا » . وللكتاب نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية ( ينقص منها المجلس الاول ) برقم ( ٥٦٨٣ عام ) ، انظر محمد ناصر الدين الالباني ، فهرس دار الكتب الظاهرية ، ص ٣٩ ، واخرى في مكتبة جستر بيتي ببلن برقم ( ٣٥٣٦ ) ( ج ١-٢ ) ٢٥٨ و ٢٤٦ ورقة ، تاريخها ٨٦٧ هـ . انظر المورد : م ٢٤ السنة ١٩٧٣ ص ١٩٠ ونسخ اخرى وملحقات للكتاب اشار اليها العلوجي في ص ٧٨ رقم ( ٦١ ) من كتابه .

( ١١ ) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٧ - ٤٨٨ ومن تصانيفه في الوعظ : كتاب المستنجد والمستنجد مجلدان وعنه العلوجي في ص ١٦٧ رقم ( ٣٨٤ ) .

( ١ ) جاء في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٨ ما نصه : « ومن تصانيفه في الوعظ . . . واللؤلؤة والملح والياقوتة وكبر المذكر ، كل واحد من هذه في جزء جزء » . وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) بلفظ « المذكر ، مجلد » بينما ورد كاملا في ذيل ابن رجب : ج ١٩٩/١ ، ٤٢٠ وعنه العلوجي في ص ١٥٠ رقم ( ٣١٣ ) .

( ٢ ) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٨ بلفظ « مجلد » ومجردا في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) وفي تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ بلفظ ( المدهش في المحاضرات ، مجلد ) ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية برقم ( ٧٠٥٢ . انظر فهرس مخطوطات الظاهرية : ج ٢ / ٤٢٨ - ٤٢٩ . وورد كاملا في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١٩٩/١ . وللكتاب نسخ خطية عديدة أشار اليها العلوجي في ص ١٤١ - ١٤٢ رقم ( ٢٩٠ ) من كتابه واخبرني الدكتور عماد عبدالسلام مشكورا بوجود نسخة مخطوطة للكتاب ناقصة الاول والآخر في دار مخطوطات البحرين هدية من مكتبة الصديقي .

( ٣ ) كذا ورد في تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ وفي تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ ب ) بلفظ « كتاب المنتخب في الوعظ ، مجلدان » وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) بلفظ « المنتخب في النوب مجلد » وكذا في ذيل ابن رجب : ج ١٨٨/١ - ٤١٩ . وفي تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٤ بلفظ ( كتاب المنتخب ) وانظر ايضا العلوجي ص ١٨١ رقم ( ٤٤٣ ) .

( ٤ ) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٨ بلفظ ( الطرب ) وفي تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ بلفظ ( مجلد ) وبدون جزء في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) . وفي ذيل ابن رجب : ج ١٩٩/١ بلفظ « المطرب الملهب » بحيث جعله كتابا واحدا مع الكتاب الوارد بعده . وانظر ايضا : العلوجي ص ١٦٩ رقم ( ٣٩٤ ) .

( ٥ ) في ذيل ابن رجب : ج ١٨٨/١ « المعلق » وعنه العلوجي في ص ١٧١ رقم ( ٤٠٣ ) . ( ٦ ) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٨ بلفظ ( جزءان ) وفي تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ بلفظ ( مجلد ) وفي تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) وتاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٤ بدون أجزاء .

( ٧ ) في الاصل ( منتهى ) . ( ٨ ) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٨ وتذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣ وتاريخ الاسلام ( ن . بشار ) =

« اللطف » <sup>(١)</sup> مجلد . كتاب « اللطائف » <sup>(٢)</sup> مجلد . كتاب « تحفة الواعظ » <sup>(٣)</sup> مجلد . كتاب « رؤوس القوارير » <sup>(٤)</sup> مجلد . كتاب « زين القصص » <sup>(٥)</sup> مجلد . كتاب « مختصره في اللباب » <sup>(٦)</sup> . كتاب « اللؤلؤ » <sup>(٧)</sup> مجلد . كتاب « نسيم » <sup>(٨)</sup> الرياض مجلد .

= ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ) بلفظ ( منتهى المشتى ) وفي ذيل ابن رجب : ج ١ / ١٩٩ بلفظ ( منتهى المنتهى ) وفي تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢ / ٢١٤ بلفظ ( منتهى المشتى ) وأشار المحقق في الحاشية الى الاصل بقوله : كتاب منتهى المسهى . وصححه على ما ورد في مرآة الزمان ومقدمة زاد المسير . وللكتاب نسخة مخطوطة في جامع الفاتح برقم ( ٢٨٠٥ ) . انظر العلوجي : ص ١٨٥ رقم ( ٤٥٠ ) . وعندي ان كتاب منتهى المبتها « هو غير منتهى المشتى » ولعل الاصل الوارد في تاريخ ابن الفرات هو الصواب فكلاهما رسما بشكل واحد .

( ٩ ) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٨ بلفظ ( أربعة اجزاء ) وورد كاملا في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢ / الورقة ( ١٥٣ أ ) . وفي ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٩ بلفظ ( الازج ) . وبعنوان « الارج في الوعظ » يوجد مخطوطاً في مكتبة خزينة الملحقة بطوبقبو سراي رقم ( ١ / ١١٥٠ ) في ( ٣٢ ) ورقة وعنه أخذت النسخة المصورة الموجودة في معهد احياء المخطوطات العربية ، رقم ( ٢٠ ) . انظر : المورد : م ١٦ - ٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٣ رقم « ١ » وانظر ايضا العلوجي : ص ٦٨ رقم ( ٢٣ ) وص ٦٧ رقم ( ١٩ ) .

( ١ ) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٨ بلفظ ( اللطف ) بينما ورد كاملا في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢ / الورقة ( ١٥٣ أ ) . وبعنوان « اللطف في الوعظ » توجد نسخة مخطوطة بقلم معتاد تاريخها ١٢٢٦ هـ في دار الكتب المصرية برقم ( ٢٠٥٣٧ ب ) انظر فؤاد سيد : فهرس المخطوطات : ق ٢ / ٢٧٨ وانظر ايضا العلوجي : ص ١٥٢ رقم ( ٣٢٠ ) .

( ٢ ) ورد كاملا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٨ والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢ / الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٩ . وبدون جزء في مختصر تاريخ الاسلام ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) وبعنوان « اللطائف الكبرى » و « اللطائف في المواعظ » توجد نسخ خطية عديدة أشار اليها العلوجي : ص ١٥٢ رقم ( ٣١٩ ) من كتابه ومحمد باقر في المورد : م ١٦ - ٢ السنة ١٩٧١ ص ١٨٣ رقم ( ٧ ) .

( ٣ ) ورد بدون لفظة ( مجلد ) في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) وتاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢ / ٢١٥ . وكاملا في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢ / الورقة ( ١٥٣ أ ) . وفي ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٩ بلفظ ( . . . الوعظ . . . ) . العلوجي ص ٨١ رقم ( ٦٩ ) ( ٤ ) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٨ بلفظ « مجلدان » ونقل عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٤ وتاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ ب ) وفي تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢ / ٢١٥ بلفظ ( . . . في الوعظ ) . وبعنوان ( رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير ) توجد نسخة مخطوطة في المكتبة الأصفية بحيدر آباد ٢ : ١٧٢٠ رقم ١ / ١٣ . وقد طبع الكتاب بالقاهرة سنة ١٩١٤ . انظر العلوجي : ص ١٠٦ رقم ( ١٥٥ ) .

( ٥ ) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٨ بلفظ ( مجلدان ) وورد كاملا في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢ / الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٩ وفي تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢ / ٢١٤ بدون مجلد ، العلوجي ص ١١٠ رقم ( ١٦٦ ) . -

( ٦ ) في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) بلفظ « لباب زين القصص » . وعنه العلوجي في ص ١٥١ رقم ٣١٧ . وفي الأصل بعد لفظة ( اللباب ) بياض =

كتاب « الملح » <sup>(١)</sup> مجلد . كتاب « الياقوتة » <sup>(٢)</sup> جزء . كتاب « الوعظ المصري » <sup>(٣)</sup> جزء . كتاب « روح » <sup>(٤)</sup> ... « المعشوق » <sup>(٥)</sup> ... « المنتخب » <sup>(٦)</sup> مجلد ... ( ق ٢١٥ - ٢ )  
 كتاب « العقيدة » <sup>(٧)</sup> جزء . وكتاب « النور » <sup>(٨)</sup> مجلد .  
 كتاب « الموافق » <sup>(٩)</sup> جزء . كتاب « شاهد ومشهود » <sup>(١٠)</sup> مجلد . كتاب « المقعد والمقيم » <sup>(١١)</sup>

= مما يدل على سقوط كلمة جزء أو مجلد .

(٧) جاء في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٨/٢ ما نصه : « فصل : من تصانيفه في الوعظ واللؤلؤ والملح و... كل واحدة من هذه جزء جزء » بينما ورد كاملا في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/ الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٩ وعنه العلوجي ص ١٥٥ رقم ( ٢٣٠ ) .  
 (٨) ورد كاملا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٨/٢ وتاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) وفيهما بدون جزء ، الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/ الورقة ( ١٥٣ أ ) ، ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤٢٠ . وفي تاريخ ابن الفرات : ج ٤ ق ٢١٨/٢ أنشد الشيخ ( يقصد ابن الجوزي ) في بعض مجالسه وعظه :

أصبحت الطف من مر النسيم سري على الرياض ، فكاد الوهم يؤلني  
 من كل معنى لطيف اجتلي قدحا وكل ناطقة في الكون تطربني

(١) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٨/٢ « ومن تصانيفه في الوعظ... والملح والياقوتة... كل واحد من هذه في جزء جزء » ونقل عنه الذهبي في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ ب ) غير انه قال ( ومن علم العربية... كتاب ملح الاحاديث جزءان » . الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/ الورقة ( ١٥٣ أ ) بلفظ ( ملح الاحاديث ) وكذا في ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤٢٠ و بلفظ ( جزءان ) . وانظر العلوجي : ص ١٧٤ رقم ( ٤١٥ )  
 (٢) انظر الهامش اعلاه . وفي تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/ الورقة ( ١٥٣ أ ) بلفظ ( ياقوتة المواعظ ) . وكاملا في ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٩ و بلفظ ( جزءان ) . وللكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة الاوقاف تاريخها سنة ١٣٢٥ بخط السيد يوسف جميل بن خضر البغدادي برقم ( ٢٣١٦٧/٦ مجاميع ) . انظر فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف : ج ٢ / ٥٢٤ ت ( ٤٢٣٩ ) . وانظر ايضا العلوجي : ص ٢٠٣ رقم ( ٥١٨ )  
 (٣) لم أجد ذكره في المصادر التي اطلعت عايتها ويبدو انه كتاب جديد لابن الجوزي .  
 (٤) في الاصل بعد كلمة ( روح... ) خرم لا أستطيع قرائته وهو ما يقارب سطر . وفي العلوجي : ص ١٠٥ رقم ( ١٥١ ) عنوان الكتاب ( روح الارواح ) وله نسخ خطية عديدة أشار اليها وذكر ان الكتاب طبع في القاهرة سنة ١٣٠٩ هـ ب ٩٦ ص .

(٥) كذا في الاصل وما بعده خرم ما يقارب سطر . والذي في ذيل ابن رجب : ج ١ / ٤٢٠ « المعشوق في الوعظ » وعنه العلوجي في ص ١٧٠ رقم ( ٤٠٠ ) . وفي ص ١٤٣ رقم ( ٢٩٥ ) من نفس الكتاب « كتاب المعشوق » اختصره فخر الدين البعلبكي ، ومن هذا المختصر نسخة مخطوطة في ليدن برقم ( ٢١٥٧ )  
 (٦) تكرر الكتاب اعلاه ص ٢١ وفي الاصل خرم ما يقارب سطر .

(٧) لم أجد ذكره فيما اطلعت عليه من مصادر ويبدو أنه كتاب جديد لابن الجوزي .  
 (٨) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٨/٢ و بلفظ « النور في فضائل الايام والشهور » في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١ / ٤٢٠ باضافة « مجلد » . تاريخ ابن الفرات : ج ٤ ق ٢١٤/٢ ، العلوجي : ص ٢٠٠ رقم ( ٥٠٤ ) .  
 (٩) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٤٨٨/٢ وذيل ابن رجب : ج ١ / ٤١٩ بلفظ ( موافق المرافق ، مجلد ) ومثله =



مجلد . كتاب « اليوا [قيت (١) في] الخطب » مجلد . كتاب « اللآلى في الخطب » (٢) جزءان .

كتاب «.. ضب (٣) في الخطب » مجلد . كتاب « شطب اللمع (٤) » مجلد .  
كتاب « (٥) اللؤلؤ » جزء . « تنوير السدق » (٦) . كتاب « الالقاب » (٧) جزء .

= في تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٤ وبدون مجلد ، وهو في الوعظ . بينما في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) بلفظ ( مرافق الموافق ) ومنه نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط برقم ( ٥٨٩ ) وبخط مغربي . انظر : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح : ق ٢ ج ١٨٨/١ . وقد أشار إليها الاستاذ هلال ناجي في مجلة المكتبة ع ٢٤ السنة ٨ ، ١٩٦٢ ص ٢٦ . وهناك نسخ أخرى للكتاب أشار إليها العلوجي في ص ١٦٥ رقم ( ٣٧٧ ) وص ١٩٠ رقم ( ٤٧٠ ) من كتابه ومحمد باقر في المورد : م ١٦ ع ٢-١ ، السنة ١٩٧١ ص ١٨٧ رقم ( ٣٨ ) .

(١٠) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢٨٨/٢ وذيل ابن رجب : ج ١٩/٤ وهو في الوعظ . وعنها العلوجي في ص ١١٢ رقم ( ١٧٧ ) وانظر ايضا ص ٢٠٠ رقم ( ٥٠٧ ) .

(١١) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢٨٨/٢ وتذكر الحفاظ : ج ٤/١٣٤٣ مع حذف (الواو) وب حذف الواو والمجلد في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) بينما ورد كاملا في الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) . وفي ذيل ابن رجب : ج ١٩/١ بلفظ ( العقد المقيم ، جزء ) . وعنه العلوجي في ص ١٧٢ رقم ( ٤١١ ) . وهو في الوعظ .

(١) في الاصل مخرومة وصوابه من مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢٨٨/٤ ( وفيه بلفظ جزءان ، وهو في الوعظ ) والوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١٨/٤ وتاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٤ ( وفيه بدون مجلد ) . بينما ورد بعنوان ( اليواقيت في الخطب الوعظية ) في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) وفي تذكر الحفاظ ج ٤/١٣٤٣ بلفظ ( المواقيت في الخطب الوعظية ، مجلد ) . وب عنوان ( اليواقيت في الوعظ ) منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحت رقم ( ٢٥٩١٦ ب ) انظر : فؤاد السيد ، فهرس المخطوطات الموجودة في دار الكتب : ق ٣/٣٠٣ . وانظر ايضا العلوجي : ص ٢٠٣ رقم ( ٥١٩ ) .  
(٢) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢٨٨/٤ تحت فصل تصانيفه في الوعظ ( كتاب الملاي ( ٩ ) في الخطب جزءان وفي تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) والوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) - بلفظ ( كتاب خطب اللآلى على الحروف ) . وب عنوان ( اللآلى ) توجد نسخة مخطوطة في جامع الفاتح باستانبول برقم ( ٥٢٩٥ ) ( ٥ ) . انظر العلوجي : ص ١٥١ رقم ( ٣١٦ ) .

(٣) كذا في الاصل وفي مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢٨٨/٤ بلفظ ( كتاب المقتضب جزءان ) وهو في الوعظ ومثله في تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٤ وبدون مجلد .

(٤) كذا في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢٨٨/٤ وبلفظ ( ثلاثة اجزاء ) وهو في الوعظ .

(٥) تكرر ذكر الكتاب ص ٢١٠ اعلاه وبلفظ مجلد .

(٦) في الاصل بعد كلمة السدق بياض وفي مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٤ بلفظ ( كتاب تنوير السدق في المؤلف والمختلف جزء ) . وفي ذيل ابن رجب : ج ١٨/٤ بلفظ ( تنوير مدلهم الشرف ، جزء )

وعد العلوجي كلا منهما كتابا ، انظر مؤلفات ابن الجوزي : ص ٨٨ رقم ( ٩١ ) ( ٩٣ ) . ذكره ابن خلكان عرضا في وفيات الاعيان : ج ٢/٣١٤ ، ٥١٠ و ج ٣/٢٧٤ و ج ٤/٣٢١ و ج ٥/٤٠٤

وورد كاملا في ذيل ابن رجب : ج ١٨/٤ وانظر العلوجي : ص ١٣٤ رقم ( ٢٦٧ ) .



« نسخ الحديث <sup>(١)</sup> الكبير ». « ومختصرة » <sup>(٢)</sup>. كتاب « المجتبى » <sup>(٣)</sup>.  
 كتاب « غريب » <sup>(٤)</sup> الحديث « مجلدان ». « مناقب أصحاب » <sup>(٥)</sup> الحديث « مجلد ». «  
 كتاب « موت الخضر » <sup>(٦)</sup> عليه السلام « مجلد ». « مختصره » <sup>(٧)</sup> جزء . « روضة  
 الناقل » <sup>(٨)</sup> جزء . « اعمار الاعيان » <sup>(٩)</sup> جزء . كتاب « الضعفاء » <sup>(١٠)</sup> والمتروكين .  
 ومما له في الفقه ولغته <sup>(١١)</sup> :

- (١) لم أجد كتابا بهذا العنوان والذي في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٨٤ ( كتاب ناسخ الحديث ومنسوخه مجلد ) وفي تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) بلفظ ( كتاب الناسخ والمنسوخ في الحديث ) ومثله وبإضافة ( مجلد ) في الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) . وانظر العلوجي : ص ١٩٢ رقم ( ٤٧٦ ) .
- (٢) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٨٤ ونقل عنه العلوجي في ص ١٦٤ رقم ( ٣٧٠ ) بلفظ ( مختصر ناسخ الحديث ومنسوخه ) .
- (٣) في الاصل ( المجتبى ) كذا وبعده بياض يدل على سقوط كلمة . وقد ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٨٤ والوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١٧/١ بلفظ ( مجلد ) وانظر ايضا تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٣ . وعده العلوجي في ص ١٥٨ رقم ( ٣٤٣ ) ضمن عنوان كتاب ( المجتبى في عاوم القرآن ) وعندي أنه ليس كذلك فكتاب المجتبى هذا وعلى ما ذكره ابن رجب في الذيل انه في علم الحديث .
- (٤) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٨٣ ولفظ ( أربعة أجزاء ) تحت فصل علم التفسير ثم يذكره ايضا في فصل آخر ( في علم الحديث ) وبنفس الصفحة . ولفظ ( مجلد ) في ذيل ابن رجب ج ١/٤٢٠ . وللكتاب نسخة مخطوطة نادرة في سبعة أجزاء بمجلد كامل وبخط المؤلف ( فرغ من تأليفه سنة ٥٧٦ هـ وخرجه من بيضته سنة ٥٨١ هـ ) محفوظة بجامعة القرويين في فاس برقم ( ق/١٤٠ ) . انظر : مجلة المكتبة ٦٢ ع السنة ٨ ، ١٩٦٨ ص ٢٦ . وله نسخة اخرى ذكرها العلوجي في ص ١٢٥ رقم ( ٢٢١ )
- (٥) كذا ورد في ذيل ابن رجب : ج ١٧/١ ونقل عنه العلوجي في ص ١٧٦ رقم ( ٤٢٥ ) من كتابه .
- (٦) كذا ورد في ذيل ابن رجب : ج ١٧/١ ونقل عنه العلوجي في ص ١٩١ رقم ( ٤٧١ ) .
- (٧) ورد في ذيل ابن رجب : ج ١٧/١ ( مختصرة ) تصحيف وفيه بلفظ ( مجلد ) .
- (٨) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٨٤ بلفظ ( . . . النائل . . . ) وعده في علم الحديث . وبدون لفظة ( جزء ) في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) وذيل ابن رجب : ج ١٧/١ ( وفيه بلفظه كاملا ) وتاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٣ . وانظر العلوجي : ص ١٠٦ رقم ( ١٥٤ ) .
- (٩) كذا ورد في الاصل وتقدم اعلاه ص ٢٠٦ بلفظ ( اعمار الاعيان ) ولعله كتاب جديد آخر لابن الجوزي ان لم يكن مصحفاً .
- (١٠) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٨٣ بلفظ ( مجلدان ) وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١٧/١ بلفظ ( مجلد ) . ولفظ ( كتاب الضعفاء ) في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره . . ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) وطبقات الحفاظ : ص ٤٧٨ . وللكتاب نسخ خطية عديدة أشار اليها العلوجي في ص ١٣٧ رقم ( ٢٦٩ ) ومحمد باقر في المورد : م ١٦/٢-١٩٧١ ص ١٨٦ رقم ( ٣٠ ، ٣٢ ) .
- (١١) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٨٥ « ومن تصانيفه في علم الفقه » وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥-١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ أ ) ، « في الصرف . »

« لغة الفقه »<sup>(١)</sup> مجلد . « المذهب في »<sup>(٢)</sup> المذهب . « مسبوكة »<sup>(٣)</sup> المذهب .  
 مجلد . كتاب « البلغة »<sup>(٤)</sup> مجلد . « يقظة العجلان »<sup>(٥)</sup> . كتاب « روس المسائل »<sup>(٦)</sup>  
 كتاب « صوم يوم الغيم »<sup>(٧)</sup> . كتاب « جنة النظر »<sup>(٨)</sup> .

### ومما له في العربية :<sup>(٩)</sup>

« غريب الحديث »<sup>(١٠)</sup> . كتاب « تقويم »<sup>(١١)</sup> اللسان . مجلد . ملجأ الاعاريب<sup>(١٢)</sup>

(١) في تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ ب ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ ب ) وذيل ابن رجب  
 ج ٢٠/٤ بلفظ ( جزاء ) . وبدون ( مجلد ) في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ / ٢ ق / الورقة ( ١٥٣ )  
 والعلوجي : ص ١٥٣ رقم ( ٣٢٢ ) .

(٢) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٥ ( وفيه بلفظ جزاء ) وتذكرة الحفاظ : ج ٤ / ١٣٤٣  
 ( وفيه بلفظ مجلد ) وتاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٧ ب ) ومختصره ( الدراسات )  
 ق ( ٦٥ ب ) والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ / ٢ ق / الورقة ( ١٥٣ أ ) وذيل ابن رجب : ج ١٨ / ١  
 وتاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢ / ٢١٢ . وعنهم العلوجي في ص ١٦٥ رقم ( ٣٧٦ ) .

(٣) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٥ وذيل ابن رجب : ج ١٨ / ١ بلفظ ( . . . الذهب . . . ) وفي تاريخ  
 تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢ / ٢١٢ بلفظ ( مسبوكة الذهب في الذهب ) وانظر العلوجي : ص ١٦٦  
 رقم ( ٣٨٢ ) .

(٤) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٥ وعنه العلوجي في ص ٧٦ رقم ( ٥٤ ) .

(٥) لم أجد كتابا بهذا العنوان فيما اطلعت عليه من مصادر ولعله كتاب جديد آخر لابن الجوزي .  
 (٦) في الاصل بعد كلمة ( المسائل ) بياض مكان كلمة . ولم أجد كتابا بهذا العنوان فيما اطلعت عليه  
 من مصادر ولعله كتاب جديد آخر لابن الجوزي .

(٧) ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٥ بلفظ « كتاب رد اللوم والضميم في تحريم الصوم يوم الغيم »  
 جزء « وفي ذيل ابن رجب : ج ١٨ / ١ بلفظ « كتاب رد اللوم والضميم » في صوم يوم الغيم » وعنهما  
 العلوجي في ص ١٠٣ رقم ( ١٤٤ ) .

(٨) كذا ذكره ابن الجوزي في كتابه لفظة الكبد ( الاوقاف ) ق ( ٥ ب ) يخاطب فيه ولده أبا القاسم  
 ويحثه على طلب العلم بقوله : ( وتحفظ كتاب جنة النظر فانه يكفي في تلقيح فهمك للفقه ) . وفي  
 كتابه الآخر الباز الاشهب ( الاوقاف ) ق ( ١ ب ) بلفظ ( جنة النظر وجنة الفطر ) ومثله في  
 الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ / ٢ ق / الورقة ( ١٥٣ أ ) ولكن بلفظ ( . . . وجنة النظر ) وكذا في ذيل  
 ابن رجب : ج ١٨ / ١ باضافة ( وهي التعليقة الوسطى ) . وكاملا في تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢ / ٢١٣ .  
 وانظر ايضا العلوجي ص ٩٢ رقم ( ١٠٣ ) .

(٩) انظر تصانيفه في هذا العلم في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٤ .

(١٠) في الاصل بعد كلمة الحديث بياض مكان كلمة . وقد تكرر الكتاب ص ٢١٣ اعلاه .

(١١) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢ / ٤٨٤ ( وفيه بلفظ جزاء ) وتاريخ الاسلام ( ن . بشار )  
 ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ب ) ( وفيهما بدون مجلد ) وفي ق ( ٢٢٨ ب ) وق  
 ( ٦٦ ب ) منهما نقلا عن السبط في مرآته . والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ / ٢ ق / الورقة ( ١٥٣ أ )  
 ( وفيه بدون مجلد ) وذيل ابن رجب : ج ١٩ / ١ و ٤٢٠ وتاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢ / ٢١٣ ( وفيه  
 بدون لفظة مجلد ) . وللكتاب نسخ خطية أشار إليها العلوجي في ص ٨٥ رقم ( ٨٥ ) من كتابه ومحمد =

كتاب « نزهة الاديب » <sup>(١)</sup> جزء . « نزهة أهل الادب » <sup>(٢)</sup> جزء . « تنقيف الادب » <sup>(٣)</sup> جزء .

ومما له في المناقب <sup>(٤)</sup> .

« الوفا بفضائل المصطفى » <sup>(٥)</sup> مجلدان . « صفوة الصفوة » <sup>(٦)</sup> خمس مجلدات « التحقيق في أحاديث » <sup>(٧)</sup> . « مناقب عمر بن عبدالعزيز » <sup>(٨)</sup> . . . . .  
كتاب . « تلقيح » <sup>(٩)</sup> فهوهم أهل الاثر « مجلدان . « سفيان » <sup>(١٠)</sup> الثوري « مجلدان

= باقر في المورد : ١٦ - ٢ / السنة ١٩٧١ ص ١٨٤ رقم ( ٨ ) .

(١٢) في الاصل بعد لفظة الاعاريب بياض مكان كلمة . وفي مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٤ بلفظ (كتاب ملح الاعاريب جزآن ) وعنه نقل العلوجي في ص ١٧٤ رقم ( ٤١٦ ) وهم قائلان بان ابن رجب قد ذكره في الذيل عل طبقات الحنابلة . وعندي أن الذي ذكره ابن رجب هو ( ملح الاحاديث ) الذي ذكره العلوجي ص ٢٢ رقم ( ١٨١ ) .

(١) في ذيل ابن رجب : ج ١/٤١٨ بلفظ ( جزآن ) ونقل عنه العلوجي ص ١٩٥ رقم ( ٤٨٧ ) وأضاف قائلان ذكره اسماعيل البغدادي في هدية العارفين بلفظ ( نزهة الأريب ) .

(٢) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٤ ونقل عنه العلوجي في ص ١٩٦ رقم ( ٤٨٨ ) .

(٣) لم أجد كتاباً بهذا العنوان في المصادر التي اطلعت عليها ولعله كتاب جديد آخر لابن الجوزي .

(٤) انظر تصانيفه في المناقب : مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٥ .

(٥) في الاصل بالالف الممدودة ( المصطفا ) كذا . وورد كاملاً في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٥ وتاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ ) وفيهما بدون لفظة ( مجلدان ) ومثلها في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ ) تذكر الحفظ : ج ٤/١٣٤٣ وذيل ابن رجب : ج ١/٤٢٠ وتاريخ ابن الفرات : ج ٢/٢١٣ ( وبدون لفظة مجلدان ) . وللكتاب نسخ خطية عديدة أشار اليها العلوجي في ص ١٤٧ - ١٤٨ رقم ( ٣٠٥ ) من كتابه .

(٦) كذا ذكره ابن الجوزي في كتابه الآخر لفظة الكبد ( الاوقاف ) ق ( ٥٥ ) بدون ( خمس مجلدات ) وورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٦ ( وقد عده في الرقائق ) وتذكر الحفظ : ج ٤/١٣٤٣ بلفظ ( أربعة مجلدات ) وكاملاً في الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ ) وذيل ابن رجب : ج ١/٤١٨ ومجرداً في مختصر تاريخ الاسلام ( الدراسات ) ق ( ٦٥ ) وتاريخ ابن الفرات : ج ٢/٢١٣ . وللكتاب نسخ خطية عديدة أشار اليها العلوجي في ص ١١٦ - ص ١١٧ رقم ( ١٨٩ ) وقد طبع الكتاب بأربعة أجزاء في حيدر اباد ١٩٣٦ - ١٩٣٧ تحت عنوان « صفة الصفوة » .

(٧) في الاصل يبدو أن السطر مبتور ومتداخل والذي في ذيل ابن رجب : ج ١/٤١٧ ( التحقيق في احاديث التعليق ، مجلدان ) وقد تكرر اعلاه ص ٢٠٤ .

(٨) كذا ورد في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٥ وتذكر الحفظ : ج ٤/١٣٤٣ - ١٣٤٤ ، وبإضافة ( مجلد ) تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ ) والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة ( ١٥٣ ) وذيل ابن رجب : ج ١/٤١٨ ( وفيه بلفظ فضائل ) ايضاً بإضافة ( مجلد ) وفي تاريخ ابن الفرات : ج ٢/٢١٥ بلفظ ( ... الاموي ) . وقد نشر الكتاب مختصراً مع مقدمة بالالمانية المستشرق بيكر في ليبزك - برلين ١٨٩٩ - ١٩٠٠ في ١٦٨ + ٢٢ ص . انظر العلوجي : ص ١٨٠ رقم ( ٤٣٩ ) .

(٩) تكرر أعلاه ص ٢٠٤ .

(١٠) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٦ وتذكر الحفظ : ج ٤/١٣٤٤ ( وفيه بلفظ مناقب الثوري ) وذيل =

كتاب « المحتسب في النسب » (١) النسب » مجلد . « مناقب بشر الحافي » (٢) .

### « مراجع البحث »

أولاً - المخطوطات :

- ١ - ابن أبي الدم الحموي : ابراهيم بن عبدالله بن أبي الدم المظفري ( ت ٦٤٢ هـ ) .  
التاريخ المظفري : نسخة الدكتور بشار عواد المنسوخة عن نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية رقم ( ١٢٩٢ ب ) .
- ٢ - ابن الجوزي : ابو الفرج عبدالرحمن بن علي ( ت ٤٩٧ هـ ) .  
المشيخة : نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة عن نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ( مجموع رقم ١٠١ ) .
- ٣ - الباز الاشهب المنقض على مخالفي المذهب . نسخة مكتبة الاوقاف العامة .  
بيغداد المرقمة ( ٣٧٧٠-١ مجاميع ) ونسخة اخرى برقم ( ٢٣١٦٥-١ مجاميع )
- ٤ - الطب الروحاني : نسخة مكتبة الاوقاف العامة بيغداد المرقمة ( ٢٩٠٠-٨ مجاميع )  
( تسلسل ٦٥٤٤ ) .
- ٥ - لفظة الكبد في نصيحة الولد : نسخة مكتبة الاوقاف العامة بيغداد المرقمة  
( ٢٣١٦٧ - ٥ مجاميع ) تسلسل ( ٤٠٨٤ ) .
- ٦ - ابن الديلمي : ابو عبد الله محمد بن سعيد الواسطي ( ت ٦٣٧ هـ ) .  
التاريخ المذيل به على تاريخ بغداد لأبي سعد السمعاني - النسخة المصورة  
عن نسخة دار الكتب الوطنية بباريس رقم ( ٥٩٢٢ ) المحفوظة في مكتبة  
الدراسات العليا في كلية الاداب بجامعة بغداد المرقمة ( ١٢٣٨ ) و ( ١٢٤١ ) .  
ابن نقطة : أبو بكر محمد بن عبدالغني البغدادي ( ت ٦٢٩ هـ ) .

= ابن رجب : ج ١/٤١٨ بلفظ ( مجلد ) . ولفظ ( مناقب الثوري ) في تاريخ الاسلام ( ن . بشار )  
ق ( ٢٢٨ أ ) ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) والوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/الورقة  
( ١٥٣ أ ) . ونقل عن بعضهم العلوجي في ص ١٧٩ رقم ( ٤٣٥ ) من كتابه .

- (١) لفظة ( مجلد ) في الاصل مخرومة وقد تكرر الكتاب أعلاه ص ٢٠٥ .
- (٢) في مرآة الزمان : ج ٨ ق ٢/٤٨٦ باضافة ( مجلد ) وفي تاريخ الاسلام ( ن . بشار ) ق ( ٢٢٨ أ )  
ومختصره ( الدراسات ) ق ( ٦٦ أ ) بلفظ ( كتاب مناقب بشر ) وفي الوافي بالوفيات : ج ١٥ - ١٧ ق ٢/  
الورقة ( ١٥٣ أ ) بلفظ ( مناقب بشر ) وفي ذيل ابن رجب : ج ١/٤١٨ باضافة ( سبعة اجزاء )  
وفي تاريخ ابن الفرات : م ٤ ج ٢/٢١٥ بلفظ ( ... بشار ... ) تصحيف . وانظر ايضا العلوجي :  
ص ١٧٧ رقم ( ٤٢٨ ) و ص ١٢٨ رقم ( ٢٣٥ ) .

- ٧ - التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، النسخة المصورة عن نسخة مكتبة الازهر رقم ( ١٣٧ ) مصطلح الحديث ، محفوظة لدى الدكتور بشار عواد .  
الدمياطي : احمد بن عبدالله ( ت ٧٩٥ هـ ) .
- ٨ - المستفاد من ذيل تاريخ بغداد : نسخة مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد ، رقم ( ٢٥ م خ ) .
- الذهبي : شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ( ت ٧٤٨ هـ )
- ٩ - تاريخ الاسلام وطبقات مشاهير الاعلام : نسخة الدكتور بشار عواد المصورة عن المكتبة الوطنية بباريس رقم ( ١٥٨٢ ) عربي .
- ١٠ - مختصر تاريخ الاسلام وطبقات الاعلام - نسخة مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب . اربعة مجلدات برقم ( ١٦٥٩ - ١٦٦٢ ) .
- الصفدي : صلاح الدين خليل بن ايبك ( ت ٧٦٤ هـ ) .
- ١١ - الوافي بالوفيات : النسخة مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد ، رقم ( ٩٢٠ ص ف و )
- ١٢ - المحمود : عبداللطيف ، مكتبة عبداللطيف المحمود بالبحرين الخاصة .
- ثانياً : المطبوعات :  
١٣ - الألباني : محمد ناصر الدين .
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، مطبعة الترقى ، دمشق ( ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ ) .
- ١٤ - ابن الاثير : عزالدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني ( ت ٦٣٠ هـ ) الكامل في التاريخ ( ١٢ ) مجلداً ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٥ - ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٥ - ١٩٦٦ .
- ابن الجوزي : جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي ( ت ٥٩٧ هـ ) .
- ١٥ - صيد الخاطر : تحقيق ناجي الطنطاوي وعلي الطنطاوي ( ٣ ) أجزاء ، ط ، دار الفكر ، دمشق ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- ١٦ - المنتظم في تاريخ الملوك والامم ( ١٠ ) مجلدات المطبوع منها مجلد ( ١٠-٥ ) ط ١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٥٧ - ١٣٥٩ هـ .

- ابن خلكان : شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد ( ت ٦٨١ هـ ) .
- ١٧ - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان : تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ( ٦ ) أجزاء ط ١ ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .
- وطبعة اخرى تحقيق الدكتور احسان عباس ( ٨ ) مجلدات مع الفهارس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧٢ .
- ابن الديبشي : ابو عبدالله محمد بن سعيد الواسطي ( ت ٦٣٧ هـ ) .
- ١٨ - المختصر المحتاج اليه ، انتقاء محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق المرحوم د . مصطفى جواد ، جزءان ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م .
- ابن رجب : زين الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن احمد الحنبلي ( ت ٧٩٥ هـ ) .
- ١٩ - الذيل على طبقات الحنابلة ، تصحيح محمد حامد فقي ، ( ٢ ) جزء في مجلد واحد ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م
- ابن العماد : أبو الفلاح عبدالحفي بن احمد الحنبلي الدمشقي ( ت ١٠٨٩ هـ )
- ٢٠ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ( ٨ ) أجزاء في ( ٤ ) مجلدات ، نشر مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ابن الفرات : ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم ( ت ٨٠٧ هـ ) .
- ٢١ - تاريخ ابن الفرات : المطبوع منه م ٤ ( ق ١ - ٢ ) تحقيق حسن محمد الشماع دار الطباعة الحديثة - البصرة ، العراق ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ .
- ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر الدمشقي ( ت ٧٧٤ هـ ) .
- ٢٢ - البداية والنهاية ، ( ١٤ ) جزء ، ط ١ ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ - ١٣٥١ هـ
- أبو شامة : شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي ( ت ٦٦٥ هـ )
- ٢٣ - ذيل الروضتين في أخبار الدولتين ، باعثناء محمد زاهد الكوثري ، ط ١ ، القاهرة ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .
- ٢٤ - جامعة الدول العربية ، معهد المخطوطات المصورة ، الفهرس التمهيدي للمخطوطات المصورة حتى اواخر شهر تشرين الاول ١٩٤٨ ، ( طبع على الاستنسل ) .
- الجبوري ، عبدالله
- ٢٥ - فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف العامة في بغداد ( ٤ ) اجزاء ، ( ج ١ - ٢ - ٤ ) مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧٣ ، ج ٣ مطبعة العاني ١٩٧٤ .



- الجزري : شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد العمري ( ت ٨٣٣ هـ ) .
- ٢٦ - غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره : ج . براجستراسر ( ٣ ) أجزاء في مجلدين ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، مصر ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .
- الدروبي : ابراهيم .
- ٢٧ - مكتبة الدروبي الخاصة .
- دوابرجا : قاسم .
- ٢٨ - فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة الغازي خسرو بك سرايفو . سرايفو ١٩٦٣ .
- سبط ابن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغي ( ت ٦٥٤ هـ )
- ٢٩ - مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، المطبوع منه ج ٨ ( ق ١ - ٢ ) ط ١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، الهند ١٣٧٠ - ١٣٧١ هـ .
- ١٩٥١ - ١٩٥٢ م .
- السيد ، فؤاد
- ٣٠ - فهرس المخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦ - ١٩٥٥ ، القاهرة ١٩٦٢
- السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري
- ٣١ - ( ت ٩١١ هـ ) طبقات الحفاظ ، تحقيق علي محمد عمر ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة ١٩٧٣ .
- الشندي ، محمد البشير .
- ٣٢ - فهرس مخطوطات مكتبة فاروق الاول بالاسكندرية ( المكتبة البلدية سابقاً ) . القاهرة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
- العلوجي : عبدالحميد
- ٣٣ - مؤلفات ابن الجوزي ، وزارة الثقافة والارشاد ، بغداد ١٩٦٥ .
- الكتاني : عبدالكبير بن محمد الادريسي ( ١٨٥٢ - ١٩١٥ م ) .
- ٣٤ - فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات ، جزاء المطبعة الجديدة ، القاهرة ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ .
- المنذري : زكي الدين ابو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوى ( ت ٦٥٦ هـ )
- ٣٥ - التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق د . بشار عواد ، م ١ - ٤ ، مطبعة الاداب ، النجف ١٩٦٨ - ١٩٧١ ، م ٥ ، القاهرة ١٩٧٥ .

النعال : صائن الدين محمد بن الانجب البغدادي ( ت ٦٥٩ هـ )  
٣٦ - المشيخة : تخريج الحافظ رشيد الدين ابن المنذري ( ت ٦٤٣ هـ ) ، تحقيق  
المرحوم د . ناجي معروف و د . بشار عواد ، مطبعة المجمع العلمي  
العراقي ، ١٩٧٥ م

اليافعي : عبدالله بن سعد اليميني المكي ( ت ٧٦٨ هـ ) .  
٣٧ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ( ٤ ) أجزاء  
ط ٢ ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

ثالثاً : المقالات :

- ١ - المستدرك على مؤلفات ابن الجوزي ، محمد باقر علوان - مجلة المورد ،  
المجلد الاول ع ١ - ٢ ، السنة ١٩٧١ ص ١٨١ - ١٩٠ .
- ٢ - مؤلفات ابن الجوزي - نقد هلال ناجي - مجلة المكتبة ، العدد ٦٢ ، السنة  
الثامنة ١٩٦٨ ص ٢٤ - ٢٦ .
- ٣ - ذخائر التراث العربي في مكتبة جستر بيتي - دبلن ، كوركيس عواد ،  
مجلة المورد ، ٢ م ، ع ٢ ، ١٩٧٣ م و ٧ م ، ع ١ ، ١٩٧٨ .

ملاحظة :

اقتصرت في حاشية الفهرست على استعمال المختصرات للمصادر التالية

للايجاز :

ق : ورقة من كتاب مخطوط .

ن : نسخة .

الدراسات : مكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب بجامعة بغداد

الاوقاف : مكتبة الاوقاف العامة ببغداد

مختصره : أي مختصر تاريخ الاسلام وطبقات الاعلام للذهبي .

بشار : الدكتور بشار عواد معروف .

خَصَائِصُ النَخَطِ الْعَرَبِيِّ

الْحَطَّاءُ وَالْإِعْظَامُ

قہید

يتضمن بحثنا هذا الكشف عن اصول التشكيل والتنقيط . وفنون التركيب والتوليد في فن الخط العربي وخصائصه ، كما يبين ابعاد ومقاسات الحروف واتجاهاتها واطرافها ، مع ذكر الخطوط ومزاياها ، وكذلك يوضح اوهام الخطاطين مع الاشارة الى تطوير الخط العربي .

وقد زينت البحث بنماذج توضح الكلام، وتجليه لذوي الاذواق والافهام ، وتكشف عن مستغلق التراكيب في هذا الفن الجميل .

## التفصيل

ان التشكيل في الحظ العربي ينقسم الى قسمين ، ويهدف الى غايتين .  
 اولاً : للاعراب والتوضيح ، وهذا التشكيل يتكون من الضمة . والفتحة . والكسرة  
 والسكون . وهمزة الوصل . والشدة . والتنوين . وهذه صورته واشكاله :

۱۱

ثانياً : يكون للزينة واملاء الفراغ والتنسيق ، ويتكون هذا التشكيل من بعض الصور والهيئات . وتسمى ( الاوراد ) واحدها ورده ومثال ذلك :

و هـ ز ر ي لا م ن هـ و

وهناك اشكال اخرى تسمى ( الاوراق ) واحدها ورقة مثال :

و هـ ز

واصطلح ارباب صناعة الخط . على ان يجعلوا تحت الحروف المهملة ، نفس تلك الحروف بحجم صغير ، وذلك للتوضيح وعدم الالتباس ، وحتى لا يظن القارئ أن هذا الحرف معجم وان الخطاط قد نسي نقطته .

وأما الحرف المعجم فلا يكتبون تحته مثله . وذلك يكون خاصة في الحروف المتشابهة في صورتها وهيئتها عندما تكون في وسط الكلمة كالجيم والحاء والحاء والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين ومثال ذلك — لاحظ الحروف المهملة : —

المَغْضُوبُ المَغْضُوبُ المَغْضُوبُ

وكل هذه الحروف الصغيرة ، تكتب عادة تحت الحروف الكبيرة بأصل السطر .  
عدا حرف الهاء الصغير ، فانه يكتب فوقه مثال :

الله عَقِيلَةٌ مَكْتَبَةٌ

وهناك بعض الحروف المهملة ، لا تصلح ان يكتب تحتها مثلها ، وتكون قبيحة اذا وضعنا ذلك كحرف الدال واللام والواو .

لذلك كان الخذاق الجودون من كبار الخطاطين . يضعون تحت تلك الحروف المهملة نقطة ، ويجعلونها على شكل دائرة ، لتختلف في صورتها وهيئتها عن النقط الاخرى التي هي من اصل الحروف ومثالها :

# اِنَّ لِلَّذِيْنَ عَدُوًّا لِّاِسْلَامِكُمْ قُلُوْبًا مُّوَدَّةً لِّلّٰهِ اَجَدُ اِنَّا الْاَعْمَالُ بِالْاِثْمِ

هذه هي اصول التشكيل التي اتفق على وضعها أئمة الخط العربي . واكثر الخطاطين المعاصرين لا يدركون ذلك ، فنراهم يضعون الحروف الصغيرة تحت الحروف الكبيرة كيغما اتفق لهم عن غير قصد ولا معرفة يضعونها تحت الحروف المهملة والمعجمة على السواء . كما نجدهم يضعون بعض حركات الاعراب في غير مواضعها ، حتى ان بعضهم يضع على الحرف حركتين يصعب معها النطق بالكلمة . واستاذنا المرحوم هاشم محمد الخطاط يعرف ذلك جيداً ، وعنه اخذنا هذه الاصول . الا انه كان لا يلتزم بها هو ايضاً . وكذا نوقره ونستحي ان نعترض عليه .

## التنقيط

تختلف النقط في الخط العربي ، من حيث هيئاتها واطواها ، وذلك تبعاً للنوع الذي تنتمي اليه ، وتكتب به .

ففي خط الثلث تكون النقطة مستطيلة الشكل ، ولا تتقابل زواياها مثال :



والنقطة في خط النسخ تكون على شكل ( المعين ) تقريباً الا انها غير متقابلة الزوايا ايضاً ومثالها :



وفي خط التعليق ( الفارسي ) تكون النقطة محدبة من الاعلى ومقعرة من الاسفل ،  
وتكون لها زاويتان فقط من يسارها ومن اسفلها مثال :



وتكون النقطة في خط الرقعة ، بمقدار نصف نقطة الثاثل تماماً ، وهي على شكل  
مستطيل هكذا :



ونقطة الخط الديواني كالرقعة تماماً ، وتكتب احياناً على شكل دائرة ، والنقط تكتب  
بالاصل متفرقة في الخطوط كافة .  
وتكون النقطتان في التاء والقاف والياء المتصلة ، الواحدة بجوار الاخرى هكذا :



مركز تحقيق وتطوير علوم عربي

واذا كانت الكلمة ذات حروف معجمة ، وخشي الخطاط ان يلتبس وضع النقط  
على القارئ ، او تكون النقط بشكل قبيح ، فيستطيع الخطاط عند ذلك ان يجعل  
الواحدة فوق الاخرى مثال :

اَلْمُشْقِيْنَ فِي ظِلِّ الْاَوْعِيْنَ

تَنْزَلُ تَنْزَلُ



اما في خط الرقعة ، فتكون النقطتان متصلتين ، وكذلك النقط الثلاث في حرف الثاء والشين ، ولا يجوز تفريقها . كما هي في الخطوط الاخرى مثال :

.. ت ث

وفي الخط الديواني اذا كانت النقط في شكل دوائر ، كما ذكرنا ، فانها تكون متفرقة هكذا :



واذا كانت النقط في الخط الديواني كالرقعة ، فانها تجمع عندئذ .  
وقليل من الخطاطين المعاصرين يدركون ذلك ، فنراهم يجعلون النقطة على شكل واحد في سائر الخطوط . واستاذنا المرحوم هاشم الخطاط ، كان الوحيد الذي يعطي النقطة حقها ويوفئها شكلها ووضعها . حتى انك لتتميز الخط الذي يريد من شكل النقطة التي تراها في السطر .



اتجاه الحروف

يعتبر الخطاطون حرف الألف . هو المقياس المعول عليه . والعلامة الفارقة المميزة لكل نوع من انواع الخطوط ، وذلك لانه يختلف في كل نوع عن غيره ، وقد تكون بقية الحروف متقاربة بعض الشيء في وضعها وهيئتها مثل حرف الهاء في خطي الرقعة والديواني فانها تكون متقاربة جداً في شكلها مثال :

هنا هذا

وكذلك حرف العين الوسطى ، تتقارب في الشكل عند خطوط النسخ والديواني والتعليق ( الفارسي ) ومثالها :

العراق العراق العراق

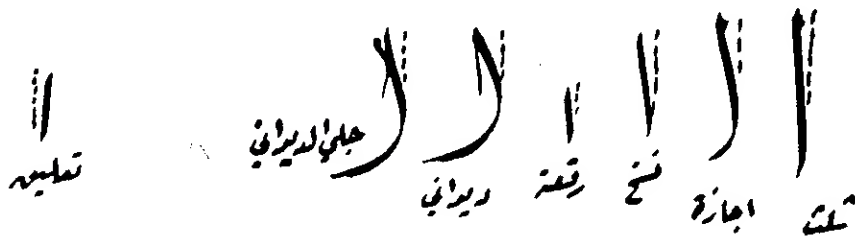
وكذلك حرفا الفاء والقاف الاولى والوسطى . فانهما يشتركان في خطي الرقعة والديواني  
مثال :

فَقِيرٌ فَقِيرٌ قَفْلٌ قَفْلٌ

وكذلك حروف الباء والتاء والثاء والنون والياء، إذا اتصلت بحرف الميم، فكلها تشترك وتتماثل في خطي الرقعة والديواني مثال :



اما حرف الألف فانه يتميز به كل خط عن سواه من الانواع الاخرى ، ويميل حرف الألف عند نزوله من اليسار الى اليمين ، في الخطوط كافة ، عدا خط التعليق ( الفارسي ) فانه على العكس منها جميعاً حيث يميل من اليمين الى اليسار مثال :



وكذلك اللام المتصلة تسيل عند صعودها بعكس نزول الالف ، ومعنى ذلك انها متفقة ومشابهة لحرف الالف في الخطوط كلها ، الا في التعليق ( الفارسي ) ومثالها :

ننت بل بل بل بل بل  
ننت اجازة ننت رتمة ديزاني جبالديزياني  
تعليمه

وكذلك نزول حرف الميم يكون كحرف الالف متجهاً من اليسار الى اليمين في الخطوط كافة عدا خط التعليق ( الفارسي ) ومثالها :

هم هم هم هم هم  
تعليمه

والصعود الى حرف الدال يتجه من اليمين الى اليسار عدا خط التعليق ( الفارسي )

مثال

دل دل دل دل دل  
تعليمه

مركز تحقيقات كميوتير علوم راسدي

القياس والابصار

يعتبر حرف الالف كما ذكرنا مقياساً للنوع وللبعد في الخط العربي ، ويقاس ارتفاع الالف وبقية الحروف المنبسطة والمنكبة والمعقوفة ، بنقط معدودات ، اصطلاح عليها الخطاطون الكبار وتواضعوا على الالتزام بها ، واعتبروها الموازين الثابتة المقررة . والقواعد المحررة . التي لا ينبغي للخطاط ان يتجاوز حدها .

وهي لم تأت اعتباطاً ولا طرفة ولا رغبة وقتية ، ولا مدعاة للشهرة والصيت والمخالفة ، وانما جاءت نتيجة لتجارب طويلة ، ومراحل عديدة انتقل فيها الخط العربي في اطوار التطور حتى استقرت على هذا القسط من الجمال والتنسيق في الوضع والاحكام .

ويكون إرتقاع حرف الألف في خط الثلث سبع نقط من نفس القلم الذي يكتب

به الخطاط . ويكون البعد بينه وبين الحرف الذي يليه من نقطة الى نقطتين ، وكذلك بين كل حرف وحرف ما لم يكن هناك مد . مثال :

## البلد وليد علوان

انظر البعد بين كل حرف والي يليه .

ويضطر الخطاط الى المد احياناً ، وذلك عند بعض الحروف مثل اسنان السين والشين وإتصالها بالباء والتاء والنون والياء ، وخشية من الالتباس والتماساً للجمال والتنسيق يعتمد الخطاط الى المد مثال :

## نشيد نشيط

وكذلك يخشى الخطاط من بعض الكلمات التي تحتوي حروف الباء والتاء والنون والسين والشين والنون والياء بالتعاقب ، فيضطر الخطاط عندها الى تمييز بعض نبرات الحروف وذلك بارتفاعها عن اخواتها ، حتى لا تتشابه مثال :

## بشينا

فلو لم يرتفع الخطاط بحرف التاء ويمد حرف الشين ثم يرتفع بعد ذلك بحرف التاء لكانت اسنان الحروف متشابهة كلها ، مما يجعلها مرتبكة وغير جميلة مثال :

## بشينا

انظر الفرق بين الوضعين جمالاً وتنسيقاً ووضوحاً عند جمع الحروف اولاً ثم ارتفاعها ومدها .

ويكون حرف الالف بالثلث سبع نقط في السطر الاعتيادي ، والكلمة المفردة ، اما في التركيب حين تكون الكتابة على شكل بيضوي او دائري او مربع او مثلث او غير ذلك فيكون هناك متسع للتصرف عند الخطاط ، ويزيد في طول الالف او ينقص حسب موضعه في اللوحة . ولكنه لا يزيد على تسع نقط ، ولا يقل عن خمس . ومعنى ذلك ان زيادة طول الاول تمتد الى نقطتين . . وقصره يقل نقطتين .

وارتفاع حرف الالف في خط النسخ يكون خمس نقط ، وفي الرقعة ثلاث نقط ، وفي التعليق ( الفارسي ) ثلاث نقط ايضاً . وخط الاجازة كالثلث سبع نقط كل ذلك بنفس القلم الذي يكتب به الخطاط حرف الالف ، اما الخط الديواني وجلي الديواني فيتراوح حرف الالف من ثلاث الى سبع نقط . مثال :



## انواع الخطوط واسماؤها

ينقسم الخط العربي الى قسمين :

القسم الاول : ذو الحروف اليابسة المستقيمة ، وهو الخط الكوفي بانواعه العديدة ومشتقاته الكثيرة ، والخط الكوفي لا يُحاسب به الخطاط ، لانه واسع المجال ، يستطيع الخطاط من خلاله ان يتصرف كثيراً ، ويتفنن في الابداع واظهار مواهبه الفنية ، والخط الكوفي يكتب عادة بالمسطرة ، وهو الى الرسم اقرب ، حيث يتخذ اشكالاً هندسية بديعة كالمربعات والمخمسات والنجوم والزوايا والعقود والصفائر وغيرها من تشكيلات الريّاسة . ولا يتمرن الخطاط بالخط الكوفي عند بدء الكتابة ، وانما تترك له حرية الابداع في كتابته .

القسم الثاني : ذو الحروف اللينة المطاوعة لحركة القلم اثناء الكتابة وهي المسطحة والمنكبة والمقوّرة والمعقوفة ، ولا تكون فيه حروف مستقيمة ابدأً ، ولا يستطيع الخطاط ان يكتب حرفاً او جزءاً من حرف بالمسطرة ، وانما يكتب بالقلم مباشرة .

ومن القسم الثاني خطوط الثلث المرسل والمحقق والمركب وخط الاجازة والنسخ والرقعة والديواني وجلي الديواني والتعليق ( الفارسي ) .

وبحثنا هذا في خصائص القسم الثاني حسب ، وذلك لأن الخط الكوفي الحاد اليابس هو الى الرسم اقرب كما ذكرنا .

## الثلث

يعتبر خط الثلث رأس الخطوط العربية . واجملها واصعبها ، وبه يقاس وزن الخطاط وتعرف منزلته ودرجته من خلاله ، ويحاسب الخطاط بخط الثلث . فاذا تمكن الخطاط من الاجادة والضبط بالثلث ، فانه يتمكن من سائر الخطوط الاخرى .

والثلث في الخط العربي كالبحر الطويل في الشعر العربي ، يحتاج الى ثروة لغوية ومادة وافرة من التعابير ، يعاني النظم فيه كبار الشعراء ويكادون يخصصونه الى الاحداث الجليلة .

وهو كالأبراهيمي في المقامات العراقية ، كثير القطع والانغام والانتقال والتصرف يتحاشاه كثير من قراء المقام ، ولا يؤديه الا المتمكنون في الصناعة ، واهل الدراية والاحاطة في هذا الفن .

وقد تطور خط الثلث على ايدي الخطاطين الاتراك حتى بلغوا به الكمال او كادوا . ومن العظماء الذين تفننوا في الابداع بخط الثلث الخطاط عبدالله الزهدي كاتب السطور الرائعة في المسجد النبوي الشريف ، وشفيق بك كاتب سطور المسجد الاقصى ( قبة الصخرة ) في القدس الشريف ، وراقم واحمد الكامل وحقي وسامي ونظيف وعمر الوصفي وشوقي وخلوصي وعثمان ياور وعزيز الرفاعي وماجد الزهدي وحامد الآمدي وحليم ، وهؤلاء كلهم من الاتراك .

وفي مصر الخطاط حسني ومكاوي وعبدالرحمن والشيخ علي بدوي وسيد ابراهيم ومحمد ابراهيم البرنس . كاتب سطور المسجد الحرام في مكة المكرمة .

وفي الشام الحاج محمد بدوي الديراني وفي لبنان الشيخ نسيب مكارم ، وفي العراق المرحوم سفيان الوهبي البغدادي ومحمود الثنائي وإسماعيل الأنوري وعبدالجبار زاده ومحمد صبري الهلالي ، وهاشم محمد البغدادي . مفخرة العراق ومعجزة الخط الذي فاق من سبقه من الخطاطين خلال العصور .



وعلى يد المرحوم هاشم محمد عادت رئاسة هذا الفن البديع . الى العرب ، بعد ان تولاها الاتراك زهاء اربعة قرون . حيث لم يصل خطاط عربي الى مستوى كبار الخطاطين الاتراك فضلاً عن ان يبرزهم كما صنع المرحوم هاشم .

وليس في المغرب العربي كله خطاط مبرز في الثالث سوى الخطاط الخماسي فسي تونس وهو لا يرقى الى هؤلاء العظماء .

ونخط الثلث تكتب به اللوحات الفخيمة كواجهات المساجد والقباب والمحاريب . ومن السطور الرائعة في الثلث عندنا ببغداد واجهة جامع الامام الاعظم . وهي سورة الفتح كتبها الخطاط عبدالجبار زاده البغدادى سنة ١٣٢١ هـ ، وكذلك قبة الشيخ معروف الكرخي كتبها الخطاط عثمان ياور . وسطور جامع فتاح باشا بالكاظمية كتبها محمد صبري الهلالي وسطور جامع البنية والسطر الجديد في واجهة جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني كتبها الاستاذ هاشم .

ومن ابرع اللوحات بالثلث . اللوحة المعلقة فوق محراب جامع الامام الاعظم وهي ( راس الحكمة مخافة الله ) كتبها عثمان ياور سنة ١٣١١ هـ . ومنها نسخة في جامع الشيخ معروف الكرخي .

وتكتب بالثلث ايضاً عناوين الكتب والمصحف واللوحات الفنية التي تزين بها المجالس ولا ادري من أين جاءت تسميته بالثلث ، وتعريفات كتب المتقدمين لا تبين ذلك ، والذي يبدو لي انه سمي بالثلث ، لانحراف القلم عند الكتابة بمقدار ثلث عرضه اصلاً وعسى ان يكون هذا الرأي مقبولاً لانه تعليل قريب من الواقع الذي عليه انحراف القلم ومقداره الثلث مثال :



وعند الخطاطين الثلث وخفيف الثالث وثقيل الثالث . ويسمى الاخير الجلي او الجليل اي الواضح ، وهو عكس الدقيق . قلت : ولا عبرة بعرض القلم ودقته ، ذلك لأن القياس واحد . عند كل كتابة ، حيث تقاس الحروف بنفس القلم الذي يكتب به الخطاط .

وخفيف الثلث انما سمي بهذا الاسم لكونه دقيقاً ، لا ترويس لحروفه ، وذلك لصغرها كرأس الالف ورأس الدال والراء واللام والنون والهاء . لانها صغيرة ، فلا تتضح

مثل الحروف الكبيرة ، ولأن الخطاط لا يعود على الحرف بعد كتابته ليسوي رأسه وحاشيته كما يفعل بالجليل . انظر رؤوس الحروف عند الكتابة . ثم تسويتها بعد الكتابة .

ا د ه

ولعل الثلث هو النوع المشهور بالكتابة العريضة الواسعة في واجهات المساجد ، وهو النوع الوحيد الذي يحمل اسم الجليل اي الواضح العريض . وفي المثل البغدادي : ( احكي بالقلم العريض ) والى ذلك اشار المرحوم معروف الرصافي الشاعر بقوله :

وَلَا بَائِيَّ اِنْ خَاطِبُ جَنَّا

كَبْتُ هَجْلَ الدَّهْرِ بِالْقَلَمِ الثَّلَاثِي

هذا اذا لم تكن القافية قد اضطرته الى القلم الثلثي . وربما لو كانت القافية حرف الخاء لكتب الرصافي بالقلم النسخي ولو كانت فاءً لكتب بالقلم الكوفي . وخط الثلث بديع جداً في الكلمة المفردة وفي السطور الاعتيادية وفي التراكيب ، ومن الثلث ( المحقق ) . وهو الذي تأخذ حروفه اوضاعها كاملة باشباع كالراء والواو مثال :

و ر ث

ثلاث غير محققة

و ر ث

ثلاث محققة

والثلث المحقق تبقى ميمه مفتوحة ولا تعوّر مثال :

۲۳۳

وخط الثلث هو النوع الوحيد الذي تفتح عينه المتصلة . ولا تغمض ابداً وتكون العين المتصلة مغمضة في سائر الخطوط الاخرى مثال :

# لمجمعُ العِلْمِ العراقيِّ بَعْدَ

والثلث خط جميل بديع في الكتابة بحجم متوسط ، واذا كبرت حروفه كانت اكثر جمالاً وابدع تنسيقاً .

## النسخ

النسخ خط جميل ، ويزداد جمالاً كلما كانت حروفه صغيرة ودقيقة . ويكون غير جميل في الكتابات الكبيرة . وتكتب به عادة المصاحف الشريفة والربعات والادعية والاوراد . وتكون حروف المطابع بحرف النسخ في الاغلب الاعم . وقد اتخذ هذا الاسم من كونه يستعمل في نسخ الكتب ، لأنه يكتب بسرعة عادة . وان كانت الكتابة بخط الرقعة اسرع منه .

وخطنا في الكتابة الاعتيادية في امورنا الحياتية الى الرقعة اقرب منها الى النسخ . وان اية عناية يبديها الكاتب اثناء الكتابة ، تنقله من الرقعة الى النسخ او يقترب منه ، وهو لا يشعر . ومن خصائص خط النسخ ، انه يصلح لكتابة السطور ، وتكون سطوره مستوية ويحتمل التشكيل ايضاً للتوضيح وللزينة ، ولكنه اقل من الثلث عادة . وتكون النقط في خط النسخ متفرقة ولا يجوز جمعها ، ولا تفتح عينه المتصلة ، ولا تكون سينه او شينه ممدودة دون اسنان .

ولا يصلح النسخ للتركيب .

ومن العظماء الذين تفتنوا بخط النسخ امام الخطاطين المرحوم الحافظ عثمان التركي المتوفى سنة ١١١٠ هـ . وهو يعد طبقة وحده ، ثم المرحوم محمد امين الرشدي كاتب المصحف الذي طبعته رئاسة ديوان الاوقاف العراقية في المانيا . ومنهم نظيف قدره غلي كاتب مصحف الاستانة المطبوع ، والحاج احمد الكامل وابراهيم قهوجي باشي كاتب

المصحف المهدي لحضرة الامام الاعظم من قبل الوزير العثماني انور باشا ، والمرحوم  
هاشم محمد البغدادي ، مثال لخط النسخ :

# الحمد لله رب العالمين

## الاجازة

خط الاجازة يكون مجموعاً من خطي الثلث والنسخ ، وهو خط جميل ، وقد قيل  
انه أقدم من خطي الثلث والنسخ ، وإنهما تفرعا منه ولا أرى ذلك صحيحاً  
لأن اسمه يدل على التجوز للخطاط في الجمع بين النوعين .  
وليس هناك قاعدة لضبط الاجازة في اوضاع حروفه من حيث تسلسلها في النوعين  
فالخطاط حر في خط الاجازة ، ان يكتب حرفاً من الثلث والذي يليه من النسخ ، أو  
أن يكتب حرفين أو ثلاثة حروف بالثلث ثم يعقبها بحرف أو أكثر من النسخ ، وبالعكس  
ولذلك ، لو اخذنا كلمة واحدة وطلبنا كتابتها من ثلاثة خطاطين ، لوجدنا كل خطاط  
قد استقل بوضع حروفه وتسلسلها من النوعين ( الثلث والنسخ ) ( حسب ما يترأى له  
من الجمال في اوضاع الحروف وحسن تنسيقها مثال :

## الأعظمية الأعظمية

وبالعكس من ذلك ، لو اخذنا كلمة واحدة وطلبنا من الخطاطين الثلاثة انفسهم  
كتابتها بالثلث أو النسخ ، لتشابهت خطوطهم وتقاربت من حيث اوضاع الحروف وابعادها .  
ويبدو لي ان خط الاجازة متأخر عن الثلث والنسخ ، وأنه مولد ومتفرع منهما ،  
وهو خط التمرين عند الخطاطين ، وغالباً ما نجد الخطاط اذا مسك القلم وابتدأ  
بالمشق ، قبل كتابة اللوحة الفنية التي يروم كتابتها ، فانه يبدأ بالثلث ثم ينتقل فجأة  
الى الاجازة .

وكذلك بعد قط القلم نرى الخطاط يكتب بالاجازة قبل غيره من الانواع ، ليجرب  
طواعية القلم ، وامتداد الحبر وجودة الورق ، وليهيئ اعصابه للكتابة .

ويكون خط الاجازة كالتمرين قبل لعبة كرة القدم ، وذلك ان اللاعبين قبل السباق يتمرنون على هدف واحد ، ويستعرضون قواهم ويهيئون انفسهم للسباق ، ويبدون اروع الحركات واعنف الضربات ، ولكنهم في الوقت نفسه غير محددين بنظام ، ولا مقيدون بخطوط الساحة ، ولمس الكرة باليد وغيرها من المخالفات .

وخط الاجازة يكتب به عادة عناوين السور القرآنية الكريمة ، وعدد آياتها ، وقيل إن الاجازات العلمية كانت تكتب به فسمي خط الاجازة ، وهذا الرأي صحيح ومقبول ، ولكن الرأي الاول انه سمي بالاجازة لتجاوز الخطاط فيه بالجمع بين النوعين اقرب . وخط الاجازة بين الخطوط العربية ، كمعلقة عبيد بن الابرص بين المعلقات .

اقفر من اهله ملحوب فالتطيات فالذنوب

فلا هي قصيدة ولا هي خطبة ، وفيها البيت والبيتان والثلاثة موزونة ثم يعقبها بيت او اكثر مختل الوزن معلول .



هو خط جميل منسق ، ويسمى ( الفارسي ) ايضاً ، ويبدو انه اتخذ هذا الاسم ( التعليق ) لأنه كان يستعمل في كتابة التعليقات في الحواشي والهوامش ، ليخالف فيه اصل خط الكتاب .

ويسميه العجم ( نستعليق ) وأصله ( نسخ التعليق ) ويلفظ نستعليق للسهولة . وهو خط جميل في الكتابة الدقيقة والوسطى والكبيرة ، وفي الكلمة المفردة والسطر ، ومن خصائصه انه يتحمل المد كثيراً ويزيده المد جمالاً وحسناً وتوزيعاً ولا تكون سطوره مستوية ، ففيه حروف صغيرة مجموعة ثم يعقبها حرف ممدود مثال :

ولضحى للسيل اذا سجد

وربما يرجع بعض حروفه فيغطي حرفين او اكثر ، ولا يجوز هذا في غير التعليق ( الفارسي ) مثال :



# في جنات الفردوس نواصتكم

ونخط التعليق ( الفارسي ) مثل مقام الدشت او الاوشار ، من حيث الجواب والقرار .  
فالجواب في الاصوات هو العالي المرتفع ، والقرار المنخفض كاسمه ، وكما يغني الفارسي  
في سرد اربع او خمس كلمات متتابعة بسرعة ، ثم يصيح بحرف واحد عالياً وطويلاً ،  
فكذلك خط التعليق ( الفارسي ) تجتمع حروف الكلمة في مكان ضيق ، ثم يمتد  
بعدها احد الحروف طويلاً مثال :

طمان طمان طمان

وتارة تكون حروفه عالية جداً ، ثم يعقبها انحدار ونزول مفاجيء ، مما يجعل  
سطوره غير مستوية استواء الثلث والنسخ مثال :

ان الكريم عند انقاصكم

ولذلك يعتمد الخطاط ان يحيط الكتابة بما يشبه الغمام من الزخارف ، ويصعب  
احاطة الكتابة الفارسية بمستطيل من الخطوط او الزخارف الاخرى ، كما هي في الثلث .  
والتعليق هو النوع الوحيد الذي تكتب فيه نقطة الظاء عن يمين الفها وعن يساره وفوقه  
ايضاً ، وذلك عند التأكد من عدم الالتباس بغيرها مثال :

خير حافظاً حافظاً حافظاً

ولكأس حرف النون في خط التعليق ( الفارسي ) شأن كبير ، حيث يشترك فيه  
ثلاثة عشر حرفاً ، وهي : النون ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، واللام ، والياء ،  
والقاف ، والجيم والحاء ، والحاء ، والعين ، والغين . مثال :

شرفه الحاج

# نسر شمس ض ق ل ي ج ح خ ع غ

ومن الخطاطين العظماء في خط التعليق ( الفارسي ) ، مير عماد الحسنی ، واسعد اليساري ومن المعاصرين الشيخ حسن المعروف بزرین خط ( الخط الذهبي ) . ويواحقه المرحوم هاشم محمد البغدادي والحاج محمد بدوي الديراني في الشام. والخطاط حسني بمصر .

## الرقعة

خط الرقعة رائع وجميل ، اخترعه الخطاطون الاتراك واول من اجاد فيه وميز خصائصه الخطاط التركي ممتاز بلك تحقيق كابتور عدم ردى وهو لا يصلح للتركيب ولا للتوليد ، وكتابتنا الاعتيادية في امورنا الحياتية العامة اقرب الى خط الرقعة من سائر الخطوط . ومن خصائص خط الرقعة ، انه تغمض منه العين المتصلة ، والواو ابتداء واتصالاً كما تغمض منه الفاء ابتداء وتنفتح اتصالاً مثال :

## جمعة يوسف الفرقة

وتغمض القاف ابتداءً وتنفتح وسطاً وتغمض انتهاء مثال :

## العقبي رقيبي

وخط الرقعة تجمع فيه النقط ، ولا يجوز تفريقها ، كما انه النوع الوحيد الذي يجوز فيه ان تتصل نقط الشين والضاد والقاف والنون والياء في آخر الحرف مثال :

جيش حيس ارض عرو

س س رى

ويكتب حرف الجيم والحاء والحاء في خط الرقعة على وضعين الاول : اذا كان الحرف الذي يلي حرف الجيم صاعداً فيكتب بهذه الصورة :

أجر جهم حمزة خميس

الثاني : اذا كان الحرف الذي يليه نازلاً فيكتب هكذا :

جاء جئت جيت حين خير

ويستعمل خط الرقعة في الكتابات الكبيرة والاعلانات التجارية ، والمكاتب ، والدوائر الرسمية ، لسهولة قراءته ، وكذلك في عناوين الصحف والمجلات وبعض الكتب . وهو لا يحتمل التشكيل .

وقد اخذ خط الرقعة هذا الاسم من ( الرقعة ) وهي قطعة الورق الصغيرة في المكاتبات . واشهر من يكتب خط الرقعة هو المرحوم الخطاط محمد صبري الهلالي البغدادي ، وحسني الخطاط بمصر والخطاطون الاتراك .

وخط الرقعة متأخر زمنياً عن الثالث والنسخ ، وهو غير ( خط الرقاع ) المذكور قديماً . وفي خط الرقعة يكون حرف ( لام انف ) بمقدار نصف حرف الالف مثال :

الأول الآخر الإيمان

# الديواني

ان الخط الديواني اخترعه الخطاطون الاتراك ، وولّدوه من خط الرقعة ، وهو يشترك مع خط الرقعة في كثير من اوضاع الحروف وهيئاتها .  
وقد خصصوه لكتابة الاوامر والمراسيم التي كانت تصدر عن ديوان السلطنة ، فسمي ( الخط الديواني ) كما يسمى ( الخط الهمايوني ) و ( الخط السلطاني ) ايضاً .  
وتكتب به عادة اللوحات الفنية ذات الاهمية الكبيرة كالمراسيم الجمهورية ، والشهادات العلمية ، والسندات ، كما تكتب به المعايدات والبطاقات الشخصية .  
والخط الديواني تكون سطوره مستوية من الاسفل في الاغلب ، وقد ينزل منها بعض الحروف كالجيم والحاء والحاء والعين والغين والميم ، ولا تستوي سطوره من الاعلى مثال :



والديواني كخط الرقعة ، لا يحتمل التشكيل . وتكون نقطه مجتمعة ومتفرقة ، وتكتب احياناً على شكل دائرة .  
واشهر من يكتب الخط الديواني ، هو المرحوم الخطاط مصطفى غزلان بك المصري ، وقد ادخل عليه بعض التطوير وجعل حروفه متداخلة متصلة وسمي باسمه ( الخط الغزلاني ) وهو من الديواني .

وكذلك من البارعين فيه محمد صبري الهلالي وهاشم محمد البغدادي .  
والخط الديواني جميل ، في الكلمة المفردة ، وفي السطر ، ويكون جميلاً في  
الكتابة الدقيقة والكبيرة على السواء .

## جلي الديواني

وهذا النوع يسميه الاتراك ( جلي ديوان ) واصله ( الديواني الجلي ) ، وقد اخترعه  
الخطاطون الاتراك ايضاً ، وولدوه من خطي الديواني والاجازة .  
وكان اسم هذا الخط من الاضداد ، حيث كان ينبغي ان يسمى ( دقيق الديواني )  
او ( مطموس الديواني ) او ( خفي الديواني ) .  
ومن خصائص هذا الخط انه يحتمل التشكيل كثيراً ، ويضاف الى التشكيل النقط  
الصغيرة الدقيقة ، مما تزيد الخط جمالا بهجة .  
ويتخذ جلي الديواني اشكالاً بديعة وتراكيب لطيفة اثناء الخط ، ويتصرف فيه  
الخطاطون كثيراً .  
ويستعمل في نفس الاغراض التي يستعمل فيها الديواني .  
واشهر من يكتبه الخطاط التركي مصطفى عزة ، والشيخ عزيز الرفاعي ، والشيخ  
نسيب مكارم والاستاذ هاشم محمد البغدادي ، مثال لخط جلي الديواني :



# فن التركيب

التركيب فن رائع جميل ، ولا يكون الا في الثلث والاجازة وجلي الديواني ، ومعنى التركيب ان تتداخل الحروف ويشتبك بعضها ببعض ، وتتصل فيما بينها ، بحيث تكون اللوحة كلها قطعة واحدة او قطعتين او ثلاث قطع ، على اكثر تقدير .

واجمال التراكيب وابدعها ما كان قطعة واحدة ، بحيث لو نقلت اللوحة على خشب او معدن ، يستطيع الصانع لها أن ينصبها مرة واحدة . من دون تعب او حيرة في اوضاع الحروف وابعادها وتقديمها وتأخيرها . مثال :

وَالصِّحْحُ لِلْإِخْلَاصِ  
مركز تحقيقات كميوتير علوم إسلامي

وَلَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

وغالباً ما تكون كؤوس حروف الجيم والحاء والخاء والعين والغين تامة ، حتى يتمكن الخطاط من ربط الحروف بها ، وخاصة الباء فانها تكون مردودة حتى تربط الحروف المفردة كالالف والdal .

ولا يكون التركيب في الخط المحقق من الثلث ، وذلك لأن المحقق تكون حروفه على اوضاعها في الاصل ، ولا تعقف ولا ترد .

ومن التراكيب الرائعة لوحة المرحوم الشيخ عزيز الرفاعي التركي ( تبارك الذي بيده

الملك ) :



# تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِ الْمَلِكِ

انظر تقسيم الحروف الصاعدة ، من كل جانب اربعة متقابلة بشكل بديع .  
ومن التراكيب الفاشلة لوحة للمرحوم عزيز الرفاعي ايضاً ( واستغفروا الله ان الله  
غفور رحيم ) :

# وَإِلَّا تَغْفِرَ اللَّهُ زَلَّ اللَّهُ

ان الفشل في هذه اللوحة انها تقرأ ( ... ان الله رحيم غفور ) والصواب : ( ... ان  
الله غفور رحيم ) ، والاصل في التركيب ان لا تصعب قراءته ، ولا تكون حروفه مرتبة  
في التقديم والتأخير .

والخطاط يضع الكلمة الاخيرة فوق سابقتها ، لا تحتهل .  
ومع هذا الفشل . فان المرحوم الرفاعي هو المقدم في التراكيب ، وهو اكثر الخطاطين  
انتاجاً ، وابدعهم تركيباً .

ومن الفشل في التركيب لوحة للمرحوم هاشم محمد البغدادي في محراب جامع  
مظهر الشاوي ببغداد ( كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ) فقد كتبها  
المرحوم هاشم هكذا :

# كُلَّمَا خَلَّ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمَحْرَبُ وَجَدَهَا رِزْقًا

وهي تقرأ بهذه الصورة ( ... وجدها عند رزقاً ) .  
ومن المبرزين في التركيب المرحوم حقي واحمد الكامل المعروف برئيس الخطاطين ،  
ونظيف وعمر الوصفى ومصطفى عزة وحليم وسامي وشوقي وعبدالقادر وحامد وماجد وكلهم  
من الاتراك .

والمرحوم حسني في مصر والاستاذ هاشم محمد البغدادي في العراق .

## فن التوليد

التوليد فن جميل ، وقابلية خاصة يتمتع بها بعض المهويين المتفوقين من الخطاطين . ومعنى التوليد ، ان يولد الخطاط حرفاً من حرف او جزء منه . أو ان يكون بعض الحروف مشتركاً في كلمة واحدة او كلمتين .

ويكون التوليد بصورة فنية مقبولة بحيث لا يشعر القارئ بأن هناك تكلفاً او ضعفاً ، ويخدع الخطاط نظر القارئ ، كما فعل الاستاذ هاشم محمد البغدادي في الآية الكريمة ( انهم فنية آمنوا بربههم وزدناهم هدى ) وهي لوحة جمعت بين التركيب والتوليد ، حيث جعل الياء مردودة وربطت الحروف كلها ، ثم جعل حرف الهاء من كلمة ( وزدناهم ) مشتركاً مع كلمة ( هدى ) بالرغم من وجود ( الميم ) بين الحرفين . وهو من ابداع ما ولده الخطاطون :

اِهْمَرْتِيْزًا مِّنْوَابِرْهَمٍ وَزَدْنَاهُمْ هُدًى

ومن التوليد ما يكون جزءاً من الحرف مشتركاً بين حرفين كرأس الواو والميم وهو كثير شائع مثال :

قَدْ اِنْسَلْنَا اِلَّا بِرَحْمَةِ الْعَالَمِيْنَ

ومن التوليد الرائع البديع لوحة المرحوم ماجد الزهدي المدرس بمعهد الفنون الجميلة ببغداد سنة ١٣٧٦ هـ في الآية الكريمة ( اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ) فقد جعل ( الف ) اكرم جزءاً من حرف ( الكاف ) مثال :

# إِقْرَأْ بِآيَاتِ الْكُرْآنِ الَّتِي عَلَّمْنَاكَ

وتوليد المرحوم هاشم في باب جامع المرادية قد ابدع فيه ، حيث ولد حرف ( الظاء ) من رقبة حرف ( العين ) وكأسه في كلمة ( العظيم ) مثال :

صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

ومن التوليد الفاضل لوحة في اعلى محراب جامع المرادية ببغداد كتبت سنة ١٣٢٠ هـ وهي الآية الكريمة ( فنادره الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ) .  
فقد جعل الخطاط حرف ( الياء ) الاخير من كلمة ( يصلي ) مشتركاً مع ( الياء ) من كلمة ( في ) ، فلم يوفق الخطاط بذلك بحيث اصبح تقرأ ( يصلفي ) هكذا :

وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ . يصلي في

ومن التوليد جعل حرف الياء جزءاً من حروف الكاف الزنادي مثال :

عَلَيْكَ أَيُّهَا الْقَدِيرُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

يكون حرف اللام بمقدار طول حرف الالف ، أو قريباً منه ، في انواع الخطوط كافة .

وربما يكون حرف اللام فوق حرفين فيقل بعض الشيء عن الطول الالف .  
وفي مثل هذه الحالة ، يصعد حرف اللام ابتداءً عن حرف الالف مثال :

الْقُدْرَةُ الْخَفِيَّةُ

واذا كان حرف اللام فوق حرفين او حرف واحد ، فانه يصعد عن الالف بمقدار  
نقطة واحدة مثال :

الْمَخْتَلَةُ الْمُمْتَنَةُ

اما حرف اللام في لفظ الجلالة ، فانه يكون بمقدار نصف حرف الالف في كل  
الانواع مثال :

الله الله الله الله الله  
مكت اجانة نحي رقة تعليمه رباني

ولو جعلنا حرف اللام في لفظ الجلالة كاملاً بطول حرف الالف ، فلا يكون  
له من الجمال اي نصيب حينئذ ، انظر الفرق بين اللامين القصيرة والطويلة . في لفظ  
الجلالة واحكم ايهما اجمل :

الله الله الله الله

اوها م الخطاطين

ان الحذاق من الخطاطين . يؤنسهم ويزيد في متعتهم ، ان تتكرر بعض الكلمات .  
اثناء كتابتهم في اللوحة الواحدة .

وذلك ليظهروا مقدرتهم الفنية وقابليتهم في الابداع ، باظهار تلك الكلمات بشكل واحد ومقدار واحد .

وبعض الخطاطين اذا مرت بهم امثال تلك الكلمات ، فانهم يتصرفون في اوضاعها وتنويعها ابتغاء الزينة وابرار جوانب الجمال في اوضاع الحروف .  
ومع هذا الابداع في تنويع وضع الحرف ، فقد يعتبره الخذاق منهزماً اكثر منه مبدعاً مثال ذلك في الآية الكريمة ( ان ربهم بهم يومئذ لخبير ) .

اِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ

انظر الوضع الثاني لكلمتي ( ربهم و بهم ) .

ربهم بهم

ومثال ذلك في الآية الكريمة ( فاذكروني اذكركم ) وانظر أوضاع حرف الكاف :

فَاذْكُرُونِي اَذْكُرْكُمْ

ومثاله ايضاً في حرفي النون والالف وتكرارهما في الآية الكريمة ( ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان .. ) :

رَبَّنَا اِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِيكَ

او ان تتكرر كلمة واحدة مرتين متتابعتين في آية واحدة كالأية ( واذا بطشتم بطشتم جبارين ) :

# وَإِذَا بَطِشْتُمْ بِطِشْتُمْ حَبْلَيْنِ

او ان تتكرر كلمتان مرتين في الآية الكريمة ( .. وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ) :

## وَقُرْآنُ الْفَجْرِ أَزْهَرُ

ان الخطاط في هذه الآية الكريمة ، يجعل كلمة ( ان ) كلسان الميزان عن يمينها ( قرآن الفجر ) وعن يسارها ( قرآن الفجر ) .

وكذلك تكرار الحروف مثل حرف الكاف في الآية الكريمة ( كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيراً ) .

## كِي نُسَبِّحُكَ كَثِيرًا وَنُذَكِّرُكَ كَثِيرًا إِنَّكَ أَنْتَ بَصِيرٌ

ان هذا الجناس اللطيف ، يجعل الخطاط مرتبكا ومشغول الذهن ، حيث يريد ان يجانس في الخط كجنانسة اللفظ ، ويجعل حروفه بشكل متناسق مقبول ، يشير البهجة والمتعة . وما لا شك فيه ان الخطاط الحاذق يشعر بالسرور واللذة بالجناس اللفظي والخطي ، كما ذكرنا ولو انه يلاقي صعوبة في وضع الحروف .

ولكن السعادة التي يشعر بها عند امتلاك ناصية الحرف ، والتصرف بوضعه بشكل مستقر غير قلق ولا مضطرب او متأرجح .

ان تلك السعادة تغطي تعبهُ وتنسيه ما عانى وكابد . ( ودون اجتناء الشهد ما جنت النحل ) .

قلنا : ان انشغال بال الخطاط بوضع حروفه المكررة ، قد يجعله يشد ويغلط في



النص ، ومن هذا القبيل كان غلط المرحوم عبدالحميد حمدي في السطر المحيط بقبة حرم جامع الامام الاعظم من الداخل ، حيث كتب الخطاط الآية الكريمة : ( ... فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ) .

ان المرحوم عبدالحميد حمدي قد ابدع في كتابة السطر كثيراً ، وقد مرت به في الآية الكريمة كلمة ( وانظر ) ثلاث مرات فابدع فيها غاية الابداع وكتبها على نسق واحد يثير العجب . ومرت به كلمة ( طعام ) وكلمة ( عظام ) في الآية الكريمة . ولما ابدع بكتابة كلمة ( طعامك ) انشغل باله وانصرف ذهنه الى كلمة ( العظام ) فكتبها ( طعام ) بتقديم الظاء على العين كل ذلك حتى يجانس بين الكلمتين كما فعل في كلمة ( وانظر ) . فصحف الكلمة من حيث لا يشعر وصارت هكذا .

## فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ ... وَانْظُرْ إِلَى الظِّعْمِ ..

بدلاً من ( وانظر الى العظام ) واخرجهما بشكل واحد وبذل فيها جهداً فنياً مضنياً ولكنه غلط ، وقد رفع هذا السطر تحت تسمية تعمير الجامع سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م . وكذلك غلط المرحوم محمد صبري الهلالي في السطر المحيط بحرم جامع الدهان في الاعظمية ، من الخارج . حيث كتب الآية الكريمة ( ... ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكذبها .. ) . لقد كتب صبري كلمة ( بعض ) مرتين بصورة متناسقة جميلة ، وكتب كلمة ( يده ) ، فانشغل باله بجناس كلمة ( بعض ) مرتين وسها فكتب ( لم يكذبها ) بدلاً من ( لم يكذبها ) كما هي في المصحف الشريف . وقد جاس صبري بحرف ( الهاء ) المفرد من ( يراه ) مع الهاء من ( يده ) هكذا :

## اِنْ اَخْرَجَ يَدَكَ لَمْ يَكْذِبْ بِرَأْيِهِ

وكذلك غلط المرحوم صبري في احدى اللوحات المحيطة بحرم جامع فتاح باشا من داخله في الكاظمية ، حيث كتب الآية الكريمة ( وجاهدوا في الله حق جهاده هو

اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ) . فأضاف كلمة ( سبيل ) وهي غير موجودة في المصحف فكتبها هكذا :

وَهْدِيْكَ اِلَى سَبِيْلِكَ جَهَنَّمَ

والذي يبدو ان المرحوم محمد صبري في هذه الآية قد جاءه الوهم من ناحيتين :  
الاولى : كثرة ما ورد في القرآن الكريم عن الجهاد مقرونا في سبيل الله وكذلك الانفاق في سبيل الله . فظن المرحوم صبري انها كذلك في هذه الآية الكريمة ايضاً .  
والثانية : ان الخطاطين قد اصطالحوا وتواضعوا على ان يجعلوا كلمة ( الله ) لفظ الجلالة في اعلى السطر دائماً ، وان لا يكتبوا فوقه حرفاً او كلمة ، ونتيجة لانشغال بال الخطاط في وضع ( لفظ الجلالة ) باعلى السطر فقد غلط وكتب تحتها كلمة ( سبيل ) وهي زائدة .  
وقد ذكرت ذلك الى العلامة المرحوم عبدالقادر الخطيب ، حين كان اماماً في الجامع المذكور ، فأمر بنحتها وكانت الحروف بارزة ، فنحتت بالفأس ، وبقي أثرها وفراغها مشوهاً للسطر .

وهذه الاوهام قد وقع بها كبار الخطاطين في أروع سطورهم وابدع كتاباتهم ، ومنها ما وقع فيه المرحوم هاشم محمد البغدادي في السطر الكائن باعلى واجهة جامع عادلة خاتون بالصرافية ، فقد كتب الآية الكريمة ( ... كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده ) .

ان الخطاط يسره ان ينتهي سطره بحرف الالف حيث ينتهي بصورة بديعة ليس فيه فراغ وهو مريح للخطاط . مثال :


وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيْمًا

ويزعجه ويؤذيه ان ينتهي سطره بحرف ( الهاء ) المفرد مثال :

# عَنْكَ .. بَعْلَكَ

لذلك يبدو ان الخطاط قد ارتبك لشدة تفكيره واهتمامه بنهاية سطره ، وكيف سيضع حرف ( الهاء ) في النهاية ، وهو غير محمود عند الخطاطين .  
ولما تكرر حرف الهاء في كلمة ( يجده ) ولاشغال باله في الهاء من كلمة ( عنده ) في نهاية السطر ، كل ذلك جعل الخطاط يشد ويغلط في النص فكتبها هكذا :

## لَمْ يَجِدْ شَيْئًا وَحَبْلُ اللَّهِ عِنْدَهُ

بزيادة حرف الهاء في كلمة ( ووجد ) فضارت ( ووجده ) وما يزال الغلط في السطر المذكور وكذلك غلط المرحوم هاشم في السطر المحقق الكائن في واجهة جامع الحيدر خانة من جهة شارع الرشيد حيث كتب ( ... فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .. ) ونسي الف الجماعة من كلمة ( وآتوا ) هكذا : 

## فَاقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

وكذلك غلط المرحوم هاشم ايضاً في السطر الجديد في اعلى واجهة جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني من جهة المصلى الصيفي ، كتب فيه الآية الكريمة ( ... الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم لذكر الله ... ) ونسي الف الجماعة من كلمة امنوا هكذا :

## الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ

وغلط المرحوم هاشم ايضاً في السطر نفسه مرة اخرى وفي الآية نفسها فكتب :

( ... والذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ) ونسي الف الجماعة كسابقتها هكذا :

# الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وعظماء الخطاطين البارعين يستأنسون بالآية الكريمة ( ... كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري ) . وذلك لتكرار الكلمات فيها ، فيحاولون الابداع ويبدلون اقصى جهودهم لاطهار مواهبهم في كتابتها بشكل موحد متناسق بديع .

.. مِصْبَحُ الْمِصْبَحِ فِي زُجَاجَةِ الزُّجَاجِ ..

## الحروف المنفردة

ان الخطاط يفرح وينتفش عند خطه للكلمات التي تتصل حروفها ، ويبدع في اوضاع حروفه وجمعها ومدّها ، وتوليد بعضها من بعض مع حسن تركيبها ، وبالعكس من ذلك فان الخطاط يمتعض ويشعر بالضيق والانقباض عند خطه للكلمات المنفصلة الحروف .

ذلك لانه لا يستطيع أن يمدّها ، ولا يحق له أن يباعد بين حرف وآخر فلا يدري كيف يكتبها ، وبخاصة اذا كان العنوان من كلمتين او كلمة واحدة ولدى الخطاط متسع في اللوحة ، وذلك في سائر الخطوط مثال :

أوراق الورق أوراق الورق

وكذلك يزعجه ان يكون العنوان من كلمتين واحدة متصلة الحروف واخرى متفرقة .

مثل :

مَحْمَد دَاوُد      مَحْمَد دَاوُد

نجد هنا الخطاط قد مد كلمة ( محمد ) كثيراً ، بحيث أصبحت ضعف مساحة كلمة ( داود ) المفردة .

اما في ( اوراق الورد ) فلا يستطيع الخطاط ان يمد ، لأن الحروف منفصلة غير متصلة . وهي على العموم غير جميلة .

هذا في الخطوط التي تصلح للمد كالثلث والنسخ والاجازة والديواني والتعليق ( الفارسي ) فكيف به في الخط الذي لا يصلح للمد اصلاً ، ولا يجوز فيه كخط الرقعة مثال :

اوراق الورد      محمد داود

وكذلك هناك بعض الكلمات ليس فيها حرف الالف ، فهي غير جميلة في خط الرقعة لأن حروفه صغيرة ، وإنما تصلح للثلث فقط مثال :

دُرُوزَة      دُرُوزِ ثَلث

دُرُوزَة      دُرُوزِ رِقْعَة

واذا كانت الكلمة متفرقة الحروف ، وفيها حرف الالف ، فربما يرفع حرف الالف من شأنها بعض الشيء في نفس الخطاط ، وهي في الغالب مما لا يحبه الخطاطون مثال :

وَالْمَرْكَةُ      وَالْمَرْكَةُ

## تناسُب الحروف

من الامور التي لا يرتاح لها الخطاط . بعض الاسماء التي لا تتناسب حروفها عند الكتابة فبعض الحروف مرتفع كالالف واللام والكاف ، وبعضها نازل كالجيم والعين والميم . وقد يرد اسم يتضمن هذه الحروف الصاعدة والنازلة ، ثم يعقبه اسم ليس فيه حرف مرتفع او نازل ، بل كل حروفه منبسطة ، فلا يدري الخطاط كيف يتصرف في كتابة هذا العنوان مثال :

الكرم سعيد عبد الحكيم سعد

مثل هذه الاسماء لا تصلح كتابتها بالتعليق ( الفارسي ) . ذلك لان هذا النوع لا يحتمل التشكيل حتى يملأ الفراغ فوق الكلمة الحالية من الحروف العمودية ( الصاعدة والنازلة ) .

وكذلك لا تصلح كتابتها بخط الرقعة ، لأنه كخط التعليق لا يحتمل التشكيل مثال :

كامل سعيد عبد الحكيم سعد

وفي مثل هذه الحالة يعتمد الخطاط الى كتابتها بالثلث او النسخ ، ويستعمل فيها حرف الكاف المعقوف ( الزنادي ) باصطلاح الخطاطين ، ويعقف الميم كذلك ، كما يستفيد من ارتفاع حرف الدال في الثلث ، وكذلك يسعفه التشكيل في املاء الفراغ مثال :

الكرم سعيد عبد الحكيم سعيد



او يكتبها بالنسخ وذلك لنفس الفوائد من الثلث مثال :

## اكرم سعيد عبد الحكيم سعد

وهناك بعض الاسماء من النحوسة بمكان لا يؤمن معها الالتباس ، حيث انها تخدع نظر القارئ ، اذ يمتد الاسم الاول فيأخذ الحرف الاول من الاسم الثاني مثال :

## عطار رفعت عطار رفعت

مثل هذا الاسم اول ما ينظر اليه القارئ يحسبه ( عطار ) ، ثم ينتبه بعد ذلك الى ان حرف الراء من اسم ابيه ( رفعت ) .

ولا يستطيع الخطاط ان يباعد بين الاسمين اكثر مما ينبغي وهو نقطة او نقطتان . واذا باعد اكثر من ذلك فانه يعاب عليه . فالخطاط حائر في مثل هذا الاسم ، ومتردد بين العيب في خطه او الالتباس في قراءته . ويكون بين امرين احلاهما مر ، وتعتبر مثل هذه الاسماء من المحن والحقير التي تفعل فعلها في نفس الخطاط وهمته ومزاجه ، ولا يشعر بها كثير من الناس حيث :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها

## تراث الاجدار

ان اجدادنا رحمهم الله قد ابدعوا وتفننوا في اصول وقواعد الخط العربي ، وهذبوه وجودوه ، حتى ارتقوا به في مدارج الكمال ، ومعارج الازدهار والجمال ، ويعتبر الخط العربي من اجمل الفنون ، واعز التراث الذي ينبغي ان نحافظ عليه ونعتز به ، ولكن مما يؤسف له ان المتحف العراقي خال تماماً من هذا الفن البديع الجميل . وكان اجدادنا يقولون :

الخط يبقى زماناً بعد كاتبه وكاتب الخط تحت الارض مدفون

اما نحن اليوم فقد أصبح عندنا الخط وكاتبه تحت الاض مدفونين .

لقد كان في جامع الشيخ عمر السهروردي ببغداد ، سطر بخط التعليق ( الفارسي ) كتبه على الكاشاني الخطاط البغدادى الشهير سفيان الوهبي المتوفى سنة ١٢٦٥ هـ ، وهو الاثر الوحيد الباقي في بغداد من خطوطه .

الا ان دوائر الآثار والسياحة والاقواف ، تعاونت على اخراج قوس عباسي في البناء وراء ذلك السطر الرائع ، فقررت الدوائر الثلاث هدم الباب والسطر لاجراج ذلك القوس . وحسناً فعلت الدوائر الثلاث باخراج ذلك القوس ( العقد ) - وان كان في بغداد امثلة عديدة من العقود والاقواس العباسية المماثلة - ولكنها في الوقت نفسه اهملت ومحت أثراً فريداً مهماً ليس في بغداد سواه .

وقد رفعت اجزاء ذلك السطر اليتيم والقيت مع الانقاض ( الكلك ) . ثم انتبهوا بعد ذلك لهذا التفريط الشنيع والاثم الفظيع . فطلبوا من المرحوم هاشم محمد البغدادى ان يكتب سطرًا جديدًا بالتعليق ايضاً ووضع داخل العقد العباسي . وذلك سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م ، وضاع الاثر الوحيد للخطاط سفيان الوهبي ، وكان الاجدر ان ينقل ذلك السطر الجميل والاثر الجليل الى المتحف العراقي في قاعة خاصة تضم آثار خطاطي بغداد وكذلك فعلت الاوقاف عند تعمير جامع الامام الاعظم ، سنة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م حيث وضعت تصميمًا للزخارف الاندلسية الرائعة في رواق الجامع وحرمة وقبة الضريح ، ونتيجة لهذه العمارة الجديدة ، فقد رفعت السطر البهيج المحيط بقبة الضريح من الداخل وهو ( آية الكرسي ) كتبه الخطاط عبد الجبار خان زاده البغدادى سنة ١٣١٣ هـ وهو من اروع السطور واجملها ، ورمي مع الانقاض ايضاً .

وكذلك فعلت الاوقاف في السطر الكائن في جانبي المحراب وفوقه بالثلث كتبه عبد الحميد حمدي سنة ١٣١٢ هـ والكتابة عند مدخل ضريح الامام الاعظم وهي قصيدة للشاعر عبد الغفار الاخرس كتبها بالتعليق عبد الحميد حمدي فرميت مع الانقاض .

اما السطر المحيط بقبة حرم الامام الاعظم من الداخل ، فلم يرفع بل وضعت الزخارف الاندلسية فوقه وغطته فانطمس في البناء ، ولعل الاوقاف بعد جيل او جيلين تأمر برفع الرياسة لاجراج السطر ، وهكذا نضحي بأثر من اجل أثر . ولم يبق من خطوط عبد الجبار زادة سوى السطر الرائع في اعلى طارمة جامع الامام الاعظم وهو ( سورة الفتح ) كتبه سنة ١٣٢١ هـ ، وكذلك الخطوط في باب الساعة بجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد كتبها سنة ١٣١٨ هـ .

ونخشى ان تجدد الأوقاف هذين الجامعين وترمي بالخطوط النفيسة مع الانقراض ،  
ويضيع هذا التراث العزيز .

وتبقى مديرية الآثار تنفق الآف الدنانير من أجل ( قحف ) مجهول ، فتؤصله  
وتفصله وتنسبه الى اهله وصانعيه ، في الوقت الذي تضيع فيه الآثار المعروفة والمنسوبة  
الى اهلها بتواقيع كتابها انفسهم .

ان مساعي الآثار والاقواف مشكورة في تجديد وصيانة الجوامع ، ولكن ينبغي  
ان لا تفرط في السطور الفريدة الغالية .

لقد توفي بعض خطاطي بغداد وتركوا لنا جملة من الآثار البديعة وهي كتاباتهم  
في تزيين جوامع بغداد وقبابها ومدارسها ، ينبغي ان نحافظ عليها ونوليها عنايتنا واعترازا ،  
وان تسعى مديرية الآثار بتهيئة قاعة خاصة لخطاطي بغداد الراحلين . ان المرحوم الخطاط  
صالح صبري ترك لنا سطوراً رائعة في جامع السيد سلطان علي . كتبها سنة ١٣١٠ هـ  
وليس له فيها بغداد من اثر غيره .

وكذلك المرحوم علي صابر ترك لنا سطوراً في غاية الجمال في واجهة جامع الحيدرخانه  
وعليها توقيع ، فهدمت الواجهة وضاعت السطور مع الانقراض .

وبقي له بعض السطور في واجهة جامع السيد سلطان علي من جهة شارع الرشيد ،  
وجامع الخفافين وجامع عثمان بن سعيد وجامع الشيخ عمر السهروردي وجامع الأغا  
والثانوية المركزية ببغداد ودار المعلمين الابتدائية في الاعظمية ، وجامع عثمان افندي  
وفيه اسم المعمار وهب السهيل مع اسم الخطاط سنة ١٣٤٢ هـ .

وكذلك توفي المرحوم صبري الهلالي ، وترك اثراً في غاية النفاسة والجمال منها  
كتاباته في واجهة جامع عادلة خاتون مقابل المحكمة الشرعية وجامع حسية الباجه جي  
في الكرادة الشرقية وجامع الدهان في الاعظمية وفتاح باشا في الكاظمية ومدرسة التفيض  
الاهلية ببغداد ، ودائرة الآثار القديمة وخان امين الدين مرجان واجمل خطوطه السطور  
الرائعة في الحضرتين الحسينية والعباسية في كربلاء . واخيراً توفي عميد الخط العربي  
المرحوم هاشم . وهو الذي زين المساجد والمعاهد بخطوطه الزاهية الباهية .

ان مثل هذه السطور ينبغي ان نحافظ عليها كتراث جليل وثروة فنية غالية وان  
ننقل بعضها في قاعة خاصة في المتحف العراقي تمثل آثار خطاطي بغداد الذين ساهموا

في احياء التراث وتطويره ، او في المتحف البغدادي ، وعلى الأقل ان نصورها اذا تعذر نقلها ، خشية ان يكون مصيرها الاهمال والضياع كخطوط سفيان الوهبي ، وذلك اضعف الايمان ، وليس وراء ذلك من الوفاء والاعتزاز حبة خردل .

## تطوير الخط

ان فن الخط العربي ، لم يأتنا منزلاً من السماء ، وهو كسائر الفنون الحضارية ثمرة يانعة لجهود جبارة ، ومساع مباركة ، بذلها اجدادنا جيلاً بعد جليل ، حتى اصبح فناً راقياً نعتر به غاية الاعتزاز ، ونفتخر به منتهى الافتخار ، ونحترم المتخصصين فيه ، والعاملين على تطويره وتنسيقه وتجويده .

ومما لا شك فيه ، ان الذين نتأمل منهم تطوير الخط العربي نحو الاحسن والابدع انما هم الصفوة المختارة من ائمة هذا الفن . الذين قضوا مدة طويلة في ممارسته ومعالجته حتى بلغوا درجة التمييز والنظر والاجتهاد ، وارتفعوا بمستواهم الفني عن التقليد والحمود . وعلى رأس هؤلاء العظماء المرحوم هاشم محمد البغدادي ، وهو الخطاط الاول في العالمين العربي والاسلامي لتحقيق كماله في تطوير الخط العربي .

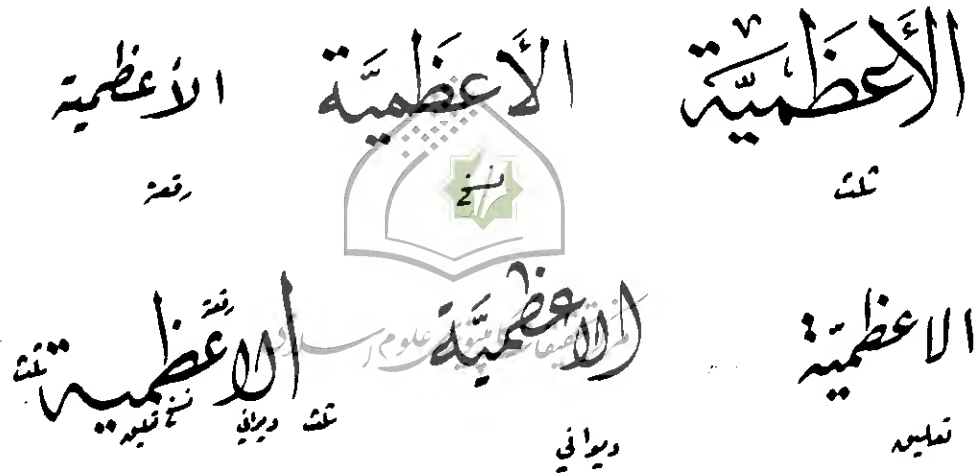
مثل هذا المتفنن العظيم المتمكن من اصول وقواعد الخط العربي والمتوسع فيه وفي آفاقه الرحبة ، اذا وجد الاستاذ هاشم وامثاله بعض الضيق والعنت في ابعاد الحروف وقياساتها واتجاهاتها واوزاعها ، وحاول ان يكتب لوحة ، فلم يجد في مجالات انواع الخطوط ما يسد رغبته ويشبع نهمته ، فيحق له حينئذ ان يولد ويخترع ويبتكر من الاوزاع للحروف ما يتناسب مع ذوقه الرفيع ، واخلاصه في الحفاظ على التراث واعتزازه به .

ذلك لأن الذين اخترعوا الخطوط وجودوها من قبل . انما هم رجال مثله وليسوا ملائكة وهاشم ارقى منهم فناً واسلم ذوقاً وارحب افقاً .

أما أن يأتي شاب خطاط مبتدئ ، لم يحسن بعد ان يكتب سطرًا مضبوطاً بالقواعد والاصول ، فيطفر طفرة واحدة ، ويعمل على تطوير الخط العربي ، شئنا ام أبينا ، فهذا امر لا يقره عاقل .

ان هذه الانواع من الخطوط العربية ، لم تأت اعتباراً ، وانما جاءت نتيجة لدراسة طويلة ، وتجارب عديدة ، حتى استقرت على هذا الشكل اللطيف والتنسيق المنيف ، واخذت الحروف في كل نوع اشكالها وابعادها بما يتناسب والذوق الذي يبعث في القلب السرور وفي النظر البهجة والارتياح .

ولو اننا اخذنا كلمة واحدة وكتبناها حسب الاصول ، لكانت جميلة في كل نوع من انواع الخطوط ، وتثير في النفس الرضا ، ولو اخذنا نفس تلك الكلمة ، وكتبنا كل حرف منها بنوع لكانت في غاية القبح والسماجة ، يعافها الذوق وتنفر منها الفطرة السليمة ، ولو كان كل حرف منها مضبوطاً حسب قواعده واصوله ، ولكن الاختلاط والارتباط غير المنسجم غير محمود مثال :



انظر جمال كل نوع مستقل مضبوط ، وانظر الكلمة ذات الحروف المتنوعة المختلطة كل حرف منها كتب بنوع ، واحكم ايهما اجمل وابهج في النفس . هذا اذا كانت الحروف مضبوطة ، ولكنها مختلطة بغيرها . تكون قبيحة كما رأينا اذن فكيف تكون اذا كتبناها بحروف غير مضبوطة حسب القواعد والاصول وكلها هجينة ، لا اصل لها ولا علاقة باي نوع من الانواع ؟ مثال :

الأعظمية

من يصدق ان هذه الكلمة اجمل بالخط من سابقاتها ! ؟

ومن يستطيع محاسبة الخطاط ، وعلى اي اساس نتمكن من نقده !

وما الفرق بين هذا المستوى وسوى المبتدئين من الاطفال ؟

ان الخط العربي كالشعر العربي ، فلو اخذنا قصيدة واحدة من بحر معين . وحشرنا بين ابياتها بيتاً واحداً ، او شطراً من بحر آخر ، لأحسّ به السامع اول وهلة ، وادرك ان هناك خللاً وبعداً ، ولو كان البيت او الشطر الغريب موزوناً ومضبوطاً ، ولكن موسيقاه تغاير موسيقى القصيدة ، فينفر منه الطبع السليم ، وكذلك الغناء ، فلكل حالة نفسية . الحانها التي توافقها وتشيع في جوانبها الرضا ، والارتياح ، والسرور ، والبكاء ، والنواح ، فللاعراس الحان وللمآتم الحان ، وللاطفال الحان وللنساء الحان وللرجال الحان ، وربما يكون للابطال الشجعان من الرجال الحان ، لا يطرب لها المخشون والمستكنون من اشباه الرجال ، وليس هناك من يستحسن ويتذوق الزردة في مجلس العزاء ولا الصراخ والنواح في حفلة الزفاف حتى لو كان فاسد الذوق .

ولقد تفنن اجدادنا في بحور الشعر العربي ، ومجزوءاتها وموشحاتها ، حتى جاوزوا بها الاربعين ضرباً من الاوزان والموسيقى .

فلو اراد شاعر كبير متمكن راسخ القدم في الشعر ، ان ينظم قطعة شعرية ولم يجد في هذه البحور كلها ، بموسيقاها واوزانها المتنوعة ، ما يكفيه للتعبير عما يحسّ به من خواطر ، وما يعرض له من هواجس وعواطف ، فلا عليه ان يبتكر لنا نوعاً آخر من البحور بموسيقى عذبة متناغمة وبجرس مقبول . حلو الوقع على الاذن والقلب .

امّا ان يتقدم شاب غريب في اول الطريق ، لم يحسن بعد ان يُعرب بيتاً واحداً من شعر غيره او حتى من شعره ، ثم يطفر طفرة واحدة على غير هدى ، ويهذى لنا بكلام ممسوخ قلق مفكك ، ثم يسميه لنا شعراً جديداً ، فهذا ينافي الفطرة والتطور والابداع .

ولقد بدأت محاولات لتطوير الخط العربي عن هوى وشهوة وادعاء ، وهي محاولات هجينة غريبة نخشى ان تسيى الى جمال الخط وحسنه ، او تفسد اذواقنا ونظرتنا الى الفن . وقديما قال اجدادنا ( فاقد الشيء لا يعطيه ) . كما قالوا :

( لا تظلم القوس اعط القوس باريتها ) .



عرض الكتاب

# دَوْرُ الْجَيْشِ الْعِرَاقِيِّ

فِي حَرَكَةِ الدِّفَاعِ الْوَطَنِيِّ وَالْحَرْبِ مَعَ بَرِيطَانِيَّةِ سَنَةِ ١٩٤١

تأليف : الدكتور فاضل البرزّان

ط . الدار العربية للطباعة — بغداد ، ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م

( ٢٦٩ صفحة من القطع الوسط )

الأستاذ محمد بهجة الزّري

( عضو المجمع )

هذا الكتاب دراسة سياسية حربية ذات طابع نقدي . . كتبه المؤلف باللغة الروسية ، لنيل « الدكتوراه » ، أي « الإجازة » في اصطلاح علماء المسلمين ، وأنجز كتابته في « معهد الاستشراق » من فروع « مجمع العلوم السوفيتي » في « موسكو » ( سنة ١٩٧٦ ) . ثم نقله إلى لغة قومه العرب ، وأضاف إليه حقائق جديدة هُدي إليها من بعد ، وتوجّه به من ثمّ إلى القراء العرب من فهم خاصّ ، ووعي قوميّ معيّن . والكاتب ذو ثقافتين : ثقافة عسكرية وثقافة مدنية ، وذو لغات ثلاث : العربية والإنكليزية والروسية . وهذا التنوع في ثقافته ولغاته ، كوّن منه دارساً اجتماعياً واعياً ، وباحثاً ناقداً ومحللاً ، يتجاوز فيما يكتب الجمع والسرّد ، ولا يقف عند ظواهر الروايات دون محاولة النفاذ إلى البواطن والبواعث ، ويحلل قضايا التاريخ في إطار حركة المجتمع : إنسانيه وأحداثه ، كما يمثل كتابه .

وهو قد تجاوز في كتابه حدود عنوانه ، الذي رسمه له ، إلى آفاق اجتماعية وسياسية واقتصادية ، ولم يقف عند حدود الشؤون العسكرية والحرب ، فربط المسببات بالأسباب ، ووصل بين النتيجة والمقدمات ، ووضح الدوافع الحقيقية لإقدام الجيش العراقي على حرب بريطانيا في سنة ١٩٤١ م ، استناداً إلى حركة المجتمع وفكره السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وهذا هو الجديد المهم في هذا الكتاب .

وقد شهد العراق قبل نشوب هذه الحرب ( من الحرب العالمية الأولى في « ١٩١٤ - ١٩١٨ م » إلى قيام الحرب العالمية الثانية « ١٩٣٩ - ١٩٤٥ م » ) أطواراً سياسية واجتماعية واقتصادية ، كان لها أثر عميق في تقرير مصيره . نقله من طور راكد لازمه حقبة طويلة من الزمن بحكم طبيعة العصر القديم ، إلى أطوار جديدة متأثرة بعوامل العصر الجديد وحركاته الفكرية والسياسية والاقتصادية والحربية والحضارية ، ثم ما برح يمارس في هذا المضطرب الواسع أحوال العصر وتياراته ورياحه المتناوِحة حتى وصل الى ما قُدِّر له بعد جهاد طويل مُضْنٍ ورهيب .

وقد عايش العراق حكم الدولة العثمانية نحواً من أربع مئة عام في إطار من جامعة الدين والعقيدة والمجاورة ووحدة الأقدار المشتركة ، على كثير من الجمود أصاب الحياة ، بسبب تخلف الشرق عامةً إذ ذاك ، إلى أن رأى في أخريات هذا الحكم لوائح من تباشير اليقظة والتحريك نحو التجدد والإصلاح والعمران ما كاد يتمتع منها بشيء ذي شأن حتى فوجئ بالحرب العالمية الأولى ، وبغزو الجيوش البريطانية له من جنوبيه وافدةً من ( أرض الهند ) « كبرى مستعمرات بريطانية » إذ ذاك ، وإذا هذا الغزو تطول أيامه على أرضه بضع سنين من الكر والفر ، بين البريطانيين من جهة والأتراك العثمانيين من جهة أخرى ، وما ترك العراقيون العثمانيين وحدهم في المعارك ، ولكن شاركوهم فيها بأرتال من المؤمنين المجاهدين الشجعان ، من ( السليمانية ) الى ( النجف ) ، ثم ينتهي بتغلب البريطانيين وجلاء العثمانيين .

وحين قُدِّر للبريطانيين الاستيلاء على ( بغداد ) ، أعلن قائدهم على رؤوس الأشهاد الكذبة البلقاء الأولى حين زعم في إعلانه أن البريطانيين إنما جاؤوا الى ( العراق ) محررين لا فاتحين ، ليستدرج الشعب إلى الرضى والاستسلام . وقد ظنّ البريطانيون في هذا الشعب ظنَّ السوء ، ولم يكونوا على قدر كافٍ من العلم بنفسيته وطموحه إلى إقامة دولته المستقلة وتأييده أن يمتلكه قوم ليس بينه وبينهم نسب ، ولا آصرة من عقيدة جامعة ، أو أخلاق متشابهة ، أو مطامح متماثلة ، أو أقدار مشتركة . . فما لبث هذا الشعب الأصيل بضعة أعوام أن تنكّر لاحتلال البريطانيين أرضه ، فثار عليه من شماليه إلى جنوبيه ثورته الوطنية العارمة ، داعياً البريطانيين إلى الانجلاء ، ونازل فيالقيهم المدججة بأحدث الأسلحة ، بأسلحة بدائية ووسائل غير متكافئة ، ولكنها استطاعت أن تثبت لها أمداً غير يسير ، وحين خمدت نيران المعارك التي أشعلها ، لم تخمد بين

جوانحه بواعث ثورته ، أعني نزعته إلى الحرية وتحقيق الذات بالاستقلال التام ، فظلت محتدمة في نفسه ، ملتهبة بين جوانحه ، تذكيها الآلام والآمال والطموح . . . وتلك هي عُدّة الشعوب الأصيلة في كفاحها الطويل النفس من أجل بلوغ الهدف القومي .

وأدرك البريطانيون هذه الحقيقة ، فعمدوا إلى « التخدير » ، وأقاموا له تحت إشرافهم المباشر حكومة ذات علم رفّاف ووزارات ورتب وألقاب ، دون أن يملكوها حريسة التصرف ، وجعلوا السلطان كله إلى « المستشارين » منهم لا إلى الوزراء من العراقيين ، وإلى « المفتشين الإداريين » منهم لا إلى « المتصرفين » في الأولوية . وكان من لوازم هذه الحكومة إحسداث قوى خاصة لحمايتها ، وفي مقدمتها الجيش ، فأحدثوه ليكون أداة بيدهم يسيّرونه على وفق مشيئتهم ، لا لتكون الجندية قيمة من قيم الفروسية والسياسة والحرب . . . فوقعوا من هذا الفكر المريض في خطأ لا أعرق منه في الضلال ، فما لبث هذا الجيش وهو في بداية نموه أن خيب فآلهم في سنة ١٩٣٣ م ، فخرج على إرادتهم ، وعصى مشيئتهم ، وأنزل ضربته الماحقة بالعناصر الغربية التي أسكنوها شماليّ الوطن ثم حرّضوها على الانتفاض وتقتيل الأبرياء الأمنيين من أطفال ونساء وشيوخ لأمرٍ ما أرادوا بلوغه من هذا الطريق الشائك الوعر ، فخابوا . ومن هنا راجعوا حسابهم معه ، وأخذوا يدبّرون له : يحدّدون سلاحه وعتاده ومسّاره ، ويتعقبون بالتجسس حركاته ، ويبعدون من قاداته من يبعدون ، ويتربصون بآخرين الفرص للقضاء عليهم . وواتتهم الفرصة الذهبية في عام ١٩٤١ م إذ الحرب العالمية الثانية مشتعلة الأوار في أوربة وآسية وأفريقية ، فبادروا ففرضوا على الجيش الحرب قبل استكمالته عُدّته ، متذرعين بدعوى كاذبة تتهم قاداته بالانتماء إلى « النازية الألمانية » التي تنازعهم السلطان على المستضعفين ، فقبل هذا الجيش الشجاع الأصيل التحدّي وما فرض عليه من الحرب ، وغامر ، ولم يجبن . وكان الشعب كلُّ الشعب على وعي لهذا الأمر عميق ، فأسرع يؤازره ، وغامر معه في نوع من التمازج فريد في تاريخ نضال الشعوب والانتفاضات القومية الأصيلة ، انطلاقاً من سجية النزوع في نفسه إلى الحرية وصيانة الكرامة والأقداس ورَفْض سلطان الدخيل المتعطرس .

وتلك سجية مطبوعة عنده ، وموروثة في دمه من آزل وجوده ، تدعوه أن يعيش سيد نفسه ، ويحيا إلى آخر الدهر ( شعباً لبقّاحاً ) كما أطلق على نفسه قديماً ، وعسى أنه لا يدين للملوك والغزاة ، ولا يُمسّلك ، ولا يصيبه سياء . وإذا هيجَ إلى حرب

جَدَّ وأَسْرَعَ إليها منكَباً عن ذكر العواقب جانباً ، أنفأً للذلّ ، ورفضاً للعبودية ، وتحقيقاً للحرية والاستقلال .

وقديماً قال الشاعر العربي يصف هذه الحقيقة العربية :

لَعَمْرُ أَبِيكَ ، وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي ، لَنَسْعَمَ الْحَيُّ فِي الْجُلْتِ ( رِيَّاحُ )  
أَبَوْا دِينَ الْمُلُوكِ ، فَهُمْ ( لَقَّاحُ ) إِذَا هَيَّجُوا إِلَى حَرْبٍ أَشَاحُوا

ولما ظهر ( الإسلام ) في ( العرب ) ، أذكى تشريعه السياسي هذه النزعة إلى الحرية عندهم ، وعلمهم ومن دخل في ملتهم من أجيال البشر أنهم سادة أنفسهم ، لا يُمْتَلَكُونَ ، وأولو أمرهم منهم . . شرع ذلك ( وإنه لتشريع سياسي عظيم وأساس قاعدة الحكم والإدارة في الإسلام ) بكلمة واحدة مؤلفة من « جارٍ ومجرور » كما يقول النحاة ، لكنهما « رافعان » للرؤوس لا استعلاءً على الناس ، ولكن استعلاءً على الضيم وأنفةً للذل . . تلك هي كلمة ( منكم ) في قول منزل الذكر الحكيم جلّ وعلا : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ) وما أوسع « منكم » هذه ! وما أعظم دلالتها السياسية ! وما هنا كلام في طاعة أولي الأمر هؤلاء ، كيف تكون ، وما شروطها الملزمة ، ليس هذا موضع بسطه . وقد أشارت بقية الآية الكريمة إجمالاً إلى النظام الذي يقيم التوازن بين المؤمنين وأولي أمرهم فقالت : ( فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) . . نظام متقدم جداً ، رُسم ( للشعب العربي اللقّاح ) ومنّ يدخل في ملة الإسلام ، لتستقيم الحياة به ، وتستوثق الآصرة بين الناس وأولي الأمر ، وجملته تشير إلى حكم الشعب نفسه بنفسه ، وأن يحتكم في خلافه مع الولاة معهم إلى أصول الشريعة التي تنظم الأمور ، وهو أدق مما يقال له « الحكم الديمقراطي » .

إلى هذا يُردّ ما كان في قديم عالم العرب والمسلمين من مقاومة الغزاة في كل زمان ومكان ، ومنها ما امتد زمانها ثلاث مئة عام كالذي كان في الشمال الأفريقي ، وما امتد مئتي عام في مدافعة الإفرنج عن مصر وفلسطين وبقية بلاد الشام .

وإليه أيضاً يُردّ كل ما كان وما يكون من مقاومة هذا ( الشعب اللقّاح ) للغزاة في العصر الحديث استبسالاً ما بعده استبسال على امتداد رقعة الوطن الأكبر . وسيظل هذا شأنه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . لا أستثني أية حركة وطنية صحيحة في

وطننا من هذه الخصلة الموروثة على مدى الزمن ، وذلك هو ( هو ) مصدر ثورة العراق في عام ( ١٩٤١ م ) ، وما كان قبلها ، وما كان بعدها من ثوراته .

وقد خص هذا الكتاب ثورة عام ١٩٤١ م ، لأنها كبرى ثورات العراق ، ولأن «دوائر استعباد المستضعفين» ، ولا أقول «دوائر المستعمرين» ، قد جردتها فيما كتبت في شأنها من طابعها الوطني الأصيل ، ودوافعها النفسية الحقيقية ، وتجنست عليها ، وشوّهت صورتها ، واتهمتها بما هي براء منه حين زعمت أنها ثورة موحى بها من خارج العراق وليست نابعة من صميم شعور الشعب ، قام بها نفر قليل من قادة الجيش يتمون إلى سياسة خارجية ، ويشربون من ماء «النازية الألمانية» . وإنها لشبهة واهية وواهنة لا تقوم على ساق ، إن كانت هذه الدوائر «دوائر استعباد المستضعفين» افترتها وهي تعلم في قرارة نفسها حقيقة هذا الجيش وشعبه ونوازعهما إلى الحرية والاستقلال - فتلك شنشنة لها ذائعة الشهرة في العالمين ، وقد نصّل لونها ، واقتضحت بها ، فلا يلقي إليها أحد باله .

ومهما يكن من شيء ، فإن هذا الكتاب قسّد جاء مبدّأً مسحّباً هذه الشبهة ، وداحضاً مفتريات هذه الدوائر الغربية المكاشحة بشواهد الواقع من تاريخ نضال العراق ، ومن طبيعة فكر المجتمع العراقي وتحركه إلى قضاياها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية ، بوحى من ضميره وعقله ووعيه وطيماحه .

ذلك هو المحور الذي دارت فصول الكتاب حوله في جميع اتجاهاتها ، وقد تجرّد الكاتب للحقيقة وحدها ، والتزم الصدق حتى انتهى به إلى «نقد الذات» . وتلك مزية لهذا الكتاب ، كما هي مزية للكاتب تشهد له بالأصالة والشجاعة ، وقوله الحق أحقّ بأن ترسل ويجهر بها دائماً بلا تردد ولا وجل .

ولقد عايشنا ما بحث فيه هذا الكتاب من أحوال المجتمع العراقي : فكره ، وحياته السياسية : وحياته الاجتماعية والعقلية ، وكان لي شرف المشاركة في تأجييع هذه الثورة الكبرى بلساني على ما تشهد به قصائد ( ديوان وراء الأسلاك الشائكة ) وغير قليل منها منشور في ( ديوان ملاحم وأزهار ) ، ووعى رأسي ما وعى من حقائق هذا الوطن ، وأشهد غير متحيّز أن هذا الكتاب لم يعد شيئاً مما وعيته وعلمته . وقد تقصّى كاتبه ودقق ومحصّص ، فأصاب المَحَزَّ ، وطبّق المَفْصِلَ في عامّة فصوله ، وكأنه كان قد عايش كل ذلك عياناً ومُعَاناةً ومغامرة . وأغلب ظني أنه كان إذ ذاك حديث الشمّ لنسيم



الحياة على وجه الأرض ، ولكن بحته المستقيم المتعمق فيه أدّاه إلى الوقوع على الحقائق الكبرى ، فلم يخطئها . لقد أخذ عن الرواة ، وللرواة مدارك ونوازع تتضارب وبعضهم غير موثوق به ، فلم يقبل منهم إلا اليقين بعد المناقشة والمناقشة على قدر اجتهاده ، وقرأ المدونات بالعربية والإنكليزية والروسية ، أو قرأ منها ما استطاع الوصول إليه ، وفي المدونات الغث والسمين ، والشبهة واليقين . فسلط عليها فكره ، وكتب كتابة من يفهم حركة التاريخ وتطور المجتمع ، ويلتزم منهج الباحث « الموضوعي » الناشد الحقيقة في أي معرّضٍ برزت ، وبذلك استوى له بحته وهو أدنى إلى السلامة ، وارتفع إلى « نقد الذات » فأخذ على الثورة الأغلاط التي أدّت إلى الخيبة ، وذكر من هذه الأغلاط أشياء « لا تقلل من خاصّ شأنها ، ولا تنتقص قدرها ، ولا تضعف موقعها الفريد في تاريخ العراق الحديث للعمل الثوري » كما يقول ، ولكنها تدعو إلى التأمل والتدبّر واستخلاص العبر ، للأخذ بالأسباب الصحيحة ، والحذر من الوقوع في مثلها في مؤتلف الزمن . « ونقد الذات » أعلى مراتب البحث العلمي المنهجي الجادّ ، وآية نضج العلم ، وعنوان شجاعة العقل ، ثم هو سبيل أصحاب النفوس إلى تصحيح المسار في الحياة .

وبهاتين الخصلتين : خصّلة الحرص على تبيان حقيقة هذه الثورة لإعادة الثقة بالجيش والشعب حقاً وصدقاً ، وخصّلة « نقد الذات » الذي تناول أغلاط القادة المدنيين والعسكريين - تميز هذا الكتاب عن كل ما كتب إلى اليوم في شأن هذه الثورة الوطنية فكراً ومنزِعاً . وما ذلك بالشئ القليل في منظور الواقع القومي .

أقول هذا في جُمّاع هذا الكتاب ، غير خالغ غلالة الكمال أو الصحة على كل ما جاء فيه من شئ . وليس بضائره أن أذكر - بعد هذا التقويم العام - ما لاحظته على جزئياته من سهو ندّ به القلم ، أو تصحيف وقع في « الطبع » ، أو رأي أرى خلافه ، أو ابتعاد في مواضع قليلة عن فصّح اللغة ، ونحو ذلك من أشياء يسيرة . . فما كتب الكمال لغيره ، فيُطلب توافره في هذا الكتاب ، فإن هذا مما لا يدخل في قدرات البشر . وكما انتهى الكاتب إلى « نقد الذات » فأخذ على الثورة والقادة ما أخذ ، أحسب أن أنتهي معه ، من منطلق الصدق والأمانة العلمية ، إلى تبيان ملاحظاتي على جزئيات في الكتاب ، ليستدرّكها إذا ارتضاها وصحت عنده ، بعد تقويمي لجملة كتابه .

• • •

وملاحظاتي على جزئيات الكتاب نوعان : نوع يتعلّق بالأغراض ، ونوع يتعلّق

باللغة . وإليك البيان :

### النوع الأول « الأغراض » :

١ - جاء في ( ص ٥٨ ) : « والسبب في هذا التحريض أن الهاشمي لم يدخل حكمة سليمان وزيراً في الوزارة التي ألفها في ١٧/٣/١٩٣٠ » . والصحيح : سنة ١٩٣٥ م .

٢ - وفي ( ص ١١٢ ) عن تأليف حكومة الدفاع الوطني أنه كان في اليوم الأول من نيسان ١٩٤١ م . وفي ذاكرتي أنه كان في اليوم الثاني من هذا الشهر .

٣ - وفي ( ص ٢٥٤ ) عن سقوط ( الفلوكوجة ) أنه كان في اليوم العشرين من مارت ، وفي علمي أنه كان في اليوم العشرين من مايس . وهذا من سبق القلم ، إذ لم تكن في مارت حرب بين الجيش العراقي والبريطانيين .

٤ - وفي ( ص ١٥٥ ) أن « بكر صدقي اغتيل ( وهو ) في طريقه إلى ألمانيا مروراً بتركية » ، وفي ( ص ١٦٤ ) : أن « كتلة الوطنيين القوميين اتخذت قراراً باغتياله في أثناء سفره إلى الموصل في طريقه إلى تركيا التي دعتة رسمياً لحضور « مناوراتها » العسكرية . » هكذا قصرأ على تركية وحدها . والجمع بين الاثنين هو الصحيح ، فقد دعت حكومة تركية بكرأ إلى عرضها العسكري لمشاهدته وإحكام سياستها به ، كما دعتة الحكومة الهتلرية الألمانية في الوقت نفسه ، فأجاب الدعوتين ، وغادر بغداد إلى ( أنقرة ) عاصمة الجمهورية التركية ، وبينما كان يستجم من سفره في نادي مطار الموصل قُتل ، وكان مصرعه في رابع جمادى الآخرة ١٣٥٦ هـ ( ١١ آب ١٩٣٧ م ) .

٥ - وفي ( ص ١٦٤ ) وردت إشارة إلى الرسائل التهديدية في أول عهد بكر صدقي ، وأنها « كانت موجهة إلى الضباط الكبار . » هكذا قصرأ عليهم وحدهم ، والذي أعلمه أن هذه الرسائل التهديدية وزعت « على نطاق واسع » كما يقال ، فأرسلت إلى الضباط الكبار ، وإلى غيرهم أيضاً على وجه التحقيق . وقد كنت في النفر المدنيين الذين تلقوا هذه الرسائل ، وما برحتُ أحفظ ألفاظها أو قريباً منها : « عليك أن تغادر العراق خلال ثلاثة أيام ، وإلا كان القتل مصيرك » . وقد ذيلت باسم « جمعية الأكراد الإصلاحية » . ويقيني أن هذا الاسم مزور ومفتري ، وأن هذه الرسائل إنما هي من صنع جهة خفية تعمدت إشاعة الرعب والهلع في النفوس ، ومناهضة الحكم القائسم للإدالة منه .

٦ - ودونت في ( ص ١٨٤ ) صورة وثيقة باللغة الإنكليزية ، في شأن بكر صدقي ، صادرة من وزارة الخارجية ( كذا من غير تعيين ) مؤرخة ب ١٩٣٦/١٢/٣١ م ومذيلة باسم ( ج . دبليو . رندل ) ، قال كاتبها : « إن شعبة الاستخبارات في وزارة الطيران أخبرتنا قبل أيام قلائل أنها اكتشفت أن بكر صدقي كان مستخدماً مدة من الزمن في حدود سنة ١٩١٩ - ١٩٢٠ وكيلاً لاستخبارات القوات العسكرية البريطانية في المنطقة المحايدة بين العراق وتركيا » . وألحقت بصورة هذه الوثيقة صورة وثيقة أخرى بالإنكليزية أيضاً في ( ص ١٨٦ ) صادرة من السفارة البريطانية ببغداد في ١٩٣٧/١/١٩ م ومذيلة باسم ( أرجيولد كلارك كير ) قال فيها مخاطباً عزيزه ( ج . دبليو . رندل ) : « إن ما جاء في رسالته المؤرخة ب ١٩٣٦/١٢/٣١ م في شأن بكر صدقي قد أكدته القاعدة الجوية هنا ، وأنه قد أعلمته شعبة الاستخبارات ، إضافةً الى ذلك ، أنه كان بتوصية خاصة من الأركان العامة هنا : أنه عين بكر صدقي في الجيش العراقي ، وذلك في كانون الثاني ١٩٢١ م » . وقد ترجم المؤلف هاتين الوثيقتين الى اللغة العربية ، ووضع ترجمتهما بإزاء الأصل الإنكليزي ، ولكن تخالفنا في الطبع ، فوضع كل منهما في موضع الأخرى . وليس هذا ما أردته ، لأن مثله لا يخفى على من يعرفون الإنكليزية من قراء الكتاب . وإنما أردت التنبيه على ما تضمنته هاتان الوثيقتان من شبهات متعددة ألقيت على بكر صدقي ، لعل أقل تأمل في الدوافع المستورة وراء كتابتهما يكشف الغطاء عن الحقد الدفين في صدور الساسة البريطانيين عليه بعد ما كان من قمعه « رتلهم » الذي جلبوه الى العراق من وراء الحدود وأسكنوه شمالي الوطن الحبيب ، ثم سولوا له أن يعلن الاستقلال ، وحرصوه على الانتفاض ، لأمر أرادوه ، وابتغوا تحقيقه علي ما أسلفت . فافتعلوا هذه الدسيسة عليه ، وألقوها على سيرته ليستقطوا منزلته ويشوهوا سمعته ، كما افتعلوا مثل ذلك على قادة الجيش الأربعة الذين قادوا حرب سنة ١٩٤١ م فاتهموهم بالعمالة للحكومة النازية الألمانية ، ليفسدوا صورة الثورة التي تزعموها في الأذهان . ذلك مسلكهم مع كل من يخطون عليه ، وما يخطون عليه من شي . وما بئلاه أحرار الأمة من أسقاط جواسيسهم الذين يتربصون بمختلف الأزياء وينطلقون بين الناس تعابين ينفثون السموم ، يكشف عن هول عظيم من مكاييد المحتلين وذيولهم . أقرر هذه الحقيقة على سبيل المنبهة للاحتراز ، وإقرار الحقائق في نصابها ، والله أعلم بالمستور وراء المنظور . وأقول في شأن واقع بكر صدقي إنه في صدر حياته العسكرية تعلم ببغداد ، وتخرج

في مدرسة أركان الحرب في « الإستانة » ، وكان من ضباط الجيش العثماني مدّة الحرب العالمية الأولى ، واشترك في كثير من المعارك ، ثم بعد انحسار الحكم العثماني انضم الى الجيش العربي السوري . وأقام في حلب ، وفي سنة ١٩٢١ انتقل الى الجيش العراقي برتبة « رئيس » ، ووزير الدفاع إذ ذاك جعفر باشا العسكري ، وهو الذي وظّفه . وأنا حين أذكر هذا إنما أدافع عن حقيقة معلومة ، لا عن بكر صدقي ، ولا يفوتني في الوقت نفسه أن أشير إلى سوء عمل بكر صدقي فيما اضطلع به من إسقاط وزارة الرعيم الكبير ياسين ( باشا ) الهاشمي ، تنفيذاً لمؤامرة الملك والسفارة البريطانية عليه . أما الملك ( الشاب ) فقد ضاق ذرعاً بتحديد الهاشمي سلوكه الشخصي ، وأما السفارة البريطانية فقد أفلقتها نصرة الهاشمي للفلسطينيين ومدّهم إبان حكمه بالمال والرجال والسلاح .

٧ - وفي ( ص ١٤٤ ) أن « فهمي سعيد عيّن قائداً للقوة الميكانيكية » . وليس يغيب عن المؤلف الفاضل ، وهو عسكري عريق ، أن الجيش العراقي قد اطرّح الألفاظ الأجنبية الدخيلة جملةً منذ زمن بعيد ، واستبدل بها مصطلحات عربية غصيبة ، فكان أسبق جيوش الأقطار العربية إلى هذا الشأن الجليل . وهو قد وضع « الآلية » بدل « الميكانيكية » ، ونعست القائد بـ « قائد القوة الآلية » ، ولهذا دلالة القومية ، فلا معديّ عن التقيّد به .

٨ - وفي ( ص ١٤٥ ) قرأت قول المؤلف : « كان قادة التكتل القومي على الصعيد العسكري يتعاونون في عملهم ضدّ وزارة المدفّعيّ مع الضباط الكبار المعروفين بموالاتهم للإنكليز ، من أمثال . . . » ، وكان الأجدر بالقادة القوميين أن يتعدوا عن نوري السعيد وجميل المدفّعيّ . . . » . وعندني أن وصف هؤلاء الضباط الكبار ، وقد سمى ثلاثة منهم ، بموالاة الإنكليز ، موضع تأمل ومراجعة ودرس يقوم على البيّنة ، لأنه شيء يتعلّق بالذمم ، وأرى البيّنة عليه ليست قائمة .

هذه ملاحظات يسيرة هي إلى الاجتهاد والعلم الخاصّ أقرب منها إلى اليقين القاطع .  
النوع الثاني « لغة الكتاب » :

ولغة الكتاب في الجملة سلسلة سائغة سهلة الأداء ، بعيدة عن المعاظلة والتعقيد ، وذلك مما يستحسن جداً ، لإبلاغ المقاصد إلى عامة القراء في يسر وسهولة . ولكنني ألاحظ في ثناياها ألفاظاً وعبارات من كلام المترجمين المتسرعين الذين يتقلّ عنهم المؤلف ويستعمل ما استعملوه لزماً ، منها الدخيل الغامض الذي ليست له صورة مفهومة في الأذهان ،

ومنها ما بجانب الصواب وخالف المقاييس العربية الثابتة . والمؤلف وهو قومي ملتزم بعينه تسويد الفصحى ، وتنقيتها من الدخيل ، ورد الغلط الى الصواب ، وهو عالم أن الحفاظ على سلامة اللغة حفاظ على سلامة الكيان القومي ولا ريب ، وتسويد الفصحى على العجمة والعامية « عقيدة قومية » يجاهد لها المخلصون ، و « وسيلة » إلى الوحدة والارتقاء .

وأبدأ بالدخيل الذي تسرب في الكتاب من كتب المترجمين ، فأذكر منه : الطغمة ، والكادر ، والبنوك ، والأيدولوجية ، والاستراتيجية ، والبرجوازية ، والكومبرادورية ، والليبرالية ، والأكاديمية ، والأنثليجسيا ، والكونفرنس ، والكلاسيكية ، والبيروقراطية ، والكومتانغ ، والدكتاتورية ، والكومونة ، والتكتيكية ، والجيوپوليتيكية ، ونحوها من ألفاظ غريبة السمات يحول استعمالها دون فهم المقاصد ، وفي العربية ما يُغني عنها (١) .

وأنتي على هذه الألفاظ الأجنبية بالألفاظ والعبارات التي تسربت في الكتاب من كتابات المترجمين وغيرهم ممن لا يجدون في أوقاتهم متسعاً للتدقيق اللغوي ، ويسرُّهم أن يرشدوا إلى الصواب . وسأسردها من غير تعيين لمواقعها في الكتاب .

١ — وأول ما أذكره عبارة « والحرب ( مع ) بريطانيا » في عنوان الكتاب . ومؤدى هذا التركيب « وقوف الجيش العراقي إلى جانب « بريطانية » ومؤازرتها في مقاتلة عدو مشترك » ، وليس هذا مراداً للمؤلف ، وإنما مراده محاربتة بريطانية ، فالصواب إسقاط لفظ « مع » من البين . فيقال : « دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني وحرب بريطانيا » ، كما كتب الحجاج بن يوسف إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يقول : « إني اشترت موضع ( واسط ) ، وأنفقت عليه وعلى حرب ابن الأشعث ما صار إليّ من الخراج » .

٢ — الفترة . استعملت حديثاً في معنى « المدة » أو « الزمن » ، وإنما الفترة هي ما بين رسولين من رسل الله ، من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة ، وأصل معناها في العربية الانكسار والضعف .

٣ — التمشل . استعمل بمعنى الإخفاق والخيبة والخسران ، وهو في العربية : الكسل والجبن عند الحرب والشدة ، وهو يسبق الخيبة والإخفاق ، فوضع في غير موضعه . وفي القرآن الكريم : ( ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ) ، أي : فتجبنوا عن

(١) وضعنا في لجنة اللغة العربية في المجمع الألفاظ العربية لهذه المصطلحات الدخيلة ، ونشرها في مجلته هذه قريباً .

عدوكم إذا اختلفتم ، لأن الاختلاف يفرقهم ويضعفهم فيجبنون .

٤ - أفضله . استعمل بمعنى : أحبطه ، ولا يعرف « أفضل » بهذا المعنى في كلام العرب ، وإنما تقول العرب : بطل الشيء ، أي : ذهب ضياعاً وخسراً ، وأبطله هو . وتقول : حبط حبطاً وحبوطاً ، إذا عمِلَ عملاً ثم أفسده ، وأحبطه صاحبه أو غيره أبطله ، وفي القرآن الكريم : ( فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ) ، وفي الحديث الشريف : « أحبط الله عمله » ، أي : أبطله .

٥ - « الأمر » الملقب « للنظر » . صوابه : الأمر الالفت للنظر . فعله ثلاثي « لَفَتَ » ، يقال : لَفَتَهُ يَلْفِتُهُ لَفْئَةً ، فهو لافِت ، ولم يسمع فيه « أَلْفَتَ » ، ولذلك لا يقال في اسم الفاعل : مُلَفِت .

٦ - « عدت إلى تاريخ بلادني للتعرف » على « ما استجد من أحداث » . الصواب : لَتَعَرَّفَ ما استجد . تقول العرب : تعرّفت ما عند فلان ، أي : تطلّبت ما عنده حتى عرفتسه .

٧ - « تراوحت عائدات العراق بين ١٥٪ إلى ٢٠٪ » . والتراوح في العربية التعاور ، يقال : هما يتراوحيان العمل ، أي : يتعاقبان ويتعاوران ، وموقع الكلام ها هنا يستلزم استعمال « المراوحة » ، من قولهم : راوَحَ الرجل بين جنبيه ، إذا قلب من جنب إلى جنب ، وراوَحَ بين رجله : إذا قام على إحدهما مرة ، وعلى الأخرى مرة . فيقال في هذا السياق : « راوَحَتْ واردات العراق بين كذا وكذا » .

٨ - « وهي مفارقة صارخة تعني أن العراق يكون مستقلاً » طالما « أنه لا يمارس استقلاله فعلاً » . وليس هذا موضع استعمال « طالما » ، وإنما يقال في هذا السياق : ما لم يمارس استقلاله فعلاً .

٩ - « استبدلت الملكية بالجمهورية » . وهو عكس القصد ، والصواب : استبدلت الجمهورية بالملكية ، وفي القرآن الكريم : ( أَسْتَبْدَلُونِ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ؟ ) أنكر عليهم ترك الأفضل وتعاطي الأدنى ، لأن الباء مع هذا الفعل إنما تدخل على المتروك ، والمتروك في العبارة المذكورة ، إنما هو الملكية .

١٠ - « نَوَايَاهُمْ » . استعملت جمعاً لنية ، وما كان على « فِعْلَةٍ » في الكلام جمعته العرب جمع مؤنث سالماً ، ولم تكسره ، ومنه الحديث الشريف : « إنما الأعمال



بالنِّيات . . . » . والسَّدي يجمع على « فعلى » هو ما كان عسلى مثل طويَّة وطوايا ،  
وسجية وسجايا .

١١ — « العشرينات » ، نسبة إلى العشرين . وهو استعمال خاطئ تأباه العربية .  
وقد صحح بـ « العشرينات » ، وهو فاسد المعنى ، لأنه يدلّ على خلاف القصد ، إذ يفيد  
جمع عشرين إلى عشرين إلى عشرين ، والعرب إنما استعملت العقد والعقود ، فقالت  
مثلاً : حدث في العقد الأول من المئة الهجرية الأولى ، هكذا توضيحاً .

١٢ — « استلام الحكم » . استعمال بمعنى تسلّم الحكم ، يقال : سلّم إليه  
الشيء فتسلّمه ، أي : أخذه . أما الاستِلام فهو اللمس ، كاستلام الحجر الأسود ،  
أي لمسه إمّا بالقبلة وإمّا باليد .

١٣ — « لا يروق لهم » أن يحصل . . . » . الصواب : لا يروقهم ، أي : لا يعجبهم ،  
يقال : راقه الشيء ، أعجبه .

١٤ — « واضطروا رئيس الوزراء » على « إلغاء الأمر » . الصواب : إلى إلغاء الأمر .

١٥ — « وكان الإقطاعيون الكبار يسيطرون » بينما « كانت حصة الملاك » . . . » .  
والصحيح أن يقال : « وكان الإقطاعيون الكبار يسيطرون أو أن كانت حصة الملاك » ،  
كما يقال مثلاً : « أتيتك زمن فلان حاكم » ، وأوان الأمير فلان » . أما ( بينما )  
فهي ظرف زمان بمعنى المفاجأة ، وتضاف إلى جملة من فعل وفاعل ومبتدأ وخبر ، وتحتاج  
إلى جواب يتمّ به المعنى ، ويكون في جوابها إذ ، وإذا ، وإذا شئت تركتهما . وليس  
في هذه العبارة مفاجأة ، فتوضع فيها ( بينما ) . وقد كثّر هذا الاستعمال الخاطئ الآن ،  
ونخرجه بعضهم بما يخلّ بجوهر العربية ويفسد أساليبها الأصيلة .

١٦ — « تشكلت الوزارة » . يراد : أُلِّفَت الوزارة ، ومطاوعه تألّف . وأصل التأليف  
وصل الشيء ببعضه ببعض ، والجمع . وتشكلت مطاوع شكله إذا صورّه ، ومنه « الفنون  
التشكيلية » في المصطلحات الحديثة ، ويقال : شكّل الدابة : قيدها بالشكّال وهو  
القيد ، وشكّل الكتاب : ضبطه بالشكّل ، وشكلت المرأة شعرها : عقّصت من أطرافه ،  
وشكّل الزهر : ألّف بين أشكال متنوعة منه .

١٧ — « تحتلّ التّأرجح أو التّأجيل » . الصواب : « تحتلّ التّرجّح » . . . » وهو  
التّهزّز والتحرّك ، يقال : ترجّحت به الأرجوحة ، مالت . وترجّح الرأي عندي ،

أي غلب . وفسرت دواوين اللغة « الأرجوحة » بأنها « ما ترجح براكبها » ولم تقل : تتأرجح . ويقال للفلاة أرجوحة ، كأنما ترجح مَنْ سارَ فيها ، أو تطوح به .

١٨ - « رجاها التدخل لتسوية المشاكل » . الصحيح : رجا منها التدخل لتسوية المشكلات .

١٩ - « تكليفه بتشكيل الوزارة » . الصحيح : تكليفه تأليف الوزارة ، بإسقاط الباء ، لأن الفعل متعدّ بنفسه .

٢٠ - « في موقف مُربك » . الصحيح : رابك ، فعله ثلاثي : « رَبَكَ » ، يقال : رَبَكَ الرَّجُلُ ، إذا ألقاه في وحل ، ولم يسمع فيه « أربك » فيقال في اسم الفاعل « مُربك » .

٢١ - « أفاد الكاتب بأن الأمر كذا » . الصحيح : أفاد الكاتب أَنَّ ... ، بإسقاط الباء .

٢٢ - « اضطر للرضوخ » ، الصحيح : اضطرَّ إلى الخضوع . أما الرضوخ فصوابه الرَضُخ ، ولا يعرف من معانيه الخضوع ، فقد قالت العرب : رَضَخَتِ التيوس تَرْضِخُ وتَرْضِخُ رَضْخاً : تناطحت ، ورضخ به الأرض : ضربه بها ، ورضخ له من ماله : أعطاه قليلاً ، ورضخ الشيء اليابس : رَضَّه وكَسَّرَه .

٢٣ - « أياديها البيضاء » . الصحيح : أياديها البيض ، لأن مفردا أبيض ، وما كان على أفعال وفعلاء من الصفات فجمعه على « فُعْل » وهو قياس مطرد .

٢٤ - « تركوه أعزلاً » . الصحيح : أعزل ، لأنه ممنوع من الصرف .

٢٥ - « في ضوء استعراضنا المقتضب » . الصحيح : عَرَضْنَا ، يقال ، عرض الشيء : أظهره وأبرزه ، وعرض كذا : وضعه بالعَرَض . أما استعرض فمعناه طلب العريض من الأشياء ، واستعرض فلاناً : قال له : إعرض عليّ ما عندك . واستعرض القائد الجيش : طلب عَرَضَهُ عليه ، وقولهم اليوم : « استعراض الجيش » ، خطأ ، صوابه : عَرَضُ الجيش ، وقد أطلقوا على القائد في العصر العباسي : العارض ، ولم يطلقوا المستعرض .

٢٦ - « تعود إلى أيام خدمتهم سوية » . يريدون « معاً » ، وإنما السوية الاستواء والاعتدال ، والعدل ، والنصفة .

٢٧ - « بنو ارجاب » . صوابه : « بنو رِكاب » وهم قبيلة معروفة بالعراق .

٢٨ — « صلعم » ، صوابه « صلعم » ، مختصر : صلى الله عليه وسلم ، وهو من الرموز التي اصطلح عليها قديماً ، ومنها : ( ع ) و ( رض ) ، أي : عليه السلام ، ورضي الله عنه . واللائق بمقام النبي والآل والصحابة أن تكتب عند ذكرهم عبارة التصلية والتسليم والترضي نصاً كما تنطق ، إذ يقال في النطق : صلى الله عليه وسلم ، وعليه السلام ، ورضي الله عنه ، ولا يقال : ( صلعم ) و ( ع ) و ( رض ) . وكذلك يجب أن يكون الشأن عند ذكرهم كتابةً ، تأدباً معهم أولاً ، ودفعاً لبعض الحرج ثانياً . وقد تورط بعض شعراء العرب ممن يعظمون الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس لهم علم بهذه المصطلحات ، فحسب لفظه « صلعم » هذه اسماً من أسماء النبي ، فأدخلها في قافية يمدحه بها ويبيجله .

٢٩ — « نضوجها الطبقى » . الصواب : نضجها ، أو نضجها ، أو نضاجها . أما النضوج فلم يسمع .

٣٠ — « الدور الذي لعبه الجيش » . وقد شاع هذا التعبير المسرحي في الكتب الحديثة والمجلات والجرائد شيوعاً عجيباً ، يساق في مواضع الجدل ، حيث لا لهو ولا لعب . كما يساق في موارد الحديث عن التمثيل . وهو فاسد لغةً ، إذ الفعل : « لعب » لازم ، وهم يُعَدُّونه . وحق هذا التعبير المنقول بالترجمة أن يقصر على التمثيل ويعدّل فيقال مثلاً : « الدور الذي يمثله ، أو يقوم به ، أو يؤديه فلان » . وفيما عدا التمثيل والمسرح يجب أن لا يستعمل ، وفي العربية من الاتساع في التعبير شيء كثير .

٣١ — « أن يصمد مدّة » . يستعملون هذا الفعل بمعنى يثبت ، وهو في العربية : يقصد ، والثبات وقوف بصلابة ، والصَّمدُ تحرك وتقدم إلى الأمام ، وهجوم إذا شئت . وقد استعملوا الصمود بدلاً من الصَّمد ، والمعاجم الكبار قد أغفلت الصمود ، ولم أجده إلا عند ابن القطاع . وعلى فرض وروده عن العرب ، فإن معناه عندهم القصد كما قدمت ، وليس الثبات . ومعنى ( الله الصَّمدُ ) في القرآن المجيد ، المقصود في الحاجات . والعدول بهذا اللفظ أو أي لفظ كان من اللغة إلى عكس معناه إخلال كبير بأباه أهل الحفاظ على سلامة اللغة ، مخافة أن تصير هذه اللغة « عربية مالطية » ! .

٣٢ — « ثم يعودون إلى التأكيد على رغبتهم » . الصواب : إلى تأكيد رغبتهم ، بحذف « على » .

٣٣ — « ورغم المعاهدة فقد تركوه أعزلاً » . الصحيح : وبالرغم من المعاهدة

تركوه أعزل .

٣٤ - « مرت الشاحنات عبر الأراضي التركية » . عبر هذه شغلت الألسنة والأقلام كثيراً استحضاراً لها ، واستعملت في غير معناها في الغالب . والمعروف في اللغة أن العبر والعبر أيضاً هو شاطئ النهر وناحيته ، فأى شاطئ في هذه العبارة تعبر إليه « الشاحنات » ؟ فالصحيح أن يقال : مرت بالأراضي التركية ، وتسقط « عبر » .

٣٥ - « كما أدى أيضاً بالتالي إلى حرمان العراق » . وبالتالي هذه ، تكثر في هذه الأيام في الكلام كثرة عجيبة ، فلا يكاد الرجل ، وأعني المتعلم الحديث ، يأخذ في كلام إلا قال من غير شعور : « وبالتالي » . وهي قلقة لا مسوغ لاستعمالها ، في أكثر الحديث . والتالي في كلام العرب له معان عدة ، منها : التابع ، والمتبع ، والمتخلف ، والطارد ، والتارك ، والخاذل ، والقارئ . وبالتالي في سياق هذا التعبير ، يفيد إرادة « بالتابع » ، وحذفه أولى ، وهو هاهنا مفهوم من كلمة « أيضاً » .

٣٦ - « تبرير الرفض » . التبرير لفظ مُحَدَّث ، وضع موضع « التسويغ » و « التجويز » و « الإباحة » . ومن أوائل مَنْ جأؤوا به ، مترجم ( كتاب الأمير ) في السياسة لميكافيلي ، وهو كتاب كان واسع الانتشار ، وقد أرسل فيه ميكافيلي قوله النكراء : « الغاية ( تسوغ ) الوسيلة » أو « تجوزها » أو « تبيحها » لإدراكها والحصول عليها كائنة ما كانت الوسيلة . فوضع المترجم « تبرر » موضع إحدى هذه الألفاظ ونحوها : وشاعت في الألسنة بشيوع هذه العبارة ولَوْ كَسِهَا ، ظناً من الناس أنها من فصيح العربية . ومادة ( بَرَّ ) في العربية ، ليس في شيء من ألفاظها : ( بَرَّر ) ، ولا في ( بَرَّر ) ما يؤدي معنى من المعاني التي ذكرت ، أعني التسويغ والتجويز والإباحة ، ولكن في العربية : البرّ ضد العقوق ، والمبرّة وفعلها برّ ، وبرّ الرجل خالقه : أطاعه ، وبرّ في يمينه : صدق ، وبرّ حجّة ، وأبرّ الله حجّة ، وتبارؤا : تفاعلوا ، من البرّ ، وأبرّ : ركب البرّ ، وأبرّ الرجل على أصحابه : علاهم ، وأبرّ : كثر ولده ، وأبرّ القوم : كثروا . فما تمّ في ( بَرَّر ) معنى سوّغ أو جوّز أو أباح . وقد أقحمت هذه اللفظة في ( المعجم الوسيط ) ، وفسرت بمعنى التزكية . والتزكية في العربية هي الإنماء ، والزيادة ، والإصلاح ، والتطهير ، ومدح النفس ، وتعديل الشهود ، وأداء الزكاة . ولست ألمح في شيء من معاني

هذه المادة ما يصلح أن يخلع على ( بَرَّرَ ) ومشتقاتها في سياق « العبارة الميكانيكية » ،  
أو ما يشبهها من عبارات المترجمين والكتاب .

• • •

أكتفي بهذا القدر من التنبهات على الألفاظ والعبارات التي درج الكتاب على استعمالها ، وتسربت في الكتاب ، خائفاً بها تقويمي له الذي دعاني إليه المؤلف الفاضل ،  
على حين يتغني الكثيرون التقريظ وكيل المدح جزافاً بالباطل . وإني لأكبر فيه نزعتي إلى  
« نقد الذات » . وما أنا ذا قد استجبت له ، وصدقت القول في كتابه ، وبينت ما له  
وما عليه غير مؤارب ، إخلاصاً للعلم . وما لاحظته عليه لا يمس جوهر كتابه وأصالته  
الفكرية ، على أنه يسير إلى جانب إحسانه فيه فكراً ونقداً وعرضاً وتقويماً . . هذا إذا  
كنتُ على سداد فيما قلت ، ولست أزعم لنفسي ذلك . وإني لأستريد المؤلف « الفاضل »  
من مثل هذا البحث ، وأرجو أن لا يقف قلمه عند هذا الكتاب الذي نفع وأمتع .

# معجم الكيمياء «الموحد» عرض ونقد

الدكتور مجيد محمد علي القيسي

كلية العلوم - جامعة بغداد

قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، كجزء من رسالتها السامية ، بأعداد معجم موحد للمصطلحات العلمية لمراحل التعليم العام في المواد العلمية الست : الرياضيات والفيزياء والكيمياء والحيوان والنبات والجيولوجيا . وتم طبع بعض اجزاء ذلك المعجم ومن بينها معجم الكيمياء الموحد<sup>(١)</sup> . ولقد اشرف على اعداد مصطلحاته نخبة فاضلة من الاساتذة العرب . والواقع ان المعجم يمثل جهداً محموداً تستحق عليه المنظمة واجهزتها الفنية العرفان والثناء .

يلمس القارئ لمقدمة معجم الكيمياء مبلغ العناية الذي كابدته اللجان المتخصصة لغاية توحيد وتقريب المصطلحات المختلف حولها وترتيبها هجائياً باللغات العربية والفرنسية والانكليزية . وبالرغم من الجهود المضنية التي بذلت لاصدار المعجم بحلته الحالية الا انه لم يسلم من السقطات العلمية واللغوية ، فضلاً عن فقر مفرداته وانعدام الوحدة والتقريب بين مصطلحاته وضعف بناء واشتقاق البعض منها .

لاشك ان القارئ سوف يركبه الوهم متخيلاً ان المعجم المذكور يؤلف حصاد اكثر من نصف قرن في ميدان الترجمة والتعريب . وان ما قامت به مجامع اللغة العربية في كل من القاهرة وبغداد ودمشق وعمان ومكتب تنسيق التعريب بالرباط والجامعات العربية والافراد انتهى الى مصب المعجم المذكور ! . والواقع ان عدد مصطلحات المعجم الاساسية قليل جداً ، لا يتناسب مع الآمال المعقودة عليه فضلاً عن ضعف بنائها مما يوحي للقارئ الكريم بغياب المنهج القياسي الموحد اللازم لأي عمل علمي منظم .

(١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام ، معجم الكيمياء .



ولعل سبب ذلك يرجع الى كون اللجنة المختصة تتألف من بضعة افراد غير متفرغين لهذا العمل الجليل ، صرفتهم اعمالهم العلمية في البحث والتدريس عن تكريس جل وقتهم وجهدهم له . ومما لا جدال فيه ان وضع معجم علمي موحد ومتكامل يواكب تطور العلوم والتقنيات يعتبر من المشاريع القومية الكبيرة والتي تتطلب انشاء هيئات او مؤسسات متخصصة ومتفرغة . ولن يكون لنا بذلك سبق الأجر والثواب . فقد سعى اليه اسلافنا الصالحون حينما انشأوا دار الحكمة للترجمة فكانت بحق اول مؤسسة عربية رسمية تعنى بشؤون الترجمة والتعريب ونشر العلوم والمعارف .

وفي بدايات عمل دار الحكمة اتجه المترجمون ، وهم من شتى الأمصار والقوميات ، الى نقل التراث اليوناني والشرقي الى اللغة العربية آخذين بالاعتبار ترجمة او تعريب المصطلحات العلمية والتقنية وفق اصول العربية مع صيانة جوهر المعربات . ولعل اهتمامهم بالتعريب اكثر من الترجمة يرجع الى حاجة الناس لنقل اكبر قدر ممكن من التراث العلمي العالمي كخطوة اولى ، ومن ثم الانكباب على دراسته ومناقشته ونقده . ولم تدم تلك الفترة التحضيرية طويلاً حتى بدأ العلماء العرب بوضع اسس العلم العربي الاسلامي وارساته على ارض صلبة . وحظي علم الصنعة او صنعة الكيمياء بقسط وافر من نشاط العلماء والمترجمين ، فعملوا الكثير وكتبوا ونشروا الاكثر في ميادين تلك الصنعة . وكنتيجة طبيعية لنمو وتطور العلوم العربية ، اخذ العلماء العرب ببناء واشتقاق المصطلحات العلمية التي تعبر عن الحقائق والمعطيات التي اكتشفوها بانفسهم اثناء ابحاثهم وتنقيباتهم وقدموها الى القراء بلغة عربية خالصة نذكر منها تلك التي تتناول التدابير والكيفيات والآلات كالتقطير والتصعيد والترجيح والتشويه والتصويل والالغام والاقامة وكالكور والماشق والخازن والزق وناfix نفسه وسواها <sup>(١)</sup> . اما اسماء الجواهر والمركبات والاحجار فقد نهجوا في تسميتها نهجاً علمياً اميناً . فما كان منها اعجمي المنشأ ابقوه على اصله وجوهره كالمغنسيا والفيروزج والزنجفر والمرداسنج والقليميا . وما كان منها عربي المنشأ اسموه باسماء عربية سرعان ما وجدت طريقها الى شعوب الارض جميعاً . وما زال هذا المنهج العلمي متبوعاً من قبل علماء العالم في وقتنا الراهن وبخاصة اسماء المركبات الكيميائية المعقدة وبعض الظواهر الكونية .

ومما لا جدال فيه ان العلماء العرب الاقدمين كانوا ، الى جانب براعتهم في

(١) محمد الكاتب الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ١٤٦ - ١٥٠ .

اختصاصاتهم ، ذوي ثقافة موسوعية شملت علوم الدين والدنيا الى جانب تفضلهم في علوم اللغة العربية . وكان منهم الكاتب البليغ والشاعر الفذ كالتغرائي ، كما كان منهم من يجيد عدداً من اللغات العالمية آنذاك كالفارسية والسريانية واليونانية والسكسكريتية مثل اسحق بن حنين والبيروني وغيرهما .

وكانت تلك الكفايات الموسوعية التي تحلى بها العلماء العرب سبباً رئيساً يمسدهم بالعون لبناء الالوف من المصطلحات العلمية العربية . فلم يشعر الوطن العربي آنذاك بالفقر اللغوي ابداً ، بل كان على عكس ذلك يرفل في نعيم العربية بمفرداتها الثرية وقواعدها المتينة وتصريفاتها المتنوعة . فلا غرابة في ذلك ! فاللغة التي اوجدت مئات الاسماء والكنيات للخيال او السباع ومثلها للرياح والغيوم والمياه ، لا يمكن ان تقف عاجزة عن مدنا باسماء الجواهر او الاجهزة والمعدات العصرية . واللغة التي امدت ابناؤها الأوائل بعشرات الالوف من رموز ومصطلحات الطب والاقرباذين وعلوم الصنعة والفلك والانواء وعلوم الارض والميكانيك وسواها هي ذات اللغة التي يتحدث بها علماء هذا العصر من ابناء العربية .

والحقيقة التي لا مرأى فيها هي ان وقوفنا عاجزين امام ايجاد الاسماء والكنيات والمصطلحات لما تفرزه المدنية الحديثة يوماً من عشرات الابتكارات والاختراعات لا يعود قطعاً الى فقر وعجز العربية ، وانما سببه الانسان العربي سواء أكان مختصاً بالعلوم ام باللغة .

فلا العالم بقادر على التعبير عما يجول بخاطره بلغة عربية سليمة لنضوب معين مفرداته اللغوية . ولا اللغوي بقادر على اسعافه لانصرافه عن العلوم الى ما هو اجدى له . فكان ما كان من انقطاع حبل الوصل بينهما .

والواقع ان ما تراكم من مصطلحات علمية عربية على مر العصور يؤلف نواة صلبة للمعجم العلمي الموحد الذي نصبو اليه جميعاً . فقد وضع العرب الأوائل عدداً لا يحصى من المصنفات العلمية والاسفار والمعاجم اللغوية والعلمية في شتى ميادين المعرفة . وينبغي على مجامع اللغة العربية والمؤسسات العلمية ان تؤلف الهيئات المتخصصة والمتفرغة لجرد كتب التراث العلمي العربي والمعاجم النوعية القديمة والحديثة واصطفاء المصطلحات العلمية الحية منها .

وفي اعتقادنا ان هذه الخطوة الأولية المهمة لا يجوز ان تكون البديل عن وضع

مقاييس ومناهج علمية ولغوية موحدة لبناء واشتقاق المصطلح العلمي على اسس متينة ودائمة ، واتباع النهج الذي سلكه الأولون في هذا المضمار .

ومما لا ريب فيه انه لو تحققت تلك الخطوات لتغير واقع حال المصطلح العلمي العربي ، ولوجد الدارس العربي نفسه متمكناً من ناصية لغته والتعبير عن ذاته بيسر وثبات . ان ما نلمسه هذه الايام من عناية ابناء الامة العربية ، وعلى المستويات الرسمية وغير الرسمية ، باللغة العربية وصيانة اصولها ليعث على الرجاء في عودتها الى سابق عزها وسؤدها ، كما ان الاهتمام الجاد في وضع العربية في مسار التقدم العلمي والتقني واعتمادها في ميادين التعليم العام والجامعي قد أدى الى تراكم المئات بل الالوف من المصطلحات العلمية العصرية . بيد ان معظمها تلاشى واندثر لجملة اسباب منها تباين الاساليب في نقلها عن اللغات الاجنبية او في بنائها واشتقاقها لانعدام القواعد اللغوية الموحدة واختلاف المعايير والمناهج بين ابناء الوطن الواحد غير الموحد . كل ذلك ولّد قناعات زائفة بعجز اللغة العربية عن مواكبة تطور العلوم .

ومعجم الكيمياء الموحد الذي نحن بصدد عرضه يعتبر اللبنة الاولى في ميدان اعداد المعجم العلمي الموحد . غير ان الدارس لمعظم مفرداته ومصطلحاته يلاحظ افتقارها الى التقريب والتوحيد مما يؤكد دوام اختلاف المعايير والمقاييس في اعداده بسبب تباين المنابع الثقافية للمشرفين عليه . ويبدو ذلك جلياً فيما يأتي من مصطلحات : —

#### المصطلح منقول عن الفرنسية

كبريتور  
حمض الكبريت  
حمض الكبريتي  
كلورور  
حمض الفنيك  
كلورور الزئبقي  
برومور  
فليورين  
تـلـور  
تيتان

#### المصطلح منقول عن الانكليزية

كبريتيسد  
حمض الكبريتيك  
حمض الكبريتوز  
كلوريد  
حمض الكربوليك  
كلوريد الزئبقوز  
بروميد  
ازرق جون  
تلريوم  
تيتانيوم

وبنظرة سريعة الى تلك المصطلحات يلاحظ المرء اثر الثقافة الانكلوسكسونية والفرنسية فيها .

لقد اغفل معدو المعجم عدداً من الحقائق العلمية واللغوية وهم ينقلون المصطلحات من منابع ثقافتهم العلمية الاجنبية الى العربية نذكر منها :

أ - قيام الاتحاد الدولي للكيمياء الاساسية والتطبيقية ( IUPAC ) بوضع قواعد موحدة لتسمية المركبات الكيميائية عام ١٩٦٠ نقل بعضها الى العربية بتصريف (١) .  
والظاهر ان المعجم لم يلتزم بتلك القواعد فابقى على الاسماء القديمة مثل : برومور وكلورور وزئبقوز وحديدوز وحديديك . . . الخ .

ب - التزم المعجم بنقل السوابق واللاحق من اللغات الاجنبية الى العربية دونما تمييز بين ما هو لغوي وبين ما هو علمي . ففي معرض تسمية الاحماض نقلت اللاحقة ( ic ) برسمها ولفظها الى العربية . فقد سمي ( acetic acid ) حمض الخل نقلاً عن الفرنسية وحمض الاستيك نقلاً عن الانكليزية علماً ان اللاحقة المذكورة تفيد معنى النسب اذ يقابلها في العربية ياء النسب . واذا ما استعبدنا التسمية الاولى لكونها تسمية يومية دارجة وغير قياسية في ضوء توصيات الـ ( IUPAC ) تكون التسمية المفضلة للحمض المذكور ( الحمض الاسيتي ) وذلك باضافة ياء النسب الى جوهر الكلمة ( acet- ) ومنها يمكن اشتقاق عشرات المشتقات بكل يسر نحو اسيتون واسيتيل واسيتال واسيتاتي . . . الخ وبذلك نبقي على صلة تلك المركبات بالقواعد الدولية من جهة وبالقواعد اللغوية العربية من جهة اخرى .

ج - اتبع المنهج ذاته على المركب (  $H_2SO_4$  ) حيث سمي ( حمض الكبريتيك ) نقلاً عن الانكليزية و ( حمض الكبريت ) نقلاً عن الفرنسية . ولا شك ان عبارة ( حمض الكبريت ) سليمة لغوياً . اما الحمض (  $H_2SO_3$  ) فسمي ( حمض الكبريتوز ) نقلاً عن الانكليزية و ( حمض الكبريتي ) نقلاً عن الفرنسية . علماً بأن التسمية غير دقيقة لغوياً ولا تفي بالمعنى المقصود . وهذا الخلاف حول تسمية الاحماض يتطلب وضع قواعد عربية موحدة تنسجم مع التسميات الدولية .

(١) الدكتور مجيد محمد علي القيسي ، العربية ووحدة المصطلح الكيميائي ، بحث قدم لمؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي - بغداد . ٤ - ٧ / ٣ / ١٩٧٨ .

ومن الغريب أن اختلاف الرأي بين معدي معجم الكيمياء ( الموحد ) لم يقف عند حدود تسمية المركبات وإنما تجاوزها إلى العبارات البسيطة التي لا يختلف فيها اثنان . فتحت الحرف ( A ) فقط وردت المصطلحات المزدوجة التالية : —

amorphous	لا بلوري — لاشكلي
amygdalin	لوزين — امجدالين
anion	شاردة سالبة — ايون سالب
anode	مصعد — انود
antibiotic	مضاد حيوي — انتيبوتي
antiknock	مضاد الفرقعة — مضاد للدق
amber	كهرب — عنبر
alumina	الومينا — الومين
aquous alcoholic	مائي غولي — مائي كحولي
aromatic	عطري — اروماتي
argon	ارجون — ارغون
aromatization	تعطير — ارمته
arsenic	زرنيخ — ارسنك
aryl	عطريل — اريل
asbestose	اسبستوس — امينيت
asphalt	قار — اسفلت
assay	عاير — قدر
atomizer	مرذاذ — مئذار
autoclave	مصمم ضاغط — اتوكلاف
azotate	ازوتات — نترات
azotmeter	ازوت ميتر — مقياس الازوت

ويبدو أن الخلاف بين الفريقين يرجع إلى أسباب ثقافية ولغوية ونفسية ، ففريق يرجح الترجمة على التعريب بينما يرجح الآخر التعريب على الترجمة ، دونما قواعد موحدة ومتفق عليها من قبل جميع الفرقاء حول ما يجب تعريبه وما يجب ترجمته من المصطلحات

وطالما بقيت تلك القواعد غائبة فإن الخلاف سوف يستمر الى امد طويل .

وجدير بالتأكيد ان الترجمة يجب ان تكون هي الاساس والقياس ، وما التعريب الا استثناء لها . فالمصطلحات المفردة والدارجة هي المفردات التي لم تكتسب صفة التدويل ولا بد من ترجمتها . اما المصطلحات الدولية والمصطلحات المركبة التي تخضع للعديد من الاشتقاقات كأسماء العناصر والمركبات الكيميائية المعتمدة او سواها فينبغي تعريبها وفق اصول العربية . وسبق للعرب ان نهجوا هذا السبيل حينما قالوا : هيولي وفنطاسيا والاسطقس وانولوطيقا وباري ارميناس وقاطيغورياس وافورطيتي وطوبيتي وسفسطيتي وريطوريتي وبيوطيتي (١) .

ظهرت بين المصطلحات التي سبق ايرادها خلافات ما كان لها ان تظهر كالاخلاف حول ( anti - knock ) وهل تسمى مضاد للدق او مضاد للفرقةسة ؟ والخلاف حول رسم ونطق الحرف ( G ) في كلمة Argon فسمي ارجون وارغون . وسبق للعرب ان نطقوا الكاف المعجمة غيناً ( واحياناً جيمساً ) نحوأيسا غوجي وفيثاغوراس ولوغيسا وقاطيغورياس ودارشيشغان وانجليزي (٢) . ومن الخلافات التي تلفت النظر تسمية asphalt به ( بأسفلت ) الى جانب الكلمة العربية ( قار ) . وسميت ( atomizer ) ( مرذاذ ) و ( منرار ) والصحيح ( منرار ) او ( مندارة ) لكونها مشتقة من كلمة ( ذرة ) بينما تطلق كلمة ( مرذاذ ) او ( مرذاذة ) على ( sprayer ) وكلاهما آلة تستعمل لرش السوائل الا ان الفرق بينهما هو ان الآلة الاولى تطلقها على هيئة ذرات دقيقة ، وهي من صيغ المبالغة ، بينما تنفثه الثانية على شكل رذاذ اي مطر رقيق (٣) .

وترجمت كلمة ( decantation ) تصفية ( . وهي كلمة عامة وفضفاضة لا تعبر عن المعنى المقصود . واستعمل العرب كلمة ( تصفيق ) بمعنى نقل الشراب من اناء الى اناء ليصفو (٤) . وترجمت كذلك ( deposition ) ترسيب وقيل في ( precipitation ) ترسيب ايضاً ، في حين ان اقرب كلمة عربية الى ( deposition ) وهي طباق . وتكرر هذا الاسلوب في ( drying ) و ( dessitcation ) فسميا تجفيف رغم

(١) محمد الكاتب الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٨٤ - ٩٢ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) محمد مرتضى الزبيدي ، معجم تاج العروس من جواهر القاموس .

(٤) المرجع السابق .



تباين المعنيين . واللغة العربية غنية بالمعاني التي تفيد التجفيف كالنشف واليبس والقفوف<sup>(١)</sup> واعطيت كلمة ( admixture ) ثلاث كلمات هي : مزج ومزيج وشائبة . ومزيج اقرب الى المعنى لغة . اما شائبة فقد استخدمت لـ ( impurity ) في جميع كتب الكيمياء تقريباً .

وسمي المعجم ( aerobiotic ) و ( aerobic ) ( حيويوائي ) و ( هوائي ) والصواب ( حي بالهواء ) وربما سميت ( حيويوائي ) نحتاً . وما يشير الى انعدام التقييس تسمية ( alcoholimeter ) ( بمغوال ) او ( مكحال ) . في حين سميت ( metry ) ( تقدير ) كما ورد في ( alcabality ) التي اطلق عليها ( مغواليمة ) او ( تقدير الكحولات ) . وسبق لكلمة ( تقدير ) ان اعطيت لـ ( estimation ) .

لقد اتبع المعجم اسلوباً وعرأً وخشناً في تصريف بعض الافعال المشتقة من اسماء الجواهر والمركبات . فقال في الفعل ( alcoholise ) ( غولل ) او ( كحلل و غولله و كحللة و متغولل او متكحلل ) . وهذا النوع من الاشتقاق مع ما فيه من فوائد محدودة ، صعب ومحدود الاستعمال . ويفضل القول : يعالج بالكحول او باضافة الكحول ... الخ حسب المعنى المقصود . وقيل ايضاً في ( electro — golding ) ( تذهيب وفي ( electro — coppering ) ( تنحيس . ونساءل : كيف يمكن صياغة مصدر او فعل للطلاء بفلزات مثل المنغنيز والمولبدنوم والنيكل والتيتانيوم والكروم الى نهاية قائمة الفلزات المستعملة في الطلاء ؟ ! وهل ان ( تذهيب ) او ( تنحيس ) تعني بالضرورة استعمال الكهرباء ؟ وما هو الضير في استعمال عبارة طلاء او ( طباق ) كهربائي بالنحاس او الذهب او البلاتين او الكروم ؟ وعلى النهج الوعر نفسه اشتقت افعال عربية من اسماء اعجمية نحو ( بروم ) من ( brominate ) ( و كلور ) من ( chlorinate ) و ( أمن ) من ( aminate ) . ونساءل هنا ايضاً : كيف يمكن اشتقاق افعال عربية من ( dehydrogenate ) و ( decarboxylate ) و ( iodinate ) و ( iodise ) و ( oxygenate ) ( oxidize ) .. الخ . ونسي المعجم ان للغة العربية خصائصها التركيبية والنحوية والصرفية التي تختلف عن اللغات الاوربية .

وخلط المعجم بين الاسماء والصفات حينما دعا ( alkali ) ( قلو ) او ( قلوي ) واذا دققنا النظر في كلمة ( alkali ) نجدها عربية المبني حيث وردت في كتب التراث

(١) حين يوسف موسى وعبد الفتاح الصميدي ، الافصح في فقه اللغة .

ومعاجم اللغة ( القلي ) وهو رماد الغض والرمث تغسل به الثياب <sup>(١)</sup> . فالقلي اذن اسم وليس صفة . وتطلق ( alkali ) في الوقت الحاضر على عناصر زمرة الصوديوم فيقال ( alkalimetels ) اي فلزات القلي او يقال اختصاراً ( alkalis ) بنفس المعنى . اما كلمة قلوي فصفة تقابل ( alkaline ) . وسمى العنصر ( americium ) (أمريكيوم) والصحيح ( امريشيوم ) . كما ترجمت ( dilute ) ( مخفف ) والاصح ( خفيف ) لتمييزها عن ( diluted ) اي ( مخفف ) .

وفي مجال تسمية المركبات الكيميائية اتبع المعجم نهجاً غير قياسي حين سمي ( dichloropropane ) ( ثنائي كلور البروبان والصحيح لغوياً ) ثنائي كلوري البروبان ( وذلك باضافة ياء النسب التي تقابل الحرف ( O ) الذي يفيد معنى الوصل . كما سمي ( Carbon dioxide ) ( ثاني اوكسيد الكربون ) حيناً و ( ثنائي اوكسيد الكربون ) حيناً آخر . والتسمية الثانية اكثر انسجاماً مع التسميات الدولية .

واعطى المعجم كلمة ( تجمع ) لـ ( aggregation ) و ( association ) ( معاً . وسبق وان اعطيت في مجالات اخرى لـ ( gathering ) و ( Cdlection ) و ( meeting ) . ولما كانت ( تجمع ) كلمة عامة فانها لا تسعف المعنى الدقيق المراد منها . وفي اللغة العربية مفردات عديدة تصف بالدقة المطلوبة معاني الافعال المذكورة دونما تداخل او ترادف نحو رصّ وكدس ورصف وركم وجعب وقبا ووزم وجفش وعدف وقثم وكعز وكمز وكتل وقتر وقتر وجشم وامترش وكوم وقمز وكلز وغيرها <sup>(٢)</sup> .

وجميع تلك الافعال تختص بجمع الاشياء وبعضها قريب من معنى ( aggregation ) اما ( association ) فتفيد معنى المشاركة والاقتران .

والتبست على المعجم معاني الاسماء في سياق النقل من اللغات الاجنبية الى العربية . فقال في ( analyser ) ( محلل ) والتزم الصمت اتجاه ( analyst ) ويعلم الكيميائيون بان الكلمة الاولى تعني الجهاز او الآلة التي تقوم بالتحليل بينما تصف الثانية الشخص الذي يمارس التحليل مستعيناً بالآلة .

ولم يوفق المعجم لترجمة ( anhydride ) بـ ( لا مائي ) اذ اعتبرها بادئة . والمعروف بين المختصين ان ذلك المصطلح يطلق على جذر كيميائي يماثل ( chloride )

(١) محمد مرتضى الزبيدي ، معجم تاج العروس من جواهر القاموس .

(٢) ابن سيدة ، كتاب المخصص .

و ( hydride ) . فهو اذن اسم وليس صفة . كما اقترح ( لامائي ) ايضاً لكلمة ( anhydrous ) واعتبرها لاحقة ، وهي تسمية سليمة . ويمكن تسمية ( anhydride ) ( أنهدريد ) تعريباً او ( لامائيد ) ترجمة .

كما ترجمت ( monosaccarides ) بـ ( سكريات احادية ) وهي تسمية دارجة وغير قياسية . ويرجح تسميتها ( سكريدات احادية ) .

وسمى ( Common salt ) ( ملح الطعام ) تارة و ( ملح عادي ) تارة اخرى . وترجم السابقة ( endo ) بـ ( ماص ) فقال في ( endothermic ) ( ماص للحرارة ) وترجم السابقة ( exo ) بـ ( باعث ) فقال في ( exothermic ) ( باعث للحرارة ) . وكلا المصطلحين غير دقيق . واقرب وصف للمعنى هو في قولنا لـ ( endo ) باطني او داخلي او جواني ولـ ( exo ) خارجي او براني . وجميع تلك المصطلحات لا تنطوي على معاني فعلى الامتناع ( absorption ) والانبعاث ( emission ) .

وعندما جاء المعجم الى عبارة ( qualitative analysis ) ترجمها بـ ( تحليل كيميائي ) او ( تحليل وصفي ) . وعند التدقيق في معنى العبارة في كتب الكيمياء نجدها تتناول تشخيص ( نوع ) العناصر بالتحليل الكيميائي . فهو اذن ( تحليل نوعي او كيميائي ) . علماً بأنه لا توجد في اللغة العربية كلمة ( كيميائي ) بالمعنى المذكور<sup>(١)</sup> وإنما وردت الكيفيات في كتب التراث العلمي حينما ذكروا ( الكيفيات ) التي تلازم الاسطقسات وهي البرودة والحرارة والرطوبة واليبوسة<sup>(٢)</sup> .

وترجم ( miscible ) بـ ( مزوج ) وسبق للعلماء العرب ان قالوا فيها ( ممسازج )<sup>(٣)</sup> . وترجم ( tonge ) بـ ( ملقط ) . وسبق لهذا المصطلح او ان اطلق على ( forceps ) ، وكان العلماء العرب يستخدمون اداة مماثلة اسموها ( الملزم ) او ( الكتيفة )<sup>(٤)</sup> .

نستنتج من هذا العرض السريع لبعض ما ورد في معجم الكيمياء ( الموحد ) عدداً من الحقائق نذكر منها :

اولاً : افتقار مصطلحات المعجم الى الوحدة والتقريب فقد ورد فيه اكثر من مقابل للمفردة.

(١) محمد مرتضى الزبيدي ، معجم تاج العروس من جواهر القاموس .

(٢) ب . كراوس ، مختار رسائل جابر بن حيان .

(٣) المرجع السابق .

(٤) حسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي ، الافصح في فقه اللغة .

ثانياً : عدد مفردات المعجم قليل جداً لا يسعف حاجة مرحلة التعليم العام .

ثالثاً : تعرض المعجم الى بعض العثرات اللغوية والعلمية والفنية .

رابعاً : يفتقر المعجم الى فلسفة واهداف واضحة . اذ يصعب على الباحث ان يستقرى القواعد القياسية المتبعة في اعداد مصطلحاته . والظاهر ان الجهود انصبت على معالجة المصطلحات المفردة او الدارجة بمعزل عن صلتها العلمية واللغوية بمصطلحات الكيمياء او العلوم الطبيعية الاخرى .

خامساً : التزم المعجم بالتسميات القديمة للمركبات الكيميائية متجاوزاً بذلك مقررات ( IUPAC ) .

سادساً : لم يحسم المعجم قضية السوابق واللواحق الاعجمية . فلم يتعرض لسبل نقلها الى العربية سواء اكان ذلك ترجمة ام تعريباً . كما لم يشر الى اسلوب ولغة كتابة رموز العناصر والثوابت واسماء المركبات الكيميائية المعقدة والمعادلات الكيميائية والقوانين الرياضية والارقام والرسوم والخطوط البيانية . . . الخ . فما زالت تلك الامور تكتب بلغة عربية مهجنة تشير في نفس الدارس الاضطراب والبلبلة . فالقساري لكاتب الكيمياء الجامعية الحديثة يجد الارقام العربية المشرقية والمغربية جنباً الى جنب . ويجسد جملاً وعبارات كتبت متقابلة ومتعامدة من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين في سطر واحد . ويجسد منطوق مسألة رياضية كتبت بالعربية بينما كتب الحل بلغة اجنبية . . . الى آخر منظومة التهجين التي لا حدود لها .

ولست من متابعي الشخصية وتجربتي المتواضعة في ميدان التأليف ان تلك الشؤون استحالت الى شجون بين المؤلفين والدارسين على حسد سواء ، فأثرت سلباً على مسيرة تعريب العلوم في بعض الاقطار العربية .

ان العمل من اجل اعداد معجم موحد للمصطلحات الكيميائية يعتبر من المشروعات القومية المهمة والتي لا بد ان تكون لها فلسفة واهداف وخطط علمية واضحة . وبالتأكيد فان انجاز مثل هذا السفر الجليل وبمدة قصيرة نسبياً ، يستدعي مشاركة جميع المختصين في ميادين علوم الكيمياء واللغة وفنون المعاجم .

والخلاصة : ان معجم الكيمياء ( الموحد ) جهد قيم سوف يحتل ، بالتأكيد ، المكانة اللائقة به في المكتبات العربية ، ليكون عوناً للمؤلفين والدارسين ، وليسهم في دفع عجلة تعريب العلوم في الوطن العربي .

# آراء و انباء

# تعقيب واستدراك على أشعار

مالك بن الربيع وعبيد الله بن الحر كعب بن سعد بن الزهري

ونصر بن سيار وعبد الصمد بن المعدل

## الكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب - جامعة بغداد

ترتبط عملية تحقيق الشعر ونشره بتاريخ عريق ومدرسة منهجية موهلة في القدم تثبتت أصولها في القرن الثاني الهجري ، واستقامت قواعدها بعد هذا التاريخ حتى أصبحت طريقاً معروفاً ، ومنهجاً متبعاً ، ومسلكاً من مسالك العمل العلمي المزهسر . وقد حققت هذه العملية لديوان الشعر الغربي مادة ثرة ، وتراثاً كبيراً ، انتفعوا منه في كل مجال ، واستخدموه في كل موضع ، واستعانوا به في كل تفسير ، وقد اضاف الشعر بكل اشكاله الى اللغة وفروعها ما اغناها وسع دائرتها ، حتى أصبح القرن الثالث الهجري قرن ازدهار لغوي ونحوي وبلاغي الى جانب الازدهار الذي عرفته الرواية الشعرية بما جمعه الرواة من اشعار الشعراء والقبائل . . . ويقف الاصمعي وابو عبيدة وابو عمرو الشيباني وابن الاعرابي على رأس هذه الطبقة يليهم السكري ابو سعيد الحسن بن الحسين المتوفى سنة ٢٧٥ أو ٢٩٠ الذي يعد ثقة صادقاً فاذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة فقد جمع اشعار ما لا يقل عن خمسين شاعراً من الجاهليين والاسلاميين الى العباسيين وشرحها كلها أو أكثرها . . .

وبقيت صناعة الدواوين وجمع الشعر تأخذ مكانها حتى شملت مجاميع الشعر وكتب الحماسة والنوادر والامالي ، وامتدت الى كل مجال ، وانتشرت في كل حقل فاستمدت كتب التاريخ منها شواهدا ، كما اعتمدت كتب البلدان ومعاجم اللغة على دواوين الشعر في مجال الاستشهاد والتدليل والاحتجاج . . . وقد حفظ لنا هذا النهج ثروة كبيرة ، وثبت لنا مجموعة من الحقائق للاستدلال .



وعلى الرغم من الحرص الدقيق الذي رافق عملية الجمع والرواية والمتابعة فقد اختلفت الدواوين الشعرية من حيث كمية الشعر باختلاف الرواة . ف شعر التابغة برواية ابن السكيت تختلف عنه برواية محمد بن حبيب ، وتختلف الى حد ما عن رواية الاصمعي ، وكذلك الامر بالنسبة لشعر امرئ القيس وعنترة والاعشى وزهير وغيرهم من الشعراء ، على ان هذا الاختلاف لا يقدح في صحة الرواية أو يشين وجه صحتها ، أو يغير من صدق اسنادها . لأن طرق الرواية مختلفة ، ومواطن الاعتماد متعددة ، وموارد السند متشعبة وهذا ما حمل بعض المحققين في عصرنا الحاضر على ان يجمعوا الروايات ويوفقوا بينها للوقوف على مجموع كامل من نسخ الديوان . وتظل عملية الجمع غير قادرة على الاستكمال ما دامت الرواية الشعرية راغداً من روافدها والمظان الرئيسة غير متوفرة .

وهذا ما دفع الباحثين والمحققين الى الاستدراك والتعقيب حول ما نشر من شعر أو جمع من ابيات ، وانني لعلني ثقة اكيدة ان معظم دواوين الشعر التي نشرت عن طريق النسخ المخطوطة أو المجموعة ستظل غير كاملة الى حد كبير وان كانت صورة النسخ المخطوطة اكمل الى حد ما ، وهذا ما يفسر لنا حركة الاستدراك المتعاقبة التي يقف عليها الباحثون وهم يقدمون في كل زمن ما يضيف الى الشعر المطبوع ما يكمل مسيرته ويحقق وجوده ويهتدي الى توضيح معالم الشاعر أو العصر ، وفي ديوان الراعي النميري الذي صنعه مع الاستاذ الجليل المحقق هلال ناجي ما يكشف عن صدق هذه الحقيقة ، فالذي يرجع الى النسخ الاولى من الديوان والذي اعتنى بجمعه وتحقيقه المرحوم الدكتور ناصر الحاني وراجع وجمع شواهد ووضع فهرسه المرحوم عز الدين التنوخي نجد ان شعر الراعي لا يتجاوز الخمسمائة والخمسين بيتاً ، ومن غير المعقول ان يكون ديوان الراعي النميري رابع شعراء الطبقة الاولى من شعراء العصر الاسلامي بهذا الحجم فقد استدرك عليه الاستاذ هلال اكثر من ثلاثمائة وخمسين بيتاً نشرت في مجلة المورد وعندما حاولنا اعادة نشره بعد وقوفنا على مجموع شعره في منتهى الطلب تضاعفت الابيات حتى اوشكت ان تصل الى الف وخمسمائة بيت ومعظمها من القصائد الجديدة التي سنكشف عن حياة الشعر وتشارك في توضيح بعض ملامح العصر وتعطي صورة لنمط البناء الفني للقصيدة العربية في عصر الدولة العريية . ومثل ديوان الراعي دواوين كثيرة اضيفت اليها ابيات وقصائد ومقطعات . . .

ولقد حاولت جمع شعر مالك بن الريب قبل اكثر من خمس عشرة سنة لاجبابي

بسيرته وحبي لياثيته التي تعدّ ضرباً رفيعاً من ضروب الشعر فروسية وإباء . وقد ظلت القصيدة تحمل معاني البكاء الذاتي لمعاني البطولة ، وتطوي آهات النفس التي بقيت جذورها مشدودة في تراب الأرض العربية على الرغم من نوازع الفتح ، والإيمان بقدرة التحرير ورسالة الدعوة العظيمة ، وقد طبعته ضمن كتابي ( شعراء أمويون ) الجزء الأول عام ١٩٧٦ ، ومثل ما اعجبت بمالك بن الريب فقد اعجبت بشجاعة عبيدالله بن الحر الجعفي الذي ظل نموذجاً متقدماً من نماذج الجرأة والشجاعة والإباء فجمعت شعره ونشرته ضمن نفس الكتاب ، ووجدت في شخصية كعب بن معدان وهو يواكب شعر التحرير ويخلد معارك المهلب ويفخر بعناصر البطولة من خلال مدائحه له شخصية أخرى يمكن أن تضاف إلى بقية الشعراء الذين حفل بهم الجزء الثاني من كتابي ( شعراء أمويون ) وبعد ثلاث سنوات على صدور هذا الكتاب وقفت على كتاب الفتوح لأبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي المتوفى نحو سنة ٣١٤ بإجزائه الثمانية وقد وجدت فيه مقطعات جديدة واختباراً مفصلة يمكن إضافتها إلى ما جمعته من شعر ، وهذا ما حفزني على الاستدراك وحملني على التعقب ودفعني إلى أن أتابع الأجزاء لاستدراك على نفسي وأعقب على عمل قمت به لتكون الفائدة أكبر ، وإذا كان بعض المحققين يجد في ذلك غرابة فإني أجد نفسي في غاية الارتياح وأنا أعثر على كمية جديدة من الشعر ، واقف على جملة من الأخبار التي تضيء جوانب من حياة أولئك الشعراء الذي قدمت حياتهم بما كنت امتلكه من المصادر ، وإن سروري يعظم ، واعتزازي يكبر إذا وجدت من الأخوة المحققين من يضيف إلى الشعراء الذين صنعت دواوينهم شعراً جديداً ، أو تحليلاً فنياً ، أو محاولة تغني حياتهم .

والله أسأل أن يمنحنا السداد في الرأي ، والحكمة في العمل والإخلاص في العلم لنخدم هذه اللغة الكريمة ونعمل على أحياء كنوزها الرائعة إنه نعم المولى ونعم النصير .

### مالك بن الريب

( ١ )

في كتاب الفتوح لابن أعثم ١٨٩/٤ وردت القطعة (١٤) المثبتة في (شعراء أمويون).  
صفحة / ٣٤ وفي روايتها اختلاف ، وقد داخل بعض أبياتها التحريف والتصحيف .

( ٢ )

يذكر صاحب كتاب الفتوح ١٩٠ / ٤ أنه عندما سار سعيد بن عثمان بن فارس

كان معه مالك حتى صار الى نيسابور ، وبها يومئذ نفر من المسلمين من بقايا اصحاب  
عبدالله بن عامر بن كرز ، فصاروا الى سعيد بن عثمان ، وفرض بهم فرضاً وخلطهم  
باصحابه ، واقام بنيسابور شهراً كاملاً حتى اخذ جزية اهلها ، ففرقها في اصحابه .  
ثم سار من ( مرو ) يريد ( سمرقند ) فصار الى نهر ( بلخ ) فنزل على شاطئه ثم أمر  
ب عقد الاطراف فعقدت ، ونادى في الناس ان يعبروا فعبروا ، وعبر سعيد بن عثمان في  
اول الناس وتبعه اصحابه ؛ فجعلوا يعبرون على الاطراف وسعيد ينظر اليهم حتى عبروا  
باجمعهم وسار سعيد حتى صار الى ( بخارا ) فنزل على ابوابها . . . ثم سار من بخارا  
والادلاء بين يديه فنزل على ( سمرقند ) وبها يومئذ خلق كثير من السغد . قال :  
فخرج اليهم السغد ودنا بعضهم من بعض ، فاقتتلوا والناس يقتلون قتلاً شديداً قال :  
وخرج رجل من السغد على بردون له أصفر فجعل يدعو الناس الى البراز قال : فتطأطأ  
الناس عنه وتحاموه ، فقال مالك بن الربيع : ايها المسلمون ما الذي يقول هذا العليج ؟  
قالوا : يدعو الى البراز ، قال : اقما منكم من يجيبه ؟ فقال مالك بن الربيع : فهذه  
والله لفضيحة ! فقال بعض اصحابه : فهل عندك شيء يا مالك ؟ فقال مالك : اني  
سأبكي نفسي في مثل هذا اليوم . ثم قنع فرسه ، وخرج نحو العليج وهو يقول :

ألا أيها البراز بقرني . . . (١)	أساقيلك بالطعن العذاف المُقَشَّبَا
فأي فتى في الحرب والموت سيِّبُه	على شاربيه فاسقني منه واشربا
ودونكها نجلاء ينضح فرعها	نجيعاً دماً من داخل الجوف متعبا
حباك بها مَنْ لا يصردُ كأسه	إذا ما سقاها من الى الموت ثوباً
اخو غمرات لا يروع لجأشِه	إذا الموتُ بالموت ارتدى وتعصبا
يباشر في الحرب السيوف ولا يرى	لمن لا يباشرها الى الموت مهربا
اغرَّ نماء مازنٌ بفعالسه	فكان نجيب الأمهات فأنجبا

قال : ثم حمل مالك على ذلك السغدي والتقيا بطعنتين طعنه السغدي طعنة فوقعت  
في قربوص مالك ، وسقط مالك الى الارض فوثب مسرعاً ورمحه في يده فطعن السغدي  
طعنة رمى به عن فرسه الى الارض وذهب السغدي يقوم ، فبادر اليه مالك فاحتمله من  
الارض حبلأً وجعل يعدو به حتى رمى به بين يدي سعيد بن عثمان .

(١) كذا في الكتاب وقد اشار في هامشه الى سقط ركن واحد فجعلت هذه النقاط والايات غير موجودة في  
شعره الذي جمعته .

قال : واشتبك الحرب بين المسلمين وبين اهل سمرقند يومهم ذلك الى الليل ثم ،  
انصرف بعضهم عن بعض . قال : ودامت الحرب بين القوم شهراً كاملاً . . . . . وجعل  
مالك يفعل في كل يوم بين يدي سعيد من الافاعيل ما تعجب منه المسلمون . فلا يرى  
أن سعيد بن عثمان يزیده في ارزاقه شيئاً فأنشأ يقول (١) .

يا قلّ خير أمير زلتُ اتبعه      ألت تْرهبنی ام زلت تسرجونی  
منيتمسوني امانيساً قنعت بها      حتی إذا ما جعلتم مقنعاً دوني  
كانت امانيتكم ربحاً شاميةً      ظلت بمختلف الارواح تؤذيني  
فإن وقعت لجنب الرمل منقصفاً      أوليت كل امرئ ما كان يوليني

قال : فبلغ ذلك سعيد بن عثمان فلم يلتفت الى ذلك فأنشأ مالك يقول (٢) :

سعيد بن عثمان أميرٌ مروّع      تراه إذا ما عاين الحرب اجزرا  
وما زال يوم السغد يرعد خائفاً      من الروع حتى خفت ان يتنصرا  
فلولا بنو حرب لهدت عروشكم      بطون العظايا من كسير واعسورا  
وما كان من عثمان شيء علمته      سوى نسله في عقبه حين ادبسرا

### عبيد الله بن الحر الجعفي

(١)

عجبت سليمي أن رأيتني ساحباً      خلق القميص بساعدي خسدوش  
الى آخرها . . . . . ويبدو أنها قصيدة طويلة ، ذكر في كتاب الفتوح لابن اعثم ١٦٧/٦  
ولم اثبتها في ( شعراء امويون ) . . . . .

(٢)

انا الحرُّ وابن الحر يحمل منكبي      شديد القصيري في العبادي رحيل  
الى آخرها . . . . . ويبدو ان البيت من قصيدة ذكر هذا البيت في كتاب الفتوح لابن  
اعثم ١٦٨/٦ ولم اثبتها في ( شعراء امويون ) .

(٣)

وعندما التقى يحيى يقال لهم بنو شمام ، قاتلهم وقتلوه ثم حمل عليهم ففرقهم ، ثم  
انشأ يقول ابياتاً مطلعها :

(١) الخبر والابيات في كتاب الفتوح لابن اعثم ١٩٤/٤ والبيت الاول مع اختلاف في ( شعراء امويون )  
مع بيتين آخرين والابيات الثلاثة الاخرى غير موجودة في شعره المنشور .  
(٢) الابيات عدا الاول في ( شعراء امويون ) وفي روايتها اختلاف كبير .

صبحت شباماً غارةً مشمعةً<sup>(١)</sup> وأخرى نشاهدها صباحاً لشاكر  
الى آخرها . . . ويبدو انها قصيدة ولكن صاحب كتاب الفتوح وقف عند مطلعها  
في الجزء السادس / ١٧١ .

(٤)

قال : ثم اجتمعت قبائل همدان في ثلاثمائة فارس حتى وافوا الكوفة في رونق  
الضحى وهمدان يومئذ في ثلاثمائة من قبائلهم وثلاثمائة من اصحاب المختار ،  
فلم يشعروا إلا وعبيدالله بن الحر قد وافاهم حاسر الرأس وهو يرتجز ويقول :  
اني انا الحر وابن الحرّ [ ذو حسب مذلج وفخر ]<sup>(٢)</sup>  
وقادح لكم غداة الذعر بالضرب احياناً وطعن شزر

(٥)

ثم نخشي عبيدالله بن الحر أن تدهمه خيل المختار بأجمعها أو تجتمع عليه اهل  
الكوفة فلا يكون له بهم طاقة ، فصاح ومضى حتى خرج من الكوفة فانشأ يقول  
ابياتاً مطلعها<sup>(٢)</sup> .

لقيت شباماً عند مسجد مخنفٍ وقبل شبام شاكرًا وسبيعاً  
الى آخرها . . .

وفي مجموع شعره الذي صنعه عثرت على قطعتين منفردتين ، تتفقان مع هذا المطلع  
من حيث الوزن والمعنى والقافية . وفيهما اشارة الى اغارته على شبام من همدان ولم يكن هذا  
البيت من ضمن الابيات .

(٦)

وقال مخاطباً مصعب بن الزبير :

متى تسألوني ما عليّ وتمنعوا السدي لي لم استطع على ذلكم صبرا  
أهانُ وأقضي ثم ترجى نصيحتي واني امرؤ يسوفي نصيحتته قسرا  
رأيت اكف المفضلين لسديكم ملاء وكفّي من عطائكم صفرا  
وقدماً كففت النفس عما يريبكم ولو شئت قد أغليت في حربكم قدرا  
ولو شئت قد سارت اليكم كتائب رآها سراعاً نحو عقوتكم غبرا

(١) الشطر ناقص . . . والرجز والخبر في كتاب الفتوح لابن اعثم ١٧٢/٦ .

(٢) الخبر والبيت في كتاب الفتوح لابن اعثم ١٧٢/٦ .

عليها رجالٌ لا يخافون فسي الوغى سهام المنايا والردنيّة السمرا  
الخبر والابيات في كتاب الفتوح لابن اعثم ٢٠٣ / ٦

(٧)

يضيف صاحب كتاب الفتوح لابن اعثم للقطعة رقم (٣) في ( شعراء امويون )  
بيتاً جديداً في الجزء السادس / ٢٠ وهو :

بسوء بلاء أم لقنسل عشريني اذلّ وأقصى عن حجابات مصعب  
يذكر صاحب كتاب الفتوح ٢٠٦ / ٦ خبراً عن سجن عبيدالله بن الحر في سجن  
مصعب بن الزبير بعد ان امر سجاناً يقال له واصل وطلب منه ان يضيق عليه في السجن  
ما يستطيع . قال عبيدالله :

فلم ار يوماً مثل يوم شهادته ابث شمسه مع غيمه ان تغيبا  
ويبدو انها قصيدة طويلة ظفرت ببعض ابياتها في شعره الذي نشرته ، ولم اهتم الى  
القصيدة ولا الى المطلع الذي ثبته صاحب كتاب الفتوح

(٨)

بعث قوم عبيدالله بن الحر اليه وهو في سجن مصعب بن الزبير : اننا عزمنا على أن  
نسير اليه ونكلمه في امرك ، وقد احببنا ان يكون معنا ابو النعمان ابراهيم بن الاشر فلا  
عليك أن تبعث اليه رسولاً وتسأله أن يركب معنا ، فانه عظيم القدر عند الامير (مصعب  
ابن الزبير) ولعله ان يستحي منه فيشفعه فيك . قال : فكتب عبيدالله بن الحر الى ابراهيم  
ابن الاشر ثم اثبت في رقعة هذه الابيات :

ولا يسز يدك إلا انفسها جزع	بان المسلامة لا تبقي ولا تسدع
ولا مزاد وكانوا بشس ما صنعوا	لم يبقَ معذرة سعد فأعذرهما
عند الامير وشرّ المنطق الشنع	والحارثيون لم ارضَ الذي نطقوا
وللمسئلة في اعناقهم خضعوا	تبادروا أنهم نأتى اميرهم
لا يهنكم بعده ري ولا شبع	فقد وردتم فسلو قوا غب مصدركم
همت به مذحج والأنف مجتدع	ماذا يقولون وابن الحر محتبس
ماء الفرات لأن لم يشهد النجع	قد جالت مذحج ما ليس يغسله
بحيث يقرع عن هاماتها الصلح	الضاربون من الاقسام هاهم
إذا العوالي بأيدي القسوم يخرع	والطاعنون ولم ترعش اكفهم

شمُ العرانيين سادات كأنهم  
ارجو قيام ابي النعمان إذ وهبوا  
فانُ يفك عبيد الله من كبل  
فاجهد غدي لك والاقوام كلهم  
فابسط يديك فإن الخير مبتدر  
قد قدمت لك مسعاة ومأثرة  
والأمن والخوف أيام مداولة

بيض السيوف التي لم يعلها الطبع  
ومثله بجسيم الأمر يضطلع  
فليس بعدك في اخراج طمع  
ما بعدها من مساعي الخير متبع  
علياءه وجدود القسوم تصطرع  
من مالك وكذلك الخير متجمع  
بين الرجاء وبين الضيق متسع

الآيات والخبر اوردها صاحب كتاب الفتوح في الجزء السادس / ٢١٠ - ٢١١  
ولم اعثر قبل هذا المصدر إلا على البيت الأخير في حماسة البحتري / ٢٢٤ .

(٩)

كتب عبيد الله بن الحر الى مصعب بن الزبير يعتذر اليه :

تذكرت قبل اليوم آية خلة  
وما في قناتي من وصوم تعيها  
وتعلم إن كاتمته الناس انني  
وما انا راضٍ بالذي غيره الرضا  
رأيتك تعصيني وتشمت شانياً  
فإن كان من عندي فبين فائتي  
وان كان من غيري فلا تشمت العدي  
وان كان هذا الصرم منك لعلته  
ففي كل مصر قاسط تعلمونه  
أرى الحرب قد درت عليك وفتنة  
فحسبك قد جربتني وبلوتني  
ألم تعلموا اني عدو عدوكم  
أناضل عنكم في المغيب عشيرتي  
لكم بارد الدنيسا ويصلي بحرهما  
فلسنا كراماً ان رضىنا بذاكم  
ولولا امير المؤمنين وبيعتي

أصرت بحقي عندكم وهو واجب  
ولا ذم رحلي فيكم من أصحاب  
عليك ولم اظلم بذلك عاتب  
فلا تكذبك ابن الزبير الكواذب  
كأنني بمالم أجتزم لك رائب  
لصرمكم يا ابن الزبير لهائب  
بنا وتسدرك دفع ما انت قارب  
فصرح ولا تخفي الذي انت راكب  
حريص على سري لك راهب  
تصرم في الحافسات منها المحاطب  
وقد ينفع المرء الكريم التجارب  
وتشفى بنا في حربكم من تحارب  
وأما بنفسي دونكم فأضارب  
إذا عضت الهسام السيوف القواضب  
ولم تنأهب في الحديد الكتائب  
لقد كثرت حولي عليك الجلائب



الايات اوردها صاحب كتاب الفتوح ٢١٢/٦ - ٢١٣ وقد وجدت من هذه القطعة  
الايات ١٤، ١٢، ١١، ٤ وقد رتب ترتيباً مغايراً لترتيبها في هذه القطعة اوردها  
ابن الشجري في حماسه / ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(١٠)

وخرج عبيدالله بن الحر من الكوفة ليلاً فلحق به الناس من كل ناحية حتى صار  
في خمسمائة رجل ما فيهم احد إلا وعليه درع سابغ وبيضة محكمة . قال : فعندها  
عزم على الغارة ثم كتب الى مصعب بن الزبير بهذه الايات .

فلا كوفة أمي ولا بصرة ابسي	ولا أنا يثيني عن الرحلة الكسلي
فلا تحسني ابن الزبير كناعس	إذا حلّ اغفى أو يقال له ارتحل
فإن لم ازرك الخيل تردي عوايساً	فرسانها حولي فما أنا بالبطل
وان لم تر الغارات من كسل جانب	عليك وتندم عاجلاً ايها الرجل
فلا وضعت عندي حصان قناعها	فلا تجدعني بالاماني والعلل
فانك لو اعطيتني خرج قسار	وارض سواد كلها وقسرى الجبل
وجدك لم اقبل ولم آت خطاة	تسرك فأيس من رجوعي لك الهبل
بل الدهر أو تأتلك خيل عوايس	شواذب قبّ تحمل البيض والاسل
بفتيان صدق لا ضغائن بينهم	يواسون من أقوى ويعطون من سأل
ألم يأتكم يوم العذيب تجالدي	به شعبة المختار بالمفصل الأقل
وبالقصر قد جربتوني فلم أخم	ولم اكُ وقافاً ولا طائشاً فشل
وبارزت اقواماً بقصر مقاتل	وصاربت فرساناً ونازلت من نزل

الخبر والايات في كتاب الفتوح ٦ / ٢١٤ - ٢١٥ وقد وجدت من هذه القطعة  
الايات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ١١، ١٢، في بلدان ياقوت ٤/ ١٢٢ وتاريخ الطبري ٦ / ١٣٢ .  
وفي ترتيبها وبعض الفاظها اختلاف اما بقية الايات فهي جديدة لم اعثر عليها ولم  
اثبتها في مجموع شعره في ( شعراء امويون ) .

(١١)

قال عبيدالله بن الحر يذكر وقائعه وقد قدّم لهذه الايات بخطبة رائعة .  
وقدماً أينا أن يقسر ظلامه  
وكم من ابي قد سلناه وقره  
وقدمساً وثقناً كل فتق من الأمر  
باسيافنا حتى أقام على العسر

بضرب يزيل الهام عن سكناته      وطعن باطراف المثقفة السمر  
ومن شعبة المختار قبل سقيتها      بضرب على مساماتهم مبطل السحر  
الخطبة والايات في كتاب الفتوح لابن اعثم ٢١٧ / ٦ - ٢١٨ ولم اجد منها قبل وقوفي  
على هذا المصدر إلا البيت الرابع مع بيتين غير هذه الايات في بلدان ياقوت ٣٦٦/٢  
وايات أخرى متناثرة وقف عندها ياقوت في معجمه ويبدو ان هذه الايات وتلك تشكل  
قطعة واحدة تحدث فيها الشاعر عن أيامه التي سجلها ومآثره التي يفتخر بها وقد اشرت  
اليها في ( شعراء امويون ) .

(١٢)

بعث عبيدالله بن الحر برجال من اصحابه في جوف الليل ليدفنوا قتلاه في يوم  
تكريت واقبل راجعاً نحو الكوفة وهو يقول :  
وابيض قد نبهته بعد هجعة      فقام يشد السرج والمرء ناعس  
عليه دلاص كالأضائة وبيضة      تضي كما يدكي من النار قابس  
الخبر والايات في كتاب الفتوح لابن اعثم وقد اخل بهما مجموع شعره في ( شعراء  
امويون ) .

(١٣)

وعندما التقى عبيدالله بن الحر بالعساكر القادمة من الكوفة تريد قتاله على نهر  
صرصر . وقع في قلوب العساكر الفشل وانهزوا متفرقين وغنم ابن الحر واصحابه  
ما كان لهم من دواب وسلاح وانشأ يقول ابياتاً مطلعها :  
نفيت لصوص الارض ما بين عانة      الى جازر حتى مدينة دسترا  
والبيت جديد انفرد به صاحب كتاب الفتوح ٢٢٥ / ٦ وقد ثبت في مجموع شعره  
قطعتين وجدتهما منفردتين يذكر فيهما هذه الواقعة وارجح ان هذا البيت أو المطلع  
هو من تلك الايات ويبدو ان القصيدة طويلة لم نعثر منها إلا على خمسة ايات فقط .  
قال عبيدالله بن الحر بعد ان دعا بفرسه واخذ سيفه وتقلد رمحه ليجابه قاطع الطريق  
الذي اعلمه عنه اهل الانبار :

وابيض قد نبهته بعد هجعة      وقد لبس الليل القميص الارند جا  
وجدت عليه مغماً فقبضته      وفرجت ما يرجي به أن يفرجا  
وكنت إذا قومي دعوني لنجدة      شددت نطاسقي حين أدعى وأسرجا

فاكشف غمّاهَا واكسب مغنمًا      واطفي السدي قد كان فيها مؤججا  
 يضاف الى القطعة ( ٣٨ ) من شعره هذا البيت :  
 انشا يسائلني عنه واطعنه      فخر يهوي على الخيشوم منجدلا  
 الخبر والايات في كتاب الفتوح ٦ / ٢٢٨ / ٢٢٩ .  
 (١٥)

اقبل عبيدالله بن الحر على اصحابه . فقال : تهيأوا الآن . اني قد عزمت أن اسير  
 بكم الى الشام الى عبد الملك بن مروان وأسأله المعونة على مصعب بن الزبير . ثم نادى في  
 اصحابه وترحل نحو الشام وانشأ يقول ابيات مطلعها :  
 وبالشام اخواني وجلّ عشيرتي      وقد جعلت نفسي اليك تطلّع  
 الى آخرها .  
 كتاب الفتوح ٦ / ٢٣١ .

(١٦)  
 قال عبيدالله بن الحر يحث اصحابه على القتال ويدعوهم الى الثبات .  
 يا لك يوماً قلّ فيه ثقتي      وغاب عني معشري وأسرتي  
 ومذبح طسراً وجلّ اخوتي      وصحبتني الحامون لي في كربتي  
 ياقيس عسيلان اصببت فرصتي      ومسا أبالي إن اتت مني  
 ثم حمل على خصومه في اصحابه على قتلهم فقاتل ساعة فقتل من اصحابه نيف على  
 ثلاثين رجلاً ، وبقي في بضعة عشر رجلاً فقاتل حتى بقي خمسة فجعل يرتجز ويقول :  
 لو أن لي من شيعتي رجلاً      مساعراً أعرفهم ابطالا  
 لأحسنوا من دوني القتالا      ولم يهابوا فسي الوغى الآجالا  
 قال : وقتل اصحابه الخمسة فبقى عبيدالله بن الحر يقاتل وحده  
 كتاب الفتوح ٦ / ٢٣٣ - ٢٣٤ .

### كعب بن معدان الاشقري

(١)

قال كعب بن معدان الاشقري يذكر الازارقة واصحاب المهلب .  
 قُتل للازارقة الذين تمسرقسوا      بسلى وسلبسري لقيست نحوسا  
 قتل المهلب جمعكم وأخذتم      من رسله بالزائدان رؤوسا

قد تكتمونها فاستروها وأقبلوا  
وبكوا عليها كلّ ذرّ شارق  
كم مثلها منكم لسه كم مثلها  
الخبر والابيات في كتاب الفتوح ٢٦/٦

(٢)

انشأ كعب بن معدان الاشقري يقول ابيناً مطلعها :  
قل للمهلب إن سيفك مسدرك      حامي الحقيقة مسدرك الأوطار  
كتاب الفتوح ٢٧/٧ .

(٣)

انشأ كعب بن معدان الاشقري يقول وهو يرى المهلب قد حمل بنفسه على الازراقة  
فلم يزل يقاتل حتى جرح سبع عشرة جراحة  
وليس إذا رأى ابن الورد بعد  
ومسحا بالمهلب في الصباح  
الى آخرها . .

كتاب الفتوح ٣٢/٧

(٤)

قال كعب بن معدان عندما دخل المهلب الى مدينة جيرفت واستولى على ما  
كان فيها من امتعة الازارقة ودوابهم وسلاحهم واموالهم ونسائهم واولادهم . .  
ألم يأتها أن الازارق شردوا      وصارت عليهم في البلاد الفضائح  
الى آخرها . .

كتاب الفتوح ٦٩/٧

(٥)

انشأ كعب بن معدان الاشقري يرثي المهلب :  
ترحلت الاجياد تبغي عميدها  
يقولون هل بعد المهلب نعمة  
ولا نائل إلا قليل مصدد  
وهددت لذاك الارض حتى كأنها  
واظلمت الآفاق حتى كأنما  
اخا الحرب دارته السقائف والقبر  
من العيش إلا قد أتى دونها الدهر  
قليل الغنى في الناس مطلبه وعمر  
بكته الجبال الصسم وانصدع الفجر  
يرى دون ضوء الشمس من دونها ستر

فمن ذا الذي يُرجى لكل عظمة      تحل بنا أو من يُسدُّ به ثغرُ  
بقينا بحالات أبى الدهر دونها      عرى الحزم والمعروف والنائل الغمرُ  
أيرجون أن يُعرى سمرقند غيرها      وعليا بخارستان وانقطع الدهرُ

كتاب الفتوح ٧ / ١٣١ - ١٣٢

### تعقيب واستدراك على ديوان نصر بن سيار السكتاني

جمع وتحقيق عبدالله الخطيب

نشر الاستاذ عبدالله الخطيب ديوان نصر بن سيار أمير خراسان عام ١٩٧٢ وقد وقع بين يدي قبل فترة من الزمن اهداني اياه صديق عزيز واديب كريم ، وقد قرأت الديوان في حينه وقيّدت عليه بعض الملاحظات ، ومع اعترازي بمحاولة الاستاذ المحقق الذي كشف عن آهات هذا الامير الشاعر الذي ضيَّعه الزمن وتكالبت عليه سيوف الغدر فمات على بعد تسعة فراسخ من الري فدفن بها فقد وقفت على مجموعة من الملاحظات التي تتعلق بالمقدمة والشعر المجموع . .

وبالنظر لطول المدة الزمنية بين ظهور الديوان وكتابتي هذا التعقيب فقد آثرت الوقوف عند المسائل التي تتعلق باستدراك الشعر لما فيه من فائدة ترمي لكشفه عن جوانب جديدة يمكن أن تضيف الى حياته الحافلة ما يضيء بعض جوانبها ، ويوسع مساحة تحركها . وقد افادني في كل الابيات والاشعار كتاب الفتوح لابي محمد احمد بن اعثم الكوفي المتوفى نحو ٣١٤ للهجرة وفي جزئه الثامن . أمل ان يستفيع منه اصحاب البحث والدراسة والله الموفق .

#### (١)

لنصر بن سيار موقف واضح من خالد بن عبدالله القسري خاصة بعد عزل عمر بن يزيد بن هيرة الذي اکتوى بانواع عذاب خالد محاولة منه لاستخراج ما عنده من اموال ، تأييداً لوصية هشام بن عبدالملك ، وقد شق ذلك على اهل البصرة مشقة شديدة لأن عمر بن يزيد كان محباً لأهل البصرة ، حتى إذا اشتد به ألم العذاب يصيح ويقول : يا هشام ! يا هشام . المستغاث من عذب خالد . وقد دفع ذلك نصر بن سيار الى ان يقول الابيات التي اخل بها الديوان . وقد وقف المحقق عند مجموعة من المقاطع التي يذكر فيها كيفية جلده وما وقع له واسباب ذلك . . وكان المفروض ان يعرض المؤلف لذلك من خلال دراسته بعد تحليل العوامل ، والاسباب ، وتحديد الدوافع التي كانت

تدفع الشاعر الى هذا الموقف ، والعوامل التي دفعت خالد بن عبدالله القسري واخاه ان يتخذا هذا الموقف ، ولعل موقفه من عمر بن يزيد بن هبيرة من العوامل التي حملتهما على اتخاذ هذا الموقف . والايات هي :

أرى مضرَ المصيرين قد ذُلَّ نصرُها      ولكن عسى أن لا يُذلَّ سنامُها  
فمن مبلغ بالشام قيساً وخندفياً      أحاديث قد هاجت علينا سقامُها  
دمُ ابن يزيد صار حلاً لخالد      وفينا بقيات الهدى وامامُها  
أنقتل فيكم إن قتلنا عدوكم      على دينكم والحرب بادٍ قَتَامُها  
أثار بقتل ابن المهلب خالد      ألَهَى لنفسٍ ليس يُهدى أنينها

الخبر والايات في كتاب الفتوح لابن اعثم ٣٦ / ٨

(٢)

وللجنيد بن عبدالرحمن موقف معروف من نصر بن سيار فعندما احدث الترك بالمسلمين من كل جانب في طريق الشعب وهم في طريقهم الى سمرقند دنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا قتالاً لم يقاتلوا مثله في يوم مضى قبله قال : وجعل نصر بن سيار يقاتل قتالاً لم يسبقه اليه احد من نظرائه ، فلم يزل كذلك حتى انكشف على وجوههم وصارت الفعلة في ايدي المسلمين وقد قتل من الترك مقتلة عظيمة . قال : وتكلم قوم عند الجنيد ابن عبدالرحمن فقالوا : اصالح الامير : انه ليس يجب ان يُغفل عن مثل نصر بن سيار ، ولا يقصر في برّه لشرفه وشرف آبائه وسابقتهم في الاسلام ، وما قد رأى الامير اصلحه الله من فعاله في هذا اليوم . قال : فغضب الجنيد وقال : مَنْ نصر بن سيار ؟ وما كان من نصر بن سيار ؟ فوالله إن اقل رجل في بني عمي قد فعل في هذا العدو ما لم يفعله نصر بن سيار . ولا يقدر عليه ولو عمر الدهر . قال وبلغ ذلك نصر بن سيار فأنشأ يقول :

اني نشأت وحسّادي ذوو عددٍ      يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا

والايات اوردها الديوان ، وعندما اصيب جند الجنيد وقتل منهم عددٌ كبير شمت به نصر بن سيار وجعل يعرض به ونسبت الايات في الديوان نقلاً عن الطبري الى ابن عرس . والواقع ان نسبة الايات في اطار الاحداث التي وقعت لنصر بن سيار مع الجنيد ترجح الى نصر لان المقدمة التي اوردها الطبري تكاد تكون بعيدة عن مضمون القصيدة . وهذا ما ذهب اليه صاحب كتاب الفتوح من نسبتها الى نصر بن سيار واورد منها ثلاثة ايات فقط .

(٣)

وظلت علاقة نصر بالجنيد على غير ما يرام لأن الجنيد كان يقصر في حقه ولم يفعل  
له ما كان يفعله بأمثاله من العطية والجوائز وهذا ما كان يدفع نصر بن سيار الى التعريض  
بـه .

لئن كنت في دنيا وملك أصبت<sup>١</sup>      بلا حسب زاك ولا طعمان<sup>(١)</sup>  
فقد يتلنى ذو الملك بالبخل والغنى      ويصرف عن وري الزناد هجان  
لعمري لقد أصبحت في اليوم راغباً      وقد حلّ منك اللؤم كل مكان  
( كتاب الفتوح ٨ / ١٠٥ ) وقد اخلّ بها الديوان .

(٤)

وعندما قتل عمرو بن زرارة اغتم نصر بن سيار غماً شديداً وانشأ يقول :  
ألموا بالقبور فودّعوها      وأقر قبورهم عنّي السلام  
ولو سمع السلام لسردّ عمرو      ولكن لا يطيقون الكلام  
هم صدعوا الفؤاد وأوجعتني      مصائبهم غداة لقوا الحماما  
( كتاب الفتوح ٨ / ١٣٣ ) وقد اخلّ بها الديوان .

(٥)

ولما طال امر القتال بين الكرمانى ونصر بن سيار تواعدوا وخرجوا الى موضع يقال له  
الجياد فخذلوا على انفسهم ، وجعلوا يقتلون الليل والنهار ، حتى اقتتلوا سنة كاملة لا  
يفترون ولا يملّون . قال : وكتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد بهذه الايات :  
أبلغ امير المؤمنين رسالة<sup>٢</sup>      مخبّرة عن محكمات الرسائل  
بأن عداة الله اضحوا بأرضنا      يسومونا اطفاء حقّ بيساطل  
ونحن حماة الدين نسمو اليسهم<sup>٣</sup>      باسيافنا والمسندات الاوائل  
( كتاب الفتوح ٨ / ١٥٣ ) وقد اخلّ بها الديوان .

(٦)

كتب نصر بن سيار بعد ان وجد ابا مسلم الخراساني يدعوا الناس الى ما هم عليه  
من أمر ولد العباس ، والناس يجتمعون اليه وقد سمع بذلك نصر بن سيار ولم يكن لابي

(١) كذا في كتاب الفتوح ٨ / ١٠٥ وفيه سقط .



مسلم حيلة لاستقباله بحرب الكرمانى فكتب الى مروان بن محمد بهذه الايات . وقد ثبت المحقق الفاضل سبعة ايات منها عشر عليها في عيون الاخبار والاخبار الطوال ومروج الذهب وفصل المقال واساس البلاغة والكامل في التاريخ والحماسة البصرية والعيون والحدائق ومجموعة المعاني ويمكن اضافة سمط النجوم العوالي ٣ / ٢٢٤ والعقد الفريد فهما لم يردا في قائمة المراجع اما كتاب الفتوح ٨ / ١٥٦ - ١٥٧ ففسد اضاف الى القطعة خمسة ايات لم تذكرها المراجع كلها وهي :

فانتم في الكسريهة اسدٌ غاب	إذا كان النذير بها الحسام
واكرم في زلازلها اصطبأراً	إذا نشرت وثار لها قتام
تطيف بكم كرائم عبد شمس	لدى الهيجاء ضاق بها المقام
وهم عذر الأباطح من قريش	فكاهلها المقدم والمشام
إذا صدع بقية لانأوه	وما صدعوا فليس له الشام

والايات تأتي متسلسلة في نهاية الايات المثبتة في الديوان وفي رواية بعض الفاظها وترتيبها اختلاف .

( ٧ )

وكتب نصر بن سيار الى اهل مرو وغيرهم ممن قد علم أنهم على رأيه ومذهبه ، وسألهم أن ينصروه ويقيموا معه ويؤازروه على حرب الكرمانى وابي مسلم وكتب اليهم بهذه الايات . لقد وقف المحقق عند سبعة ايات وذكر صاحب كتاب الفتوح ٨ / ١٦٣ بيتين جديدين هما :

ويقسم الخمس من اموالكم أسراً	من العلوج ولا يبقى لكم نسب
وينكح فيكم قسراً بناتكم	لو كان قومي احساراً لقد غضبوا

( ٨ )

وعندما قتل الكرمانى كبر اصحاب نصر بن سيار وطمعوا في ابي مسلم بعد ذلك ثم أمر نصر بن سيار برأس الكرمانى فأخذه وقوره وحمله برمحه الى مروان بن محمد وكتب اليه نصر بن سيار بالخبر على جبهته وفي آخر الكتاب هذه الايات . . وهي ثلاثة عشر بيتاً أورد منها المحقق ستة ايات . . وأورد بقيتها صاحب كتاب الفتوح ٨ / ١٦٤ - ١٦٦ وهي :

٣ - وقدت ذوي الأحساب منهم من أقدمي  
واذا الدجل حتى عاد حرباً يبيدها

٤ - واصلحت من ساداتها كل فاسد  
واسرعت في خير الذي لا يسودها

٨ - اجاشوا نزار الشام إن نزارها  
( ابوه اباي وهني عميدها )<sup>(١)</sup>

٩ - خليفتنا الساعي لنا ببرائنا  
فطالبت اوتار العدا وميدها

١٠ - امروان إني قد منيتُ بمعشر  
نخارج سوء ما يلين شديدها

١١ - أجاهدهم في الله حقاً لأنني  
أؤمل داراً لا يبيد خلودها

١٢ - وكم اجاهشوا من جنودٍ واوقدوا  
اشانيب نيرانٍ سريع خمودها

وقد حاولت تثبيت الارقام التي سبقت الايات للتدليل على ان بقية الايات هي التي  
اوردتها المحقق الفاضل .

### شعر عبد الصمد بن المعذل

ونشر الدكتور زهير غازي زاهد شعر عبد الصمد بن المعذل وهو موضوع رسالته في  
الماجستير ، وقد درس حياة هذا الشاعر المغمور ، وان كنت احتفظ برأيي بشأن تسميته  
بالشاعر المتمرد ، الا أنني سأحدث عن شعره فقط . لأن مجال مناقشة الآراء  
التي طرحها الاخ الكريم تحتاج الى دراسة تحليلية لحياة هذا الشاعر البصري ، وقد  
جمع له مائة وخمساً وثلاثين مقطوعة وقصيدة عدد ابياتها ستمائة واثنان وثمانون بيتاً ،  
وقد جمعت لهذا الشاعر من مصدرين اثنين . لم يقف عليهما اكثر من مائة بيت أثرت  
نشرهما ليضيفا الى حياة هذا الشاعر ما يكمل صورته ، ويكشفنا عن الجوانب الفنية  
التي وقف على بعضها الباحث الكريم . وما زلت اعتقد ان المصادر التي ستظهر ستضيف  
الى مجموع شعره قصائد جديدة لان ديوانه كما ذكر ابن النديم يصل الى مائة وخمسين

(١) كذا في الاصل والبيت غير مستقيم .

ورقة وإن مقدار ما في الورقة عشرون بيتاً ، وهذا يعني أن الديوان يصل إلى ثلاثة آلاف بيت ، وإن كل ما عثر عليه من شعره لا يصل إلى ثلث شعره الذي ذكره ابن النديم .

(١)

قال الباحث الكريم في شعر عبدالصمد بن المعتز في القطعة رقم (٣٢) ص (٨٩) قال يرثي عمرو بن سعيد بن سلم وذكر بيتين . والتقصيدة في كتاب التعازي والمراثي للمبرد ص ١٧٠ أربعون بيتاً هي :

ما لِسَمَاءَ عَلَيْهِ لَيْسَ تَنْفَطِرُ وَلِلْكَوَاكِبِ لَا تَهْوِي فَتَنْتَشِرُ؟  
وَلِلْبِلَادِ . أَلَا تَسْمُو زَلَّازِلُهَا وَالرَّاسِيَاتِ أَلَا تَرْدَى فَتَنْقَعِرُ؟  
إِنَّ النَّدَى وَأَبَا عَمْرٍو تَضَمَّنَهُ قَبْرٌ بِبَغْدَادَ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ  
لِلَّهِ حَزْمٌ وَجُودٌ ضَمَّهُ جَدَثٌ وَمَكْرُمَاتٌ طَوَّاهَا الشَّرْبُ وَالْمَدَرُ  
يَا طَالِباً وَزَرّاً مِنْ رَبِّ حَادِثَةٍ أَوْدَى سَعِيدٌ فَلَا كَهْفٌ وَلَا وَزَرَ  
أَبْكَيْ عَلَيْكَ عَيُونَ الْحَيِّ مِنْ يَمَنِ وَمِنْ رَبِيعَةٍ مَا تَبْكِي لَهُ مُضَرُ  
كُلُّ الْقَبَائِلِ قَدْ رَدَّيْتَ أَرْدِيَّةً مِنْ فَضْلِ نِعْمَاكَ لَا يَجْزِي بِهَا شُكْرُ  
مَا خَصَّ رِزْقُكَ لَا قَيْساً وَلَا مُضَرَ إِنَّ الرِّزِيَّةَ مَعْمُومٌ بِهَا الْبَشَرُ  
لَوْ كَانَ يَبْكِي كِتَابُ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ لِيُطَوِّلَ إِلْفَ بَكَتِكَ الْآيُ وَالسُّورُ  
أَبُو الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا مُرَاعَاتُهُمْ هَمٌّ وَلَا وَطَرُ  
لِلنَّهَارِيِّينَ مَصَادٌ غَيْرُ مُطْلَعٍ وَلِلْعُقَاةِ جَنَابٌ مُمْرِغٌ خَضِرُ  
مِنْ كُلِّ أَفْقٍ إِلَيْهِ الْعَيْسُ مُعْمَلَةٌ وَكُلُّ حَيٍّ عَلَى أَبْوَابِهِ زُمَرُ  
إِذَا أَبْرَزَ الْخَوْفُ الْكَعَابَ فَإِنَّهُمْ مَصَادٌ لِيَمَنُ يَأْوِي إِلَيْهِمْ وَمَعْقِلُ  
وَشَيْعٌ لَا يَفُوتُ الدَّحْلُ صَوْلَتَهُ وَأَكْرَمُ النَّاسِ عَفْوَاً حِينَ يَنْقُذِرُ  
لَا يَزْدَاهِيهِ لغيرِ الْحَقِّ مَنْطِقُهُ إِلَّا تَنَاجِيهِ بِالتَّقَى الْفِكْرُ  
ثَبَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَيَّامِ مُضْطَلَعٌ بِالنَّائِبَاتِ لِيَصْعَبَ الدَّهْرُ مُقَشَّسِرُ  
سَامِي الْجُفُونِ يَرُوقُ الطَّرْفُ مَنْظَرُهُ وَأَطْهَرُ النَّاسِ غَيْباً حِينَ يُخْتَبَرُ  
الْحِلْمُ يُضْمِتُهُ وَالْعِلْمُ يُنْطِقُهُ وَفِي تَقَى اللَّهِ مَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ  
لَمْ تَسْمُ هِمَّتُهُ يَوْماً إِلَى شَرْفٍ إِلَّا حَبَاهُ بِمَا يَسْمُو لَهُ الظَّفَرُ

يُعْطِيكَ فَوْقَ الْمُنَى مِنْ فَضْلٍ نَائِلِهِ  
يَزِيدُ مَعْرُوفَهُ كِبَرًا وَيَرْفَعُهُ  
وَلَيْسَ يَسْعَى لِغَيْرِ الْحَمْدِ يَكْسِبُهُ  
عَفَا الضَّمِيرِ رَحِيبُ الْبَاعِ مُضْطَلَعُ  
مَا انْفَكَ فِي كُلِّ فَجٍّ مِنْ نَدَى يَدِهِ  
لَوْ هَابَ عَنْ عِزَّةٍ أَوْ نَجْدَةٍ قَدَرُ  
لَيْبِكَ فَقَدْ كَفَى أَطْرَافَ الْبِلَادِ كَمَا  
وَلَيْبِكَ الْمُرْمِلُونَ الشَّعْثُ ضَمَّتْهُمْ  
وَدَاثُ هِدْمَيْنِ تَرْجِي دَرْدَقًا قَرْمًا  
وَيَبْكُكَ الدِّينُ وَالْدُّنْيَا لِرَعِيهِمَا  
كَفَلْتَ عِتْرَةَ أَقْوَامٍ مُهَاجِرَةً  
وَقَدْ نَصَرْتَ وَقَدْ آوَيْتَ مُحْتَسِبًا  
يَا رَبَّ أَرْمَلَةٍ مِنْهُمْ وَمُحْتَهِلٍ  
لِلَّهِ شَمْلُ جَمِيعٍ كَانَ مُلْتَمِسًا  
أَمْسَى لِفَقْدِكَ ظَهَرُ الْأَرْضِ مُحْتَشِعًا

وَلَيْسَ يُعْطِيكَ إِلَّا وَهُوَ مُعْتَدِرُ  
أَنَّ الْجَسِيمَ لَدَيْهِ مِنْهُ مُحْتَقِرُ  
وَلَيْسَ إِلَّا مِنَ الْمَعْرُوفِ بِدَخِيرُ  
لِحُرْمَةِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ مُنْتَصِرُ  
لِلنَّاسِ جُودَانِ : مَحْوِيٍّ وَمُنْتَظَرُ  
مِنْ الْبَرِيَّةِ خَلْقًا هَابَكَ الْقَدَرُ  
لَمْ يَخْلُ مِنْ نِعْمَةٍ أَسَدٍ يَشْتَاقُ طُرُ  
مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَى آيَاتِكَ السَّفَرُ  
مِثْلَ الرِّثَالِ حَبَاها الْبُؤْسُ وَالْكِبَرُ  
وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْإِعْسَارُ وَالْيُسْرُ  
عُشْمَانُ جَدُّهُمْ أَوْ جَدُّهُمْ عُمَرُ  
«أَبْنَاءُ قَوْمٍ هُمْ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا»  
أَيْتَمَّتْهُ وَهُوَ مُبْيَضُّ لَهُ الشَّعْرُ  
أَضْحَى لِيَوْمٍ سَعِيدٍ وَهُوَ مُنْتَشِرُ

أَمْسَى لِفَقْدِكَ ظَهَرُ الْأَرْضِ مُحْتَشِعًا

بَادِي الْكَأَبَةِ وَانْحَثَالَتِ بِكَ الْحُفَسَرُ  
عَفَا النَّوَالُ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُ نَجِيرُ  
كُلُّ يَرَاهُ بِحَيْثُ السَّمْعِ وَالْبَصَرُ  
بَدْرُ السَّمَاءِ حَوْتُهُ الْأَنْجُمُ الزُّهَرُ  
إِذَا خَبَسَا قَمَرٌ مِنْهُمْ بِدَا قَمَرُ  
أَبَانَ أَيْتَامَكَ الشَّحْجِيلُ وَالْغُرَرُ  
إِلَّا بِكَفِّكَ مِنْهَا الْعَيْنُ وَالْأَثَرُ  
أَثْنَتْ بِآلائِكَ الْأَصَالُ وَالْبُكْرُ  
بَيْنَ الْبَرِيَّةِ فَاغْتَالَ النَّدَى صَفَرُ

(٢)

وقال الباحث في القطعة ( ٤٥ ) ص ( ١٠٢ ) قال يرثي سعيد بن سلم الباهلي

وذكر سبعة أبيات وقد جاء ترتيبها مخالفاً لترتيب القصيدة التي وجدتها في كتاب التعازي  
والمرائي للمبرد ص ١٧٤ وهي اثنان واربعون بيتاً هي :

رَبِّ طِفْلٍ نَعَشْتَهُ بَعْدَ يَتِيمٍ      وَفَقِيرٍ أَغْنَيْتَهُ بَعْدَ عُدَمٍ  
كُلَّمَا عَضَّتِ الْحَوَادِثُ نَادَى      رَضِيَ اللَّهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلَمٍ

وقال عبدالصمد يرثي عمرو بن سعيد بن سلم : ( الطويل )

هَرِيقاً دَمًا إِنْ أَنْفِدَتْ عَبْرَةٌ تَجْرِي      أَبِي الصَّبْرِ إِنْ الرُّزْءُ جَلَّ عَنْ الصَّبْرِ  
وَلَا تَجْمُدَا عَيْنَيَّ ( قَدْ ) حَسَنَ الْبُكَاءِ

وَفَرَطَ الْأَسَى فَقَدْ الْغَيْبِ فِي الْقَبْرِ

لِبُغْرِ كَمَا بِالْبَثِّ أَنْ لَسْتُ واقِفاً

مِنْ الصَّبْرِ يَوْمًا بَعْدَ عَمْرٍو عَلَى عَذْرِ

سَلَامٍ ( وَسُقْيَا ) مِنْ يَدِ اللَّهِ شِسْرَةً

عَلَى جَسَدٍ بِالِ بِلْمَاعَةٍ قَفْرِ

جَرَتْ فَوْقَهُ الْأَرْوَاحُ أَمْنًا لِحَرِّهِ

وَقَدْ كُنَّ حَسْرَى حِينَ يَجْرِي كَمَا تَجْرِي

تَوَلَّى النَّدى وَالْبَاسُ وَالْحِلْمُ وَالْتَقَى

فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا بَعْدَ عَمْرٍو سِوَى الذِّكْرِ

فَإِنْ تَطَوَّهَ الْأَيَّامُ لَا تَطْوِي بَعْدَهُ

صَنَائِعَ مِنْهُ لَا تَبِيدُ عَلَى النَّشْرِ

مَتَى تَلْقَاهُ لَا تَلْقَ إِلَّا مُسْتَعَاً

حِمَاهُ ، مَصُونِ الْعِرْضِ مُبْتَدَلِ الْوَفْرِ

وَأَيُّ مَحَلٍّ لَا لِكَفَيْهِ نِعْمَةٌ

عَلَى أَهْلِهِ مِنْ أَرْضٍ بَرٍّ وَلَا بَحْرِ

وَمَا اخْتَلَفَتْ حَالَانِ إِلَّا رَأَيْتَ سَهْ

رَكُوبِ الَّتِي تَسْبِي هَيُوبِ الَّتِي تُزْرِي

وَمَنْ تَكُنِ الْأُورَاقُ وَالْتَبَرُ ذُخْرَهُ

فَمَا كَانَ غَيْرَ الْحَمْدِ يَرْغَبُ فِي ذُخْرِ

كَيْلًا حَالَتَيْهِ الْجُودُ أَنْتَى تَصَرَّفْتِ  
 بِهِ دُورُ الْأَيَّامِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ  
 وَمَا عُدِمَتْ يَوْمًا لِكَفَّيْهِ أَنْعُمٌ  
 تُضَافُ لَهُ مِنْهَا عَوَانٌ إِلَى بَكْرِ  
 وَمَا انْتَسَبَتْ إِلَّا إِلَيْهِ صَنِيعَةٌ  
 وَمَا نَطَقَتْ إِلَّا بِهِ أَلْسُنُ الْفَخْرِ  
 يَرَى غَبْنًا يَوْمًا يَمُرُّ وَلَيْلَةً  
 عَلَيْهِ وَلَمْ يَكْسِبْ طَرِيقًا مِنَ الشُّكْرِ  
 تُغْضُ لَهُ الْأَبْصَارُ عِنْدَ اجْتِلَائِهِ  
 وَلَيْسَ بِهِ إِلَّا الْجَلَالَةُ مِنْ كِبَرِ  
 تَرَى جَهْرَهُ جَهْرَ التَّقَى وَسِرَّهُ  
 إِذَا مَا اخْتَبَرْتَ السِّرَّ أَتَقَى مِنَ الْجَهْرِ  
 وَلَمْ يَصُحْ مِنْ يَوْمٍ وَلَمْ يُمْسِ لَيْلَةً  
 بِغَيْرِ اكْتِسَابِ الْحَمْدِ مُشْتَغِلَ الْفِكْرِ  
 وَكَانَتْ تَعْمُ النَّاسَ نِعْمَاءُ كَفَّهِ  
 فَعَمُّوا عَلَيْهِ بِالنُّصْبَةِ وَالْأَجْرِ  
 تَنَاعَاهُ أَقْطَارُ الْبِلَادِ تَفَجَّعًا  
 لِمَضْرَعِهِ تَبْكِيهِ قُطْرًا إِلَى قُطْرِ  
 تَبَاشَرَ بَطْنُ الْأَرْضِ أَنْسَاءً بِقُرْبِهِ  
 وَأَضْحَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ خَاشِعَةُ الظُّهْرِ  
 وَلَمْ تَكْ تَسْقِ الْأَرْضَ إِلَّا بِسَيِّبِهِ  
 إِذَا مَا جَفَا أَقْطَارَهَا سُبُلُ الْقَطْرِ  
 إِذَا نَشَأَتْ يَوْمًا لِكَفَّيْهِ مِرْنَةٌ  
 أُدِيلَ الْغِنَى فِي كُلِّ فَجٍّ مِنَ الْقَفْرِ  
 هَوَى جَبَلُ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مَعْقِلًا  
 وَعِزًّا لِدِينِ اللَّهِ ، ذُلًّا عَلَى الْكُفْرِ

عَجِبْتُ لِأَيْدِي الْحَتَفِ كَيْفَ تَغْلُغَلْتُ  
إِلَيْكَ وَبَيْنَ النَّسْرِ بَيْنُكَ وَالنَّسْرِ  
وَمَا كُنْتُ بِالْمُغْضِي لِدَهْرٍ عَلَى الْقَدَى  
وَلَا لَيْنٍ لِلْحَادِثَاتِ عَلَى الْقَسْرِ  
وَلَوْ دَفَعَ الْعِزُّ الْحِمَامَ عَنْ أَمْرِي  
لَمَا نَالَ عَمْرًا لِلْحِمَامِ شَبَا ظَفْرِ  
أَلَمْ تَكُ أَسْبَابُ الرَّدَى طَوْعَ كَفِّهِ  
تُبِينُ لِيَصْرَفِي مَا يَرِيشُ وَمَا يَبْسُرِي  
إِذَا صَاحَ دَاعِي الرُّوعِ سَارَ أَمَامَهُ  
لِوَاءَانِ مَعْقُودَانِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ  
يُقَسِّمُ أَجَالَ الْعِدَى عَزْمُ بَأْسِهِ  
بِهِنْسِدِيَّةٍ بِيضٍ وَخَطِيئَةٍ سُمْرِ  
وَمَا ذَبَّ إِلَّا عَنْ حِمَى الدِّينِ سَيْفُهُ  
وَلَا قَادَ خَيْلِ اللَّهِ إِلَّا إِلَى ثَغْرِ  
وَقَدْ كَانَ يَقْرِي الْحَتَفَ أَعْدَاءَ سِلْمِهِ  
فَأَضْحَى قَرَى مَا كَانَ أَعْدَاءَهُ يَقْرِي  
تَوَلَّى أَبُو عَمْرٍو فَقُلْنَا لَنَا عَمْرُو  
كَفَانَا طُلُوعُ الْبَدْرِ غَيْبُوبَةُ الْبَدْرِ  
وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو مُعَادَا حَبَاتِهِ  
بِعَمْرٍو ، فَلَمَّا مَاتَ مَاتَ أَبُو عَمْرٍو  
وَكُنَّا عَلَيْهِ نَحْذَرُ الدَّهْرَ وَحَدَّهُ  
فَلَمْ يَبْقَ مَا يُخْشَى عَلَيْهِ مِنْ الدَّهْرِ  
وَهَوْنٌ وَجُنْدِي أَنْ مَنْ عَاشَ بَعْدَهُ  
يُلَاقِي الَّذِي لَاقَى وَإِنْ مُدَّ فِي الْعُمُرِ  
وَهَوْنٌ وَجُنْدِي أَنْتَنِي لَا أَرَى أَمْرًا  
مِنْ النَّاسِ إِلَّا وَهُوَ مُغْضٍ عَلَى وَثَرِ



رَمَتْنا اللَّيالي فيكَ يا عَمْرُو بَعْدَ ما

( حَمِيدُنا بِكَ ) الدُّنْيَا ، بِقاصِمَةِ الظَّهْرِ

سَأَجْزِيكَ شُكْرِي ما حَبِيبْتُ فَإِنْ أَمُتْ

أَبَقْتُ ثَناءَ فيكَ يَبْقَى إلى الحَشَرِ

وأوْثِرُ حُزْني فيكَ دُونَ تَجَدُّسِدي

وإِسْبالَ دَمْعٍ لا بَكِيٍّ ولا نَزْرِ

وذكر الشمشاطي صاحب كتاب الانوار في محاسن الاشعار في ص ٣٠٤ هذه  
الارجوزة التي اخل بها الديوان

تخايل التَّبْتُ به الجَعْدُ القَطَطُ

كأَنما الوَشْيُ عليه قد بُسِطُ

للطَّير فيه أنْفُ اليوم لَغَطُ

من كلِّ عَفراءَ بَدْفِها رَقَطُ

وبالْجناحِينِ وبالرَّأسِ خُطَطُ

أوفيتُ ( والمَيْسانُ ) من نوم يَغَطُ

بصادقِ اللحْظِ قُطامي سَلِطُ

ما يَلُتْقُ بالمخْلِيبِ من مَسْكَ يَعْطُ

وخُسرَطُ الموتُ عليها إِذْ خُسِرَطُ

قَدَفَنَ ذَرَقاً كَعَثانينِ الشُّمُطُ

أما رأيتِ النَّارَ بِسالحِفاءِ قَسَطُ

وعازِبٍ باكرهُ الفُرسُ الفُرُطُ

نَوَّارُهُ مِثْلُ الذُّبَالِ قد سَلَطُ

قال لهُ الغَيْثُ من الرِّوَادِ مِطُ

( وطائِهَةُ الرُّط ) إِذا لاقينَ زُطُ

وبذُنابِها وبالحِيسِدِ نَقَطُ

كَأَنَّ دِيباجاً عليها لم يَخُطُ

والليلُ بِالصَّبحِ مَلُوثٌ مُخْتَلَطُ

أَقْبى رَحِيبِ الشَّيرِ مَحْبوكُ سَبِطُ

حتى إِذا حُدَّ مَقاطُ فَنَشِطُ

ومرَّ يَهوي كالْحِسامِ المَتَعَطُ

يَصْكُها صَكاً دِراكاً وَيَحُطُ

(٣)

وذكر صاحب الانوار ومحاسن الأشعار في ص ٣٠٩ هذه القطعة وقد اخل بها  
الديوان .

جَوْنَةُ فُلُكٍ بها تَرْفُلُ

كما ذُعِرَ النِّقْنِيقُ المُجْفَلُ

شِراعُ مَرَّتْ دَرَّةُ الأَحْبَلِ

وَضَمْنَتْها كَعُقابِ الظُّلامِ

فَلاحَتْ بِدَجَلَةٍ مُرْقَدَةٌ

وكَسادَ يَطِيرُها بِالْفَضاءِ

كأنّ همّاهم حيزوميهما      هديرُ القُروم بها أفكَلُ  
 إذا البسفي أعندها في المسير      تلاقى بها قلبٌ حوَلُ  
 يقومها جورٌ سكّانها      إذا هي عن قصدها تعدل  
 فأفضى بها متنٌ مغرورب      يسامي غواربته أشكَلُ  
 كأنّ تسلّاطم آذيتَه      رباطٌ لها هدبٌ مُخملُ

### شعر علي بن محمد الحماني العلوي الكوفي

ونشر السيد محمد حسين الاعرجي شعر علي بن محمد الحماني في مجلة المورد المجلد الثالث ، العدد الثاني ١٩٧٤ ، وقد كان له ديوان مجموع كما ذكر ذلك ابن عنبه المتوفى سنة ٨٣٨ هـ ، واعاد ذكر ذلك اسماعيل البغدادي <sup>(١)</sup> ويبدو ان شعر هذا الشاعر قد ضاع في تضاعيف الزمن ، وتبدد في مطويات الكتب ، فكلما ظهر كتاب نهضت مقطوعات وقصائد تعيد لهذا الشاعر ولغيره من الشعراء الذين ضاع شعرهم بعض ما يمكن ان يضاف الى شعرهم المنشور .

( ١ )

ذكر له الشمشاطي في الانوار ومحاسن الاشعار في الباب السابع في الطرد والجوارح وما يصطاد من السوانح والبوارح ما قاله علي بن محمد العلوي الكوفي في الكلب <sup>(٢)</sup> .

صبَّ الى عبادة الملوك      بات على الفراش كالموعوك  
 من زَمَعٍ مضطرم التحريك      حتى إذا احسَّ بالذلوك  
 وصفعت اواخرُ الملوك      بادّر مثل السرجل المسلوك  
 يمسحُ وجهه كلبه صُعلوك      اصفرّ مثل الذهب المسبوك  
 ذي مقلةٍ قليلة الشكوك      حمّالٍ اوزار السدم المسفوك  
 وله ايضاً : <sup>(٣)</sup>

لظالماً نمتُ على الصلاة      وقد أمنت روعة ( البيات )  
 ( يوري ) يلاقي اوجه العُداة      يلقاك جَوّال بشاهقات  
 اغضف عطفاً على الاصوات      يهوي هوي المنصات <sup>(٤)</sup>

(١) مقدمة الديوان . المورد / ٢٠٠

(٢) الشمشاطي . الانوار ٢٦٣ تحقيق صالح مهدي العزاوي

(٣) الشمشاطي . الانوار / ٢٦٣

(٤) كذا في الانوار والبيت مختل . .

مُقْتَدِرٌ مِنْهَا عَلَى الْأَقْوَاتِ  
يَا لَذِئْسِي فَيْكَ إِلَى الْمَمَاتِ

مُيَمَّنٌ السُّطُوءُ وَالشَّدَاتِ  
فِي هَبَوَاتٍ مُتَزَوِّبَعَاتِ  
وله أيضاً : (١)

يَا أَيُّهَا الثَّعْلُبُ وَثْبًا وَثْبًا  
إِنْ عَرُوسًا مَلَأْتُكَ رَعْبًا  
أَوْ عَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ هَبًا  
طَرَفًا شَرَافِيًّا وَنَحْدًا شَطْبًا  
يَقْطَعُ اسْرَاسَ الْقِيَادِ جَدْبًا  
طَيَاهَا التَّرَابَ قَسْرَبًا  
تَأْبَى كَلَابِي لَكَ إِلَّا جَرَبًا  
كَمَا رَأَيْتَ الْكُوكَبَ الْمُنْصَبًا  
تَرَى لَهَا إِذَا الطَّرَادُ غَبَا  
وَبُرْتَنًا شَنْنًا وَمَتْنًا رَحْبًا  
إِذَا اشْرَأَبَتْ مَرَحًا وَشَغْبًا  
يَا لَكَ كَلْبًا مَا ابْتَغَيْتَ كَلْبًا (٢)

يَأْبَى فَوَادِي لَكَ إِلَّا حَبَا

( ٢ )

وذكر له الشمشاطي في الأنوار ومحاسن الأشعار في البزاة (٣) وقد اخل بها الديوان  
قد اغتدي والليل ورد منسره  
موكب دهم لائحات غرره  
والفسجر مولود بين صغره  
بأشوس الغدوة سام نظره  
كسأن من يبصره لا يبصره  
فصح مرآه لنا ومخبصره  
كأنما ألفت عليه آزره  
أو اسود اللثة شابت طرره  
يطوي الظلام والظلام ينشره  
يبادر الناظر وهو يسدده  
يزهواه بعد ابنه تجبصره  
أطول عمر ما رآه أقصره

( ٣ )

وذكر صاحب نهاية الارب ٦٦/١ فقال : وقال العلوي :

هسا إنها الجوزاء في أفقها  
نطاقها واه لسي أفقها  
واهية نسائمة تسحب  
ينسل منها كوكب كوكب

( ٤ )

وذكر جامع الديوان في القطعة ( ٥٧ ) أربعة أبيات نقلاً عن أنوار الربيع ٢٢١ / ٣

(١) الشمشاطي : الأنوار / ٢٦٣ . (٢) الشطر الأول كذا في الكتاب وهو غير مستقيم .

(٣) الشمشاطي : الأنوار / ٢٨٦ .

وقد عثرت على بيتين جديدين في مخطوط هما :  
وبماء لؤلؤة جسرى      في ماء ياقوت مدوف  
وبحيرة الاجفان عند تضايق الدمع الدروف  
ويكون تسلسلها بعد البيت الثاني

( ٥ )

وذكر جامع الديوان القطعة ( ٥٣ ) وهي اربعة وعشرون بيتاً وقد عثرت في المخطوط  
نفسه على بيت جديد يأتي بعد البيت العشرين وهو  
السلابسات البدر ما      بين الحواجب والمراشف

( ٦ )

وعثرت في المخطوط نفسه على بيتين جديدين اخل بهما المجموع وهما :  
وعهدي بالعقارب حين تشتو      تخفف لسدغها وتقل خيرا  
فما بال الشتاء اتى وهذي      عقارب صدغه تزداد شرا

مخططات تحقيقية على ديوان

## زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ

( طبعة دار الكتب )

الدكتور محمود عبد الله الجادر

كلية الآداب — جامعة بغداد

ثمة طريقان مشهوران لرواية ديوان زهير بن أبي سلمى ، أولهما طريق رواية الأصمعي البصرية التي تضمنها شرح الشنتمري لدواوين الستة الجاهليين ، وثانيهما طريق رواية ثعلب الكوفية .

وقد حُققَت رواية الأصمعي التي تضم ست عشرة قصيدة لزهير ضمن ما حقق من دواوين الشعراء الستة ، وحققَت منفردة ، وطُبعت أكثر من مرة ، بيد أن رواية ثعلب حُققَت مرة واحدة في نشرة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٤ م<sup>(١)</sup> .

ولعل الموازنة بين الروايتين البصرية والكوفية كفيلاً أن تقرر لدى الباحث حقيقة واضحة وهي أن الرواية البصرية تظل الأكثر تشدداً لتمييزها بندرة المروي بالقياس إلى الرواية الكوفية التي ضمت خمساً وخمسين قصيدة ومقطوعة<sup>(٢)</sup> ، ولعل ذلك هو السر في كثرة تداول نشرة دار الكتب للرواية الكوفية بأيدي الدارسين ، وهي نشرة علمية موثقة تكفلت مقدمتها بدراسة عدة أمور تتعلق بالديوان وصاحبه وشارحه ، ثم عيّنت

(١) انظر حول طبعات ديوان زهير ورواياته : مصادر الشعر الجاهلي — د. ناصر الدين الأسد ، مصر ١٩٥٦ م ص ٥٢٦ ، ٥٤٢ ، العصر الجاهلي — د. شوقي ضيف ، مصر ( د . ت ) — ص ٣٠٤ - ٣٠٦ .

(٢) ذلك هو مجموع القصائد والمقطوعات ، بيد أن الشارح نص على نسبة المقطوعة المثبتة في الصفحة ٣٦٦ إلى خنساء بنت أبي سلمى أخت زهير ، والمقطوعة الواردة في الصفحة ٣٦٧ إلى أبي سلمى والد زهير ، ونص على اشتراك زهير وابنه كعب في قول القطعتين الواردتين في الصفحتين ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، وتكرر في نسبة القصيدة الواردة في الصفحة ٢٥٣ بين زهير وأخيه أوس بن أبي سلمى ، والقصيدة الواردة في الصفحة ٢٨٤ بين زهير وصرمة بن أبي أنس الأنصاري ، والقصيدة الواردة في الصفحة ٣٥٨ بين زهير وابنه كعب ، ومجموع ذلك سبع قصائد ومقطوعات ، وعلى هذا يسلم لزهير عند ثعلب ثمان وأربعون قصيدة ومقطوعة .

بتقديم النصوص وشرحها معتمدة على خمس نسخ خطية وصفتها في المقدمة ، واستعانت بعد ذلك بالهوامش على استكمال النواقص وتوضيح الغوامض والإحالة على المصادر في حل بعض المشكلات التي قد تعترض قارئ الديوان أو تستغل على الدارس المتخصص . وبالرغم من استيفاء النشرة شروط التحقيق العلمي فإنها لا تسلم من أن يرد عليها بعض الملاحظات مما كان بوسع المحقق أن يتجاوزه لو أنه بذل جهداً أوفى في متابعة بعض المصادر التي عنت بشعر زهير ، ولعله فعل ذلك ولكنه لم يشأ أن يثقل هومشه بأمور قد لا تغني القراءة العابرة بالرغم من أنها مما لا يستغني عنه باحث علمي متخصص<sup>(١)</sup> . ولقد أتيت لي أن أعتمد على هذه النشرة في دراسة أكاديمية متخصصة<sup>(٢)</sup> فكان أن وضعت يدي على ملاحظات مما يمكن أن يغني الديوان ويمنح الدارسين وجوه انتفاع أخرى منه ، ولتيسير متابعة هذه الملاحظات سأجملها في الحقلين التاليين :

**أ - القصائد والمقطوعات والأبيات التي يقوم حول نسبتها إلى زهير شك مما هو مثبت في الديوان .**

مما يدخل في هذا الباب نماذج تتوفر إشارات قديمة - بعضها مثبت في طبعة الديوان نفسه - إلى اعتلال نسبتها ، على أن بعضها مما لم يشر أحد من القدامى أو المحدثين إلى نسبته بشيء ووجدته منسوباً إلى شعراء آخرين في دواوينهم أو في بعض المصادر ، على أن مما ينبغي أن يلاحظ أن ما تنازع عليه زهير وابنه كعب من هذه النماذج يشكل العدد الأوفى ، وتلك ظاهرة قد يكون مبعثها اشتراك الاسمين وسهولة سقوط اسم كعب أو إضافته إلى اسم زهير على ألسنة الرواة أو أقلام النساخ ، أما سائر النصوص فينازع زهيراً على نسبتها شعراء جاهليون أو مخضرمون أو اسلاميون ، وسأعمد إلى الحديث عن كل نص حسب تسلسل وروده في طبعة الديوان تيسيراً للمتابعة وتجنباً للخلط<sup>(٣)</sup> .

(١) لعل من أهم المصادر التي لم يطلع عليها المحقق مخطوطة من شرح ثعلب لديوان زهير موجودة بمكتبة ( نور عثمانية ) بتركيا ، وهي التي أشار إليها الدكتور ناصر الدين الأسد في مصادر الشعر الجاهلي ٥٢٣ ، وذكر أن فيها خمس قصائد مما لم يتضمنه المطبوع ، وإنها تضم نصوصاً لأبي عمرو الشيباني تشير الشك في صحة نسبة عدد من القصائد والمقطوعات إلى زهير مما تضمنه المطبوع ، وقد اعتمدت على هذه الإشارات في بعض ملاحظاتي على طبعة الديوان .

(٢) وذلك في دراستي الموسومة بـ « شعر أوس بن حجر ورواياته الجاهليين » بغداد ١٩٧٩ .

(٣) لن يتضمن المسرد ما ورد من قصائد نص الشارح في النسخة المطبوعة من الديوان على اعتلال نسبتها مما لم يتوفر دليل تأريخي أو فني على خلاف المنصوص عليه بشأنه .

لمن الديارُ بقنسةِ الحجرِ أقوينَ من حججٍ ومن دهرٍ<sup>(١)</sup>

وهي ثلاثة وعشرون بيتاً .

رواها الأصمعي ، ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق شرح ثعلب . ذكر أبو الفرج الأصفهاني في قصة طويلة أن الخليفة المهدي استنشد المفضل الضبي هذه القصيدة فأنشده إياها مبتدئاً بالبيت الرابع منها وهو قوله

دع ذا وعدَّ القول في هرم خير الكهول وسيد الحضير

فلما استنشدتها حماداً زاد فيها الأبيات الثلاثة الأولى ، ثم أقر فيما بعد أنه نحلها زهيراً<sup>(٢)</sup> ونحن لو تأملنا الأبيات الثلاثة موضع الشك لوجدناها لوحة طلل تقليدية لا تتجاوز تفاصيلها تحديد عوامل فناء الطلل ( الزمن ، الريح ، المطر ) وموضعه ، ثم ينتهي الأمر بشكل مفاجئ لينفتح على مديح هرم متجاوزاً بقية حديث الطلل الذي عودنا زهير على استكمالها بسياقة الإشارات إلى عوامل تخليده ( الوشم المرجع ، الحيوان الذي يعمره ، النبات الذي تكسوه خضرته . . . الخ ) فضلاً عن حديث النسب والرحلة وما إلى ذلك مما لا تكاد قصيدة مديح لزهير — لا سيما إذا كان الممدوح هرماً — تتجاوزه فيما بين أيدينا من قصائده

إن هذا النقص والانقطاع قد يقدم مسوغاً مقبولاً للشك في أمر أبيات الطلل الثلاثة ، ولكننا نميل إلى تقرير الوجه الآخر للحقيقة بشأنها حيث نذهب إلى الزعم بانتمائها إلى القصيدة في الأصل ، ثم نقرر أن بينها وبين مقطع المديح الذي يليها مباشرة أبياتاً ساقطة لا نستطيع أن نقرر شيئاً بشأنها في حدود ما يتيسر من المصادر ، وذلك ما يدعمه في نظرنا أن زهيراً لم يمدح قط دون أن يمهد لمديحه بتمهيد بطول أو يقصر — وذلك ما يشهد عليه ديوانه — فضلاً عن أن الأبيات الثلاثة مما ورد في رواية الأصمعي ، وما ورد خلافاً بين العلماء على شرحه وتفسيره<sup>(٣)</sup> ، وأغلب الظن أن هؤلاء العلماء ما كانوا ليفرغوا لرواية الأبيات وشرحها دون أن يمسوا نسبتها بشيء لو أنهم جربوا عليها وضعاً من حماد أو من غير حماد .

(١) الديوان ٨٦ .

(٢) أنظر الأغاني ( دار الكتب ) ٦ : ٩٠ - ٩١ .

(٣) أنظر شرح ثعلب للبيت الأول منها وما ساقه من آراء العلماء في رواية عجزه وشرحه .



٢ - القصيدة التي مطلعها

رأيتُ بني آلِ امرئِ القيسِ أَصْفَقُوا      علينا وقالُوا إِنَّا نَحْنُ أَكْثَرُ<sup>(١)</sup>  
وهي ثمانية أبيات .

رواها الأصمعي ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق شرح  
ثعلب . وقد وجدت البيتين الثالث والرابع منها وهما قوله :

خَلُّوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عَكْرَمَ وَادْكُرُوا      أَوَاصِرَتَا وَالرَّحِمَ بِالْغَيْبِ تُذَكِّرُ  
وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ عَلَى مَا نَسُومُكُمْ<sup>(٢)</sup>      لَمِثْلَانِ أَوْ أَنْتُمْ إِلَى الصَّلْحِ أَفْقَرُ  
منسويين إلى أبي طالب في بعض المصادر برواية البيت الأول منهما بهذه الصيغة  
خَلُّوا حَظَّكُمْ مِنْ وَدُنَّا إِنْ مَسَّنَا      إِذَا ضَرَّسَتْنَا الْحَرْبُ نَارٌ تَسْعَرُ<sup>(٣)</sup>  
وهي الرواية التي أثبتتها ثعلب في شرحه على أنها رواية ثانية للبيت .

٣ - القصيدة التي مطلعها

أَبْتُ ذَكَرٌ مِنْ حَبٍّ لَيْلَى تَعُودُنِي      عِيَادَ أَخِي الْحَمَى إِذَا قَلْتُ أَقْصَرَا<sup>(٤)</sup>  
وهي خمسة عشر بيتاً .

لم يروها الأصمعي ، ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق  
شرح ثعلب برواية حماد . على أن الدكتور ناصر الدين الأسد نقل عن مخطوطة ( نور  
عثمانية ) من الشرح - وهي مخطوطة لم يطلع عليها المحقق - أن أبا عمرو الشيباني نسب  
القصيدة إلى كعب بن زهير<sup>(٥)</sup> .

والقصيدة مثبتة في ديوان كعب بشرح السكري عدا البيت الخامس منها<sup>(٥)</sup>  
وهي ترد فيه بهذا التسلسل قياساً إلى تسلسل ورودها في ديوان زهير : ٨، ٣، ٢، ١ ،  
( البيت الخامس ساقط ) ، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ٤، ٥، ٦، ٧ .

(١) الديوان ٢١٣ .

(٢) الوحشيات - أبو تمام ( ٢٣١ هـ ) تحقيق عبدالعزيز الميمني ومحمود محمد شاكر ، مصر ١٩٦٨ -  
ص ١٢١ والحماسة الشجرية - ابن الشجري ( ٤٥٢ هـ ) تحقيق عبدالمعين الملوحي ، دمشق ١٩٧٠ م -  
ص ٦٠ .

(٣) الديوان ٢٦٠ .

(٤) أنظر مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٣ .

(٥) شرح ديوان كعب بن زهير - ( طبعة دار الكتب ) مصر ١٩٥٠ م - ص ١٢٢ .

والذي يرجح لديّ أن القصيدة لكعب لما هو واضح من توجهه في عامة تمهيدات قصائده إلى روح التصعلك لا سيما في وصف رحلاته الفردية ، وذلك ما يشيع في تمهيد هذه القصيدة بشكل واضح وصريح ، أما ديوان زهير فلا يشهد على مثل هذا التوجه بصورة عامة إذا أمعنا هذه القصيدة منه ، وإنما تطالعنا تمهيدات قصائده بأداء هادي رصين ينم عن روح اجتماعية لا تكاد تمت بسبب إلى هذا المناخ الفردي العنيف الشائع في الأبيات <sup>(١)</sup>

#### ٤ - القصيدة التي مطلعها

هل في تذكر أيام الصبا فنَدُ أم هلّ لما فات من أيامه ردَدُ <sup>(٢)</sup>  
وهي اثنان وثلاثون بيتاً .

لم يروها الأصمعي ، وورد في شرح ثعلب بإسناده عن حبيب بن راذان عن أبيه قصة طويلة مختصرها أن عبد الله بن عباس ( رض ) دخل على عمر بن الخطاب ( رض ) وعنده نفر من أصحاب رسول الله ( ص ) كانوا قد اختلفوا في شعر الناس ، فحكموا ابن عباس ( رض ) ففضل زهيراً ، فاستنشد عمر من شعر زهير فأنشد القصيدة في مدح آل أبي حارثة .

إن دراسة الحقائق المتعلقة بهذه القصيدة الطويلة قد تحمل على التوقف عند جملة أمور بشأن صحة نسبتها إلى زهير ، من هذه الأمور :

أ - أشار المحقق في دراسته لنسبته القصيدة إلى أن قصة إنشادها في مجلس عمر ( رض ) وردت مع الأبيات الخمسة الأخيرة منها فقط في نسخة واحدة من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها ، وإن القصيدة وردت كاملة مع قصة إنشادها في نسختين أخريين بعد تمام الديوان وقبلها النص التالي : « تم وكل ديوان شعر زهير بن أبي سلمى . . . قال أبو أحمد عبد السلام : مما قرأت على شيخنا أبي رياش أحمد بن أبي هاشم قال : تشاجروا في الشعر بين يدي عمر بن الخطاب رحمة الله عليه . . . القصة » <sup>(٣)</sup> .

(١) للمستزيد أن يرجع إلى الفصلين الأول والثاني من الباب الثاني من كتابي ( شعر أوس بن حجر ورواته الجاهلين ) ليقف على محاولة تحليل صور الافتتاح والرحلة في ديواني زهير وابنه كعب بشكل تفصيلي .

(٢) الديوان ٢٧٨ .

(٣) أنظر الهامش المرقم (٤) من الصفحة المرقمة ٢٧٨ من الديوان .

وهذا كلام يخرج منه بالقول بأن القصيدة لم ترد كاملة في متن ديوان زهير برواية ثعلب في أي من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها المحقق ، وأن ما ورد منها خمسة أبيات فقط في نسخة واحدة من هذه النسخ .

ب - وردت الأبيات الخمسة الأخيرة في مخطوطة ( نور عثمانية ) التي لم يطلع عليها المحقق مقدمة بقوله : « ولم يملها أبو نصر ، ويقال هي لأبي الجويرية العبدي ، وهي في شعره طويلة »<sup>(١)</sup> .

ج - كثر استشهاد القدامى بهذه القصيدة في حديثهم عن قدرة زهير على التصرف في فنون البيان أو في حديثهم عن بعد نظر عمر بن الخطاب ( رض ) وعبدالله بن عباس ( رض ) في الشعر ، ولكن عامة من استشهد بها لم يتجاوز الأبيات الخمسة الأخيرة منها فقط<sup>(٢)</sup> .

د - ورد البيتان الأول والرابع من الأبيات الخمسة الأخيرة منسوبين إلى أبي الجويرية العبدي في بعض المصادر القديمة سوى مخطوطة ( نور عثمانية )<sup>(٣)</sup> .

هـ - تشير الدراسة الفنية للأبيات السبعة والعشرين الأولى من القصيدة إلى أن نمطها بعيد عن نمط زهير تمام البعد ، وذلك لاضطراب معانيها ، وغرابة لغتها عن لغة زهير الشعرية ، واحتشاد فنون البديع من طباق وجناس احتشاداً ليس غريباً عن نمط زهير فحسب وإنما عن النمط الجاهلي كله ، فضلاً عما يمكن وضع اليد عليه من اتجاه إلى التهالك في المسألة وتهافت على الكرم المادي وذلك ما يشهد سائر ديوان زهير على غرابة وروده فيه .

وعلى أساس من هذا كله نذهب إلى أن الأبيات الخمسة الأخيرة فقط لزهير ، وأن سائرها ليس له ، أما اشتراك أبي الجويرية العبدي معه في نسبة الأبيات الخمسة الأخيرة كما ورد في مصدرين من المصادر التي روتها فقد يكون مبعثه أن الأبيات السبعة والعشرين

(١) مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٤ .

(٢) أنظر مثلاً : العقد الفريد - ابن عبد ربه ( ٣٢٨ هـ ) تحقيق محمد سعيد العريان ، مصر ( د . ت ) ج ٦ ص ١٢٣ ، الموشح - المرزباني ( ٣٨٤ هـ ) ، مصر ١٣٤٣ هـ - ص ٢٤٤ ، اللمدة - ابن رثيق ( ٤٥٦ هـ ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٥٦ م ج ٢ ص ٦٤ جمهرة أشعار العرب - أبو زيد القرشي ( القرن الخامس الهجري ) تحقيق علي محمد البجاوي ، مصر ١٩٦٧ م - ج ١ ص ٦٩ .

(٣) أنظر الوحشيات ٢٦١ .

الأولى من القصيدة له ، وأن روايتها اختلطت برواية أبيات زهير الخمسة وروي المجموع في ديوان أبي الجويرية الذي أشير إليه في مخطوطة ( نور عثمانية ) ، ثم روي المجموع لزهير مرة أخرى وألحقه بعض النساخ بإحدى مخطوطات شرح ثعلب ، وذلك هو التفسير المنطقي الذي يمكن أن نركن إليه في هذه المسألة ضمن حدود ما يتيسر لنا من المصادر .

٥ - القصيدة التي مطلعها :

ألا ليت شعري هل يرى الناسُ ما أرى      من الأمرِ أو يدولهم ما بدا ليا<sup>(١)</sup>  
وهي سبعة وعشرون بيتاً .

نص الأصمعي على أنها ليست لزهير<sup>(٢)</sup> ، وقد وردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب ولكن نسبتها فيها تأرجحت بين زهير وصرمة بن أبي أنس الأنصاري .

والقصيدة في التأمل والاعتبار بحادثة مطاردة كسرى للنعمان ، وذل الأخير بعد المنعة والعز ، وبالرغم من أن معلقة زهير تشير إلى قدرة خارقة على التأمل والخروج منه بوجهات نظر ناضجة فإن نمط هذه القصيدة يبدو غريباً على ديوانه ، ذلك أنها أقرب إلى التوجه الإسلامي في تحليل بعض صور الحياة والموت وذلك ما ينبغي أن يحمانا على قبول رأي الأصمعي في نسبتها إلى صرمة بن أبي أنس الأنصاري ، فلعل من عدل بها إلى زهير نظر إلى ما اشتهر عنه من ميل إلى التأمل واخضاع الحقائق لمنطق التنظير الفكري .

٦ - القصيدة التي مطلعها

لسلمى بشرقيّ القنانِ منازلٌ      ورسمٌ بصحراء اللبّيشِ حائلٌ<sup>(٣)</sup>  
وهي أربعة وعشرون بيتاً .

لم يروها الأصمعي ، ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب ، والقصيدة في رثاء سنان بن أبي حارثة ومديح ابنه هرم ، يرد في آخرها بيتان يبدوان غريبين على أبيات الرثاء والمديح التي تسبقهما وهما قوله :

(١) الديوان ٢٨٤ .

(٢) أنظر الهامش المرقم (٢) من الصفحة المرقمة ٢٨٤ من الديوان ، ونص قول الأصمعي هو : « ليست لزهير ، ويقال هي لصرمة الأنصاري ، ولا تشبه كلام زهير » ، وانظر : المعمرين والوصايا - السجستاني ( ٢٥٠ هـ ) تحقيق عبد المنعم عامر ، مصر ١٩٦١ م - ص ٨٤ .

(٣) الديوان ٢٩٢ .

وليس لمن لم يركب الهول بغيسة      وليس لرحل حطه الله حامسل  
إذا أنت لم تُقصر عن الجهل والخنأ      أصبت حليماً أو أصابك جاهل

وذلك ما قد يشجعنا على قبول ما ورد في بعض المصادر من نسبة البيتين إلى كعب ابن زهير<sup>(١)</sup> بيد أننا نبقى مترددين عن البت في الأمر لأن ثاني البيتين يرد منسوباً إلى أوس ابن حجر في عدة مصادر<sup>(٢)</sup> ، ولأن موضعه ضمن الأبيات التي ورد فيها من ديوان أوس يبدو أليق منه ضمن قصيدة زهير ، فضلاً عن أن نمط التوجه النفسي فيه يبدو أقرب إلى نمط أوس منه إلى نمط زهير ولهذا فالغالب على الظن أن البيتين لأوس .

#### ٧ - القصيدة التي مطلعها

هل تبلغني إلى الأخبارِ ناجيةٌ      تخدي كوخدٍ ظليمٍ خاضبٍ زعر<sup>(٣)</sup>  
وهي ثلاثة عشر بيتاً .

لم يروها الأصمعي ، ولم ترد إلا في نسختين من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب وقد ورد في مخطوطة ( نور عثمانية ) التي لم يطلع عليها المحقق أن أبا عمرو الشيباني قرر أنها منحولة على زهير<sup>(٤)</sup> ، ولعل مبعث ذلك ما لمسه من ابتعاد نمط القصيدة عما هو مألوف في عامة شعر زهير من سمات المتابعة والتأمل الفني ، بيد أننا نفضل ألا نتسرع في الحكم ، ذلك أن إشارة ثعلب صريحة إلى أن القصيدة مما قاله زهير في مديح سنان بن أبي حارثة والد ممدوحه هرم ، ومعنى ذلك أنها من قصائده المبكرة ، ولعلها أولى قصائده في مديح آل أبي حارثة ، فإن صدق الظن صح لنا أن نعزو سذاجة المعالجة الفنية فيها إلى ارتباطها بمرحلة التكوين الأول لشخصية زهير الفنية .

#### ٨ - القصيدة التي مطلعها

لقد أورث العبي مجداً مؤثلاً      ومحمدةً من باقيات المحامد<sup>(٥)</sup>

(١) أنظر ديوان كعب ٢٥٧ حيث أدرج المحقق البيتين نقلاً عن ( عيون الأخبار ) لابن قتيبة كما أشار في هامشه ، وقد وجدت ثاني البيتين منسوباً إلى كعب بن زهير أيضاً في العقد الفريد ج ٢ ص ١٢٠ .  
(٢) أنظر ديوان أوس بن حجر - تحقيق د . محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٧ م - ص ٩٩ ، وأنظر ص ١٦٨ حيث ذكر المحقق في التخريج أن المصادر التي نسبت إلى أوس هي الوساطة والعمدة وأمثالي ابن الشجري وخزانة الأدب .

(٣) الديوان ٣١٦ .

(٤) أنظر مصادر الشعر الجاهلي ٥٢٤ .

(٥) الديوان ٣١٧ .

وهي ثمانية أبيات .

لم يروها الأصمعي ، ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

أشار المحقق في تقديمها إلى أن إحدى النسخ الخطية تضمنت تعليقا بشأن نسبتها هو : « ويقال : القصيدة للنابغة الذبياني لا شك فيه ، وهذا غلط من الرواة » .  
وقد وجدت بعض أبيات القصيدة في ديوان النابغة الذبياني برواية ابن السكيت<sup>(١)</sup> ،  
فاذا وضعنا في الحسبان أن القصيدة في الاعتبار بموت عبي عند النعمان وإرسال النعمان  
فديته إلى أهله ، وأن النابغة كان على صلة وثيقة ببلاط النعمان ، وأن زهيراً قضى حياته  
في أرض غطفان لم يزر بلاطاً ولم يمدح ملكاً ، رجح لدينا الظن أن تكون القصيدة في  
الأصل للنابغة الذبياني .

٩ — المقطوعة التي مطلعها

أثويت أم أجمعت أنك غاد  
وعذاك عن لطف السؤال عواد<sup>(٢)</sup>  
وهي ستة أبيات .

لم يروها الأصمعي ، ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

جاء في مخطوطة ( نور عثمانية ) التي لم يطلع عليها المحقق أن أبا عمرو الشيباني  
لم يرو هذه الأبيات لزهير ، وقال إنها لكعب ابنه<sup>(٣)</sup>

والذي يبدو من توجه الشاعر إلى الإغراق في وصف الصحراء التي قطعها بالوحشة  
والوعورة أن رأي أبي عمرو أدنى إلى الصواب ، ذلك أن ديوان كعب بن زهير يشهد  
على شدة الميل إلى هذا النمط من الوصف ، أما ديوان زهير فيكاد يخلو منه إذا استثنينا  
هذه الأبيات ، ولهذا فإننا نفضل الأخذ برأي أبي عمرو بشأن نسبتها إلى كعب .

١٠ — المقطوعة التي مطلعها

إن الرزية لا رزية مثلها  
ما تبتغي غطفان يوم أضلت<sup>(٤)</sup>

(١) انظر ديوان النابغة — تحقيق د. شكري فيصل ، دمشق ١٩٦٨ م — ص ٢١٢ .

(٢) الديوان ٣٣٠ .

(٣) مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٣ .

(٤) الديوان ٣٣٤ .

وهي خمسة أبيات

روى الأصمعي الأبيات الثلاثة الأولى منها ، ووردت كاملة في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

وقد أشار المحقق في هامشه إلى أن ابن سلام قرر أن الأبيات لقراء بن حنش أغار عليها زهير ، والحقيقة أن ابن سلام لم يقرر ذلك وإنما رواه عن أبي عبيدة ، وأورد أربعة أبيات منها (١) .

وقد درس الدكتور ناصر الدين الأسد مسألة نسبتها فأشار إلى أن الأصمعي روى الأبيات الثلاثة الأولى منها لزهير ، وأن ثعلباً نسب الأبيات الخمسة كلها إلى زهير ، وأن الرواة أجمعوا على عزوها إلى زهير سوى ما ورد من إشارة ابن سلام ، وخرج من ذلك بقوله « إننا نرجح أن الأبيات الثلاثة التي رواها الأصمعي صحيحة النسبة إلى زهير أما البيتان الآخران فلهلها من شعر قراد بن حنش الذي أدخل في شعر زهير » (٢) . وذلك استنتاج مقبول في حدود ما تشير إليه الحقائق التي استند إليها .

١١ — المقطوعة التي مطلعها

ألا أبلغُ لديكَ بني سُبَيْعٍ      وأيامُ النوائبِ قد تدورُ (٣)

وهي ستة أبيات .

لم يروها الأصمعي ، ووردت في ثلاث نسخ من مجموع النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

وقد نقلت مخطوطة ( نور عثمانية ) التي لم يطلع عليها المحقق نصاً لأبي عمرو الشيباني يقرر فيه أنها ليست لزهير وإنما لرجل من بني عبدالله بن غطفان (٤) .

والذي نكاد نقطع به أن رأي أبي عمرو الشيباني بشأنها هو الصواب ، فالقصيدة في تهديد بني سبيع الذين انتهبوا صرمة من إبل غطفان ، وفي ديوان زهير قصيدتان من هذا النمط أولاهما في تهديد بني عليم وثانيتهما في تهديد بني الصيداء (٥) ، وموازنة

(١) انظر طبقات فحول الشعراء — ابن سلام ( ٢٣١ هـ ) تحقيق محمود محمد شاكر ، مصر ١٩٥٣ م ، ص ٥٦٨ .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ٥٤٢ .

(٣) الديوان ٣٣٧ .

(٤) مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٣ .

(٥) أنظر الصفحتين المرقعتين ٥٦ ، ١٦٤ .



هذه المقطوعة بهما تقرر أنها بعيدة كل البعد عن النمط العقلي الهادي الذي يسم توجه زهير في مناقشته وتهديده ، أما هذا الهجوم العنيف الذي يشيع في أبيات المقطوعة فإنه لا يشجع على قبول نسبتها إليه .

#### ١٢ - المقطوعة التي مطلعها

رأت رجلاً لاقى من العيش غبطةً وأخطأه فيها الأمور العظام<sup>(١)</sup>

وهي خمسة أبيات

لم يروها الأصمعي ، ووردت في أربع من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

ذكر الشارح في تقديمها أن زهيراً قالها في مخاطبة امرأة حسدت ابنه سالماً عندما رآته يرتدي بردين جديدين ويعتلي فرساً خيبراً فعثر به الفرس فاندقت عنقه ، وانشق البردان ، واندقت عنق الفرس .

على أن الأصفهاني يروي قصة موت سالم نفسها ولكنه يذكر أن قائل الأبيات هو كعب بن زهير<sup>(٢)</sup> ، فإذا صح رأيه فإننا نذهب إلى القول بأن المرأة المقصودة بالخطاب قد تكون ( أم أوفى ) زوجة زهير الأولى التي طلقها لموت أبنائه منها ، وبهذا التفسير تبدو معاني الأبيات أقرب إلى التعبير عن واقع العلاقة بين الشاعر والمراثي وزوجة الأب المطلقة . على أننا سنبقى رغم ذلك مقتنعين بأن البيت الخامس يشير إلى انقطاع عفيف عن الأبيات الأربعة التي تسبقه وذلك ما يشجعنا على القول بسقوط بعض أبيات الأصل من المقطوعة .

#### ١٣ - المقطوعة التي مطلعها

من يتجرم لي المناطق ظالمساً فيجبر إلى شأٍ بعيدٍ ويسسبح<sup>(٣)</sup>

وهي ثلاثة أبيات

لم يروها الأصمعي ، ووردت في أربع من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

(١) الديوان ٣٤١ .

(٢) الأغاني ج ١٠ ص ٣١٣ .

(٣) الديوان ٣٤٤ .

على أن البيتين الأول والثاني مثبتان في مجموع شعر قيس بن زهير اعتماداً على رواية الجاحظ في الحيوان (١) .

والذي نكاد نرجحه أن الأبيات لقيس مستندين إلى قرب نمطها من أسلوبه القائم على القسوة في الهجوم على خصمه .

١٤ - المقطوعة التي مطلعها :

أرادتُ جوازاً بالرسيسِ فصدّها رجالٌ قعودٌ في الدجى بالمعابلِ (٢)

وهي ثلاثة أبيات

لم يروها الأصمعي ، ووردت في جميع الأصول الخطية التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

وذكر في مخطوطة ( نور عثمانية ) التي لم يطلع عليها المحقق أن أبا عمرو الشيباني قال إنها لكعب بن زهير « وهي في شعره طويلة » (٣)

والأبيات الثلاثة المثبتة في ديوان زهير هي الأبيات السابع والعشرون والتاسع والعشرون والحادي والثلاثون من قصيدة طويلة مثبتة في ديوان كعب مطلعها قوله :

أمنٌ أم شداد رسوم المنازل توهمتها من بعد سافٍ ووايلٍ (٤)

والذي نرجحه أن تكون الأبيات لكعب لورودها في قصيدة متسلسلة المعنى في ديوانه ولاقتراب نمط القصيدة من نمط كعب الفني قريباً شديداً .

١٥ - القصيدة التي مطلعها :

نبينٌ خليلي هل ترى من طعائنٍ بمنعرجِ الوادي فُويقَ أبانٍ (٥)

وهي ستة وعشرون بيتاً .

لم يروها الأصمعي ، ووردت في ثلاث من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها محقق رواية ثعلب .

(١) شعر قيس بن زهير - جمع د. عادل جاسم البياتي ، النجف ١٩٧٢م - ص ٥٥٤

(٢) الديوان ٣٤٥ .

(٣) مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٤

(٤) ديوان كعب ٨٩ .

(٥) الديوان ٣٥٨ .

قال الشارح في تقديمها : « قال زهير يمدح هرمًا ، ويقال إنها لكعب بن زهير »  
وقد ورد البيت السادس منها وهو قوله :

لسه عتقٌ تلوي بما وُصِلَتْ به      ودفتانٍ يشتفانِ كلَّ ظعسانِ

منسوباً إلى كعب بن زهير في بعض المصادر فضمه محقق ديوانه إلى ملحقة<sup>(١)</sup>  
ويبدو من استقراء افتتاح القصيدة أنها أقرب إلى نمط كعب لا سيما وصف الصحراء  
ورفيق السفر حيث يبدو الأداء أقرب إلى روح التصعلك الشائعة في وصف كعب لهما ،  
وذلك ما قد يغري بعزوها إليه ، بيد أننا نعلم أن كعباً لم يكن على صلة بهرم ، ذلك أنه  
ترك غطفان وناصبها العداء بعد وفاة أبيه زهير<sup>(٢)</sup> ونعلم فوق ذلك أنه لم يكن ميالاً إلى  
المديح الذي لا يضم ديوانه منه سوى قصيدته في الاعتذار إلى الرسول (ص) ومديحه  
ومديح المهاجرين ثم قصيدته في مديح الأنصار .

بيد أن ذلك كله لا يغرينا بالعودة بالقصيدة إلى زهير لما ذكرناه من بعد نمطها  
في الافتتاح عن نمطه وإغراق معاني مديحها في التركيز على الكرم المادي والتهالك  
في المسألة ، وذلك مما يبرأ منه مديح زهير ، على أننا قد نجد مخرجاً من ذلك كله إذا  
تأملنا في تعليق للبكري على البيت السادس عشر من القصيدة وهو قوله :

ثنتُ أربعاً منها على ثني أربعٍ      فهسنَ بمشياتِهينَ ثمانِ

حيث قال إن القالي أنشده لكعب وأخطأ ، وإنما هو لوداك بن ثميل من قصيدته التي  
يقول فيها

مقاديم وصّالون في الروح خطوهم      بكل رقيق الشفرتين يمسان<sup>(٣)</sup>

فإن صح ذلك فقد تكون القصيدة كلها لوداك ، ولكننا سنضطر إلى التوقف عن قبول  
ذلك لما نلمسه من تباين واضح بين طابع نونية وذاك الحماسي وبين مجرى المديح الهادي  
للقصيدة التي ندرسها .

١٦ - القصيدة التي مطلعها

هاجَ الفؤادَ معارفُ الرّسمِ      قفرٌ بذِي الهضباتِ كالوشمِ<sup>(٤)</sup>

(١) أنظر ديوان كعب ٢٦٠ .

(٢) أنظر سيرته وأخبار علاقته بغطفان في كتابي ( شعر أرس بن حجر ورواته الجاهليين ) ص ٥١-٥٢ .

(٣) أنظر التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه المطبوع مع الأمالي والذيل والنوادر في مصر ( د. ت ) ص ٥٥ ،  
وقد نسب القالي البيت إلى كعب في الأمالي ج ١ ص ٦٠ و ج ٣ ص ٢٠٢

(٤) الديوان ٣٨٢ .

وهي عشرون بيتاً

لم يروها الأصمعي ، ولم ترد إلا في نسخة واحدة من النسخ الخطية الخمس التي اعتمد عليها متحقق رواية ثعلب<sup>(١)</sup> .

وقد ورد في مخطوطة ( نور عثمانية ) التي لم يطلع عليها المحقق أنها لأوس بن أبي سلمى أخي زهير<sup>(٢)</sup> ، ولكن الذي يكاد يغلب على الظن أن القصيدة لزهير لما يشيع في تمهيدها من أناة وجهه فني وفي مقطع الرثاء منها من استسلام وتأمل ، على أننا سنبقى بعد ذلك مترددين في قبول نسبة الأبيات الستة الأخيرة منها إلى زهير لما يغلب عليها من تصنع وتأنق لفظي وتهافت في المعنى وتفكك في المجرى الفني الذي يبدو أشد تماسكاً في سائر القصيدة .

ب - القصائد والمقطوعات التي لم ترد في متن الديوان ، ولم يدرجها المحقق في ملحق بالرغم من ورودها منسوبة إلى زهير في بعض المصادر .

وهي نماذج نعمل إلى إثباتها استكمالاً لما بدأنا به من محاولة الإحاطة بكل ما يتعلق بشعر زهير مما لم ترد إشارة إليه في الديوان ، على أن الشك لا يخالجننا في أن أكثر هذا الذي سنثبته منها مما لا يكاد يمت إلى نمط زهير الشعري بأدنى سبب لما يلوح عليه من أثر التوليد الذي نستطيع معه أن نقرر أنه من منحولات المتأخرين

### ( المستندرك )

١ - من أحسن ما قيل في المصارمة قول زهير بن أبي سلمى حيث يقول : ( من الطويل )

ألا يا لَقُومِي للصِّبَا إذ يقودُنِي وللوصلِ من أمسٍ إذا أنا طالِبُهُ

فلَيْتَكَ قَالِيْنِي فلا وصلَ بَيْنَنَا كذلك من يستغنِ يستغنِ صاحِبُهُ<sup>(٣)</sup>

٢ - ومن محاسنه ( زهير بن أبي سلمى ) قوله : ( من البسيط )

كم زرتُهُ وظلامُ الليلِ منسدلٌ مُسَهَّمٌ راقٍ إعجاباً بحُمُرَتِهِ

وأبُتُّ والصَّبْحُ منحورٌ بكوكبِهِ ورائقُ الشفقِ المحمَّر من دمه<sup>(٤)</sup>

(١) أنظر إشارته إلى ذلك في الهامش الأول من الصفحة ٣٦٨ من الديوان .

(٢) مصادر الشعر الجاهلي ٥٣٤ .

(٣) الموشى - الوشاء ( ٣٢٥ هـ ) تحقيق رودلف بروتو ، ليدن ١٣٠٣ هـ - ص ١١٢ .

(٤) معاهد التنصيص - العباسي ( ٩٦٣ هـ ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٤٧ م ،

ج ١ ص ٣٣٠ .

٣ - وقال زهير بن أبي سلمى ( من المديد )

ليتني خلقت للأبد  
لا تشكى شر جارتيها  
صخرة صماء في كسبد<sup>(١)</sup>  
خلقت غليظة الكبد<sup>(١)</sup>

٤ - ذكرت جميلة أنها غنت موالياتها قول زهير بن أبي سلمى ( من البسيط )

وما ذكرتك إلا هجت لي طرباً  
ليس المحب بمن إن شطَّ غيره<sup>(٢)</sup>  
إنَّ المحبَّ بيعض الأمر معذور<sup>(٢)</sup>  
هجر الحبيب وفي الهجران تغيير<sup>(٢)</sup>

٥ - وقال زهير في هرم بن سنان وأهل بيته ( من البسيط )

إليك أعملتها فتسلاً مرافقها  
حتى دُفِعت إلى حلل شمائله  
من أهل بيت يرى ذو العرش فضله  
المطعمون إذا ما أزمة أزمته  
كأن آخرهم في الجود أولهم  
إن قامروا قمرُوا أو فاحروا فاحروا  
تنافس الأرض موتاهم إذا دُفِنوا  
شهرين بجهض من أرحامها العلق<sup>(٣)</sup>  
كالغيث ينبت في آثاره الورق<sup>(٣)</sup>  
يبنى لهم في جنان الخلد مرتفق<sup>(٣)</sup>  
والطيون ثياباً كلما عرقوا  
إنَّ الشمائل والأخلاق تسفق<sup>(٣)</sup>  
أو فاضلوا فضلكوا أو سابعوا سابعوا  
كما تُنوفس الأرض موتاهم إذا دُفِنوا<sup>(٣)</sup>

٦ - وهو القائل : ( زهير بن أبي سلمى )

وإن أشعر بيت أنت قائله  
بيت يقال إذا أنشدته صدقاً<sup>(٤)</sup>

٧ - وقال زهير ( بن أبي سلمى ) ( من الوافر )

يدُ الملك الجليل تناولتْهم<sup>(٥)</sup>  
لأنَّ الخير أجمع في يديه<sup>(٥)</sup>  
ياحسان قليس له مزيسل<sup>(٥)</sup>  
وربِّي بالجزاء له كفيل<sup>(٥)</sup>

(١) الحيوان - الجاحظ ( ٣٥٥ هـ ) تحقيق عبدالسلام هرون ، مصر ١٩٤٥ م - ج ٤ ص ٢٩١ .

(٢) الأغاني ج ٨ ص ١٨٧ .

(٣) العقد الفريد ج ١ ص ٢٠١ .

(٤) العقد الفريد ج ٦ ص ١٠٤ و ١٥١ ، والبيت في ديوان حسان بن ثابت تحقيق د . سيد حنفي حسين مصر ١٩٧٤ م ، ص ٢٧٧ .

(٥) زهر الآداب - الحصري القيرواني ( ٤٥٣ هـ ) تحقيق علي محمد البجاوي ، مصر ١٩٥٣ م - ج ١ ص ٣٢١ .

٨ - قول زهير ( من الطويل )

كأنني وقد جاوزت سبعين حجة  
رمسني بنات الدهر من حيث لا أرى  
فلو أنني أرمى بنبل رأيتها  
على الراحتين تارة وعلى العصا  
خلعت بها عني عذار لجامي  
فكيف بمن يرمي وليس بسرامي  
ولكنني أرمي بغير سهام  
أنوء ثلاثاً بعدهن قسيامي<sup>(١)</sup>

٩ - قول زهير

وكائن ترى من معجب لك صامت  
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده  
زيادته أو نقصه في التكلم  
فلم يبق إلا صورة اللحم والدم<sup>(٢)</sup>

١٠ - قول زهير

نؤم سناناً وكم دونه  
من الأرض محدودباً غارها<sup>(٣)</sup>

(١) العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٤ و ج ٢ ص ٣٢٠ . وترد الأبيات منسوبة إلى عمرو بن قميئة وهي الأبيات التاسع والحادي عشر والثاني عشر والعاشر من قصيدته المثبتة في ديوانه تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي مصر ١٩٦٥ م ، ص ٣٩ .

(٢) الحماسة - البحتري ( ٢٨٤ هـ ) ، تحقيق الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩١٠ م ، ص ٣٩٧ ، العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٠ ، جبهة أشعار العرب ص ٢١١ ، شرح المعلقات للزوزني تحقيق محمد علي حمد الله ، دمشق ١٩٦٣ م - ص ١٩٧ ، وورد البيتان في حماسة البحتري نفسها ص ٢٠٥ منسوبين إلى عبدالله بن معاوية ، وقد أثبتهما الدكتور عبدالجبار المطلبي ضمن ديوان عبدالله في كتابه الأديب المفامر عبدالله بن معاوية ، بغداد ١٩٧٦ م ص ٢٨٨ وأشار في هامشه إلى نسبتها إلى زهير وإلى شعراء آخرين .

(٣) شرح عمدة الحفاظ - ابن مالك ( ٦٧٢ هـ ) تحقيق عدنان الدوري بغداد ١٩٧٧ م ص ٥٣٥ ، شوح الاشمونى القاهرة ( د . ت ) ج ٤ ص ٨٣ ، شرح المفصل ابن يعيش ( ٦٤٣ هـ ) القاهرة ( د . ت ) ج ٤ ص ١٢٩ ، شرح ابن الناظم - محمد بن مالك ( ٦٨٦ هـ ) بيروت ١٣١٢ م ، ص ٢٩١ المقاصد النحوية النحوية العيني ( ٨٥٥ ) بهامش خزنة الأدب ، ج ٤ ص ٤٩١ .

# تعليق على مقال للدكتور سعيدان (حول أبجدية عربية صالحة)

الدكتور هكتر علي الأوسلي

كلية الآداب — جامعة بغداد

من المعلوم أن الافكار العلمية المختلفة التي تعالج بها قضية ما إنما يتوخى من عرضها التوصل الى بلورة لفكرة محدودة تأخذ من كل فكرة عرضت ما فيها من جوانب الصحة الثابتة ومناحي التطبيق العملي المثمر ، ليشكون من ذلك كله حلٌ علمي للقضية المطروحة للمعالجة .

وليس لاية فكرة جديدة تُعرض لمعالجة موضوع ما احتمال في الإصابة ما لم تكن محيطة بما في الافكار السابقة عنه من نواحي النقص والقصور ومواطن التشخيص الصحيح والعلاج الناجح .

ولقد امتلأت المقترحات التي عالجت قضية الابجدية العربية بالكثير مما يمكن أن يساهم مساهمة علمية بناءة في دعم ابجديتنا وتطويعها لمتطلبات التقنيات الطباعية الحديثة المتطورة ، ولكن الكثير ايضاً من هذه المقترحات قد جانب النظر العلمي الموضوعي الذي يأخذ في اعتباره العمق التاريخي والحضاري الموغل في العراقة بلغتنا القومية وأبجديتها على الشكل الذي وصلت اليها فيه .

وآخر ما عرض من مقترحات حول الابجدية العربية هو مقال للدكتور احمد سعيدان عضو مجمع اللغة العربية الاردني ، نشره في العدد المزدوج ٣ — ٤ السنة الثانية ، نيسان ١٩٧٩ من مجلة المجمع بعنوان : « حول ابجدية عربية صالحة » وقد وجدت في هذه المقترحات ما ينبغي أن يناقش فيه الدكتور سعيدان لغرابته ما جاء فيها وبعده عن أن يكون حلاً علمياً عملياً لحاجات الابجدية العربية ، ولمتطلبات التراث العربي الزاهر ، وللواقع القومي الراهن المتطلع الى ما يعزز عناصر القوة والوحدة فيه ، ويدفع عوامل الخور والفرقة عنه .



واذ انني لا اريد أن استعرض ، هنا ، الآراء الكثيرة التي تناولت هذا الموضوع ،  
بنية صادقة أو غير صادقة ، فاني سأكتفي بمناقشة موجزة لآراء الدكتور سعيدان ،  
أخصها في النقاط الآتية :

١ - يعترف الدكتور سعيدان بفضل الخط العربي لما في ماضيه الغابر من ابداع  
وجمالية ، وما في حاضره القائم من الاختزال الذي « لا يخلو من فائدة ومزايا » . ولكن  
القصور الذي تعاني منه الابجدية العربية ، في نظره ، ان هذا الخط لا يواكب الطباعة  
الحديثة والكتابة الآلية اللتين تقتضيان « اقل عدد ممكن من اشكال الحروف » و« أن  
تكون هذه الاشكال واضحة متميزة بعضها عن بعض » . هذا في حين ان الابجدية  
العربية تصل الاشكال المختلفة لحروفها الى « اربعمائة وخمسين شكلاً » ، بحسب موقع  
الحرف في اول الكلمة او في وسطها او في آخرها .

هذا هو جوهر اعتراضه على الخط العربي . وقد فاتته ان يدرس خطوط الكثير من  
اللغات الاخرى الغنية بتراتها القديم وبما حققته من نهضة علمية حديثة ، وفي خطوط  
لغتها وابجديتها في الاشكال والمشكلات ما يفوق اشكال الحروف العربية بآلاف المرات .  
لقد فاتته هذا كما فات ، من قبله ، ادباء مفكرين أمثال عبدالعزیز فهمي وسلامة موسى  
حين دعوا الى الخط اللاتيني ، وبذ الخط العربي ، لأن في ذلك ، كما توهم سلامة  
موسى ، « وثبة الى المستقبل » ، ولأننا ، كما توهم ايضاً ، لا نستطيع أن ندرس العلوم  
بلغتنا وهي تكتب بالحروف العربية الحاضرة .

والغريب العجيب أن من يقول بهذا ينسى او يتناسى أن ما كل أمة كتبت لغتها  
بالحروف اللاتينية متقدمة ، ولا كل أمة كتبت بحروفها القومية البعيدة كل البعد  
عن الخط اللاتيني متأخرة .

هذه تركيا وقد نبذت الخط العربي واستعارت الخط اللاتيني ، فماذا أفادها ؟ أو  
أخرجها من صفوف الأمم النامية ؟ وهذه امريكا اللاتينية ، هل دولها في مصاف الأمم  
المتقدمة او هي من الدول النامية ؟

وهذه اليابان ، أهى من الدول المتقدمة أم النامية ؟ وخطها يتألف من آلاف عديدة  
من الرموز الكتابية ، لم تستطع كل الجهود الحكومية والفنون التقنية الحديثة اكثر من أن  
تختزل هذا العدد الهائل الى ( ١٨٥٠ ) ألف وثمانمائة وخمسين رمزاً فقط لاغراض  
الاستعمالات الرسمية واليومية . ولم تتم هذه الجهود إلا بعد الحرب العالمية الثانية . ولم يمنع

الخط الياباني اليابانيين ، لا برموزه الكتابية البالغة الآلاف ، ولا برموزه المختزلة المقاربة للألفين ، من أن يكونوا في مقدمة الدول المتقدمة في العلم والصناعة وفي جميع مجالات التقنية الحديثة . وقل مثل ذلك عن الخطوط الصينية والكورية وغيرها .

٢ — يعزو الدكتور سعيدان ما يقع في الكتب العربية من أخطاء طباعية الى وجود اسنان لبعض الحروف العربية فوقها أو تحتها نقطة أو أكثر .

وفي نظري أن حصول أخطاء طباعية في مطبوعاتنا العربية لا يمكن أن يعزى الى شكل الحروف بقدر ما يعود ذلك الى عدم ضبط التصحيح الطباعي ، أو اسناد مهمته الى من لم يصب من الثقافة ، العامة أو المتخصصة بموضوع المطبوع ، ما يؤهله لاداء هذه المهمة كما ينبغي .

٣ — يخلص الدكتور سعيدان ، بعد هذا ، الى ما يراه « صفوة القول » في مسألة اصلاح الحروف العربية ، فيرى « أن نكتب ، كما يكتب معظم الامم ، بحروف منفصلة » . وهنا تظهر له مشكلة جديدة يعبر عنها بقوله : « فاذا كتبنا بحروف منفصلة ، . . . ، صارت كلماتنا آخذة في الطول ، عديمة التناسق الى حد منفرّ يجعل العين تقرأ كلمة كلمة ، في حين انها ، في اللغات الاوربية ، قد تستوعب بضع كلمات بنظرة واحدة » . ولكي يبعد هذا الاشكال عن اقتراحه يرى « أن تمتد الحروف رأسياً لا أفقياً » ثم يعرض علينا ما يراه صورة لهذه الحروف الابجدية المنفصلة التي يقترحها فاذا هي الحروف العربية المعروفة مع اختلاف يسير في كتابة بعضها اذ تمتد رأسياً لا أفقياً . ولكن ترتيبه لهذه الحروف على هذا الشكل الذي تصورها فيه لا يحالفه فيه التوفيق ، ذلك أنه وضعها في نفس التسلسل المعروف الا انه يرسم الباء والتاء والتاء ورأسها الى الاسفل ، في حين أنه رسم السين والشين والصاد والضاد ورأسها الى الأعلى ، ثم عاد فرسم الفاء ورأسها الى أسفل ، وكان قد ذكر الالف والواو والياء منفصلات على انها حروف مد ، ورسم الياء ورأسها الى الأعلى . ثم ذكر ما دعاه بالاصوات المستحدثة ، ويعني بها بعض الاصوات الاعجمية التي تتردد في العربية الحديثة ، ووضعها بشكلها اللاتيني الى جانب الحروف العربية المنفصلة ، وهي V.P.G. ثم اعتبر الحركات الاعرابية المعروفة اشكالاً اخرى تكتب او تطبع بعد الحرف مباشرة دون ان يشير الى حركة السكون ، فتحصل لديه من هذا (٤١) واحد واربعون شكلاً ، وظن أن لو عرض رأيه هذا « على ذوي الاختصاص فقد يجدون فيه ما يمكن

أن يخرج منه ابجدية عربية أصلح .

ولكن ألا يرى الدكتور سعيدان أن في هذا التقطيع لأوصال الكلمات ما يضر بالابداع الذي « جعل الكتابة العربية في قمة الفنون الجمالية الرقيقة » كما ينص هو على ذلك ؟ أو لا يرى أن هذا التعديل المقترح لاشكال الحروف يبعد بالكلمات العربية عن حاضرها وماضيها معاً ، وهو الحريص على أن لا يكون لأي تطوير في الاشكال ما يبعد بها عن حاضرها ؟

ثم لماذا هذه الرطانة في الابجدية العربية بأن نحشر بينها اشكالا من الحروف الاعجمية غريبة عنها ؟ ألم يطلع الكاتب على الرموز العربية المعبرة عن تلك « الاصوات المستجدة » ، وهي كثيرة الاستعمال ، ولا سيما عندنا في العراق ، حينما نكتب لفظة اعجمية ؟ إنها رموز عربية صميمة وتؤدي نفس الغرض الذي يريد الدكتور الكاتب أن يؤديه ، وهي : ك ، پ ، ف . وهناك حروف غيرها تدل على اصوات اخرى ، مثل : چ ، ژ . ويمكننا ، هكذا ، ان نعتمد رموزاً اخرى من حروفنا للتعبير عن اصوات اعجمية غير هذه إن دعت الى ذلك حاجة ، مثل الضاد بثلاث نقط ، والطاء والغين كذلك . وقد اشار الكاتب الى اهمية اثبات الحركات في الكتابة ، وبين أن ذلك « سيكون حافزاً على اتقان اللغة واستقرار اللفاظ على صيغ موحدة » ، ونحن معه في هذا ، ولكن ليس على الطريقة التي اقترحها وهي « أن تطبع حركة كل حرف بعده مباشرة » ، لأن في ذلك اضاعة للوقت والجهد واطالة لكل كلمة ولكل جملة بما يجعل المساحة الورقية التي تتطلبها الكتابة او الطباعة مضاعفة أو اكثر من مضاعفة . ويمكن ان يكون في ضبط ما لا بد من ضبطه بالشكل من حروف الكلمة ، لكي يزال الابهام والالتباس ، غنى عن الضبط المتكامل الذي لا ضرورة له .

٤ - يقول الكاتب بعد اقتراحه « أن نكتب بحروف منفصلة » : « وبهذا الصدد اشير فيما يلي الى حقيقة اسوقها على سبيل الترجيح ، لا اليقين . . . » .

وهذا تعبير متناقض مع نفسه لأن « الحقيقة » لا يمكن أن تُساق « على سبيل الترجيح لا اليقين » ، فهي اما حقيقة فعلاً او ظن وترجيح . ولا يصح أن يلتقي الاثنان في شيء واحد . وهذه ملاحظة على التعبير اللغوي الذي جانبه التوفيق .

اما هذا الظن الذي اراد أن يسوقه على سبيل الترجيح ، فهو اعتقاده بان الاوروبيين حينما تشكلت قومياتهم وانفصلت عن الامبراطورية الرومانية حاولت لغاتهم القومية أن

تثبت وجودها وتنافس اللاتينية ، فكان لا بد لها من ان تصوغ أول ابجدية اوربية .  
فكان أن استعاروا بعض الحروف العربية ، مع بعض التعديل في شكلها .

والواقع أن الكاتب كان في غنى عن أن يقدم على نشر الحُدس أو الظن ، دون  
مراجعة ، مسع انه توجد هناك دراسات في اللغسات الاوربية ، عديدة تتناول نشأة  
الابجديات الاوربية المختلفة وعلاقتها بالابجدية اليونانية والرومانية وعلاقة هذه  
بالابجدية العربية سواء كانت فينيقية أو آرامية أو يمنية من الجنوب .

ومن هذه الدراسات كتاب خيرشوف Kirchoff عن الابجدية اليونانية التي  
حروف الجيم واللام والسين ، فيها ، كما يرى ، أقرب الى الحروف اليمنية المعروفة  
بالمسند في الجنوب منها الى الحروف الفينيقية .

وقد تناول الاستاذ عباس محمود العقاد جانباً مهماً من هذا الموضوع في كتيب له  
بعتوان « الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين » .

اما اشكال الحروف في معظم اللغات الاوربية الحية ، فهي نفس الحروف اللاتينية  
المعروفة ، ولا علاقة لها من حيث الشكل بالحروف العربية ، كما ذهب ظن الدكتور سعيدان .  
وفي ختام هذا التعليق المختصر أحب أن أبين أن أي اقتراح علمي يؤمل منه خير  
في دراسة اي موضوع ولا سيما الموضوعات التي تتصل اتصالاً وثيقاً بقضايانا القومية  
الحيوية ، لا بد له من أن يعرض أولاً بالنقد العلمي البناء ولكل المقترحات والآراء  
السابقة ثم يعرض ما لديه من رأي جديد يحاول فيه ان يتجنب نواقص الاقتراحات  
الماضية ، ويضيف الى ايجابياتها ونتائجها العلمية ما يغني ويطور . وهذا هو ما بنا حاجة  
ملحة اليه ، في هذه المرحلة الدقيقة من تطورنا القومي الحديث .

الا ان هذا النهج لم يتوفر في مقالة الدكتور سعيدان ، بل حتى لبدو أنه لم يطلع  
على الآراء والمقترحات التفصيلية المنشورة في « مجلة اللسان العربي » المجلد ( ١١ ) ،  
والمذيلة بعضها بالمصادر العديدة ، عن « تطور الحرف العربي » ، و « الحروف العربية  
والمطابع » و « تطوير الكتابة العربية » و « متاعب اللغة العربية في العصر الراهن » ،  
وفيها دعوات مماثلة تماماً لدعوته .

إن بنا حاجة ملحة لتطويع الحرف العربي لمتطلبات التقنية الطباعة الحديثة ،  
ولكن ينبغي أن يكون نصب اعيننا دائماً ، ونحن نعالج هذا الموضوع ، أنه لا ينبغي  
ان يكون ذلك بعيداً عن اعتبارين اساسيين : المحافظة على جمالية الخط ، والحرص  
على أن لا يبعد به الشكل المطويع عن جذوره التاريخية التي فيها أصالته وحياته .

# الفهرس

## المقالات

- ٣ التدوين وظهور الكتب المصنفة في العهود الإسلامية الأولى . الدكتور صالح أحمد العلي
- ٤٧ أصول الحكم عند العرب الجنوبيين . الدكتور جواد علي
- ٧٩ عبدالله بن عبد الملك بن مروان اللواء الركن محمود شيت خطاب
- ١٠٢ لمحات من تراثنا الحضاري القديم في الطب . الأستاذ طه باقر
- ١٢٢ الحياة الفكرية في بغداد ١٧٤٩ - ١٨٣١ م الدكتور يوسف عز الدين
- ١٤٢ أصالة النحاس في شرح القصائد التسع . الدكتور أحمد نصيف الجنابي
- ١٦٢ النحت في العربية الدكتور محمد ضاري حمادي
- استخدامه في المصطلحات العلمية .
- ١٩٣ ابن الجوزي ( فهرست كتبه ) . الأستاذة ناجية عبدالله ابراهيم
- ٢٢١ خصائص الخط العربي . الخطاط وليد الأعظمي

## الكتب

- ٢٦٢ دور الجيش العراقي الأستاذ محمد بهجة الأثري
- في حركة الدفاع الوطني والحرب ( مع ) بريطانية سنة ١٩٤١ م
- ٢٧٨ معجم الكيمياء الموحد ( نقد ) الدكتور مجيد محمد علي القيسي

## آراء وأبناء

- ٢٩٠ استدراك على أشعار مالك بن الربيع وعبيد الله بن الحر وكعب بن معدان الأشقر ونصر بن سيار وعبد الصمد بن المعتدل
- ٣١٦ ملاحظات على ديوان زهير بن أبي سلمى الدكتور محمود عبدالله الجادر
- ٣٣٢ حول ابجدية عربية صالحة ( نقد ) الدكتور حكمة علي الأوسي

# مجلة المجمع العلمي العراقي

أنشئت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م

العنوان : بغداد / الوزارة / ص . ب . ( ٤٠٢٣ )

( تصدر أربعة أجزاء في السنة )

قيمة الجزء : ٦٥٠ فلساً ، وتضاف إليها أجرة البريد

توجه الوسائل والبحوث الى الأمين العام للمجمع

تطلب المجلة من المجمع ومن الدار الوطنية للتوزيع - بغداد

البحوث التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتابها الشخصية

## تصحیح أغلأط مطبعة في الجزء الاول

ص	س	خ	ص
١٩٢	٦	عبد دهمان	عبد بن دهمان
٢٠١	٥	يسليمان	يسليمان
٢٣٦	٢٢	خمسة	خمساً
٢٥٣	١٥	زينور	زينور
٢٥٥	١٧	الخمسة	الخمس
٣٦٠	١	أراء	آراء

★ ★ ★

وفي عنوان الجزء الثاني

جمادي جمادى

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٦ لسنة ١٩٨٠

مطبعة المجمع العلمي العراقي ٣٠٠٠ / ٤ / ١٩٨٠